الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

مظاهر يقظة المغرب الحديث

تأليف
محمد المنوني



شركة النشر والتوزيع
المدارس
١٢ شارع الحسن الثاني الدار البيضاء

مظاهر يقظة
المغرب الحديث

الخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
رقم الإيداع القانوني 1 ـ 1985

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

مظاهر يقظة المغرب الحديث

تأليف
محمد المنوني

الجزء الثاني



شركة النشر والتوزيع
المدارس
12، شارع الحسن الثاني - الدار البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

طبع بالاشتراك

دار الغرب الإسلامي
ص.ب 113/5787 بيروت - لبنان

شركة النشر والتوزيع
المدارس
12 شارع الحسن الثاني - الدار البيضاء

رقم 56 / 2000 / 2 / 85

التنضيد : سامو برس

الطباعة : مطبعة المتوسط ـ بيروت ، لبنان ـ تلفون 811373 / 811385

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

عرفت العشرة الأولى من القرن العشرين حركة بعث مغربي جديد انطلق من مبادرات المستوى الرسمي ، ثم ساهم فيه نخب من طبقات المفكرين الوطنيين ، وهدفت هذه الانتفاضة إلى محاولات إصلاحية مست سير الإدارة والاقتصاد والأشغال العمومية والدفاع والاجتماع ، ومن جهة أخرى وقفت الحكومة والشعب على السواء ضداً أعلى التدخلات الأجنبية وتحرشاتها بالواحات والحدود المغربية .

وتبتدي هذه الفترة من سنة 1318 هـ / 1900 م ، لتقف عند سنة 1330 هـ / 1912 م ، وتبعاً لتطور الأحداث تفرعت الحقبة ذاتها إلى ثلاث مراحل :

الأولى : تمتد من بداية هذه الفترة ، ثم تنتهي أواخر عام 1322 هـ . / 1905 م .

والثانية : من تقديم مقترحات فرنسا الإصلاحية في التاريخ المشار له ، حتى نهاية عهد السلطان العزيز عام 1325 هـ . / 1908 م .

الثالثة : من بداية عهد السلطان الحفيظ ، إلى إعلان الحماية عام 1330 هـ / 1912 م ، وستكون هذه موضوع دراسة على حدة .

* * *

وأولاً : نشير إلى تركيب الحكومة التي سيرت نفس الفترة في عهد السلطان العزيز [1] ، وهكذا بعد وفاة الصدر أبا حماد صار تأليف الحكومة على الشكل التالي :

1 ـ مصدر لائحة أغلب الوزراء في هذه الفترة هي « مذكرات » المفكر المغربي : محمد الحجوي بعنوان « إنتحار المغرب الأقصى بيد ثواره » . خ . ع . حـ 123 . وستذكر ـ استقبالاً ـ باسم « المذكرات الحجوية الأولى » .

1 ـ الحاج المختار بن عبدالله بن أحماد : رئيس الوزارة ووزير الداخلية ، وهو ابن عم الوزير السابق ، وتقلب ـ من قبل ـ في عدة مناصب ، من بينها الوزارة للخليفة السلطاني بفاس[2] .

2 ـ المهدي بن العربي المنبهي : وزير الحربية والبحرية ، والمستشار الخاص للسلطان ، وبهذا صار له الإشراف على سائر الوزارات ، وكان قبل الوزارة قائداً على قبيلة المنابهة حوز مدينة مراكش ، مع حظوة لدى الوزير السابق أحمد ابن موسى

3 ـ عبد الكريم ابن سليمان الفاسي : وزير الخارجية ، بعد ما كان كاتباً في هذه الوزارة أيام الوزارة الأحمدية[4] .

4 ـ الحاج عبد السلام بن محمد « موخ » التازي الرباطي ، وزير المالية ، وهو يشغل هذا المنصب من عهد السلطان الحسن الأول[5] .

5 ـ محمد المختار بن علي المسفيوي : وزير الشكايات : « العدلية »[6] ، بعد ما كان والده يشغل هذه الوزارة أيام السلطان الحسن الأول وصدر الدولة العزيزية .

وقد نجح المنبهي في التخلص من منافسين له في هذه الحكومة ، فإن وزير المالية طلب من السلطان إقالته وقبلت بتاريخ 20 ربيع الأول النبوي عام 1318 هـ /[7] « 1900 م » ، ثم خلفه في وظيفته الشيخ التازي : محمد بن عبد الكريم الفاسي ،

---

2 ـ توفي ـ بمكناس ـ عام 1335هـ /1917 م ، وترجمته في « إتحاف أعلام الناس » ج 4 ص 306ـ 308 .

3 ـ توفي ـ بطنجة ـ عام 1358 هـ /1939 م ، ووردت معلومات عنه في « مذكرات » محمد الحجوي الأنفة الذكر .

4 ـ توفي ـ بفاس ـ عام 1326 هـ /1908 م ، وترجمته في « فواصل الجمان » ص 92ـ109 .

5 ـ توفي ـ بالرباط ـ عام 1325 هـ /1908 م ، وترجمته في إتحاف أعلام الناس ج 5 ص 363ـ370 .

6 ـ « مذكرات » ثانية لمحمد الحجوي بعنوان : « الخبر عن دولة السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن العلوي الحسني » ، خ . ع حـ 128 ، وتوفي المسفيوي ـ بالرباط قادماً من مراكش ـ عام 1330/1912 .

7 ـ إتحاف أعلام الناس ج 5 ص 364 .

بعدما كان يشغل منصب أمين الصائر[8] .

كما أن الحاج المختار عزل من منصبه أواخر حجة عام 1318 هـ /[9]« 1900م »، وتولى محمد المفضل غريط الصدارة والداخلية ، وهو الذي كان وزيراً للخارجية في العهد الحسني[10] ، وبادر هذا فعزل المسفيوي وزير الشكايات ، وعين مكانه المهدي (بن محمد) غرنيط[11] بتاريخ 26 جمادي الأولى 1319 .

وأثناء ثورة الجيلاني الزرهوني « بو حمارة » : عقب موقعة « سهل بو عيان » . حمي الوطيس بين المنبهي ورفقائه الوزراء بأنواع الانتقادات ، فطلب وزير الحربية السفر لأداء فريضة الحج ، وبارح المغرب في رمضان عام 1321 هـ / « 1903 م » ، وإذ ذاك خلفه في منصبه محمد بن محمد الجباص[12] (السفياني ثم الفاسي) .

هؤلاء هم الوزراء الذين سيروا المغرب في الفترة الممتدة من وفاة الصدر باحماد حتى نهاية الدولة العزيزية ، وسيضاف إلى لائحة الوزراء اسم قائد المشور ابن يعيش : إدريس بن القائد الحاج محمد بن بنعيسى البخاري ، وكان له دور في بعض مشاكل هذه الفترة[13] .

* * *

8 — « الحلل البهية » لمحمد بن مصطفى المشرفي ، مخطوطة خ . ع د 1463 ، وكانت وفاة الشيخ التازي — بطنجة — عام 1333 هـ / 1915 م . حسب جريدة « السعادة » عدد الأربعاء 9 جمادي الأولى 1333 هـ / 24 مارس 1915 م ، وهو أخ محمد التازي المندوب المخزني السابق بطنجة .

9 — « الحلل البهية » ، مع « إتحاف أعلام الناس » ج 4 ص 307 .

10 — الحلل البهية ، وفواصل الجمان ص 191—192 ، وكانت وفاة محمد المفضل غريط عام 1344 هـ / 1925 م .

11 — المذكرات الحجوية الثانية ، وتأخرت وفاة المهدي غرنيط إلى عام 1363 هـ ، وهو أخ محمد المفضل غريط ، ووالدهما — معاً — هو الوزير محمد بن محمد بن عبدالله غريط ، المترجم في « إتحاف أعلام الناس » ج 4 ص 248—254 ، مع « فواصل الجمان » ص 63—70 ، وأجرى المصدر الأخير ذكره — أيضاً — ص 168 .

12 — « المذكرات الحجوية الأولى » ، وتوفي الجباص — بمدينة الجديدة — عام 1352 هـ /1934م ، وله ترجمة وجيزة عند محمد الحجوي في فهرسه « مختصر العروة الوثقى » المنشور بمطبعة الثقافة بسلا ، ص 17 .

13 — أنظر كتاب المسألة المغربية تأليف محمد خير فارس . مطبعة نهضة مصر بالقاهرة . ص 165 .

أما مقر الدولة في الفترة ذاتها فكان ـ أولاً : بمدينة مراكش ، ثم انتقل السلطان العزيز منها إلى فاس ، وبارح عاصمة الجنوب أواسط رجب عام 1319 هـ / « 1901 م) ، واجتاز بمدينة الرباط ، حيث استمر بها إلى ما بعد انصرام شهر رمضان ، ثم تابع الرحلة عبر طريق بني حسن فزرهون ، ووصل إلى فاس أوائل ذي الحجة من العام نفسه[14] ، الموافق سنة 1902 م ، وقد حالت ثورة بو حمارة دون رجوع السلطان إلى مراكش ، واستمر بفاس إلى قيام الانتفاضة الحفيظية .

* * *

ومن الجدير بالملاحظة أن المسؤولين في هذه الفترة وجدوا أمامهم ـ مع مر الزمن ـ مشاكل داخلية ، وهي قليلة بالنسبة إلى المشاكل الخارجية التي بلبلت أفكارهم[15] .

وقد صور واقع المغرب في مبادي هذه الفترة ثلاثة من المؤرخين المغاربة[16] ، ونجتزي بذكر ارتسامات أحدهم ، وهكذا يقول السليماني[17] : « وبالجملة فبموت الحاجب أحمد بن موسى عمت الفوضى سائر البلاد ، وطغى حاضرها والباد ، ووقع الإنقلاب المحسوس في هيأة الحكومة » .

وعن أبعاد ثورة بو حمارة يقول محمد الحجوي[18] إثر ذكر عام 1320 هـ : « وفي هذه السنة بدأ انقلاب الأحوال بالمغرب بثورة أبي حمارة ، التي سببت فقر مالية المغرب ، والسلف الأوربي ، ثم سقوط المالية بيد إدارة السلف ، وفناء

= 248 ، وتوفي ابن يعيش ـ بالرباط ـ عام 1326هـ / 08ـ1909 ، حسب محمد دنية في « مجالس الانبساط ... » مخطوط الخزانة الملكية 779 ، ج 2 ص 163 .

14 ـ « الحلل البهية » ، مع المذكرات الحجوية الأولى .

15 ـ المذكرات الحجوية الأولى .

16 ـ اثنان منهم هما : المشرفي في « الحلل البهية » ، وابن زيدان في « إتحاف أعلام الناس » ، ج 1 ص 396 .

17 ـ « اللسان المعرب . عن تهافت المعمرين حول المغرب » ، مخطوط الخزانة الملكية رقم 297 : الجزء الأول .

18 ـ « الفكر السامي » ج 4 ص 205 .

حماة المغرب وأبطاله في الحروب الداخلية ، وقد اختل النظام ، وضاع الأمن ، وفسدت الأخلاق ، وضاعت الفضيلة والأمانة ... » .

وقد تسلسلت أحداث هذه الفترة كالتالي :

- مأساة الواحات المغربية .
- مأساة الحدود المغربية : الشرقية ثم الجنوبية .
- حدة إلحاح أوربا لإجراء الإصلاحات بالمغرب حسب مخططاتها .
- ثورة المغرب الشرقي بقيادة بو حمارة .
- سياسة القروض الأجنبية .
- الاتفاقات الأجنبية الثنائية .
- مقترحات فرنسا الإصلاحية .
- مؤتمر الجزيرة الخضراء .
- ثورة الشريف الريسوني .
- احتلال وجدة والبيضاء .
- البيعة الحفيظية وما تلاها من أحداث حتى إعلان الحماية .

وليس من موضوعنا تحليل هذه الأحداث ، ويهمنا ـ فقط ـ أن نستخلص ـ من ماجريات بعضها ـ ملامح يقظة المغرب في مطالع القرن العشرين ، حتى نستجلي معطياتها على بعض المستويات الشعبية أو في سياسة الحكومة .

وقد استبد بتفكير المعنيين بالأمر في هذه الفترة قضايا الواحات والحدود ومشاريع الإصلاحات ، وعلى هذا الترتيب سنعرض ـ في هذا المدخل ـ الملامح الأولى للمشاكل الثلاث .

* * *

ونذكر ـ أولاً ـ أن الواحات المعنية بالأمر تشمل منطقة فجيج ووادي الساورة ، وإقليم توات بما فيه كرارة وتيدكلت وما إليهما .

وقد كانت قضية الواحات أول مشكلة واجهت المسؤولين في هذه المرحلة ،

حيث وجدوا الفرنسيين أتموا احتلال إقليم توات ، وشرعوا في الاستلاء على واحة فجيج .

ولمواجهة هذا الوضع سلك المسئولون الطرق الديبلوماسية ، ورفضوا ـ بتاتاً ـ تحركات المواجهات العسكرية . إستناداً لأوضاع المغرب المتخلفة أمام قوة المتغلب . انظر الملحق رقم١ ، وقد سارت سياسة الحكومة السلمية في مرحلتين :

الأولى : على عهد وزارة الحاج المختار .

والثانية : في عهد وزارة المفضل غريط .

* * *

وكانت الوزارة الأولى تحاول ـ في قضية توات ـ أن تسير في خط سياسة الوزير المتوفي : أحماد بن موسى ، حيث كان هذا الأخير بعث إلى طنجة مندوباً عن الحكومة للاسترعاء لدى ممثلي الدول ضد تصرفات فرنسا في إقليم توات ، وكان احتلالها ـ إذ ذاك ـ لا يزال في بدايته[19] .

وقد أعاد النائب محمد الطريس نفس المحاولة على عهد هذه الوزارة الأولى ، وكتب إلى نواب الدول بطنجة باحتجاج المغرب ضد عمل فرنسا في منطقة توات : حسب إشارة سجلتها رسالة ملكية إلى نفس النائب ، بتاريخ فاتح ربيع الثاني عام 1318 هـ / « 1900 م » : الملحق رقم 2 .

وسوى هذا فكر الوزير الحاج المختار في إثارة قضية توات على مستوى سفارتين مغربيتين إلى الخارج ، وفي هذا الصدد ورد في رسالة من نفس الوزير إلى النائب الطريس ، بتاريخ 29 ربيع الثاني عام 1318 هـ / « 1900 م » .

« ... فإني استشير معك في تعيين سفيرين معتبرين ، من طرف مولانا ـ نصره الله ـ لجنس النجليز والبروسيا أو غيرهما مما تشير به علينا : برفع أمر قضية توات والكلام فيها حينما تعلمنا به ، نحبك تجعل هذا من مهماتك ، وتجيبني ـ سراً ـ صحبة هذا الرقاص ولا بد ... » : الملحق رقم 3 .

---

19 ـ انظر « الحلل البهية » ، مع « المذكرات الحجوية » الأولى .

ومن المؤكد أن هذه المحاولة لم تتحقق في هذه المرحلة ، وسنرى ـ وشيكاً ـ أن السفارات إنما ذهبت لأوربا على عهد الوزارة الثانية .

* * *

وعن موقف الوزارة الأولى في موضوع تتميم خط الحدود الشرقية ، كان السلطان العزيز كتب رسالة شخصية إلى الملكة الإنجليزية فيكتوريا سنة 1900 ، وطلب من الوزير البريطاني المفوض بالمغرب ،أن يسلمها ـ مباشرة ـ إلى الملكة نفسها .

وقد اقترح سلطان المغرب في هذه الرسالة على الملكة ، أن تقنع الحكومة الفرنسية بوجوب تعيين الحد النهائي بين المغرب والجزائر ، بحيث تتعهد فرنسا أن لا تتعداه .

ووصل طلب السلطان إلى الحكومة الفرنسية ، وأكد ديلكاسيه وزير خارجيتها للسفير البريطاني ، بأن حكومته لا تنوي مهاجمة المغرب ، ونفي كل الإشاعات حول خطط سرية أو غير قانونية [20] .

* * *

بيد أن مجرى الأحداث ـ سواء في الحدود الشرقية أو بمنطقة توات ـ أسفر عن عدم جدوى الرسالة الملكية والمحاولات الوزيرية ، فلذلك قامت الوزارة الثانية ـ التي يترأسها غريط ـ بمساعي جديدة في هذا الصدد ، وقررت إثارة قضية توات وإتمام خط الحدود على نطاق دولي .

ومن هنا فإن الوزارة الغريطية هيأت ـ لهذا الغرض ـ سفارتين . إلى أوربا خلال عام 1319 هـ / 1901 م ، حيث كان السلطان لا يزال بمراكش ، ومن هذه المدينة توجهت السفارة الأولى إلى لندرة وبرلين ، وكان على رأسها المنبهي وزير

---

20 ـ تاريخ المغرب في القرن العشرين . تأليف روم لاندو . تعريب د . نقولا زيادة ... نشر دار الكتاب بالدار البيضاء ، ص 71-72 .

الحربية ، وذهبت السفارة الثانية إلى باريس وبطرسبورغ برئاسة ابن سليمان وزير الخارجية[21] .

وقد فشلت السفارة الأولى سواء في لندرة أو برلين فيما يتعلق بالموضوعات السياسية التي كانت تهدف إلى إثارتها ، وإنما تلقت توجيهات من انجلترا للمحافظة على استقلال المغرب ، ومنها إصلاح الطرق ، وإجراء العدل ، ونشر الأمن ، وفتح المراسي للوسق والإتجار ، وإصلاح أحوال السجون ، وتجنب التبذير[22] .

وبالنسبة إلى السفارة الثانية فإنها لم تنجح في إثارة أي من موضوعي مهمتها ، وفي فرنسا رفض وزير خارجيتها مناقشة نقطة الواحات ، كما ظل متمسكاً بسياسة عدم تتميم خط الحدود[23] ، وألح نفس الوزير في شأن التنظيمات ودخول الإصلاحات للمغرب .

ولسوء الحظ فإن السفارة البارسية تورطت في توقيع وفق 20 يونيه سنة 1901م / 3 ربيع الثاني 1319هـ ، وهو الذي انعقد ـ في باريس ـ بين وزير خارجية المغرب عبد الكريم بن سليمان ، ووزير خارجية فرنسا ديلكاسي ، ثم تلاه الوفق التطبيقي للمعاهدة الأولى بتاريخ 20 أبريل 1902م / 12 محرم 1320 هـ ، وكان انعقد بالجزائر بين محمد الجباص الكاتب الأول لوزارة الحربية ، والجنرال كوشمير[24] .

ومن هنا تسنى لفرنسا أن تدعي إعتراف ابن سليمان بشرعية وجودها في إقليم توات وبعض واحة فجيج ، إنطلاقاً من معاهدة باريس ، وشجعت هذه الوثيقة نفس الدولة لتقوم ـ من جديد ـ بالإستيلاء على جهات لم تكن محتلة من

---

21 ـ الحلل البهية والمذكرات الحجوية الأولى ، ويعلق كاتب هذه المذكرات على سفارة ابن سليمان قائلاً : «وأما قول صاحب اتحاف أعلام الناس : إنه توجه سفير إلى ألمانيا ـ أيضاً ـ فهو محض غلط ، والذي توجه لألمانيا هو المنبهي مع وفده مستقلاً » .

22 ـ الحلل البهية ، مع المسألة المغربية ص 144 و 213 ـ 214 .

23 ـ المسألة المغربية ص 145 .

24 ـ أنظر النص العربي للوفقين معافي كناشة لمحمد الحجوي خ . ع ، حـ 125 ، وفي كتاب المسألة المغربية وردت خلاصة العقد الأول ص 145 ـ 147 ، بينما جاءت خلاصة العقد الثاني ص 149 ـ 152 .

قبل ، ومنها القنادسة ، ومنطقة أولاد جرير وذوي منيع ، وبشار ، وقصر بني ونيف بفجيج[25] .

وسيأتي رد الفعل الأول ضد وفق باريس من جهة بعض أعضاء الحكومة المغربية نفسها ، وهكذا صار كل من رئيس الوزراء غريط وقائد المشور ابن يعيش ، يحملان هذه المعاهدة تبعة الأخطار التي حاقت بالمغرب من بعد[26] ، مما سنرى له رد فعل شعبي عنيف .

* * *

والآن يصل بنا المطاف إلى موضوع الإصلاحات ، وقد كانت تستهدف ـ من ذي قبل ـ المجال العسكري ، وإعداد طائفة من الموظفين والمترجمين ، وهي السياسة التي نهجها كل من العاهلين : محمد الرابع وابنه الحسن الأول ، وبعد وفاة هذا الأخير إستبد بالدولة الصدر ابّا احماد ، فجمد ـ تقريباً ـ سير هذه التجربة .

حتى إذا توفي هذا الوزير أثيرت المسألة على مستوى الإصلاحات الكبرى ، لتلج ميادين الإدارة والاقتصاد والأشغال العمومية والدفاع والاجتماع ، وتبني هذا الاتجاه ـ من داخل المغرب ـ بعض أعضاء الحكومة الغريطية وكبار الموظفين والتجار ، وفي تقديرهم ـ جميعاً ـ إن ذلك هو الذي سينقذ المغرب من الاحتلال .

وهكذا يتبين أن المغرب ـ مع مطلع القرن العشرين ـ بدأ يحاول توجيه الإصلاحات وجهة جديدة تساير التنظيمات الحديثة ، وهو الطابع الرئيسي الذي يميز هذه الفترة عن سابقتها ، ومن طبيعة مثل هذه المرحلة في حياة الأمم أن تكون مجالاً لاقتراحات نخبوية تنظيمية ، ومحاولات على مستوى الحكومة .

وبهذا سنواجه نقطتين رئيسيتين :

ـ مشروعات تنظيمية تطرحها النخبة .
ـ محاولات إصلاحية حكومية .

---

25 ـ المذكرات الحجوية الأولى .

26 ـ المسألة المغربية ، ص 248 .

ومن خلال سير النقطتين ـ معاً ـ نلمس بعض مظاهر اليقظة المغربية في الفترة الواقعة بين وفاة الوزير با أحماد حتى نهاية الدولة العزيزية .

كما سنواجه ـ في الحقبة ذاتها ـ معطيات أخرى لهذه اليقظة ، تتبناها الحكومة وبعض طبقات الشعب : في مواقفها حيال قضايا الواحات والحدود والتدخل الأجنبي .

يضاف لذلك عرض بعض النماذج من تجاوب المغرب مع الشرق في إطار البعث الإسلامي الجديد .

فهي أربعة مواضيع سيتدرج عرضها حسب المرحلتين المشار لهما سلفاً .

الأولى : من عام 1318 هـ / 1900 م ، إلى أواخر عام 1322 هـ / 1905 م .

ومن هذا التاريخ الأخير تبدأ المرحلة الثانية لتنتهي عند عام 1325 هـ / 1908 ؛

وهكذا تتفرع العروض إلى الأبواب التالية :

المرحلة الأولى

الباب الأول : مواقف شعبية ضد أزمتي الواحات والحدود .
الباب الثاني : مبادرات رسمية لإصلاح الجهاز الإداري .
الباب الثالث : نماذج من تجاوب المغرب مع المشرق في إطار البعث الحديث .

المرحلة الثانية

الباب الرابع : الموقف الرسمى من أزمة الصحراء .
الباب الخامس : الرد الرسمي ضد المطالب الفرنسية .
الباب السادس : محاولات تجديدية على المستوى الرسمي .
الباب السابع : ملامح اليقظة السياسية للنخبة المغربية في مطالع القرن العشرين.

الباب الثامن : دور العلماء في التوعية .

الباب التاسع : مشروعان دستوريان .

الباب العاشر : نماذج من مساهمة الشعر في التوجيه الإصلاحي .

الباب الحادي عشر : البدايات الأولى لظهور الطباعة العربية المركبة على الحروف .

الباب الثاني عشر : المقاومة المسلحة في الشاوية وتافيلالت .

ملحق 1

رسالة تشير للموقف الرسمي
إزاء تحركات شعبية للدفاع عن إقليم توات

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

بعد تقبيل حاشية بساط سيدنا ومولانا الشريف ، وأداء ما يناسب المقام العالي بالله من التعظيم والتشريف ، ينهى لشريف علم سيدنا ـ أيد الله أمره ، ورفع قدره ـ أن كتاب مولانا ـ أسماه الله ـ وصلنا مضمنه ، فبعدما أطلعنا علم مولانا الشريف بالطائفة من الفرسان التي وجهناها لرد إخوانهم ، آيت عطه وبني محمد الذين توجهوا لناحية توات ، وأصدر لنا مولانا جوابه الشريف عن ذلك في غيره بما فيه كفاية :

تجددت أخبار متواترة بالوقعة الشنعاء التي وقعت بتميمون من طرف بلاد توات بين ءايت عطه وبني محمد : مع النصارى .

وحيث لم يرد إعلام منا بشيء مما ذكر للأعتاب الشريفة : طير لنا سيدنا ومولانا الكتب بما بلغ لحضرته العالية بالله ، لنعجل بشرح الواقع وبما آل إليه الأمر في ذلك ، ونقوم على ساق الجد في رد من عسى أن يتشوف لشيء من هذا التهور الذي لا يجر إلا العطب ، ونجعل ذلك ـ سيدي ـ من أهم المهمات ، حتى يظهر من سيدنا ما يكون عليه العمل .

فلينه لشريف علم سيدنا ـ متعنا الله بطول حياته ـ أننا بنفس مجرد سماعنا هذه الواقعة طيرنا الإعلام لسيدنا المنصور بالله بما تحقق لدينا في ذلك ، ووجهنا المكاتب صحبة المخزنيين اللذين كانا توجهاً لرد المذكورين ، بقصد الإعلام بما شاهداه مشافهة .

وهذا ماوجب به إعلام سيدنا ، وعلى الخدمة والسمع والطاعة ، والسلام .

في 10 حجة من عام 1318

الخديم المدني بن عبدالله المزواري
أمنه الله

—من وثائق وزارة الخارجية المغربية .

ملحق 2

رسالة عزيزية تتضمن الإشارة لاحتجاج الطريس لدانواب الدول بطنجة ضد عمل فرنسا في إقليم توات

خديمنا الأرضي : القائد عبدالله ابن سعيد ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : وصل جواب خديمنا الحاج محمد الطريس مطوياً على ما أجاب به رئيس الدولة الجمهورية الفرنسوية ـ عن الحوادث التي أوقعتها جنود الإيالة الجزائرية بقصور القطر التواتي وما والاه ـ بما تضمن عدم الإنصاف ، وعلى نسخة مما كتب به النائب المذكور لنواب الأجناس بقصد رفع ذلك لدولهم ، وصار الكل بالبال .

لاكن إعلامه بما ذكر تقدم قبل التاريخ بأربعين يوماً ، ولا زال لم يظهر منه إعلام بمآل الأمر فيما كتب به للنواب .

والحالة أن الأخبار قد تكاثرت بكون الجنود الجزائرية لم تقف حتى عند مقتضى الجواب الوارد من رئيس الجمهورية الفرانصوية ، بل لا زال انتشارها بناحية الصحراء في الزيادة ، حتى إنهم صاروا يوجهون السرايا للتحويم على قبائل تافيلالت ثم يرجعون ، وهذا عين التهديد على داخل الإيالة البعيدة عن نقط الحدود ، بل هو صريح السعي في أسباب ترويع القبائل المذكورة ، واستنهاضها للدفاع عن أنفسهم ومحارمهم ، ليرتب الخصم على ذلك ما يرتبه من إدعاء هجوم القبائل الغربية عليهم ، إلى غير ذلك من المقاصد التي لا تخفى ، وكيف يمكن مع هذه الحالة دوام كف أولئك القبائل عن مقابلة الهاجمين عليهم ، أو تثبيطهم عن بواعث الغيرة على أرضهم وبلادهم .

وحيث كان الانتظار لمثال ما كتب به هذا الخديم للنواب ـ والحالة على ما هي عليه من ضيق النطاق عن السكوت لتزايد امتداد يد الترامي ، وتكاثر التظاهر بما هو

في معنى التهديد على قبائل تافيلالت ـ تعين تطبير الكتب لكم بما ذكر ، لتعجلوا بالإعلام بمثال كلام الدول في هذا الموضوع ، وبما تستروحونه من بعض الجوانب على وجه السر فيما يرجع لنتيجة المثال ، ليكون المخزن على بال ، لأن انقطاع الخبر في هذه المدة كلها ، يورد على الفكر كثيراً من التوقعات ، ولا أقل في مثل هذا الموضوع من تعاهد الكتب بالمسموع ـ رسمياً أو سرياً ـ ولو مرة في الجمعة .

وأما ما أجاب به رئيس الجمهورية فإنه وإن كانت ألفاظه كلها خارجة عن طرفي الإنصاف ، فلا بد من إمعانكم النظر فيه هل يناسب إصدار جواب عنه أم لا .

وقد أمرنا الخديم المذكور بأن تحضر لديه أنت والخديم الطالب بناصر غنام ، وكذلك الطالب عبد السلام أحرضان إن اقتضته المصلحة ، لتتفهموه مع ما يتعلق به من المكاتيب ونسخ الحجج التي عندكم في هذا الشأن ، وتتفاوضوا في ذلك ، وإن ترجح عندكم مناسبة إصدار جواب عنه فبينوا كيفية المنوال المناسب الذي يجتمع عليه رأيكم في هذا الجواب ، أو غيره من الوجوه الموصلة لكف يدي الترامي ، والتوافق بين الجانبين على تتميم المحاددة بين الإيالتين من جميع الجهات كلها ، وعقد شروط في ذلك بما أمكن ، ولو بجعل سداد مناسب خفيف ، إرتكاباً لأخف الضررين ، وحتى إن لم تكن عندك نسخة من تعريب جواب البريزدان ، فها هي تصلك بطيه .

وها نحن في انتظار جوابكم بمثال كلام الدول ، وبما حررتموه فيما يوصل لإتمام المحاددة مع الخصم ، وتسكين الترويع الواقع في الرعية ، لننظر في ذلك ، ويظهر ما يتعين الإقدام عليه ، والله غالب على أمره .

وقد كتبنا للأمين الطالب بناصر غنام بمضمنه ، والسلام في فاتح ربيع الثاني عام 1318 .

ـ من وثائق نخبة مدينة سلا الغيور الوجيه السيد الحاج العربي إبن سعيد .

1 - مصورة الملحق 2

محبنا الأرضى الفقيه عبد الله ابن سعيد وفقك الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد وصل جوابك عن بعض ما
حرر الطالب بن مهدي بالغير بما أجاب به رئيس الدولة الجمهورية الفرنصوية عن الحوادث التي أوقعه
الإيالة الجزائرية بفصول المغرب الشرقية وما والاها بما تضمن عدم الانقياد وعلى نحو ما كان
الشأن في المذكور للنواب الأجناس بفاس ومع ذلك لم يزل الحال على الحال لا كما [illegible] اعلامه
تقدم قبل التاريخ بأربعين يوما وكأن لم يطلع منه إعلام بشأن الأمر مهما كتبنا به للنواب والـ
الأخبار متتابعة بكون الجنود الجزائرية لم تقف حتى عند مقتضى الجواب الوارد من رئيس
الفرانصوية بل لا زال انتشارها بناحية الصحراء في الزيادة حتى أنهم جاوزوا [illegible]
على [illegible] ثم رجعوا ومن العين الشعير على داخل الإيالة السعيدة عن قطع الحدود با
لتشوش في أسباب ترويع القبائل المذكورة واستنهاضها للرحيل عن أنفسهم وقرارهم لترتب النظر فإن
ترتب من [illegible] جموع القبائل التي [illegible] عليهم إلى غير ذلك من المفاسد التي لا تخفى وكيف
مع تمكن الحالة [illegible] والعمل بها وكل القبائل في مقابلة البغي عليهم أو تسلطهم عن مواضعهم الـ
أرضهم وبلادهم وحيث كان الانتظار لشأن ما كتب به منا الشريف للنواب والحالة على
ما هي عليه من [illegible] من السكوت لتزايد الأمر إلى [illegible] وتشكل التظلم بما هو في معنى
[illegible] تعين تشهير الكتب [illegible] بما ذكر لتحصلوا بالاطلاع بشأن كلام الدول في هذا
وبما [illegible] من بعض [illegible] لتتبع الشأن ليكون [illegible] لأن [illegible]
في [illegible] كلها [illegible] على العكس [illegible] وكذا [illegible] في مثل هذا الموضوع [illegible] من الكتب بالـ
[illegible] ولو مرة [illegible] ما أجاب به رئيس الجمهورية [illegible] وإن كانت [illegible]
[illegible] الانتظار [illegible] ينسب [illegible] جواب عنه [illegible]
المذكور [illegible] والغرض [illegible] وكذا [illegible] الإصلاح [illegible]
المصلحة [illegible] مع ما يتعلق به في المكاتب [illegible] منكم في هذا الشأن [illegible]
ذلك وإن ترجح عندكم مناسبة [illegible] جواب عنه [illegible] المناسب الذي يجتمع على
في هذا الجواب [illegible] الموصلة [illegible] على تتميم [illegible]
من جميع الجهات كلها [illegible] في ذلك بما أمكن ولو [illegible] مناسب [illegible]
وحتى أن لم [illegible] جواب [illegible] تتعلق [illegible]
بشأن كلام الدول [illegible] مع [illegible]
لتنظروا [illegible] والله [illegible] كتبنا للأمير [illegible]
[illegible] في [illegible] عام 8 [illegible]

ملحق 3
رسالة استشارية من الحاج المختار
إلى الطريس في موضوع أزمة توات

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

محبنا الأعز الأرضي ، النائب السيد الحاج محمد الطريس ، رعاك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا أيده الله .

وبعد فإني أستشير معك في تعيين سفيرين معتبرين من طرف مولانا ـ نصره الله ـ لجنس النجليز والبروسيا أو غيرهما : مما تشير به علينا برفع أمر قضية توات والكلام فيها حين ما تعلمنا به ، نحبك تجعل هذا من مهماتك ، وتجيبني ـ سراً ـ صحبة هذا الرقاص ، ولا بد .

وعلى المحبة . والسلام . في 29 ربيع الثاني عام 1318 .

المختار بن عبدالله
لطف الله به

ـ محفوظات قسم الوثائق في المكتبة العامة بتطوان : محفظة 35/106 .

المرحلة الأولى

وكما تبينا وشيكاً : **فهي** تمتد من عام 1900/1318، حتى أواخر عام 1322/ 1905، ويسير طرح مواضيعها عبر ثلاثة أبواب :

الباب الأول : مواقف شعبية ضد أزمتي الواحات والحدود .

الباب الثاني : مبادرات رسمية لإصلاح الجهاز الإداري .

الباب الثالث : نماذج من تجاوب المغرب مع المشرق في إطار البعث الإسلامي الحديث .

الباب الأول
مواقف شعبية ضد أزمتي الواحات والحدود

بعد المدخل التمهيدي لملامح الإنبعاث المغربي في مطالع القرن العشرين : نلتقي - في نطاق المرحلة الأولى - مع رد الفعل الشعبي إزاء أزمتي الواحات والحدود ، وقد صار يطغى عليها - أكثر - عمليات المقاومة المسلحة .

غير أنه لا يعرف - لحد الآن بين المؤرخين المغاربة - من اهتم بشرح أبعاد هذه المواجهة ، ولذلك سنلتجي إلى بعض الوثائق الوطنية والأجنبية ، حتى نستجلي منها ملامح من النضال المغربي ضد واقع الاعتداء على الواحات والحدود الشرقية .

* * *

وقد جاءت المبادرة الأولى من منطقة تافيلالت ، فإن سكانها لما علموا بالانباء المزعجة ، سارعوا إلى توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم ، ثم عقدوا مؤتمراً عاماً ضم قبائل هذه الجهات وزعماءها ، وقرروا على إثره المناداة بالجهاد للدفاع عن عين صالح وقبائل ذوي منيع ، إبتداء من أواخر عام 1317 هـ / 1900 ، حسب الملحق الرابع .

وسيأتي بعده الملحق الخامس في رسالة تحمل تاريخ 21 محرم عام 1318 هـ ، وهي موجهة إلى مدينتي فاس ومكناس وما إليهما ، وتتضمن شبه بلاغ عن سير العمليات في موقعة حربية للدفاع عن بعض حصون واحة توات ، حيث اجتمع من مقاتلة المسلمين خمسة وتسعون ألفاً بين سكان الواحات ومن وفد لنجدة تهم من

تافيلالت والسواحل . وقد حاصروا جيش الاحتلال واستولوا عليه بكامله ، واستشهد من المسلمين زهاء ألفي شخص .

وبعد هذا تتحدث الرسالة عن واجهة ثانية بوادي الساورة ، وكانت تضم المجاهدين من سائر قبائل تافيلالت : الأشراف والأمازيغيين والعرب ، وهم في عدة قوية استعداداً لوقف زحف المعتدين على التخوم المغربية .

وحسب رسالة بتاريخ 10 حجة عام 1318هـ كانت قبيلتا آيت عطاوبني محمد توجهوا بدورهم للدفاع عن ناحية توات[1] .

* * *

وبعد إقليم توات وما إليه : يظهر على المسرح السياسي وفقاً سنتي 1901 و1902م ، وقد قوبلت الاتفاقيتان بمعارضة شعبية عنيفة ، وانتقدهما ـ بشدة ـ كل المفكرين المغاربة[2] ، وعلى مستوى القبائل المغربية ورد في دائرة المعارف الإسلامية[3] :

« وقد بدا لقبائل البربر أن اتفاقيتي عام 1901 ، 1902 بين فرنسا ومراكش يهددان استقلالهم ، فقلقت خواطرهم مرة أخرى .... »

وجاء في مصدر آخر[4] : « ولم يكن لدى القبائل ـ التي أوجست خيفة من هذه الاتفاقيات ، والتي رأت فيها تهديداً لاستقلالها ، سواء من جانب السلطان أو من جانب فرنسا ـ الرغبة في الخضوع لأحكام هذه الاتفاقيات ، فاستمرت حوادث الحدود كما كانت ، وأظهرت القبائل مقاومة مسلحة لهذه الاتفاقيات »

* * *

وقد كان للمقاومة الشعبية للدفاع عن منطقة توات وما إليها ، وضد الإتفاقيتين : أصداء واسعة في الأوساط الفرنسية : بباريز وطنجة والجزائر ، وفي هذا الصدد

---

1 ـ هذه الرسالة هي نفس الملحق السابق الذي يحمل رقم 1 .

2 ـ المذكرات الحجوية الأولى بعنوان : « انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره » .

3 ـ النص العربي 204/9 .

4 ـ « المسألة المغربية » ص 152 .

يترك لنا المسئولون الفرنسيون إنطباعات نعرض منها خمسة نماذج :

1) وسنجد النموذج الأول في رسالة صادرة عن وزير الخارجية الفرنسية إلى الوزير المعتمد بطنجة ، وتحمل تاريخ 3 مارس 1901 م ، وجاء فيها :

« ـ .... كما ستعلمون ذلك : هاجم نحو ألف من الأمازيغيين ـ أتوا من تافيلالت ـ مركز تيميمون ، وصدوا على أعقابهم بعد قتال دَعَوِي . وهكذا إستهدفت جنودنا فوق « أراضينا » لاعتداء من طرف من « النهابين » الرحل الذين شكلوا عصاباتهم في البلاد المغربية ، والذين يظهر أن بعض السلطات المحلية قد جارتهم في أعمالهم[5] .

2) أما النموذج الثاني فهو عبارة عن ملحق رسالة رفعها الوزير الفرنسي بطنجة إلى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 23 مارس سنة 1901 م ، وورد فيه :

« .... لكن واقعة أكثر خطراً حدثت : ذلك أن نحو ألف أمازيغي ـ أتوا من تافيلالت وشكلوا عصابتهم في المغرب ـ دخلوا إلى « ترابنا » وهاجموا ـ بالليل ـ الجنود الفرنسيين في مركز تيميمون ، ورغم التأديب « العادل » الذي قامت به جيوشنا نحوهم ، يحضر تشكيل عصابة جديدة في تافيلالت ، وتتجدد الهجمات في ناحية جنان الدار ، ووصلنا ـ أيضاً ـ خبر يقول : بأن القبائل ـ نواحي ثنية الساسي ـ تستعد لمحاربتنا[6] ... »

3) وبعد هذا سيأتي النموذج الثالث في رسالة من الوالي العام للجزائر إلى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 9 فبراير ستة 1903 م ، وهي تبتديء هكذا :

« نقلت التقارير التي وجهتها ـ أخيراً ـ السلطة العسكرية ، أن عدداً لا يستهان به من الاعتداءات : قد وجهت ضدنا في ناحية زوسفانا من طرف أشخاص أصلهم من المغرب ... وتؤكد هذه الحوادث خطورة الحالة المنتظرة في زوسفانا[7] ... » .

---

5 ـ جريدة « صحراء المغرب » : السنة الأولى . ع 11 ص 8 .
6 ـ نفس الجريدة والسنة . ع 10 ص 5 .
7 ـ الجريدة والسنة . ع 11 ص 8-9 .

4) وهذه رسالة من الوالي العام للجزائر إلى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 20 ماي سنة 1903 م .

« حمل إلينا أهلي ثقة غادر القنادسة يوم 13 ماي الجاري الأنباء التالية مِنْ جنان الدار :

لا زال رجال الحركة الذين شاركوا في المعركة يوم 5 ماي ضد القافلة الحرة مجتمعين ببشار . وقد انضمت إليهم جنود جاءوا من كـير الأعلى . ومن قصور الموغل . وبوقيس . وعين الشعير .

ويقول الأهلي : إن رجال الحركة يقتاتون بالمؤون التي استحوذوا عليها خلال غزوة يوم 5 ماي .

ويقول هذا الرجل ـ أيضاً ـ إن رجال الحركة توجهوا يوم 5 ماي إلى ضريح سيدي محمد بن بوزيان بالقنادسة وذبحوا جملاً ، وبعدما انتهت الحفلة . كان من المقدر أن يقوموا بالتهيء الضروري ، ويتوجهوا نحو طغيت ليغزوها »[8] .

5) وأخيراً : رسالة من وزير الخارجية الفرنسية إلى الوالي العام للجزائر بتاريخ 19 ديسمبر سنة 1903 م ، وتبتديء هكذا :

« طالما رغبتم في عدة مناسبات أن تزودوني بمعلومات استطعتم الحصول عليها في موضوع الهجوم الحديث . الذي تم على يد القبائل المغربية ضد « مراكزنا » وقوافلنا بجنوب وهران : تلك المعلومات التي تفيد أن المخزن لم يكن أجنبياً عن منظمة « الغرفاس » الذين هاجموا ـ مؤخراً ـ جنودنا في الناحية الصحراوية .... [9] » .

* * *

وإلى هنا ، وفي نطاق هذه المرحلة الأولى : ينتهي عرض نماذج من ملامح المقاومة الوطنية المسلحة ، ضد ضياع اقليم إلتوات وما إليه ، وضد اتفاقيتي باريس والجزائر . حسب اعترافات الوثائق الأجنبية بعد شهادات الوثائق الوطنيـة .

---

8 ـ الجريدة والسنة . ع 13 ص 8 .

9 ـ الجريدة والسنة . ع 12 ص 3 .

ونحاول ـ بعد ذلك ـ أن نستجلي دور الأدب في هذه المعركة ، غير أنه لا يعرف ـ لحد الآن ـ في نفس الإتجاه ـ سوى أرجوزة وحيدة يتحسر فيها ناظمها [10] على ما مني به مغرب مطلع القرن العشرين من اغتصاب أجزائه ، وتقلص حدوده ، ويحرض على الاستعداد للجهاد ، والأرجوزة تحمل إسم « إيقاظ أهل الغفلة والمنام ، والنيابة عمن استيقظ ولم يقدر على الكلام » ، وعلى هلهة بعض أبياتها ، فقد صيغت في لهجة صريحة وصارخة وهذه مطالعها :

دع عنك داعي السرور والمزاح
واسْلُكْ سبيل من بكى الدين وناح
واحك نساء الحي في لطم الخدود
وضربهن الفخدين والصياح
وارثه واسمعن جميل وصفه
واندب وغرد في الغدو والرواح
وإن حزنت أو بكيت فوق ذا
مما أصاب ما عليك من جناح
وقم على ساق محرضاً وقل
دون قتال وطن الإسلام جاح
والدين بالكفر يعالج الضياع
وقد خلا الجو لأولاد السفاح
غابت بواكيه وعز ناصره
ليتني ممن مات قبل فاستراح

والأبيات الثلاثة الأخيرة تلمح إلى ضياع الواحات ، والاجتزاء بعرض مشكلتها على الدول الأوربية الأربع .

---

10 ـ نشرت هذه الأرجوزة ـ كاملة ـ بالمطبعة الحجرية الفاسية خالية من اسم قائلها ، ونسبها لنفسه محمد بن مصطفى المشرفي في « الحلل البهية ... » بمناسبة إثباته لنصها ، غير أن نفَسها لا يتجاوب مع سياق هذا المؤلف لمأساة الواحات والحدود لما يحللها في كتابه المشار له ، وذلك ما يبدو ـ واضحاً ـ عند المقارنة بين النصين ، وقد سمعت ـ أكثر من مرة ـ من يقرأ هذه القصيدة وينسبها للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني .

وبعد هذا تشير الأرجوزة إلى مأساة الوجود الأجنبي بالمغرب ، وعمليات اقتطاع الحدود ، وسياسة الاقتراحات الأجنبية ، مع المقارنة بين واقع المعتدي وحالنا :

كيف وقد خيم أرضنا العدو
وباض فيها طيره قهراً وصاح
خلاله الجو فمد رجله
وحط رحله ونام في البطاح
وقد بدا النقصان من أطرافها
واطمأنت به الفيافي والمراح
مال علينا ميلة واحدة
حيث غفلنا جملة عن السلاح
واستضعف الإسلام طراً فدنَا
من أرضه وعمها بالاقتراح
ونحن في ظل الغرور نائمون
على بساط الذل نرجو الإفتضاح
همتنا مصروفة إلى البنا
والشهوات والملاهي والمزاح
همته مصروفة في أخذنا
وأرضنا وما حوت من القراح
ولا يفيد الحدود قوة
فالعهد منه كسراب في بطاح
وكم مكيدة له نال بها
ما لم ينله بالسيوف والرماح

والبيتان الأخيران إشارة إلى اتفاقية الحدود ، لتنتقل الأرجوزة ـ بعدهما ـ إلى التحريض على الجهاد ، والحض على احتذاء السياسة الإسلامية ، حسبما يتبين من نصها ـ كاملاً ـ عند الملحق 6 .

ملحق 4 *

رسالة تذكر استعداد منطقة تافيلالت
للدفاع عن عين صالح وقبائل ذوي منيع

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

سيدنا الوزير الأعظم الأمجد : سيدي أحمد ، بن الوزير المرحوم سيدي موسى إبن أحمد ، سلام على سيادتك يعم .... الحضرة ، ورحمة الله ، عن خير سيدنا أيده الله .

وبعد فليعلم سيدي أن هذا القطر السجلماسي لما ورد خبر ما وقع .... مضاربة أهل توات مع النصاري ، وأخذوا لهم القصر المسمى « عين صالح » ، بعد أن مات من المسلمين مئة وأربعين .... الخ ، راج التاس هنا فيما بينهم ، وصاروا يجتمعون مع بعضهم ، ويتفاوضون فيما يكون عليه أمرهم ، حتى ..... إلى أمس تاريخه ، عقدوا جمعاً من نحو مئتين رجل بالبيعة ، حضر فيه المحمدي والخباشي .... وبعض أهل الغرف ووفلا له وأعراب الصباح : من تزيمي والجرف وغيرهم ، واتفقوا بيهم على ..... الهناء بينهم عامين ، وأنهم تائبون إلى الله فيما كان بينهم من العداوة ، وأنهم الآن إخوان ..... وعدوهم هو الرومي الذي هو بقرب « يگلي » .

فبينما هم كذلك وإذا بمكاتب ذوي منيع وردت عليهم من ..... يخاطبون كل قبيلة بكتاب مخصوص ، مضمنه أنهم في غاية ما يكون من الضيق ، ويستغيثون ..... المذكورة . فإن عدو الدين الفرنصيص أحاط بهم ، ولا زالت لم تقع مضاربة بينهم ، فإن وردت ..... علينا بذلك ، وإلا فلتركوا البلد ، فحينئذ كتبوا القبائل

الذين لم يحضروا معهم في الجمع المذكور ..... كآيت يزدف وآيت عبسي وآيت مرغاد وأهل الرتب وغيرهم من القبائل ، كما كتبوا المولى ..... بن الحنافي ، ولشرفاء الدويرة ، ولمولاي أحمد الذي ببو ذنيب ، وسيدي العربي بن الهواري

بفركلة ، يزعَمّون ..... الناس للورود عليهم بقصد الجهاد ، ثم افترقوا على أن يقع الجمع المذكور بالسوق القديم قرب ..... عام .

واجتمعوا يوم تاريخه وهو يوم الأحد ، وبعد اجتماعهم بالسوق المذكور طلقوا النداء في ..... المداشير بوادي يغْلي وبقرب الإعلام بالجهاد ، وقامت الناس على ساق في قضاء مآربه .

وقبل ..... اجتماعهم في الجمع الأول كتبت للفريقين بأن لا يحضرون في الجمع المذكور . وأن لا يفعلون شيئاً إلا بالأمر الشريف إذا ورد عليهم بذلك . أما أهل وادي يغلي فلم يجبوني كتابة . إنما قدم علينا مقدم مولانا على الشريف نفع الله به ومعه بعض الشرفاء . وحذرتهم من أن يحضروا فيما ذكر لربما يقع فيه ما يخالف غرض مولانا المؤيد بالله . فأجابوا بقولهم إنهم ممتثلون . ثم به لما وقع النداء بسوق أبي .... وقع حتى بسوقهم مثل ذلك بالجهاد . ولم يلتفتوا لما حذرناهم منه . وأما أهل أبي .... والسفالات فلم يجيبوا لا كتابة ولا مشافهة . وبهذا وجب الإعلام . وعلى محبة سيدي وطاعة . والسلام .

وفي 22 حجة الحرام عام 1317 : نعم سيدي إننا كنا وجهنا عسكرين من عسكر امبارك الهواري بتجسس أخبار توات . والإتيان به على سبيل السر . ولما رجعا أخفاهما عنا بعد العلم بهما ، فسألناه عنهما فقال إنهما لا زالا ما وردا . وترك ما أمر به من المفاوضة . أعلمنا سيادتك لتكون منه ببال . وأن لا تظن بنا التقصير والتكاسل في أمر المخزن . وشغله معنا الاستبداد برأيه دون مفاوضة في شيء . وأمر كبراء العسكر بأن لا يصلنا أحداً . وأن كل كلامهم عنده . وأن لا يتعدون . وكثير لما وردا عليه الكتابين الشريفين قبضهما . وطاف بهما على القصور يطلعهم على ما فيهما ، وأذاع أسرار المخزن . وعلى محبة سيدي . والسلام .

من وثائق وزارة الخارجية المغربية .

ملاحظات :

أ ـ باعث الوثيقة هو السداتي عامل تافيلالت ، حسب إشارة ملحق الوثيقة الذي يلخص مضمونها .

ب ـ يتبين من أواخر الوثيقة أنها كتبت بعد 22 ذي الحجة 1317 هـ : قبيل وفاة الوزير بّا أحماد ، وقريباً من بداية الفترة التي نعرضها .

ج ـ بالأصل المنقول عنه عدد من الفراغات ، فضلاً عن اللحن وضعف بعض التعابير .

ملحق 5

رسالة عن سير العمليات في موقعة للدفاع عن بعض الحصون بإقليم توات ...

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

من كاتبه محمد الأمين بن محمد[1] ، وجماعة الشرفاء أهل القصبة الجديدة ، وكافة أهل المدغرة ، المؤملين من فضل الله إعلاء كلمة الله ، المتوسلين برسول الله ، المتبركين بأولياء الله .

إلى كافة المسلمين من أهل فاس وحواليها : من مكناسة ونواحيها ، خصوصاً الأشراف أهل نسبة الطين والدين ، والعلماء العاملين ، الحاملين لواء أعلام الشريعة في كل حين ، وكاملي الإيمان ، والتابعين المحبين .

وبعد : فموجبه رجاء دعائكم الصالح لنا على ظهر الغيب ، فإنه مستجاب بلا شك ولا ريب ، واهتمامكم لهذا الأمر المهول الذي حل بالمسلمين ، وإعلامكم بما فيه بشارة للمسلمين ، ونكاية للمردة أعداء الدين : الله ورسوله ، والمنافقين .

بأن العدو اللعين ، الذي لجأ بظلمه على ضعفة المسلمين بأتوات ونواحيها : بغشهم وغدرهم ـ دمره الله ـ حتى هجم بعض قراهم ، وتقاتلوا معه حتى بلغ من المسلمين نحو السبعمائة ، وبقي معهم في القتال مدة وهو في حصن من حصونهم .

فاجتمع المسلمون : من تلك النواحي ، وقبائل البربر والعرب وأهل السواحل ، حتى اجتمعوا **بخمسة وتسعين ألفاً** ، وحصروه ، فظفرهم الله به ، فلم يفلت منه ولو واحد ، وبلغ من المسلمين ما يقرب من الألفين من الشهداء ، والحمد لله ، وغنموا غنيمة كثيرة .

---

1 ـ يبدو أنه المذكور في « فتح القدوس القاهر » : باسم الأمين بن محمد بن الطيب بن محمد بن العربي ابن علي بن عبدالله بن علي بن طاهر .

وأما الطائفة الخاسرة التي بوادي الساورة ، فإن المسلمين ـ أعانهم الله ونصرهم ـ مجتمعون عليه من كل قبائل الصحراء : الشرفاء والبرابر والعرب ، وهم في قوة شديدة : من الخيول والسلاح والشجعان والعدة والعدد : ما يكسر الله به شوكته وصولته ، ويهلكه بأيديهم هلك الاستيصال ، إن شاء الله .

وهم عازمون على الخروج ، فإن المسلمين في « عين الشعير » وبلاد « بوذنيب » و« السهلي » وغيرها من تلك الجهات ، وكل قبيلة تقول : أنا له وحدي ، واحتبسوه بـ « النواحس » غير ما مرة فوجدوه غنيمة للمسلمين المجاهدين .

والعرب ـ الذين معه ـ يرسلون للمسلمين بالقدوم وبالعزم ، ويحرضونهم ، ويقولون : إنهم يجاهدون وحدهم ، وما خصهم سوى جمعهم مع المسلمين ، والاستناد عليهم .

رزقنا الله التوفيق والظفر والنصر ، بجاه النبي الكريم ، بفضله وكرمه ، آمين .

وكتب عن فلق صبيحة 21 محرم ، عام 1318 .

في خزانة خاصة .

ملحق 6

ارجوزة إيقاظ أهل الغفلة والمنام...

دع عنك داعي السرور والمزاح — واسلك سبيل من بكى الدين وناح
واحك نساء الحي في لطم الخدود — وضربهن الفخذين والصياح
وارثه واسمعني جميل وصفه — واندب وغرد في الغدو والرواح
وإن حزنت أو بكيت فوق ذا — مما أصاب ما عليك من جناح
وقم على ساق محرضاً وقل — دون قتال وطن الإسلام جاح
والدين بالكفر يعالج الضياع — وقد خلا الجو لأولاد السفاح
غابت بواكيه وعز ناصره — ليتني فمن مات قبل فاستراح

* * *

كيف وقد خيم أرضنا العدو — وباض فيها طيره قهراً وصاح
خلا له الجو فمد رجله — وحط رحله ونام في البطاح
وقد بدا النقصان من أطرافها — واطمأنت به الفيافي والمراح
مال علينا ميلة واحدة — حيث غفلنا جملة عن السلاح
واستضعف الإسلام طرا فدنا — من أرضه وعمها بالاقتراح
ونحن في ظل الغرور نائمون — على بساط الذل نرجوا الافتضاح
همتنا مصروفة إلى البنا — والشهوات والملاهي والمزاح
همته مصروفة في أخذنا — وأرضنا وما حوت من القراح
ولا يفيد الحددون قوة — فالعهد منه كسراب في بطاح
وكم مكيدة له نال بها — ما لم ينله بالسيوف والرماح

* * *

أه على الأسد من نسل قريش — أه على الأمير من أل رباح
أه على الأنصار أبكي فقدهم — من وضعوا الكفر بنصرهم فراح
لو حضروا ما كنت في ضيم ولا — كان لأولي الكفر شبه الاقتياح

وقــل لأولي الأمر ما هــذا الفشل والمسلمون في نهايــة الصــلاح
فـما بهـم قلــة لا ولا جبـــــــان ولا بهم ضعف تسوءهم جـــراح
فكم من الأبطال في العرب وكـم من الليوث في البرابـــر صحاح
وكـم من الخيل السوابق العتاق على العــدا بهم يضيق الإنفساح
وكم رجال صابرين صادقـــين في الزحف يخشى باسهم يوم الكفاح
لو كان منهم عسكر لخضعـــت له الرقاب وخشاه ذو الوقـــاح
ولرعـى الفرنج يومـاً بأســـه ولتضعضع إيـوانــه وطـــاح
وجوده بشرطـــه وضبطـــــه عز لديننا وغاية المـــــــراح

* * *

تركتم الجهاد في العدو واغــتنمتموه في الإمــــاء بالسفــــاح
ولو كانت لكـم قلـوب تفقهون بها لحرمتم عليكـــم المبـــاح
لا خـير في العيش مـــع الذل ولا عيش لروح في الفنادون إرتيـاح
والسنة الغــراء صارت بدعـــة وأحمق عندكم من بها بـــاح
وهي أساس كل خير يرتجـى وهي السياســة العظيمـــة النجاح
ما خـــاب قـوم سلكــوا منهاجها ولا استقام دونها أمـر صــلاح
ولم يُفِدْ شيئاً من العـدو مــا زخرفتموه ويحكـم عند التشاح
والأمر سهـل لو نصرتم ربكـم نصركم بوعد جـاء كالصبــاح
فارتقبـــوا إنجـــاز وعـــده إذا قمتم عــلى استعــداد في كل رواح
فإنه الحـق وذاك شرطـــــه والشــك فيـه بعد ذا كفر صراح
فانتصحـــوا وراجعـــوا كتابكـم وامتثلوا نص الأحاديـــث الصحاح
من حــاد عن نهجهمـا ضـل وزل وخسران الداريـن من فعلـــه لاح
فشمروا لأخـــذ ثاركـم عســى تهب بالنصر عليكـــم الريـــاح
أمالكـــم اسـوة فيمــن قبلكـم أهكذا المغرب كـان مستبـــاح

* * *

وقل لأهل العلم ما هذا الشجا   أموتي أم نيام أم به شُحاح
أنتم أحق بالبكا لأنكم   أنصاره أنتم له نعم الوشاح
وهذا بحر الكفر قد غشيكم   عم البرية بموجه وساح
فلو نهضتم لاستقام الاعوجاج   ونلتم من صاحبه كل الرباح
وكنتم النصحا لله ولـ   ـرسوله ولأئمة السماح
وإن تماديتم على غفلتكم   هلكتم وما أرى لكم فلاح
وقد رأيتم فعله بغيركم   ونقضه العهود من بعد الصلاح
لا بد من وثبته دون شعور   كما العقور فعله دون نباح
لا عذر ما تخشونه أهون من   مصابكم إذا طلبتم الفلاح

* * *

هذا وإني عارف بأنني   أخاطب الموتى بهذا الاقتراح
وإنما بكاي من شوق الوطن   كتغريد الحمام مقصوص الجناح
وأسأل الله باسمه العظيم   أن يلهم الكل لما فيه صلاح
وأن يقينا شر ذلك العدو   وينصر الذين بأهله الملاح

القصيدة منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية .

الباب الثاني
مبادرات رسمية لإصلاح الجهاز الإداري

الفصل الأول
محاولات وزارة الحاج المختار

مقدمة :

في ظل الحكومة الأولى التي يرأسها الحاج المختار . ظهر ـ داخلها ـ تياران لتصميم الإصلاحات .

تيار تبناه الوزير الأول ومعه الوزير الحاج عبد السلام التازي وقائد المشور ابن يعيش ، وكانوا يميلون لاحتذاء الخطة التي سار عليها كل من محمد الرابع والحسن الأول : سياسة التجديد العسكري ، وإعداد طائفة من الموظفين والمترجمين ، بمساهمة مجموعة من الدول الأوربية .

ولهذا صار الحاج المختار ينصح السلطان العزيز أن يشتغل بدراسة التراث الإسلامي وكتب التاريخ ، ويطلع على سيرة الأسلاف ، حتى يستوحي من سلوكهم المباديء التي ينبغي أن توجهه في إجراء الإصلاحات الجديدة .

أما التيار الثاني فكان على رأسه الوزير المنبهي ، وهو يدفع السلطان إلى مشاريع الإصلاحات الكبرى ، ويؤثر الاعتماد على انكلترا لمجابهة مطامع الفرنسيين ، كما كان يحاول أن ينمي في نفس السلطان الميول الأوربية ... وسنعرف أن هذه المشاريع استهدفت إصلاحات أولية في ميادين الإدارة وتنظيم الجبايات وطرق المواصلات والجيش ، مضافاً لذلك بعض الإصلاحات الإجتماعية .

وكما رأينا في مدخل هذه الدراسة ، فإن المنبهي نجح في إقصاء منافسيه عن الوزارة ، وبهذا وقفت أعمال حكومة الحاج المختار عن الاستمرار . بينما أخذ برنامج وزير الحربية يشق الطريق إلى الظهور في ظل وزارة المفضل غريط .

* * *

والآن بعد هذه المقدمة يأتي عرض محاولات وزارة الحاج المختار ، وقد كان قصر أمد هذه الوزارة حال دون ظهور برنامجها كاملاً . ولهذا لا يعرف ـ لحد الآن ـ من مبادراتها سوى ثلاث تنظيمات تحتفظ بها أربع وثائق :

الأولى : في موضوع التنظيمات التي تناولت دار النيابة بطنجة ، حيث مقر النائب السلطاني للنظر في القضايا التي يعرضها النواب الأجانب .

ويتبين منها أن هذه الدار خضعت إلى تنظيمات جديدة ابتداء من رابع جمادي الأولى عام 1318/1900 .

وقد أحدث بها مجلس صار يتألف من مجموعة من الأعضاء برئاسة النائب السلطاني ، وألحق بهم فقيه المجلس ، وعدلان معه ، زيادة على ثمانية من الكتاب ، وترجمان واحد أو اثنين بحسب الاحتياج ، وباستثناء سلك الترجمة ، كانت أسماء أغلب الباقين مع مرتباتهم كالتالي ، والحساب بالريال المغربي :

1 ـ النائب : الحاج محمد الطريس وهو رئيس المجلس 300
2 ـ ابنه الحاج أحمد : عضو 150
3 ـ القائد عبدالله بن سعيد السلوي : عضو 200
4 ـ الأمين بناصر غنام الرباطي : عضو 200
5 ـ الأمين عبد السلام أحرضان الطنجي : عضو 150
6 ـ الأمين الحاج عبد الحفيظ برادة الفاسي : عضو 200
7 ـ الطالب الطاهر بن الحاج التهامي بناني سميرس الفاسي : عضو 200
8 ـ فقيه المجلس : عبد القادر بن قاسم الدكالي المراكشي 150
9 ـ الطيب ابن كيران المراكشي : عدل 75

10 ـ محمد بن محمد بن علي الهواري الفاسي : عدل 75
11 ـ 18 الكتاب وعددهم ثمانية 600

ولضبط سير هذا المجلس وضعت ـ برسمه ـ مسطرة تنظيمية من أربعة وأربعين فصلاً ، وتحمل تاريخ 4 جمادي الأولى عام 1318/30 غشت 1900 ، وسيرد نصها عند الملحق السابع ، ونقتبس هنا المواد التالية مع تهذيب لبعض التعابير :

الفصل الأول

تفتح دار النيابة في الساعة التاسعة صباحاً ، ومنها إلى الساعة العاشرة تطالع المكاتب الواردة على الدار .

الفصل الثاني

من الساعة العاشرة إلى الساعة 12 ، تسمع الدعاوي وتسجل ...

الفصل الخامس

في الساعة 12تغلق دار النيابة ...

الفصل السادس

في الساعة الثانية بعد الزوال تفتح دار النيابة ، ولا تقبل الدعاوي حينئذ ، للاشتغال بتقييد المكاتب والأجوبة عنها ، وترتيب الأمور ، والمفاوضة بين أعضاء المجلس ، والتأمل في القضايا ...

الفصل السابع

يكون فقيه المجلس مع عدليه بمحل خاص بهم ، لتعرض عليه القضايا الشرعية

ورسوم الدين ، ويتصفح المقبول والمردود منها .

الفصل الثامن

في الساعة الرابعة بعد الزوال تغلق دار النيابة ...

الفصل التاسع

لا تفتح دار النيابة يوم الجمعة بتمامه ، وفي المواسم ، والأعياد وثلاثة أيام بعدها .

الفصل الحادي عشر

يتخذ طابع لختم المكاتب نقشه : « نيابة الحضرة الشريفة بطنجة » .

الفصل الثاني عشر

جميع المكاتب الخارجة من دار النيابة ، تسجل بالدفتر الخاص بها ...

الفصل الثالث عشر

جميع المكاتب الموجهة للمغاربة تكون مطوية طياً مخزياً . ومكاتب الأجانب توضع في غلاف مختوم .

الفصل الحادي والأربعون

يتخذ لكل دولة دفتر خاص بها ، ليحفظ به نسخ ما يروج معها في كل قضية ...

* * *

وإلى هنا ينتهي عرض المواد المقتبسة من هذه المسطرة ، حيث تبينا أنها في موضوع التنظيمات الجديدة التي تناولت دار النيابة بطنجة .

ويلفت النظر في هذه اللائحة : أنها يبرز فيها ـ إلى جانب الطابع الوطني ـ ملامح المرونة والخبرة التنظيمية :

فتوقيت أمسية الدوام بدار النيابة يعتمد الإصطلاح المغربي ، فيأتي تحديده بالساعة الثانية بعد الزوال إلى الساعة الرابعة بعد الزوال ، مع العدول عن مسايرة حساب التوقيت الحديث : الساعة الرابعة عشرة إلى السادسة عشرة .

أما أيام عطل المؤسسة : فهى يوم الجمعة . والمواسم . والأعياد وثلاثة أيام بعدها . والمواسم في العرف المغربي : كانت هى يوم عاشوراء واليوم السابع والعشرين من رجب ، ويوم الخامس عشر من شعبان ، ويوم السادس والعشرين من رمضان ، ويوم عرفة : عند التاسع من ذي الحجة .

ومن مظاهر المرونة المزدوجة في هذا التنظيم : إن الرسائل الموجهة للمغاربة من طرف دار النيابة تكون مطوية طياً مخزنياً ، ويقصد به أن الرسالة تشد بإدخال أطرافها بعضها في البعض على شكل خاص يقوم مقام الغلاف .

أما المكاتب الموجهة للأجانب فتوضع داخل ظرف مختوم ، بمعنى مطبوع عليه ـ في موضع فتحه ـ بمشمع أحمر يعرف باسم « اللك » حيث ينقش عليه « نيابة الحضرة الشريفة بطنجة » .

ومن التنظيمات الأخرى لدار النيابة : أن هذه إنما تستمع للدعاوى في جلسات الصباح ، ومن الساعة الثانية إلى الرابعة لا يقبل عرض الدعاوى حينئذ ، لاشتغال الأعضاء بالنظر فيما يروج بجلسات الصباح .

هذا إلى أن جميع المكاتب الخارجة من دار النيابةتسجل بالدفتر الخاص بها .

فضلاً عن دفاتر أخرى : كل واحد خاص بدولة ، حتى تودع به نسخ ما يروج معها في كل قضية .

* * *

والآن : بعد تنظيمات دار النيابة بطنجة ، نشير إلى أن وزارة الحاج المختار وضعت النواة الأولى لمشروع إسعاف المرضى بالدار البيضاء ، حسب رسالة عزيزية

بتاريخ 6 قعدة عام 1318 / 1901 .

وهي تأمر ناظر أوقاف الدار البيضاء بجمع المرضى من الأفاقيين والبلدين الذين لا مأوى لهم . وإسكانهم بدلاً من مرضهم في الطرقات وإهمالهم . على أن يختص كل فريق من الرجال والنساء ببيوت على حدة ، مع تموينهم بخبزتين في اليوم ، ومن مات منهم يقوم ناظر المواريث بتجهيزه ، ومن حصل له الشفاء يتوجه لحال سبيله ، وتسقط نفقته ، ومن زاد تزاد له مئونته .

ومن المؤكد أن هذا المشروع دخل في حيز التنفيذ ، وهو ما تشير له رسالة عزيزية في الموضوع ذاته ، بتاريخ 15 قعدة عام 1319/ 1902 ، أي بعد ما يزيد على عام من توقيت الرسالة الأولى .

أنظر الملحقين الثامن والتاسع .

* * *

وبعد هذا فإن نفس الوزارة فكرت ـ أواخر عام 1318 هـ/ 1901 م ـ في تعديل التنظيمات الخاصة باستخدام المحجر الصحي في كل من طنجة وجزيرة الصويرة ، ووضعت ـ في هذا الصدد ـ مشروع قانون من مقدمة وسبعة فصول ، حسب نصه الذي سيرد عند الملحق العاشر .

ملحق 7 *

لائحة التنظيمات الجديدة
في دار النيابة بطنجة

الحمد لله وحده

ترتيب أمور القسينة السعيدة بطنجة في جمادي الأولى عام 1318 .

الفصل الأول

فتح الفسينة السعيدة يكون في الساعة 9 من النهار ، ومنها إلى الساعة 10 تطالع المكاتيب الواردة عليها .

الفصل الثاني

ومن الساعة 10 إلى الساعة 12 تتلقى الدعاوي وتقيد ويذهب أربابها ، إلى أن ينظر فيها وتتصفح وجوهها .

الفصل الثالث

ثم بعد تمام النظر فيها يوجه على أربابها ، إما لإمضائها أو سؤال .

الفصل الرابع

لا تقبل الدعاوي من الفسينات إلا كتابة .

الفصل الخامس

في الساعة 12 تغلق الفسينة ، ويذهب كل واحد لقضاء أغراضه ، إلى أن تبلغ الساعة 2 من الزوال .

الفصل السادس

في الساعة 2 من الزوال تفتح الفسينة السعيدة ، ولا تقبل الدعاوي حينئذ ، للاشتغال بتقييد المكاتب والأجوبة عنها ، وترتيب الأمور والمفاوضة بين أعضاء المجلس ، والتأمل في القضايا ، إلا ما يذكر في الفصل 10 .

الفصل السابع

يكون فقيه المجلس مع عدليه بمحل خاص بهم ، لتعرض عليه القضايا الشرعية ورسوم الدين ، ويتصفح المقبول والمردود منها .

الفصل الثامن

في الساعة 4 من الزوال تغلق الفسينة ، وتعطى مفاتيحها لمن يجتمع الرأي عليه ، عليه ، ولا تفتح إلا إلى الغد .

الفصل التاسع

لا تفتح الفسينة يوم الجمعة بتمامه ، والمواسم ، والأعياد وثلاثة أيام بعدها .

الفصل العاشر

وإذا كانت الدعوى مشافهة فتقيد ، ويطالب المشافه بها بالذهاب لنائبه ليكتب له بما شافه به .

السصل الحادي عشر

يتخذ طابع لختم اللّـك ـ نقشه : « نيابة الحضرة الشريفة بطنجة » .

الفصل الثاني عشر

جميع المكاتب الخارجة من الفسينة يقيد ما بنمرتها بكناش الكمبيا وعدد الخارج منها .

الفصل الثالث عشر

جميع المكاتب الموجهة لأحد إيالة سيدنا أعزه الله من العمال وغيرهم تكون مطوية طياً مخزنياً ، ومكاتب الأجانب في غشاء السوبري .

الفصل الرابع عشر

إذا أحد من الكتاب أو الترجمانين أو المخازنية : ظهر عليه إفشاء سر للغير مما يروج في الفسينة : يؤخر من الخدمة الشريفة ، وتطلع الحضرة الشريفة بجريمته وتأخيره .

الفصل الخامس عشر

وهو مأخوذ من الكتاب الشريف كالفصول بعده :

أن يكون خديم المقام العالي بالله النائب السيد الحاج محمد الطريس هو كبير المقام ورئيسه .

الفصل السادس عشر

أن تختم بعلامته جميع المكاتب الصادرة من هنا للجانب العالي بالله ولولاته ولنواب الأجانب .

الفصل السابع عشر

يزاد الواضعون أسماؤهم عقبه ليكونوا أعضاء المجلس ، على نحو ما يبين في الفصول بعد .

الفصل الثامن عشر

يزاد على المذكورين فقيه المجلس السيد عبد القادر بن قاسم المراكشي ، ومعه عدلان : الطالب السيد الطيب إبن كيران المراكشي ، والطالب السيد محمد ابن محمد بن علي الهواري الفاسي .

الفصل التاسع عشر

يكون في المجلس كتاب ثمانية بنظر أعضاء المجلس .

الفصل العشرون

ينتخب ترجمان أو ترجمانان بحسب ما يكفى ، له معرفة بأهم الألسنة : خطاباً وجواباً وقراءة ، ذو تمارة وكتمان أسرار .

الفصل الحادي والعشرون

إن اقتضت المصلحة إبدال الترجمان أو أحد الكتاب فالنظر للأعضاء .

الفصل الثاني والعشرون

هو أن يكون الاجتماع وقت الخدمة ، ليعرض على الجميع كل ما يرد على الفسينة السعيدة من مكاتيب المخزن وولاته ، ومكاتيب الأجانب ، والكلام الشفاهي ، بحيث لا تبقى شاذة ولا فاذة من مكاتبة أو مشافهة إلا وتعرض على الجميع ، ويمعن كل واحد النظر في ذلك المعروض ، ويبين ما ظهر له في القضية عند المفاوضة ، وفق ما يأتي بعد .

الفصل الثالث والعشرون

ثم إن اتفق الجميع على رأي واحد فواضح ، وإن تكلم البعض بكلام لم يسلمه

بقية أهل المجلس : فيبينوا لقائله وجه عدم تسليمه بالحجة المقبولة بياناً شافياً حتى يفهمه ، ويسلم وجه رده .

الفصل الرابع والعشرون

تكون المراجعة للبعض المتقدم بليونة وتنزل ، لا بتعنيت وتزييف جزافي ، لتبقى القلوب سليمة ، مجموعة على قلب رجل واحد في جلب المصالح ودرء المفاسد ، إن شاء الله .

الفصل الخامس والعشرون

إن كان المعروض عليهم من دعاوي الأجانب يقتضي البحث وسؤال العامل ، وكانت حماية المتكلم عليه مسلمة على وفق مدريد : فيكتب الخديم النائب المذكور لأمناء المرسي القريبة من محل الدعوى : بإعمالهم البحث عن الواقع على مقتضى ما اتفق عليه في كيفية الكتابة لهم .

الفصل السادس والعشرون

إن كانت الدعوى قريبة من المدن التي ليست بمراسي : فيكتب لأمناء الصائر بها كذلك ، ويكتب للعامل أيضاً بما يقتضيه المقام من حيث السؤال .

الفصل السابع والعشرون

إن كانت الدعوى متعلقة بالرعية فيما بينهم ولا تعلق لها بالعامل نفسه : فيقتصر فيها على البحث على يد الأمناء .

الفصل الثامن والعشرون

إن ظهر لهم في بعض القضايا التنصيص للأمناء على من يعلمون له مزيد الاطلاع في القضية ، فلينصوا لهم عليه ، ليستعينوا به على تحرير البحث .

الفصل التاسع والعشرون

يكون البحث بتوجيههم من لهم الثقة بصدقه ومعرفته بمحل الدعوى . ودرايته بأساليب التوصل لتحرير الواقع على وجهه . وبحثه من لا غرض له من الجانبين .

الفصل الثلاثون

إذا ورد عليهم جواب الباحث بنتيجة البحث . فليتفاوضوا في ذلك .وفيما يحتج به المدعى .

الفصل الحادي والثلاثون

إن ثبت عندهم بطلان الدعوى فيجاب به المتكلم فيها . وإن ثبتت صحتها ـ كلا أو بعضاً وكانت متعلقة بالرعية دون العامل ـ فيكتب الخديم النائب المذكور بما أنتجته المفاوضة لذلك العامل : من تقرير الدعوى . وبيان حجة ثبوتها . ليستخرج الحق الثابت ممن تعلق به . ويدفعه لأربابه على يد المكلف بالبحث . ويبقى الفعال متبوعين بما يقتضيه النظر الشريف في الأدب .

الفصل الثاني والثلاثون

إن أجاب العامل بالإعتراف بالواقع وتسليم ما كتب له به الخديم المذكور ونفذ مقتضاه : فالأمر واضح ، ويجاب المتكلم بالمقتضى . ويطلع العلم الشريف ـ حينئذ ـ بضرورة الدعوى بدءاً وتماماً . وإن أجاب العامل بالمنازعة وعدم التسليم : فيطلع العلم الشريف بذلك ، ليصدر الحكم المتعين فيه .

الفصل الثالث والثلاثون

إن كانت الدعوى متعلقة بالعامل نفسه : فيعجل بإطلاع العلم الشريف بها ،

وبحجة المدعى فيها ، وبما حرره البحث المعمول فيها ، ليؤمر فيها بالمقتضي ، إن شاء الله .

الفصل الرابع والثلاثون

إن عرض عليهم ما هو مخصوص بالأحكام الشرعية : فيتصفح فقيه المجلس حجة المدعى ، ويبين حكم الله في النازلة ، ويبينون هم ما يظهر لهم فيها من جهة الأعراف البلدية ، والاعتبارات السياسية ، ويكتب بشرح الجميع للجناب الشريف ، ليؤمر فيه بالمتعين ، بحول الله .

الفصل الخامس والثلاثون

إن كان المعروض عليهم راجعاً لقضايا الديون : فيحضر المدعى حججه فيها ، وتعرض ـ أولاً ـ على فقيه المجلس ليتصفحها ، ويبين التام المقبول شرعاً منها ، وغير المقبول ، ويعرف الأعضاء بوجه عدم قبوله .

الفصل السادس والثلاثون

أما غير المقبول فيجاب به المدعى في الحين ، وأما المقبول فيكتب الخديم النائب بما توافق عليه رأيهم معه لعامل الغريم ، إن ادعى رب الدين أنه رفع شكواه لذلك العامل ولم يفاصله مع خصمه ، فإن فاصله العامل في حقه فذاك ، وإلا بأن ظهر منه عدم سلوك الإنصاف ، فيعجل بإطلاع العلم الشريف بذلك .

الفصل السابع والثلاثون

صدرت الأوامر الشريفة للأمناء المذكورين فيما يرجع للبحث وما يتبعه ، ولعمال المدن والقبائل المجاورة للمراسي : بمقتضى ما ذكر ، وحذروا عاقبة التراخي في الأجوبة ، أو الجواب بغير مفيد .

الفصل الثامن والثلاثون

إن ورد عليهم كتاب من شريف الأعتاب أو من أحد من الولاة في حق لجانب المخزن أو لأحد من الرعية السعيدة على رعية الأجانب أو أهل حمايتهم : فيسلك فيها ما سلك في دعاويهم على المخزن ورعيته .

الفصل التاسع والثلاثون

إن كان المعروض مما يرجع لمطالب الأجانب المنوطة بمصالح دولهم أو رعيتهم ، أو مما يبديه بعض النواب من الإشارات والتنبيهات التي يقصدون بها النصيحة لجانب المخزن فيما هو خاص به أو برعيته : فليتفاوضوا فيه بتأمل وإمعان نظر تام ، ويطلع العلم الشريف بما ظهر فيه .

الفصل الأربعون

إن ورد عليهم أمر مخزني في بعض القضايا ، وظهر لهم فيه ما يقتضي مراجعة الجانب الشريف لمصلحة ، فيؤخر تنفيذه ، ويطير الكتب بشرح الوجه الحامل على المراجعة فيه ، ليرى فيه ، ويصدر الجواب بالمتعين ، بحول الله .

الفصل الحادي والأربعون

يتخذ لكل جنس من الأجناس كناش مخصوص به ، ليرتب فيه نسخ ما يروج مع ذلك الجنس في كل قضية ، مع جميع متعلقاتها الكتابية والشفاهية : بتواريخها .

الفصل الثاني والأربعون

جميع ما يصدر عن محل الأشغال من كتابة أو مشافهة : تثبت نسخة منه بمحل قضيته من الكناش المعين ، وتوضع خطوط يدهم عقبه ، ليكون عمل الكنانيش أعون على تحرير المتعين في كل قضية عند مراجعتها .

الفصل الثالث والأربعون

جميع الشروط والأوفاق بمحل أشغال المخزن هنا : تجرد أسماؤها في تقييد بيان موضوع كل واحد منها وتاريخه وعدد فصوله ، ويوجه التقييد لشريف الأعتاب ، لينظر فيه ، ويقابل بالتي بالحضرة الشريفة ، فما كان نظيره موجوداً بها فأمره ظاهر ، وما لم يوجد توجه نسخة منه ، وإن وجد ثمة ما ليس هنا توجه من هنالك نسخة منه ، بحول الله .

الفصل الرابع والأربعون .

يكون الشروع في ذلك من رابع جمادي الأولى عام 1318 .

من وثائق نخبة مدينة سلا الغيور الوجيه السيد الحاج العربي إبن سعيد .

– مع محفوظات قسم الوثائق في المكتبة العامة بتطوان : محفظة 20/35 .

ملحق 8 *

رسالة عزيزية في موضوع إسعاف المرضى بالدار البيضاء

خديمنا الأرضي ، ناظر الشيخ أبي الليوث بمحروسة ثغر الدار البيضاء ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد بلغ علمنا الشريف أن المرضى من الأفاقيين وأهل البلد الذين لا مأوى لهم يمرضون في الطرقات ، وينقلون لبيوت خارج المدينة ، ويبقون هنالك حتى يموتوا جوعاً وعطشاً ، وقد اقتضى نظرنا الشريف جمعهم بالبيوت التي قرب ضريح الشيخ المذكور .

فنأمرك أن تجمعهم فيها ، وتخص الرجال ببيوت منها ، والنساء ببيوت منها كذلك ، بعد أن تصلح ما لا بد من إصلاحه منها ، وتزيد ما يتوقفون عليه من البيوت .

وتكون تدفع لكل مريض خبزتين أو ثمنهما في كل يوم ، ومن توفي منهم يقوم بتجهيزه ناظر المواريث ، ومن حصلت له العافية يتوجه لحاله وتسقط مئونته ، ومن زاد تزاد له مئونته أمثاله ، وهكذا .

وقد أمرنا الخديم أحمد المديوني بالوقوف في ذلك وشد العضد فيه ، حتى ينفذ شريف أمرنا على مقتضاه ، والسلام .

في 6 قعدة عام 1318 .

---

* « إتحاف أعلام الناس » 436/1 .

ملحق 9 *

رسالة عزيزية في موضوع
إسعاف المرضى بالدار البيضاء

خديمنا الأرضي ، ناظر أبي الليوث وأحباس الدار البيضاء : الطالب إدريس الفلالي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد وصل جوابك عما أمرت به من تنفيذ الخبز للمرضى والأفاقيين وجعل البيوت لهم : بأنك نفذت ترتيب الخبز لهم من مستفاد الضريح المذكور . غير أن العامل أطلعك على كتاب شريف بأن الصائر يكون من ربيعة الشيخ ، مع أن الربيعة تفتح على يد أمناء المرسي والقاضي ، ويفرق ما يوجد فيها : فالثلث على الضعفاء القاطنين بجوار الشيخ ، والباقي يصير في ختان اليتامى وأبناء الضعفاء ، وتعين عليك أن تصير على المرضى مما تحت يدك من المستفاد ، مبادرة لامتثال ما أمرناك به ، والعمل على ما يصدر لك في المستقبل .

وعليه فإن الذي يكون عليه عملك هو أن الصائر يكون ثلثاه من وفر الأحباس الكبري ، والثلث الواحد هو الذي يكمل من فتوحات الولي المذكور ، وما عداه من بقية الفتوحات ينفذ في مصالحه ووظائفه المعهودة فيه ، فليجر عملك عليه ، وقد كتبنا للقاضي والأمناءوالعامل بمثله ، والسلام .

في 15 قعدة عام 1319 .

---

* إتحاف أعلام الناس » 1/437 .

ملحق 10 *

مشروع قانون تنظيمي
للمحجر الصحي بطنجة والصويرة

الحمد لله وحده

صورة الضابط

مقدمة : كل مركب قدم لمرسي من مراسي الإيالة السعيدة بقصد حمل الحجاج يلزمه تقديم بيان عدد الحجاج الذين يحملهم : لنائب السنيدة . فيقع فيه البحث عن تجهيز داخله ، إذ لا بد من كون هذا التجهيز موافقاً لقوانين وفق فندق .

1 ـ الفصل الأول : إذا لم يثبت وقوع مرض الطاعون بالحجاز الثبوت الرسمي : فإن المراكب الحاملة لأكثر من 25 حاجاً توجه لجزيرة الصويرة ، بشرط إنهاء الكرنطيلة بجبل الطور ، وأنه لم يقع بها الطاعون أو الهيضة حال سفرها وورودها .

وإذا ثبت وقوع الطاعون بالحجاز الثبوت الرسمي : فإن المراكب المذكورة لا توجه إلى جزيرة الصويرة إلا بعد قضاء الكرنطيلة بجبل الطور ، وبعد قضاء كرنطيلة ثانية في محجر من محاجر البحر المتوسط .

2 ـ الفصل الثاني : كل مركب الحجاج الذي فيه أقل من 25 حاجاً : يلزمه على كل حال قضاء الكرنطيلة بجبل الطور ، وكرنطيلة أخرى بمحجر من محاجر البحر المتوسط ، فيقبل ـ حينئذ ـ بطنجة فقط ، على شرط أنه لم يثبت وقوع الطاعون أو الهيضة في داخله ، وبعد إجراء البحث الطبي به ، وتنقية الحجاج وملابسهم وأثقالهم بالبرمة التي بطنجة ، نعم مجلس الصحة له أن يحتم على المركب بكرنطيلة الترصد بطنجة أو بالصويرة .

3 ـ الفصل الثالث : كل مركب حدث فيه الطاعون أو الهيضة منذ قضائه الكرنطيلة الأخرة : يطرد إلى محجر آخر من محاجر البحر المتوسط ، ويقضي

هناك كرنطيلة أخرى ، وبعدها فإنه يقدم لطنجة ، ويحكم مجلس الصحة بشروط قبوله .

4 ـ الفصل الرابع : لا يقبل في مرسى من المراسي السعيدة ـ عدا طنجة ـ كل مركب ـ غير المراكب المبينة بالفصلين المذكورين أعلاه ـ قدم من خارج الإيالة حاملاً للركاب المسلمين : في خلال المدة التي يكون محجر الصويرة محلولاً فيها : يعني مدة الأشهر الخمسة الأولى من السنة الهجرية .

5 ـ الفصل الخامس : يجب على الركاب المسلمين القادمين في مركب من المراكب المذكورة بالفصل الرابع : أن يثبتوا بشهادات صادرة ممن يجب وبرضاء مجلس الصحة : كونهم كانوا يوم العيد الكبير ـ الموافق لتاريخ 31 مارس هذا العام ـ ببلاد غير موبوءة ولا مظنون فيها الوباء ، أو قضوا تنقية ملابسهم وأثقالهم في محجر أورباوي ، وإلا فلا يقبلون إلّا بعد البحث الطبي بالمركب وتنقية ملابسهم وأثقالهم بالبرمة .

6 ـ الفصل السادس : من توجه من المسلمين في خلال شهور مدة الحج التي ابتداؤها 15 أبريل ـ من طنجة وتطوان ـ إلى جبل طارق والجزيرة الخضراء وقالص وسبتة ومليلية : يدفع له نائب السنيدة بطاقة تصح لنفسه ولمدة السفر ذهاباً وإياباً فقط ، فيردها له عند إيابه .

7 ـ الفصل السابع : هذا الضابط يبطل جميع التنظيمات المتقدمة المتعلقة بإياب الحجاج والركاب المسلمين في خلال شهور مدة الحج ، إنتهى .

هذا بيان ما يتعلق باستخدام المحجز في العام 1901 :

يكون المحجر مفتوحاً من تاريخ أول أبريل إلى تاريخ 31 غشت .

فيجب ـ حينئذ ـ تقدير الصوائر اللازمة لخمسة أشهر وهي	فرنك
أجرة الطبيب كبير المحجر بألفى 2000 فرنك عن كل شهر :	10.000
أجرة معاونَيه بألف 1000 فرنك عن كل شهر :	5.000

تكون مونة الأشخاص الثلاثة المذكورين أعلاه على أنفسهم مدة الإقامة بالمحجر .

صوائر السفر والإقامة والمونة خارج المحجر وهي ألف 1000 فرنك للطبيب ، وألف 1000 فرنك لكل من المعاونين : 2.000

صوائر لتجهيز زائد لا بد منه بالصويرة حسبما بإخبار الطبيب الكبلير فرنتز الموجه على يد جناب منسطر دولة الألمان الفخيمة .

وعلى جانب المخزن الفخيم صوائر ترجمان للطبيب ، وجلب الماء ومونة الحجاج ، وأجرة العسَّة ومونتها ، والأدوية وتجهيز الأخبية .

ومعلوم أنه إذا حدث وباء بمحجر الصويرة فإن الطبيب يتخذ جميع التدابير الظاهر له لزومها ، الغير مقرر ثمنها في هذا التقدير ، وبموافقة أولات المخزن هناك .

وصار المقرر من الفرنك : 17.000

هذا بيان ما يطلب مجلس الصحة تنفيذه من الصوائر المتقدمة وهو صوائر الطبيب الجبلير رينو ومعاونيه من السفر وغيره الغير مضافة إلى أجرهم . من الفرنك 5.176.46

وثمن البرمة 6.001.10

صار في الجميع فرنك 11.177.56

من وثائق الأستاذ بناصر غنام .

الفصل الثاني
تنظيمات وزارة المفضل غريط

تمهيد :

قدم العرض الأخير ثلاثة نماذج من المبادرات الإصلاحية لوزارة الحاج المختار ، والأن : نحن على موعد مع وزارة محمد المفضل غريط ، وقد طرحت مشروع لائحة من أحد عشر فصلاً تستهدف إقتراح إصلاحات جبائية ، وتنظيمات إدارية وإجتماعية :

فتتناول الفصول الأربعة الأولى أحكام ضريبة الترتيب المزمع إحداثها ، بينما يشير الفصل الخامس إلى وضع تشريع لتصرف الولاة أياً كانوا ليسيروا على نهجه ، ومن حاد عنه يعاقب .

ويقترح الفصل السادس سن زواجر مالية وبدنية في إطار القواعد الإسلامية . حتى يواخذ بها من يستحقها من أصحاب المخالفات والجرائم .

الفصل السابع : في موضوع التنظيف لأزقة المدن ، وترصيف طرقها المفتقرة لذلك ، مع ذرء المضار العامة المتوقعة ، كالمبادرة لهدم جدار تداعى ، وما شابه ذلك

الفصلان : الثامن والتاسع : في تنظيم مرتبات الموظفين على تفاوت درجاتهم .

الفصل العاشر : في شكل صياغة الظهير الذي يشرح للأمة ماهية الإصلاحات الجديدة .

وأخيراً : ينصح الفصل الحادي عشر بالتزام جانب المخزن بتحقيق هذه الإصلاحات ، وإصدار ظهائر متضمنة لذلك .

انظر النص الكامل لهذه اللائحة عند الملحق رقم 11 .

وقد كان هذا المشروع موضوع استشارة ملكية لبعض كبار الموظفين ، حيث يعرف ـ لحد الآن ـ من ملامح ذلك رسالتان اثنتان : الأولى : بتاريخ 17 محرم 1319/1901 ، وفيها يستدعى وزير الخارجية إبن سليمان : عضو دار النيابة بطنجة القائد عبد الله بن سعيد : ليتوجه ـ عن الأمر السلطاني ـ إلى الحضرة العزيزية لغرض أكيد ، حسب الملحق رقم 12 .

وفي مراكش حضر المستشار السلوي اجتماعات عقدت في وزارة الخارجية مع المعنين بالأمر من رجال الحكومة ، وتبادلوا أوجه الرأي في شأن الإصلاحات المقترحة ، ثم صدر أمر ملكي بأن يسجل كل واحد من المجتمعين تصوره لطرق هذا الإصلاح الجديد ، ويرفع ذلك إلى ولي الأمر ، وفي هذا الإتجاه قدم القائد ابن سعيد مشروعه الإصلاحي ، حيث سيكون تحليله هو موضوع الفصل الرابع .

ونشير ـ الآن ـ إلى الرسالة الثانية التي تحمل تاريخ 7 جمادي الأولى 1319/ 1901 ، وهي صادرة عن العزيز إلى الطريس ، فترد بها الإشارة إلى عرض اللائحة ـ المعنية بالأمر ـ على النائب السلطاني ليدرسها ، ويجيب بما يظهر له من الزيادة أو الحذف بصدد محتوياتها ، حسب الملحق 13 .

غير أنه لا يعرف ـ الآن ـ وثيقة جواب الطريس ، كما لا يعرف عن هذه الإستشارة سوى المعلومات التي عرضها هذا المدخل .

* * *

وبعد هذا : ينتهي المطاف إلى الوزارة الغريطية ، لنرى ما حققته في إنجازات المشروعات الإصلاحية التي طرحتها ، والواقع أن العراقيل المنوعة التي واجهت المسئولين : جعلت الإصلاحات المقترحة تقف عند البداية ، وعلى هذا الأساس يسير تحليل المحاولات التجديدية لوزاره محمد المفضل غريط ، حيث مست

جملة من القطاعات : إنطلاقاً من الجهاز الإداري ، إلى الجباية والمواصلات ، إلى الدفاع والإجتماع .

* * *

أ ـ في الجهاز الإداري :

كانت الظاهرة الأولى لتنظيم الجهاز الإداري أن السلطان العزيز ، أحدث مجلساً للوزراء صار ينعقد ـ يومياً ـ للتداول في القضايا المهمة ، وكل من عرض له أمر في وزارته قدمه إلى ولي الأمر ليأمر بعرضه على مجلس الوزراء ، قصداً للتشاور وإبداء النظر فيه ، وأطلق على هذا الإجتماع اسم « الجمع » .

وقد حاول الوزراء أن يضفوا على هذا المجلس الوزاري نوعاً من الجدية ، فاتفقوا ـ بينهم ـ على أن لا يختص أحد منهم بإبرام شيء أو نقضه إلا بعد اجتماعهم عليه ، ومصادقتهم على وقوعه أوعدم وقوعه ، وحظروا على أي منهم قبض رشوة أو قبول هدية أو ما شابه ذلك ، ومن خالف هذا يطرد من الحكومة ، ويعاقب ، وعزز الوزراء اتفاقهم بالحلف منهم في المصحف على عدم ارتكاب شيء من ذلك .

كذلك سنوا قانوناً بأن كل من تقلد ولاية يقسم يميناً مغلظة ـ بالمصحف الشريف ـ أنه لا يخون فيما تولاه ، ولا يطلع على كتمان شيء عن ولي الأمر ، ولا يغشه ، ولا يقبل رشوة ولا هدية .

ومن كان متولياً يحلف على أنه لا يعود لإرتكاب شيء من ذلك .

وقد أقسم ـ فعلاً ـ سائر الوزراء والولاة والأمناء والقضاة بناحية مراكش[2] ،

---

1 ـ « المذكرات الحجوية الأولى » ، على أن محمد بن المفضل غريط يرقى بتنظيم هذا المجلس إلى عهد وزارةالحاج المختار ، ويحدد إختصاصه في النظر في قضايا الأجانب ، وهكذا يقول وهو يتحدث عن هذه الوزارة : « ...، فصدر الأمر السلطاني بتنظيم مجلس للنظر في القضايا الأجنبية في كل يوم اثنين ، ورئيسه الوزير الصدر المذكور ، وأعضاؤه : وزير الحرب : الحاج المهدي المنبهي ، ووزير الخارجية : الفقيه الأديب السيد عبد الكريم ابن سليمان ، ووزير المالية : الشيخ محمد التازي ، والمترجم له بصفة مستشار » .

ويقصد بالمترجم له والده المفضل غريط ، حيث كتب ابنه ـ المشار له أول هذا التعليق ـ تقييداً في ترجمة والده ، فوردت به هذه الفقرة ، حسب مخطوطته : خ . م 12763 : أول مجموع .

2 ـ الحلل البهية » مع « المذكرات الحجوية الأولى » ، ثم « فواصل الجمان ... » لمحمد غريط : المطبعة الجديدة بفاس ص 95 .

وكانت هذه المدينة لا تزال ـ آنذاك ـ مقراً للحكومة قبل انتقالها إلى فاس .

وبعد ذلك ـ في باقي جهات المغرب ـ أقسم الموظفون على اختلاف درجاتهم « يمين الخدمة » .

وفي الملحقات ذوات الأرقام 14، 15، 16 : مزيد من التفصيل لهذه النقطة ، مع صيغ « يمين الخدمة » التي أقسمها موظفوا دار النيابة بطنجة ، ثم أمناء المراسي وعدولهم بتطوان .

ب ـ التنظيم الجبائي :

وقد كان يهدف إلى إصلاح أوضاع البادية بالدرجة الأولى ، كما اهتم بتنظيم جباية المراسي .

* * *

وفي موضوع النقطة الأولى صدر ـ في تنظيم ضريبة الزراعة والماشية ـ ظهير يحمل تاريخ 10 جمادي الآخرة عام 1319/ 1901 ، وهو يسجل ـ في مقدمته ـ تظلم الرعية في تنوع شكاياتها ، ونسبة الحيف إلى أشياخها وولاتها ، ودعوى الإضرار في استخراج جباياتها .

وذرءاً لهذا يعلن القانون الجديد توظيف مقدار محدود ، يدفع سنوياً ـ على أنواع البهائم والأنعام والمواشي ، وعلى مزارع الحرث والبحائر والسواني والأشجار : على اختلاف أنواعها .

وبعد هذا يقرر نفس الظهير أن هذه الجباية عمومية يستوى في أدائها الشريف والمشروف ، والقوي والضعيف ، وحتى من كان عاملاً أو شيخاً أو خليفة أو نحوه : يكون فيها كسائر الناس ، بحيث لا يستثنى أحد من شمولها .

ولذلك يقرر القانون لزوم إحصاء سائر الذكور الخاضعين لهذا الأمر : بأسمائهم ، وأنسابهم ، وبيان فرق كل قبيلة ، زيادة في الضبط .

والظهير يقرر إلغاء كل ضريبة أخرى يفرضها العمال ، ويقول في هذا الصدد :

« وأما العامل فلم يبق له سبيل على فرض شيء عليكم ، أو قبض شيء منكم ولو قلامة ظفر » .

كما يقرر ـ مرة أخرى ـ أنه حدد للعمال مرتب من بيت المال .

وأخيراً : يسند استخلاص هذه الضريبة إلى الأمناء . الذين حدد المخزن لهم ولعدولهم مرتبات على هذا العمل .

هذه خلاصة الظهير الذي يضع اللبنات الأولى لمشروع التنظيم المالي في هذه الفترة .

وبهامش هذا القانون أثبتت لائحة بالأنواع التي تشملها الضريبة الجديدة . مع بيان المقادير الواجبة على كل نوع . ويوجد نص الظهير بالملحق رقم 17 .

يضاف له لائحة تكميلية لهذا الظهير بالملحق 18 .

وهكذا سنرى في هذا القانون المالي ـ إلى جانب تقرير ضريبة الترتيب ـ تنظيمات أخرى جديدة لم تكن معروفة من قبل :

1 ـ فالترتيب ضريبة عامة يستوى في أدائها سائر الطبقات دون تمييز .
2 ـ إلغاء الضرائب التي يفرضها العمال على الرعية .
3 ـ تقرير مرتبات لكل من العمال وجباة الترتيب . يتقاضونها من خزينة الدولة .
4 ـ إسناد مهمة استخلاص الضرائب إلى الأمناء بدلاً عن العمال .
5 ـ إلغاء السخرة والتموين للمكلفين بجباية الترتيب .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الضريبة صارت تعرف باسم « الترتيب » . وقد طبقت بالتدريج ، ووقع الشروع في عملياتها لما كانت الحكومة لا تزال بعاصمة الجنوب ، ولهذا ابتديء بنواحي مراكش : فعين بكل قبيلة من قبائلها أمين ومعه عدلان ، ليسجلا ـ بدفتر ـ ما يتملكه كل واحد مما يجب فيه الترتيب ، وكانت الأجور يومياً : للأمين ستة ريال ، ولكل من العدلين ثلاثة ريال .

وهكذا انتشر الأمناء والعدول بنواحي مراكش لإحصاء ما لقبائلها كلها حتى فرغوا من ذلك ، وسجلوا ما لدى كل قيادة في دفتر على حدة .

ولما انتقلت الحكومة إلى فاس : وقع الشروع في متابعة عمليات الترتيب بنواحي هذه المدينة[3] ، ومن وثائق ذلك رسالة عزيزية إلى قائد منطقة فشتالة بتاريخ 15 ربيع الثاني 1902/1320 ، حسب الملحق رقم 19 .

ولتسهيل أداء هذه الضريبة ، تقرر أداء نصف ما على كل فرد لمضي ستة أشهر ، والنصف الآخر لإنتهاء سنة من يوم تقدير الواجب[4] .

وقد عارض السلك الدبلوماسي ـ أول الأمر ـ في الخضوع لأحكام هذا القانون الجديد بالنسبة للأجانب والمحميين ، وبعد مفاوضات طويلة ، أقر ممثلوا الدول الأجنبية هذه الضريبة مقابل تعديلات جبائية كانت موضوع قانون تنظيمي من 11 فصلاً ،حيث سيرد نصه عند الملحق رقم 20 .

ونذيل على ضريبة الترتيب ، بالإشارة إلى أنه سبقت محاولات لتنظيمها من عصر السلطان الحسن الأول باسم « الترتيب » أيضاً[5] ، غير أن تطبيق ذلك لم يسر بانتظام ، وبمناسبة مبادرات الإصلاحات الجديدة التي نعرضها ، أعيد بعث هذا المشروع بالظهير العزيزي المنوه به ، حيث جاء في تقنينه أكثر وضوحاً وشمولية .

* * *

وظهر بعد ضريبة الترتيب : قانون لتنظيم الجباية الجمركية بالمراسي ، وقد صيغ في لائحة مطولة من أربعة وثلاثين فصلاً .

وهو يهتم بتنظيم عمليات تعشير الواردات والصادرات : إبتداء من الإطلاع على لوائح الموضوعات أو الموسوقات ، بالنسبة للمراكب والقوارب .

إلى تفتيش المراكب ، للتأكد من عدم اشتمالها على سلع محظورة .

إلى حفظ البضائع ـ الواردة ـ بمخازن المرسي ، وطريقة تسليمها إلى أصحابها .

إلى إتخاذ الاحتياطات اللازمة حين التعشير ، تفادياً من التدليس في السلع .

إلى مصادرة الواردات المحظورات .

---

3 ـ « الحلل البهية » مع « الملحق » رقم 18 .

4 ـ « الحلل البهية » .

5 ـ انظر « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 1/132ـ133 .

ويتناول القانون ـ مع هذا ـ شرح اختصاصات موظفي المراسي ، مع ذكر أصناف الدفاتر التي يستخدمها الأمناء ، وشرح طريقة التسجيل بكل واحد منها : اعتماداً على الشهر العربي في تسلسل الحسابات اليومية ، وذكر ما يوافقه في التقويم الميلادي .

وبالقانون فصول أخرى باختصاصات إضافية لأمناء المراسي ، ومنها مهمة استخلاص ضريبة المرجان الذي تستخرجه المراكب من البحر .

مع السهر على الاهتمام بالمنشئات والمواد الدفاعية الموجودة ببلدان أمناء المراسي .

بينما يسند الفصل التاسع والعشرون إلى أمناء المراسي مهمة تموين المساجين المعتقلين بالمدن التي يضطلعون بأمانتها ، فيعين الأمين ثقة ينوب عنه في الحضور كل يوم بسجن مدينته ، حتى يتوصل كل واحد من مساجين عمال البوادي بالخبزتين المرتبتين له في كل يوم ، وعند انتهاء الشهر يحضر إلى السجن نائب الأمين ، ومعه نائب عن عامل البلد ، وعدلان من محكمة القاضي ، ثم يقع استعراض المساجين ، ومن وجد منهم مضطراً إلى الكسوة ينفد له ما يستر به عورته ، حسب تعبير القانون الذي نحلله .

وقد أضيف لهذا القانون ثلاث ملحقات : الأول في تقدير المرتبات الشهرية لموظفي المراسي ، ومنه يستفاد شكل تركيب هذه الإدارة ، حيث وردت لائحة العاملين بها ومرتباتهم هكذا :

أمينا التعشير	:	مائة وخمسون ريالاً للواحد .
العدلان معهما	:	خمسة وسبعون ريالاً للواحد .
الناسخان لهم	:	عشرون ريالاً للواحد .
أمين القبض	:	مائة وخمسون ريالاً .
العدل معه	:	خمسة وسبعون ريالاً .
الناسخ معه	:	عشرون ريالاً .
ترجمان المانفسط وغيره	:	ثلاثون ريالاً .

رئيس المرسي : خمسة عشر ريالاً .
خليفته : سبعة ريال .

وبعد هذا يعرض الملحق الثاني نماذج لأشكال الرسائل التي يحتذيها أمناء المراسي في مراسلاتهم إلى السلطان أو وزير المالية ، وعدد هذه النماذج ثمانية :

1 ـ رسالة موجهة إلى الملك في موضوع ملخص دخل مرسي طنجة ، عن الأسبوع الذي ينتهي بيوم 7 صفر عام 1322 هـ .

2 ـ رسالة ملكية بملخص دخل وخرج مرسي طنجة . عن شهر صفر عام 1322 هـ .

3 ـ رسالة ملكية بملخص دخل مرسي طنجة في الأسبوع الذي ينتهي بيوم 16 صفر عام 1322 هـ .

4 ـ رسالة إلى وزير المالية : في نفس الموضوع والتاريخ .

5 ـ رسالة ملكية : في موضوع تقديم أوراق مرسي طنجة : دخلاً وخرجاً : عن شهر ذي الحجة من عام 1321 هـ .

6 ـ رسالة لوزير المالية في الموضوع والتاريخ ذاته .

7 ـ رسالة ملكية : في موضوع ورقة تلخيص حساب مرسي طنجة : دخلاً وخرجاً عن شهر واحد .

8 ـ رسالة لوزير المالية في الموضوع ذاته .

ومن الجدير بالاعتبار : أن التواريخ التي تحملها أكثر هذه النماذج . هي التي أرشدت إلى فترة وضع القانون الذي نعرضه ، بعدما جاءت وثيقته خالية من التاريخ بالمرة .

وأخيراً : نشير إلى أن الملحق الثالث يشتمل على لائحة مطولة لتعريفة المعشرات .

أنظر نص القانون الجمركي بالملحق رقم 21 .

ج ـ تنظيم طرق المواصلات .

بعد التنظيم الجبائي ، نشير إلى محاولات أولى للبدء في تنظيم طرق المواصلات ، لربط أجزاء البلاد بوسائل النقل الحديثة .

وفي هذا الصدد فكر المسؤولين في مد خط حديدي وآخر للتلفون بين فاس ومكناس ، وقد كان الوزير المنبهي هو الذي اشترى قضبان السكة الحديدية بمبلغ مالي جسيم ، ثم نقلت ـ على ظهور الجمال ـ من مرسي العرائش إلى فاس[6] .

كما فكر السلطان العزيز أن يضرب المثل بنفسه للشعب ، واعتزم أن يسافر بالسيارة من فاس إلى مكناس[7] .

ولتحقيق هذه المحاولات : توجه مهندس انجليزي لإصلاح الطريق الرابطة بين المدينتين ، وشرع في نصب العلامات إنطلاقاً من الطريق الأتية من فاس ، وهنا ثارت قبيلة بني مطير عام 1902/1320 ، وهاجموا العلامات وكسروها ، وأعلنوا بالثورة ومعارضة نصب شيء من ذلك في أرضهم ، حيث عاينوا المباشرين لهذا العمل من الأجانب ، وهكذا توقفت هذه المحاولة عند نقطة البداية[8] .

د ـ تنظيم الجيش :

وفيما يرجع لتنظيم الجيش ، تقررت متابعة سياسة الحسن الأول في تقوية أجهزة الدفاع بالاعتماد على ضباط أجانب ينتمون إلى أكثر من جنسية .

ولهذا طلب السلطان العزيز ضباطاً انجليزيين ليساعدوا « ماك لين » في تدريب فرق الجيش ، كما طلب ضباطاً فرنسيين يتكلمون العربية لتمرين فرق المدفعية[9] ، زيادة على مدربين آخرين من إيطاليا[10] .

---

6 ـ « المذكرات الحجوبة الأولى » .

7 ـ « المسألة المغربية » ص 120 .

8 ـ « المذكرات الحجوبة الأولى » مع « الحلل البهية » .

9 ـ « المسألة المغربية » ص 120 .

10 ـ المصدر ص 255 .

وقد أحدثت زيادات في مرتبات الجيش . على أن الجديد في هذا الصدد : انتظام توزيعها على يد أمناء محلفين ، بدلاً من توزيعها بواسطة الرؤساء .

كذلك صار اللباس العسكري على نمط الزي الأوربي بالنسبة إلى الكسوة والأحذية[11] .

وقد جاء وصف لباس فرقة من هذا الجيش أواخر عام 1319/1902 : في ارتسامة سجلها مراسل جريدة « الحاضرة » التونسية[12] حسب الفقرة التالية :

« ... هذه أول مرة شاهدنا فيها العساكر النظامية المغربية بملابس رسمية منتظمة : فقد لبسوا كسوة مصنوعة بإنكلترا من الجوخ الأحمر : يشتمل على سروال تركى واسع ، وسترة مقفولة بخمسة أزرار من النحاس تصل إلى الفخذ وعلى محزمة معلق بها سنكّي ، وعلى رأسهم طربوش عثماني . وبعضهم لبسوا جوارب بيض (كذا) ، وانتعلوا بأحذية متينة ، وغالبهم منتعلون بالبلغة .

وقد لبس هذه الكسوة نحو الألفين جندي ، ولا يلبث ألفان آخران أن يلبسوها » .

هذا ويوجد بالملحقين 22، 23 : رسالتان عزيزيتان في موضوع إحياء الجند النظامى : بواسطة فرض حصص من أفراده على بعض القبائل ، فتحمل الرسالة الأولى تاريخ 28 جمادي الثانية 1320/1902 ، بينما يرجع تاريخ الرسالة الثانية إلى 24 شوال 1321/1904 .

هـ ـ اصلاحات اجتماعية :

وقد مس الإصلاح الإجتماعى تنظيف المدن وتفقد السجون ، وكانت المهمتان ـ سلفاً ـ من توابع اختصاصات العمال ، غير أن حركة الإصلاح التي برقت في هذه الفترة ، فصلت هذه الأشغال عن العمال نسبياً ، وأسندتها إلى جهة أخرى ، ثم أدخلت عليها تحسينات جديدة :

---

11 ـ « المذكرات الحجوبية الأولى » .

12 ـ عدد الثلاثاء 3 قعدة 1319/11 فيفري 1902 : ص 2 .

I ـ تنظيف المدن :

لدينا الآن ـ في هذا الموضوع ـ رسالتان عن السلطان العزيز : لمحتسب فاس بتاريخ 28 حجة عام 1902/1319 ، ثم لمحتسب العرائش : 26 جمادي الثانية عام 1902/1320 ، وسيرد نص الرسالة الأخيرة عند الملحق رقم 24 ، بينما لا يوجد ـ الآن ـ النص العربي للرسالة الأولى ، وإنما بقيت ترجمتها إلى الفرنسية[13] .

حيث تذكر تكليف محتسب فاس بقبض المكس عن الذبائح ، ليستخدم المحتصل منه في تنظيف مدينة فاس العليا من الأزبال والنفايات والجيف والقاذورات ، مع إصلاح العطب الواقع بالطرق العمومية .

وإذا دعت الضرورة يرتب لهذه الغاية ـ في كل يوم ـ عشرة أو عشرين من الحمر ، وسبعة من السائقين .

كما ينبغي للمحتسب أن يكون على بصيرة من كل ما يمكن أن يقع من الأضرار بالأزقة : مثل طرح التراب وفاضل مواد البناء ، أو وقوع ثقب أو مستنقع في الطريق ، أو ترك الأزبال في الأروية والفنادق وما شابه ذلك مما ينجم عنه ضرر للعموم ، حتى إذا حدث شيء من ذلك يخبر الباشا ، ليلزم مرتكبه بالكف عن سبب المضرة في الحين ، أو يلزمه بأداء ما يترتب عن ذلك .

وليقم المحتسب بمثل هذا في المياه الجارية على الطريق العمومية ، حيث يتسبب عنها ثقب الأرض ومضار أخرى ، وعند حدوث ذلك يخبر الباشا ، ليجبر مرتكبه على إصلاحه .

II ـ إصلاح وضعية المساجين .

وفي هذا الصدد نشير إلى رسالتين عزيزيتين : الأولى : بتاريخ 21 ربيع الثاني عام 1902/1320 ، وتتعلق بسجني فاس الجديد . والثانية : 9 جمادي الأولى عام 1902/1320 ، وتتعلق بسجن طنجة .

---

13 - Georges SURDON «La France en Afrique du nord» Ce manuscrit figyre avec huit decrets de p 22, à p 227.

ونستفيد من الرسالتين ـ معاً ـ أنه أحدث لتفقد هذه السجون مصالح محلية يشرف عليها أمين ، يساعده عدلان أو عدل ، ووضع لهذه المهمة قانون يحدد أشغالها كما يلي :

1 ـ العناية بتنظيف بناية السجن وإصلاحها .

2 ـ تسجيل المساجين القدامى بأسمائهم وأنسابهم وقياداتهم ، مع بيان الجهة التي اعتقلتهم ، وسبب ذلك وتاريخه .

3 ـ التعريف بوضعيتهم من جهة السكن والكسوة والتموين .

4 ـ السهر على توزيع الخبز يومياً ، والكسوة المعتادة سنوياً : للمفتقرين إليها ، بحيث لا يترك أحد بالسجن جائعاً أو عرياناً .

5 ـ تسجيل من أطلق سراحه من المساجين ، ومن دخل للسجن من جديد ، وعلى يد من ، وجريمته ، مع تاريخ تسريحه أو سجنه .

6 ـ العمل لإزاحة ما عسى أن يلحق بالمسجونين من الضرر : من جهة العامل أو السجان أوأي أحد .

7 ـ يتخذ الأمين ومن يساعده دفتراً لتسجيل أشغال مهمتهم ، وعند رأس كل شهر يستخرجون لائحة عن الأعمال الشهرية ، ويوجهونها للحضرة السلطانية .

يضاف للرسالتين المنوه بهما : رسالة إلى أمناء الصائر وأمين المستفاد بمكناس بتاريخ 27 شعبان 1322/1904 ، فتسير ـ على العموم ـ في نفس الإتجاه ، وترد بها الإشارة إلى القانون الموضوع في إصلاح السجون ، حسب نصها الذي سيرد ـ ومعه رسالتا فاس طنجة ـ عند الملحقات 25، 26، 27 .

* * *

وبالنسبة إلى مساجين البوادي المحبوسين بمدن المراسي : وضعت لهم بعض تنظيمات ، وأدرجت ضمن قانون الجباية الجمركية بالمراسي : عند الفصل 29 ، حسب الملحق رقم 21 .

ملحق 11

مشروع لائحة باقتراح
إصلاحات على مستوى الحكومة

الحمد لله

فبمفتضى ما أريد إحداثه من اصطلاحات (اقرأ إصلاحات) جديدة، وترتيبات قريبة مفيدة، يعود نفعها على جانب المخزن ـ أعزه الله ـ وعلى جميع الرعية: يكون تصرف الولاة وجميع المكلفين مع من إلى نظرهم بالتمشي عليها وعلى قانونها، ويحصل ـ بحول الله ـ الأمن في النفس والمال والأهل، ويرتفع الظلم والجور والغصب والقتل، وينمو المال والمتمول: من حرث وكسب وتجارة، ويترتب على ذلك كثرة المدخول لبيت المال عمره الله. ويصل على حقيقته، ويستوى ـ في الضرائب التي ستقدر، والعطاء على الوجه الذي يسطر ـ جميع الناس: المشروف والشريف، والقوي والضعيف، والمتولي كيفما كان، والكبير والغني والفقير، ومن بالمغرب من تجار الأجانب، ومن في حمايتهم من مسلمين ويهود، ويرتب ذلك على فصول:

الفصل الأول

في بيان المسائل التي يعطى عليها.

الفصل الثاني

في كيفية تقييد متمولات الرعية بالبادية والحاضرة، وقدر ما يعطى على كل نوع منها.

الفصل الثالث

في كيفية تحصيل ذلك، وترتيب المكلفين به في كل بلد.

الفصل الرابع

في نتيجة ذلك التي هى رفع الظلم والتعدي على الرعية ، وحصول الأمن لها في النفس والأهل والمال .

الفصل الخامس

في كيفية ضابط تصرف الولاة من حيث هم ، وإلزامهم العمل بمقتضاه . ومن ثبت أنه خالفه أو تعداه يعاقب بما يستحقه ، وتسقط رتبته .

الفصل السادس

في إحداث زواجر مالية وبدنية تتوجه على من يستحقها من ذوي الجنايات والجرائم وغيرهم من المترافعين لدى الحكام : كل على قدر جريمته الثابتة عنه ، من غير مخالفة للقواعد الشرعية .

الفصل السابع

في صرف وجهة ولاة المدن لتنظيف أزقتها من الأزبال والعفونات والجيف ، وترصيف ما يحتاج إليه من طرقها ، ورفع ضرر الأوخام الناشئة عن ذلك .

وكذا المضار العامة المتوقعة : كالمبادرة لهدم جدار تداعى ، وردم بئر أو حفرة يخشى الوقوع فيهما ، إلى غير ذلك من الحوادث التي يجب رفعها .

الفصل الثامن

في تقدير ما تقوم به كفاية المتولي من حيث هو ، والقائمين بجباية تلك الضرائب

الفصل التاسع

فيما يرجع للكلام في تقدير وظائف ذوي الرتب المخزنية من وزراء وكتبة

2 ـ مصورة الملحق 11

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

وكبراء ، ومن جملتهم القضاة والأمناء ، وما تقوم به كفاية كل منهم بحسب مراتبهم ، حتى لا يبقى له تشوف لغير ما قدر له في ماهيته ، ومن ثبت عنه ذلك : فتسقط رتبته ، ويعاقب بما يستحقه .

الفصل العاشر

في كيفية عمل الظهير الشريف الذي ينشر بجميع الأفاق من هذه الإيالة السعيدة ، وإحكام ألفاظ فصوله الوجيزة المفيدة ، مع مزيد التنبيه ، لكونه تسافر به الركبان ، ويصير متداولاً بدفاتر الولاة والكبراء في جميع البلدان .

الفصل الحادي عشر

في إلتزام جانب المخزن ــ أعزه الله ــ جميع ما ذكر ، والعمل بمقتضى ما سطر وحرر ، وإعطاء الظهائر الشريفة متضمنة لذلك ، وأنه ــ أعزه الله وأبد نصره ، وأشرق في سماء السعادة شمسه المنيرة وبدره ــ سالك في ذلك مسلك رعيته .

انتهى ، وبه الختام .

. من وثائق الأستاذ بناصر غنام .

ملحق 12

رسالة وزير الخارجية باستدعاء القائد عبدالله بن سعيد ليحضر إلى القصر الملكي بمراكش

... محبنا وخادم سيدنا الأرضي : القائد السيد عبدالله بن محمد بن سعيد ، أمنك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله .

وبعد : فبوصوله إليك يأمرك سيدنا ـ دام علاه ـ أن تقدم على شريف أعتابه لغرض أكيد : بحراً من ذلك الثغر الطنجي إلى الثغر الجديدي .

والكتاب الشريف لأمناء مرسي طنجة بتزويدك وإركابك من ثمة للجديدة بحراً : تقدم توجيهه لنائب سيدنا : الأجل السيد الحاج محمد بن العربي الطريس ، مع كتاب أمناء الجديدة : بتزويدك وإكراء الظهر لك لشريف الأعتاب ، وقد كتبنا لنائب سيدنا المذكور ـ عن الأمر الشريف ـ بالتعجيل بتوجيهك ريثما يرد عليه الكتاب الشريف بمضمن هذا .

وعلى المحبة ، والسلام ، في 17 محرم عام 1319 ، عبد الكريم بن سليمان لطف الله به .

من وثائق نخبة مدينة سلا الغيور الوجيه السيد الحاج العربي ابن سعيد .

3 - مصورة الملحق 13

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله

خديمنا الأرضى النايب الحاج محمد بركاش وفقك الله وسلام
عليك ورحمة الله وبعد فقد شرح الله صدرنا إلى الانبعاث
لنا بعدد خاص على منوال البعثة المصرية وينتظم به أمرها
ويستقيم به شأنها ونخص به مادة التعمير والنقل و ا
ويحصل به الأمن في التعمير والأموال ومما نحاولنا بتغيير ما
بتغيير في شأن ذلك بتغيير ما يطلق عليه من الفصول المسطر
في الورقة التي بطيه ومن الأصول ما أردنا ذلك ونخصها
من جملة التي سترد عليك تفصيلها في الأمر إن شاء الله فلابد
أن تشرع في ذلك وتعين النجباء ويجيب عنه بالتفصيل
للحال وأن تضمن مطلحا في زيادة شيء في أسفارهم بينهم ثم وبعد
ذلك نامر لها بالإعلام شؤون الدول بصحبة فيكونوا على بال منه ويعلموا
به ويلهم التحسين إن شاء الله ومن المسؤول بالإعانة والنجاح والسلام
في 7 جمادى الأولى عام 1291

ملحق 13

رسالة استشارية من العاهل العزيز
إلى النائب الطريس

خديمنا الأرضي ، النائب : الحاج محمد الطريس ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد شرح الله صدرنا إلى الالتفات لما يعود صلاحه على هذه الرعية المحروسة ، وينتظم به أمرها ، ويستقيم به شأنها ، وتنحسم به مادة التعدي والتطاول ، ويحصل به الأمن في الأنفس والأموال .

وها نحن أمرنا بتقييد ما يتعين في ترتيب ذلك ، فقُيِّد ما يصلك بيانه من الفصول المسطرة في الورقة التي بطيه ، وهي الأصول فيما أريد من ذلك ، وتحتها فروعها التي سيرد عليك تفصيلها في الأثر ، إن شاء الله .

فنأمرك أن تستوعب ذلك وتمعن النظر فيه ، وتجيب عنه بما يقتضيه الحال ، وإن ظهرت مصلحة في زيادة شيء أو إسقاطه بينه لنرى فيه .

وبعد ذلك نأمرك بإعلام نواب الدول بطنجة ليكونوا على بال منه ، ويعلموا به دولهم المحبين ، إن شاء الله .

وهو المسئول في الإعانة والنجاح ، والسلام ، في 7 جمادي الأولى عام 1319 .

من وثائق الأستاذ بناصر غنام .

ملحق 14

رسالة من العزيز في شأن حلف موظفي دار النيابة بطنجة مع صيغة قسم يمين الخدمة

وبعد : فإن مما شرح الله صدرنا إليه لمزيد حصول الإطمئنان . وتأكيد نصيحة خدامنا الوزراء والرؤساء والنواب وسائر المكلفين عندنا بالأعمال التي قلدوها . والخدمة التي طوقوها : تعميم الحكم عليهم باليمين على التحري فيما هو مطلوب منهم شرعاً وعقلاً : من التزام الحق والصدق والنصح في الخدمة . والتفصي من إتباع غرض أو طمع أو غلول أو قصد إضرار بالغير أو منافسة أو محاباة أو تكاسل في شيء من الأشياء التي يروج فيها كل مكلف بنوع من أنواع خدمتنا الشريفة .

توخياً للتحفظ على حقوق الرعية التي استرعانا الله إياها . والتأمين على أعراضها وأموالها من أن تنتهك حرمتها ، أو يطرق ـ بلا موجب ـ حماها .

على أن هذه الشرائط كلها من الخصال الحميدة الملحوظة فيهم ابتداء ودواماً ، فكل متصف بها لا يأبى اليمين عليها تعييناً والتزاماً ، لكونها من المدخول عليها في صفات المؤمن ديانة وإسلاماً ، ولورود الأدلة في الترغيب فيها والتوكيد ، وحض الولاة على التمسك بها حذراً من لحوق الوعيد ، فما اقتضى شريف نظرنا الأخذ بها إلا تتميماً لأمر هو ـ في الحقيقة ـ واجب متعين ، وبراءة استظهار من تخيل الإتهام بشيء وإن لم يكن بمحقق ولا متبين . « قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي » .

وقد تبادر المكلفون بأوامرنا الشريفة ـ المشار لهم ـ لامتثال ما أمرناهم به من ذلك ، وتلاهم من عداهم من الولاة والمستخلفين : طائفة بعد طائفة ، واستوفيت اليمين من جميعهم بنياتهم على تلك العهود : بنية غير مخالفة .

وتعين الكتب لكم ـ حينئذ ـ باقتفاء هذا الأثر العام ، واستيفاء اليمين من جميع من يحضر في الجمع هناكم : على منهاج من شملتهم خدمتنا الشريفة من أهل الالتزام ،

حيث كان هذا الوصف مطلوباً من الجميع ابتداء ، وكان حكمه على الخاصة من أهل التكليف سواء ، وقد ثبت في الحديث الشريف : أنه ـ ﷺ ـ كان يقول : « إحلفوا بالله وأبرو وأصدقوا ، فإن الله يحب أن يحلف به » .

وهنا نحن وجهنا كاتبنا الطالب الحسن الود غيري للحضور معكم على استيفائها منكم في المصحف الكريم ، على ما تضمنه التقييد الواصل إليكم بطيه ، وعدم الخروج عنه بحال ، فنأمركم بالحضور معه على ذلك ، والجريان على مقتضى ما قرر لكم فيه ، مثابين عليه ماجورين ، سددكم الله وسدد بكم وأعانكم ، والسلام .

في 5 جمادي 1 عام 1320

* * *

كيفية الحلف

يقسم كل واحد منهم بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، المنزل هذا المصحف الكريم ، على نبيه الصادق الأمين ، وبجميع الأيمان : أنه لا يألو جهداً في بذل النصيحة لمولانا الإمام ، والذب عن رعيته فيما يعرض لهم من القضايا والأحكام ، أو يسند إليهم من بحث ومباشرة وخصام ، أو نظر أو تتعين مصلحته مدافعة قبل تطيير إعلام ، أو يرفع إليهم للمفاوضة فيه وإظهار ما يقتضيه الحال والمقام ، من غير تباغض ولا تحاسد ولا مشاحنة ولا تنافس ولا تشاجر ولا مداهنة ولا تشوف لشيء من الطمع فيما بيد الغير : كقبول هدية ولو بيضة طير ، بل لا يدخل عليه من قبل تكليفه شيء زائد على ما قدر له في ماهيته ، عدا ما يكون إنعاماً مولوياً لإقتضاء داعيته .

وأنه يعاهد الله ـ تعالى ـ على الأخذ بحقيقة ما تضمنه هذا التقييد . ولا يخرج عنه حالاً وإستقبالاً ولا يحيد ، ومن الله الهداية والتوفيق ، والهداية لأقوم طريق .

كناشة قاضي الرباط وعالمه : المرحوم أحمد بن محمد بناني . بمبادرة كريمة من إبنه الأديب الشاعر المحاضر السيد أبي بكر : بتاريخ الأحد 4 شوال 1397/ 18 ستنبر 1977 : ص 395 .

ملحق « 1 »

رسالة من العزيز لقاضي تطوان باستيفائه يمين الخدمة من أمناء المرسي وعدولهم

نأمر الفقيه القاضي الأرضي بثغر تطوان حرسه الله : أن يستوفي يمين الخدمة من أمناء المرسي وعدولهم الجدد ، عدا الأمين الحاج العربي بنونة لتقدمها منه .

وليكن ذلك بمحضر الأمناء الأقدمين وعدولهم ، على وفق ما هو مقرر في تقييد اليمين بكناش المرسي : بلفظه وكيفيته ، وقد أصدرنا لهم شريف أمرنا بذلك .

ولتوجه لشريف حضرتنا العالية بالله رسم استيفائها منهم .

والسلام في 25 حجة عام 1322 هـ .

تاريخ تطوان للمؤرخ محمد داود : القسم المخطوط .

ملحق 16

رسالة وزيرية لقاضي تطوان باستيفائه
يمين الخدمة من أمناء وعدول المرسي ، مع صيغتين لقسم الموظفين

محبنا الفقيه القاضي الأرضي : السيد التهامى أفيلال ، أمنك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير سيدنا نصره الله .

وبعد : فيأمرك سيدنا ـ أيده الله ـ أن تستوفي يمين الخدمة من أمناء وعدول المرسي بمحضر عامل البلد وعدلين من عدول السماط : على مقتضى التقييد الواصل إليك طيه ، وقد كتب له ولهم بذلك .

ووجه لشريف الحضرة ـ على يدنا ـ رسم الشهادة بذلك .

وعلى المحبة والسلام ، في 29 محرم الحرام عام 1325 .

محمد التازي لطف الله به .

* * *

الحمد لله ، بيان صورة اليمين الذي أقسم به أمناء المراسي السعيدة وعدولهم :

يقسم كل واحد منهم بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، المنزل المصحف الكريم ، على رسوله الصادق الأمين ، وبجميع الأيمان : أنه لا يخون جناب المخزن في جميع ما أمنه عليه من مال ومتمول ، وقبض ودفع .

وأنه لا يعلم ضياع شيء من متاع المخزن ولا يوافق عليه .

وأنه لا يحابي أحداً في تعشير سلعة وتقويمها .

وأنه لا يالو جهداً في بذل النصيحة لجانب المخزن فيما أسند إليه من بيع وابتياع ، ومباشرة قضية أو نزاع .

وأنا لا يالو جهداً في الخدمة وتعمير أوقاتها ، ولا يكسل عما طوقه من أشغلتها .

وأنه لا يعلم أحداًمن أقاربه أو خدامه يتوصل لشيء من متاع المخزن ولو قل بدون استحقاق .

وأنه لا يستعمل أحداً في عمل لخاصة نفسه من المستخدمين في أمور المخزن . ولو ردع مسمار .

وأنه لا يدخل عليه من هذه الخدمة الشريفة المباركة ومما هو راجع إليها شيء زائد على أجرته المقدرة : لا له ولا لأقاربه ورفقائه : لا في الحال ولا في الاستقبال .

* * *

وكيفية يمين العدول :

يقسم كل واحد منهم بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، وبجميع الأيمان ـ ويده بالمصحف الكريم ـ أنه لا يعلم ضياع شيء لجانب المخزن ولا يوافق عليه .

وأنه لا يالو جهداً في الخدمة وتعمير أوقاتها ، ولا يكسل عما طوقه من أشغلتها .

وأنه لا يعلم أحداً من أقاربه أو خدامه يتوصل بشيء من متاع المخزن ولو قل بدون استحقاق .

وأنه لا يستعمل أحداً في شغل لخاصة نفسه من المستخدمين في أمور المخزن ، ولو ردع مسمار .

وأنه لا يدخل عليه من هذه الخدمة الشريفة المباركة ومما هو راجع إليها شيء زائد على أجرته المقدرة : لا له ولا لأقاربه ورفقائه : لا في الحال ولا في الاستقبال .

ـ تاريخ تطوان للمؤرخ محمد داود : القسم المخطوط .

ملحق 17

ظهير العزيز في تنظيم ضريبة الزراعة والماشية

وبعد فقد علمتم أننا منذ استرعانا الله ـ تعالى ـ إياكم ، وكلفنا أن نسوق إلى مسالك الصلاح والطاعة مطاياكم ، ونحن ننظر فيما يكون أساساً لحفظ مصالحكم . وتزكية لأموالكم ومكاسبكم ، وجبراً لأحوالكم ، وعلاجاً لاعتلالكم . ودفعاً للتعدي من بعضكم على بعض ، وتأميناً على نفوسكم من تخوف الإذاية في مال أو عرض ، قياماً بما أوجبه الله من النصيحة والإرشاد ، والإهتمام بمصالح العباد . وعملاً بقوله ﷺ : من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق اللهم به .

وطال ما ترويناً في ذلك بحسب ما يبدو تارة من اضطراب أحوالكم . وبحسب ما تنسبونه لعمالكم ، فإذا نظرنا لجهة جرائم العامة ومواقع انحرفها . وتقاعدها عن الحقوق وعدم إنصافها : يكون عذر العمال واضحاً في إجراء الأحكام عليهم بما عهدوه ، واستخراج الفرائض والحقوق منهم على الوجه الذي تعودوه . وإذا نظرنا إلى تظلم الرعية في تنوع شكاياتها ، ونسبة الحيف إلى أشياخها وولاتها . ودعوى الإضرار بها في استخراج جباياتها : يكون لكلام الرعية وجه يقتضي استكشاف حال العمال ، وكفهم عما ينسب لهم من هذه الأعمال ، صرفاً لكل عامل عن شهوته ، ومراقبة لقوله ـ ﷺ ـ إن من أخون الخيانة تجارة الوالي في رعيته .

ولم نزل ـ مع هذا كله ـ نتأنى لإصابة المراد ، عملاً بمقتضى قوله ـ ﷺ ـ من تأنى أصاب أوكاد ، وأخذاً بأدب سليمان ـ عليه السلام ـ فيما حكى عنه في الكتاب المبين حيث قال : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين .

إلى أن شرح الله صدرنا لترتيب قواعد سياسية ، وقوانين بحفظ المصالح وافية ، وفي رفع الضرر كافية ، على الوجه الذي يعود نفعه على بيت المال الموفر بالله : وهو توظيف مقدار محصور يكون منكم عطاؤه ـ سنوياً ـ على أنواع البهائم والمواشي ، وعلى مزارع الحرث والبحائر والسواني ، وكذلك الأشجار على اختلاف

أنواعها ، وتفاوت منافع ثمارها ، حسبما بين ما يعطى على كل نوع بإزائه في الطرة يمنة .

ويكون حكم هذا العطاء عام الاعتبار ، في سائر القبائل والأقطار ، بحيث يستوي فيه المشروف والشريف ، والقوي والضعيف ، وحتى من كان عاملاً أو شيخاً أو خليفة أو نحوه : يكون فيه كسائر الناس ، بحيث لا يستثنى أحد من شمول هذا الضابط وعموم هذا القياس .

وذلك منا ارتكاب لما له أصل في الشرع من نوع السياسة العادلة التي تخرج الحق من الظالم ، وتدفع كثيراً من المظالم ، وتكشف الضرر عن الرعية ، ويتوصل بها إلى المقاصد الشرعية ، لأن المفاسد إذا أمكن رفعها بالأخف لا يعدل عنه إلى الأعلا ، ولبناء مذهبه المالكي على إتباع المصلحة العامة . حتى قال الأيمة ـ رضي الله عنهم ـ ينبغي أن يراعى فيها إختلاف الأحوال والأعصار ، وإنها من القوانين السياسية التي شهدت لها قواعد الشرع بالاعتبار ، وإنها جارية على مقتضى ـ قوله ﷺ ـ لا ضرر ولا ضرار ، ويشهد لذلك ما ثبت عنه ـ ﷺ ـ من مصالحة أهل سبا بتوظيفه عليهم سبعين حلة من القطن سنوية ، وثبت عن معاذ رضي الله عنه نحو ذلك على أهل اليمن عوضاً عن زكاة الحبوب ، لاقتضاء الحال والمصلحة لذلك على الوجه المطلوب ، مع ما صح عنه ـ ﷺ ـ من أن في المال لحقاً سوى الزكاة ، وقوله : إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم .

وها نحن عينا حملته من الأمناء والعدول الواردين عليكم لمقابلة هذا الترتيب في قبيلتكم ، وكلفناهم بإحصاء جميع ما عند كل واحد منكم من الأنواع المشار إليها ، ليكون العطاء المفروض كل سنة على نحو ما رتبناه عليها .

ومن أخفى من متاعه شيئاً ولم يطلع عليه المكلفين ، ثم ظهر بسبب البحث الذي من ورائه : فإنه يعاقب بسلبه من جميع ما ستره باخفائه .

وأما العامل فلم يبق له سبيل على فرض شيء عليكم أو قبض شيء منكم ولو قلامة ظفر ، لأننا عينا له ما يكون يقبضه راتباً من بيت المال عمره الله ، على أن لا يعود لمد اليد في متاع أحد من القبيلة ، أو يتطاول لأخذ شيء بطمع أو حيلة ،

وإنما حسبه رد البال . وتأمين الطرق . وإجراء الأحكام . وشد العضد على الصلاح والطاعة . وحفظ النظام . وإجلاس كل طائش عند حده . وحمل كل واحد على اتباع معاشه ورشده .

عسى الله أن يحقق فراستنا فيكم بحمد هذه النعمة وشكرها . والتزامكم الهناء وعمارة البلد المنتجة لعموم خيرها . لأن العلة التي كانت سبباً في بسط أيدي العمال فيكم وفي غيركم سالفاً : إنما هي ركون العامة لكثرة التنافر والاختلاف . والتقاعد عن الحقوق والإنحراف . وإلا فلو كان التوافق من أول الأمر حاصلاً فيكم . من الهناء وتأمين السبل في نواحيكم : لكنتم أحق بهذا الترتيب من قديم . ولا كنناءاثرناكم به من الآن بقصد إصلاحكم والرفق بكم . لعل الله يهديكم إلى صراط مستقيم .

وعليه فنأمركم أن تتمشوا مع الأمناء والعدول المذكورين على ما قرر من غير تفريط ولا تكاسل ، حتى ينفذوا ما أمرناهم به من غير توان ولا تساهل .

ولا كلفة عليكم بشيء من مئونتهم أو لوازمهم ، لأننا نفذنا لهم رواتبهم على العمل المذكور الذي توجهوا لأجله .

وكتبنا لخدامنا الأنجاد قوادكم ببيان هذا كله ، وأمرناهم بشد العضد لهم على التمكن من ترتيب ما أسسناه ، حتى يتم تنفيذه وإحصاؤه على مقتضاه .

والله المسؤل أن يجعل هذا القصد الحميد سبباً لجبر أحوالكم ، وصلاح أعمالكم ، وتنمية أولادكم وأموالكم ، وموجباً لإلهامكم شكر ما أردناه ، وثباتكم على تأسيس الخير الذي قصدناه ، فهو ــ سبحانه ــ ولي التدبير ، نعم المولى ونعم النصير ، والسلام .

في 10 جمادي الثانية عام 1319 .

- « فواصل الجمان » ص 95ـ98 . مع الرجوع إلى مخطوطة من نفس الوثيقة .

ملحق 18

لائحة تفسيرية للظهير بالملحق 17 .

وضمنها تحديد المواشي والمزروعات الخاضعة لضريبة الترتيب

الحمد لله . فبمقتضى ما أريد إحداثه من اصطلاحات « اقرأ إصلاحات » جديدة . وترتيبات قريبة مفيدة ، يعود نفعها على جانب المخزن أعزه الله . وعلى جميع الرعية ، يكون تصرف الولاة وجميع المكلفين مع من إن نظرهم بالتمشي عليها . وعلى قانونها ، ويحصل - بحول الله - للجميع الأمن في النفس والمال والأهل ، ويرتفع الظلم والجور والغصب والقتل ، وينمو المال والمتمول : من من حرث وكسب وتجارة ، ويترتب على ذلك كثرة المدخول لبيت المال عمره الله ، ويصل على حقيقته ، ويستوي في الضرائب التي ستقدر ، والعطاء على الوجه الذي يسيطر ، جميع الناس : المشروف والشريف ، والقوي والضعيف ، والمتولي كيفما كان ، والكبير والغني والفقير ، ومن بالمغرب من تجار الأجانب ، ومن في حمايتهم من مسلمين ويهود ، ويترتب ذلك على فصول :

الفصل الأول

في بيان المسائل التي يعطى عليها

منها الأبل والبقر والغنم بنوعيها ، والخيل والبغال والحمير : المركوب منها والمستخدم ، وأشجار الزيتون واللوز ، وأشجار الجنات والبحائر ، وسواني الحناء ، وجميع ما يزرع بالبلادات الحراثية باعتبار أزواج الحرث .

الفصل الثاني

في كيفية تقدير متمول الرعية وبيان قدر ما يعطى عن كل نوع منها

فيعين لتقييد ذلك بكل قبيلة أو خمس من القبائل الكبار : كدكالة والشاوية :

مينان وعدلان من المراسي والمدن الموالية لكل قبيلة ، ويؤمر كل عامل بالوقوف معهم وقوف جد وثمرة في جميع ما ذكر على وجهه وحقيقته . ويتوعدون ـ أجمع ـ على التساهل في ذلك . ويسترعي كل منهم على من إلى نظرة : بأن من أخفى شيئاً من متاعه ـ ولو قل ـ فإنه يعاقب على ذلك .

ويتخذون كناشاً لما ذكر : فيبتدئون ـ أولاً ـ فيه بإحصاء ما للعامل وأقاربه . ثم ما لغيره من عامة الناس وخاصتهم : بأن يقيد أمام أسماء المالكين عدد مالهم من المتمول : كل نوع بضلع مرقوم بأعلاه قدر عطائه الآتي بيانه . وبآخر الأضلاع يكون مجموع الواجب في أنواع المتمول ، ويدفعون لكل واحد بطاقة مؤرخة بعلامة العدلين والأمينين وطابع العامل ، مقيداً فيها إسمه . وأنواع متموله . والواجب السنوي ، ليكون الأداء عليها ، وهكذا إلى تمام العمل . وعندما يختم كل منهم كناش عمله يوجهه لشريف الحضرة ، مع نسخة منه للأمين المكلف . ونظيرتها للعامل ، ثم يذهبون لحالهم .

وهذا الترتيب يكون يجدد في كل عام مرة . على نسق ما سيبين في الفصل بعد هذا .

ومن تمام هذا الموضوع : الكلام في مؤنة المعينين لما ذكر من الأمناء والعدول : فينفذ لكل أمين من يوم خروجه في مقابلة أجرته ومؤنته ومؤنة أصحابه وكراء بهائمه وعلفها : ست ريالات مياومة . ولكل عدل فيما ذكر : ثلاث ريالات في اليوم أيضاً . وجميع ذلك يكون من بيت مال المسلمين عمره الله : بأن ينفذ ذلك لكل منهم على صائر البلد أو المرسى الخارجين منها .

ويؤمر الأمناء بأن يكونوا يدفعون لنوابهم واجب نصف شهر تسبيقاً ، وعند رجوعهم يتحاسبون معهم على جميع المدة ، ولا يلزم القبيلة أو العامل شيء من ذلك . بل يحذر كل من المعينين والعامل من ارتكاب أدنى شيء من أوجه الطمع .

بيان قدر العطاء السنوي

على ما ذكر من المسائل بالفصل قبله

فعل كل رأس من الإبل : ريال واحد .

وعلى كل رأس من أبكارها الداخلة في السنة الثالثة : نصف ريال .

وعلى كل رأس من البقر : نصف ريال .

وعلى الضرائب منها ذكوراً وإناثاً : للرأس ربع ريال .

وعلى كل مائة رأس من الغنم البيضاء : عشرة ريال .

وعلى المائة من السوداء : خمسة ريال .

وعلى الخيل والبغال : نصف ريال للرأس .

وعلى الحمر : بسيطة للرأس .

وعلى كل مائة من شجر الزيتون واللوز : خمس ريالات .

وعلى كل مائة من شجر الجنات : اللتين بأنواعه ، وكذا النخيل : ريالان ونصف.

وعلى كل مائة من بقية شجر العود الرقيق : ريال واحد وربع ريال .

وأما البحائر وسواني الحناء : فيقوم ما يحرث منها كل سنة ، ويعطى عليه نصف العشر .

وأما المزروعات بالبلادات الحراثية باعتبار أزواج الحرث : فعلى كل زوجة من الإبل والخيل والبغال : عشرة ريال .

وعلى كل زوجة من البقر : خمسة ريال .

وعلى كل زوجة من الحمر : ريال ونصف .

. من وثائق الأستاذ بناصر غنام .

4 - مصورة اللوحة الأولى من الملحق 18

الجزيرة   فيفتحون زبر وجرانه من اصطلاحات حرث سرية

وترتيبات حربية معينة يعود نفعها على جانب الخزانة الدولة العلية وعلى جميع الرعية

بحيث تكون ثروة وجميع مستبشرين مع من نظر لهم بما تشتمل عليه وعلى ما يوثر

ويحصل بحول الله للجميع الأمن من النهب والمال والأهل ومن تبع الظلم

والجور والغصب والقتل ونهبوا المال والمتمول من حرث وكسب وتجارة ومن تسبب

على الحاكم الآن المدخول بنية الذي جعل الله ويغفر عن حقيقته ويستمر في

الضرائب التي ستقرر وتعطى على الوجه الذي يسع جميع الناس المثري والمترب

والفقير والضعيف والمتمول كيفما كان والكبير والصغير والفقير ومن بالمدن ومن

بقرى الجانب ومن جميع منهم من مسلمين ويهود ونثبت ذا الحال على فصول

الفصل الأول

في بيان المسائل التي يعشر عليها

منها الإبل والبقر والغنم صغيرها وكبيرها والخيل والبغال والحمير المركوب منها والمتخذ

والأشجار الزيتون واللوز والأشجار الجنات والبحائر وسواقي الجنة وجميع ما يعشر

بالبلادات المغربية باعتبار رواج الحرث

الفصل الثاني

في تبعية تقديم شيوخ الرعية وبيان قدر ما يعطى على كل نوع منهم

فيعين لتفسير ذلك بكل قبيلة او بطن من القبايل شيخ كبير كاتبه وثقة وبه ...

ويمكن من الجرايات والمرتبات الراتبة لكل قبيلة ويوم كل عشر بالوظائف معهم وعن

جريدة في جميع ما ذكر على وجهه وحقيقته ويشترطون اجمع على تناصفهم في ...

ويشترط كل منهم على من الجرايات بما من اخذ شيئا من شأنه ولم يرد فانه يعد في

على ذلك .: ويعقدون كتابا لما ذكر يشهدون ويراد فيه باحسنه ...

واقاربه ثم ما اقتضاه من رعاية الناس وخاصتهم بان يقيدوا اسم ... الذي يعرفه ما يلزم

من الحقوق كل نوع بحسب كل نوع باطلاع قدر ما عليه اذ لا في بيانه وينادي ...

يكون بجميع الواجب في انواع الحقوق ويدرجون لكل واحد ما عليه موزعة بعدد

العاملين والله يبصر ويحاسب العامل على ما اسمه وانواع ما يحوله والواجب ...

ليكون الاداء عليها وهذا الترتيب العامل ... كل منهم كتابا عليه

بوجهه لتشهد المحتج له مع نسخة منه للامير الجليل ونسختها للعامل ثم يرجعون

للعامل وهذا الترتيب يكون يجدد في كل عام مرة على ... في العمل بهذا

هذا ومن تمام هذا الموضوع الكلام في مؤونة المعينين لما ذكر من الاشياء والعمروين

فيتميز لكل امير من يقوم فيه وجهه في مقابلة اجرته ومؤونته ومؤونة اصحابه وكراء دوابه

5 - مصورة اللوحة الثانية من الملحق 18

وعليها مائة ريال سياومة ولكل عرش فيما ذكر ثلاث ريالات في اليوم أيضا
وجميع هذا الحد يكون من بيت مال المسلمين عوض الغنم بأن يعطى الكل منهم على حاضر
البلد أو الحاضر من الخارج منها وفيمن هو منها بأن يكونوا يرجعون لخرابهم
واجب نصف منهم تسبيقا وغير جبرهم يحاسبون معهم على جميع المدة وكذا بلزوم
القبيلة أو العامل كذلك ومن ذاله بل يعزر كل من القبيلة والعامل من ارتكاب
أي شيء من أوجه الظلم

بيان قدر الزكاة الشرعية على ما ذكر من المال والتجارة فيلزم
في كل امرئ من الإبل ريال واحد وعلى كل رأس من البقر المدخلة في السنة
الثالثة نصف ريال وعلى كل رأس من الغنم نصف ريال وعلى الغنم أين منها كبيرا
وإناثا للرأس ربع ريال وعلى كل مائة رأس من الغنم البيضاء ثمانية ريال وعلى
المائة من السوداء خمسة ريال وعلى الخيل والبغال نصف ريال للرأس وعلى الحمير
بسبعة للرأس وعلى كل مائة من شجر الزيتون واللوز خمس ريالات وعلى كل مائة
من شجر الجنات من التين بأنواعه وكذا النخيل ريالان ونصف وعلى كل مائة من بقية
شجر العود الرقيق ريال واحد وربع ريال وأما البحاير ومواضع الخضرة فيقوم ما
يجني منها كل سنة ويعطى عليه نصف العشر وأما المزروعات بالبلادات

عرابية

الثمانية باعتبار أزواج الحرث فعلى كل زوجة من الإبل والخيل والبغال
عشرة ريال وعلى كل زوجة من البقر خمسة ريال وعلى كل زوجة من الحمير ريالان
ونصف

ملحق 19
رسالة عزيزية بشأن إجراء
عملية الترتيب بنواحي فاس

خديما الأرضي : القائد محمد بن طلحة الفشتالي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد :

فقد شرح الله صدرنا لترتيب وظيف سنوي على إيالتك فشتالة كغيرهم من من سائر رعيتنا السعيدة المحوطة بالله ، إيثاراً للمصلحة ، ومراعاة للرفق ، وصوناً للأنفس والأموال من الحيف والعدا .

وعينا ما يعطى على كل نوع من أنواع المواشي والمزروعات ـ ما بين طرته ـ في كل سنة .

ووجها حملته لإحصاء ذلك على يدك أو يد خليفتك إن لم يتيسر لك الحضور بنفسك ، مع إحصاء جميع الأنفس الذكور بأسمائهم ، مبيناً إزاء إسم كل واحد منهم ماله من الأولاد والإخوان الذين على مائدته ، والمتمولات بأنواعها ، مفصلاً كل فرقة على حدتها .

وأصدرنا شريف أمرنا لهم بذلك في كتابنا الشريف الواصل إليك صحبته ، فنأمرك أن تقرأه عليهم حتى يفهموه ، وتقوم على ساق الجد والنصيحة في ترتيبهم من غير استثناء أحد منهم ، إذ لا فرق في هذا الوظيف ، بين مشروف وشريف ، ومتولي وغيره .

ومن ثبت أنه أخفى شيئاً من متمولاته بسبب البحث الذي من ورائه ، فإنه يعاقب بسلبه ، ويزجر زيادة على ذلك .

والعهدة ـ على كل حال ـ إنما هي عليك ، أو على خليفتك إن قام فيه مقامك .

وإذا استوعبت تقييد ما عندك وما عند كل واحد من إيالتك في كناش على

الكيفية المبينة للمكلفين بذلك : عجل بتوجيهه صحبتهم .

ولا كلفة عليك في مؤنة الأمناء والعدول المذكورين ولوازمهم ، فإنا نفذنا لهم ذلك من صائرنا السعيد .

إذ لم يبق لك سبيل على فرض شيء على إيالتك أو قبض شيء منهم .

وسنعين لك ما تقبضه ـ راتباً ـ من بيت المال عمره الله ؛ حتى لا تطمح نفسك لمد اليد في متاع أحد من القبيلة ، أو التطاول لأخذ شيء بطمع أو حيلة ، وحسبك إجراء الأحكام على كل طائش ، وإجلاسه عند حده ، وحمل كل واحد على اتباع معاشه ورشده .

والسلام في 15 ربيع الثاني عام 1320 .

محفوظات قسم الوثائق : خ . م .

ملحق 20

تعديلات للظهير بالملحق 17 .

« الحمدلله وحده . ضابط أداء واجب الترتيب المبارك بحول الله .

الفصل الأول

على الأجانب وأهل الحمايات ـ الذين لهم ما سيذكر في الفصول الآتية : من أنواع الأنعام والدواب والفلاحة والأشجار والحراثة وسائر المزروعات ـ أن يؤدوا عليها لجانب المخزن الشريف مثل ما تودي رعيته في كل سنة على الكيفية الآتية * :

الفصل الثاني

الإبل المعدة للكسب والحراثة أو الحمل : يؤدي على كل رأس منها عشرة دراهم سكة عزيزية ، أو عشرون بليوناً سكة صبليونية .

وعلى أبكارها الداخلة في السنة الثالثة : خمسة دراهم ، أو عشرة بلايين .

وعلى كل رأس من البقر ـ ذكوراً وإناثاً ـ خمسة دراهم ، أو عشرة بلايين .

وعلى الضرائب منها : درهمان ونصف ، أو خمسة بلايين .

وعلى كل مائة رأس من ذكور الغنم البيضاء : مائة درهم ، أو مائتا بليون .

وعلى الإناث منها : ثمانون درهماً ، أو مائة وستون بليوناً .

وعلى المائة من السوداء أي المعز : خمسون درهماً ، أو مائة بليون .

وكل ما نقص عن المائة من الغنم ـ بأنواعها ـ يعطى عليه بنسبة المائة * .

---

* ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه عام حتى للرعية .

* ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه جار حتى على الرعية .

الفصل الثالث

الخيل والبغال والحمير ـ سواء كانت معدة للكسب أو للحراثة أو للحمل ـ يعطى على كل رأس من الخيل والبغال : خمسة دراهم ، أو عشرة بلايين ، وعلى كل رأس من الحمير : درهمان ، أو أربعة بلايين * .

الفصل الرابع

الأشجار : فعلى كل مائة من شجر الزيتون المستغلة ، واللوز : خمسون درهماً ، أو مائة بليون .

وعلى المائة من أشجار الجنات : الليم بأنواعه ، وكذا النخيل : خمسة وعشرون درهماً ، أو خمسون بليوناً .

وعلى المائة من بقية الأشجار المثمرة ، ومنها الصيفية والخرفية والدالية : إثنا عشر درهماً ونصف ، أو خمسة وعشرون بليوناً * .

الفصل الخامس

الحراثة في بلادها أو في الأرضين بين الأشجار . يعطى عليها باعتبار أزواج الحرث :

فعلى كل زوجة من الإبل والخيل والبغال : مائة درهم ، أو مائتا بليون .

وعلى كل زوجة من البقر : خمسون درهماً ، أو مائة بليون .

وعلى كل زوجة من الحمير : خمسة وعشرون درهماً ، أو خمسون بليوناً .

ومن كانت له حراثة بفرد أو بثالة المكينة ونحوها : يكون عطاؤه على نسبة ما تحرثه الأزواج المذكورة * .

---

* ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه عام حتى للرعية .
* ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه عام حتى للرعية .
* ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه عام حتى للرعية .

الفصل السادس

المزروعات من البحائر وسواني الحناء وغيرها : تقوم نتيجة ما يحرث منها كل سنة ، ويعطى عليه خمسة في كل مائة * .

الفصل السابع

المرتب للعَطاء السنوي في الفصول أعلاه يستوي فيه جميع الناس من ولاة وغيرهم ، باستثناء أهل الامتيازات والحقوق المقرر(ة) في المعاهدات ، ولا يطالبون بعطاء آخر غيره . عدى الديون التي في ذمم أهل القبائل المراكشية من قبل هذا الترتيب فيتعين أداؤها . وأما ما هو مرتب للعطاء في أسواق البادية والمدن على المبيعات والحافر . يبقى جارياً على ما أسس فيه بمقتضى وفق مدريد ، المنبرم في 24 رجب عام 1297 ، الموافق 13 يليه سنة 1880 * .

الفصل الثامن

جانب المخزن ـ أعزه الله ـ يعين لكل مدينة أو قبيلة أميناً وعدلين لتجديد الإحصاء في كل سنة ، فقبل فاتح شهر فبراير من كل سنة ، يدفع كل واحد من الأجانب وأهل الحمايات والسماسرة لقنصل جنسه تقييداً ببيان ما هو له مما ذكر ، ومن كان منهم متوظفاً في خدمة القنصلية فيدفع تقييداً بذلك لكبيره من نائب أو قنصل ، وهو يدفع في 15 فبراير ما اجتمع لديه من التقاييد بذلك لعامل البلد ، ليوجهها للمكلفين من قبل المخزن ليحققوا ما قيد فيها .

وفي انتهاء أجل قدره أربعة أشهر من يوم توجيه التقاييد للعامل : يوجه له المكلفون تقييد كل شخص من المذكورين بنمرته ، وتاريخه ، مذكور فيه إسمه ،

---

* ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه عام حتى للرعية .

* ـ علق هنا : هذا الفصل حكمه عام حتى للرعية ، نعم تختص الرعية بشيء آخر : وهو زيادة أداء خمسة في المائة على الواجب الذي تضمنته بطاقة الإحصاء ، وذلك في مقابلة أجور المكلفين بالقبض .

ومحل سكناه ، وعدد ماله من الأشياء المقدر عليها ، وما وجب عليه فيها بعلامة الأمين والعدلين ، ويبقى مثله في الكناش عندهم .

ثم إن عامل البلد ـ بعد طبعه على التقاييد ـ يوجه لكل قنصل تقييد كل من هو إلى نظره ، وبعد إمضائه التقاييد يمكن أربابها منها ، ليؤدوا واجبها على يد القنصل في نحو 15 ينيه من كل سنة قبل العنصرة .

وبعد الأداء على يد العامل وتوصل الأمين بالواجب : يعلم هو والعدلان على كل تقييد بأن صاحبه أدى الواجب عليه في تاريخ كذا ، ويردها للعامل ليتوصل بها أربابها على يد القناصل .

الفصل التاسع

كل من أخفى شيئاً ولم يظهره حين الإحصاء ، ثم تبين عليه بالبحث الذي يجعله جانب المخزن الكاشف عن تحقيقه ، فإنه يضاعف عليه القدر المقدر فيما أخفاه ، وإن عاد للإخفاء يضاعف عليه مجموع ذلك ثانياً .

الفصل العاشر

إذا وقع خلاف مع أحد من رعية الأجانب أو ممن في حمايتهم في الإحصاءات ، يعين من المدينة القريبة من المحل الواقع فيه الخلاف شخصان : أحدهما من قبل العامل ، والآخر من قبل قنصل المنازع ، ويتوجهان لتحقيق الواقع ، فإذا تبين الحق لجانب المخزن فالمنازع هو الذي يؤدي صوائر خروجهما من أجور وكراء ، وإن كان الحق للمنازع فالمخزن يؤدي ذلك .

وأما إن وقع الخلاف فيما أحصى على القناصل الذين يتعاطون الكسيبة أو الفلاحة ، فتوجه بطائق الإحصاء لكبيرة من نائب أو قنصل ، ليجري في تحقيق ذلك مجرى غيرهم .

نعم : يتعين تقديم الإعلام على يد العامل للقنصل بالخلاف الواقع فيما

أحصى على الملتزمين بالأداء من أي صنف كانوا ، قبل انتهاء الأجل المذكور في الفصل الثامن ، وإن تأخر الإعلام حتى انصرم الأجل فإنه لا يقبل كلام في ذلك . ولا يؤدي المنازع إلا ما قدره في تقييده المدفوع للعامل .

كما أن من لم يأت تقييده للمكلفين المذكورين عن أداء الواجبات عليه في وقتها المبين في الفصل الثامن ، ولزم إجراء القوة الجبرية عليه ، فقنصله ـ فقط ـ هو يلزمه بالأداء .

وإن كان إثنان فأكثر من أجناس مختلفة مشتركين في الكسيبة أو في الفلاحة ، وامتنعوا من أداء واجبها أو الذعائر حسبما بالفصل التاسع : فلكل قنصل أن يعين وكيلاً لإلزامهم بالأداء .

وليس للقناصل أن يقبضوا شيئاً على الإعانات ، مما تقتضيه التعريفات القنصلية في الداخل لجانب المخزن على يدهم .

الفصل الحادي عشر

إن وقع اختلاف في إجراء هذا الضابط ، فلا بد من حسم مادته على يد الأمين المكلف بالإحصاء ويد القنصل * .

---

* ـ علق هنا : هذا الفصل خاص بالأجانب وأهل الحمايات .

ـ سجل وثائق خ . م 451 ص 252 : ورقة ملحقة .

ملحق 21

قانون تنظيم الجباية الجمركية بالمراسي
وشؤون أخرى

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين . وعلى آله وصحبه أجمعين .

هذا تقييد يشتمل ـ بحول الله ـ على كيفية خدمة الأمناء بالمراسي السعيدة . بوجود مولانا أدام الله عزه ونصره مدا الأيام . ورتب على فصول .

الفصل الأول

تكون للديوانة مفاتيح بعدد الأمناء : عند كل أمين مفتاح . ولا تفتح إلا بمحضر الكل والعدول . وإن وقع عذر لأحد الأمناء والعدول يقيم من ينوب عنه فيما كلف به .

والعدول حسبهم التقييد ومعاينة الداخل والخارج والصائر . والإطلاع على المكاتب الشريفة والأجوبة عنها ، وغير ذلك مما يرجع لضبط الكنانيش .

الفصل الثاني

عند دخول الأمناء للخدمة بالمراسي يحوزون من الأمناء قبلهم ما يجدونه بها على يدهم : فما كان منه لجانب المخزن يكون بتقييد خاص : ما هو بالعد فليعد ، وما هو بالوزن فليوزن ، وما كان من السلعة لجانب التجار يكون له تقييد خاص : يبين فيه عدد القطع وأسمها وماركتها ونمرها ومع أي بابور وردت لتكون على عمل المنفشط ، ويكون هذا أول العمل عندهم ، وبه تبرأ ذمة من قبلهم ، ثم يوجهون نسخة مما حازوه من أمور المخزن إلى الحضرة الشريفة ، ويدفعون نسخة مما حازوه من سلعة التجار لأمين الداخل بالمرسي ، والنسختان بشهادة عدول

المرسي ، بعد إثبات جميع المحوز في آخر كناشي الأمناء قبلهم : الوارد أحدهم للأعتاب الشريفة ، والآخر الأمين المكلف .

الفصل الثالث

إذا ورد بابور أو مركب يدفع رئيسه لأمناء الديوانة منفشط الوضع التي تنزل منه . وقد جعل على مقتضى الوفق فيه أجل توسعة أربع وعشرون ساعة من وصوله . ويدفع المنفشط الأصلي . وكذا منفشط السلعة التي توسق : يدفعه في الأربع والعشرين ساعة مطبوعاً بطابع قنصل جنسه بتلك المرسي .

ولمنع ما يقع من الغلط في عدد قطع السلعة عند وسقهـا أو وضعها : يكون رئيس البابور أو المركب يدفع لكبير القارب أو كبير الفلوكة ريسبو فيها بيان عدد القطع المحمولة إليه من سلع الوسق ، وأما سلع الوضع من المركب أو البابور للمرسي . فيجعل رئيس البابور أو المركب بطاقتين بما حمله كبير القارب أو الفلوكة منه للمرسي يعلم كل منهما عليهما ، ويحوز أحدهما إحداهما . ويحوز الآخر الأخرى .

الفصل الرابع

لما يحوز أمناء الديوانة منفشط الوضع والوسق من رئيسه : يدفعونه ـ على الفور ـ لأمين الداخل بها . فيترجمه بالعربي . ويكتب عليه تعريبه . ويأخذ منه منه نسخة باللفظ ويرده لهم .

وأما بطائق كبراء القوارب أو الفلائك بما حملوه كل يوم من عدد القطع : فيحوزها رئيس المرسي منهم في يومها ، فإن كانت بطائق المحمول من المرسي للبحر من قطع الوسق فيدفعها على الفور لأمين الداخل بها ، ولا يبيتها عنده . وإن كانت بطائق المحمول من البحر للمرسي من قطع الوضع فيدفعها له ـ أيضاً ـ بعد أن يعلم أمناء الديوانة على كل بطاقة أنه وصل للمرسي ما فيها من عدد القطع .

الفصل الخامس

يعين الأمناء واحداً منهم أو من ينوب عنهم يطلع للمركب أو البابور ساعة وصوله وساعة خروجه ، ليبحثوا عن الكنطربانض ، ثم يجعلون فيه وردية ثقة عند الوضع وعند الوسق ، كما يقيم الأمناء ساعة نزول السلعة من البحر من يقيد على ظهر القطع الموضوعة بفور نزولها : إسم البابور أو المركب الواردة معه وتاريخ وروده ، لتعرف كل قطعة ـ عند التعشير ـ مع أي بابور أو مركب وردت .

الفصل السادس

إدخال السلع للخزين بفور نزولها من القوارب ، مع رد بال الأمناء لما يقع فيها من الضياع بين الخَدَمَة والبحرية ، ومن ظهرت عليه خيانة من الفريقين يعاقب ولا يعود للخدمة .

وتعلق بهذا الفصل والذي قبله : النظر في أمور المرسى من جميع ما تحتاج إليه من القوارب والمجاديف والكمن وغير ذلك مما تعذر الخدمة بفقده ، بحيث يكون العدد الكافي من القوارب بالمرسي دائماً ، مع زيادة إقامة أربعة قوارب من عود وغيره تحت اليد احتياطاً ، وكلما أخذ منها شيء احتيج إليه يعوض على الفور .

والنظر أيضاً في أمر البحرية والخَدَمَة بالوقوف على أجورهم حتى يتوصل كل بنصيبه ، ولا يسهم لأحد معهم . هذا من حيث الأجور .

وأما البحرية من حيث الخدمة فالنظر فيهم للرئيس ، والكلام في الخدمة معه لا معهم ، كما أن أمر العسة ـ ليلية أو نهارية ـ موكول إلى نظر العامل ، إلا في أجورهم فيدفعها لهم الأمناء يداً بيد ، وتكون تبدل في آخر كل شهر ولا تزيد عليه ، وأما أمر ورديانات المرسي فالنظر للأمناء فقط ، لا لغيرهم .

الفصل السابع

لا يخرج السلعة من الديوانة إلا من أتى لأمنيها بالبليسة في اسمه ومسلمة له بعلامة

صاحبها . ليعرف الأمينان عدد قطع سلعته وماركتها وغيرها ، ثم يوجهان تلك البليسة لأمين الداخل : يأخذ منها نسخة بكناشة ، ويضع عليها علامته ، ثم يردها لهم . وهما يردانها لصاحبها ، بعد أن يعشروا له ما فيها ، ويعلم هو أو صاحبها باسمه على أنه حاز ما فيها .

الفصل الثامن

من جلب شيئاً من السلع للجانب العالي بالله يحوزها الأمناء منه أو من نائبه على شدها ، ويطبعون عليها بمحضره ، ثم يوجهونها لشريف الحضرة ، ويقيدونها في حساب شهرها بعد ختمه وإمضائه على حدتها باسم من وردت على يده ، وعدد قطعها ونمرها ووزنها ، ويكتب عليها في المنفشط أنها وردت لجانب المخزن على يد فلان ، ويكتبون بطاقة بها لأمين الداخل .

الفصل التاسع

ما يرد من حوائج نواب الأجناس الذين لا يتجرون ، يدفع صاحبها خط يده بما ورد له ، ويخرج من غير أعشار ، وفق الشرط معهم فيه ، ويقيد جميع ما أخرج لكل منهم في شهر إخراجه بعد ختم حسابه كذلك : قطعاً وغيرها ، ويكتبون عليها في المنفشط ـ أيضاً ـ أنها إن وردت لفلان وفلان ، ويدفعون خطوط أيدي أصحابها لأمين الداخل يأخذ نسخة منها ويردها لهم ، فيحفظونها إلى أن تدفع مع المنفشطوات .

الفصل العاشر

عند فتح السلعة بقصد التعشير يكون الأمناء على بال من عد ما بداخل الفرود ، لما يقع من إخفاء سباني الحرير ونحوها في داخل بسات الملف ، ومن جعل شقتين طي شقة واحدة ، ومن المقيد على بسات الملف وغيره من عدد البرضات أو المطر ناقصاً عما هو فيها .

وعلى بال من أثمان السلع المعشرات ، ليقع التعشير على حسب ما تساويه في الوقت ، مع وجوب المساواة بين التجار في التقويم ، ومن لم يقبل ذلك التقويم وطلب دفع عشر السلعة من عينها يحوزه الأمين مساعدة له . ويقيدون واجب تقويمه في محله ، ويبيعون ما حازوه فيه على ذمتهم .

وعلى بال من تعشير الملف والتوبيت ونحوهما باليرضات أو المطر . لا بالقالة . ومن وزن ما يوزن موسوقاً كان أو موضوعاً إن كان قليلاً . وإن كان كثيراً فيكتفى بوزن عشره يوخد مما يظهر لهم من وسطه أو غيره .

ولا يعشر الأمناء من سلع الوسق إلا ما هو حاضر منها بين أيديهم . ولا يقيسون وزن ما حضر منها على ما يأتي بعده ، بل يعشرون كلا على حدته . بعد حضوره ومعاينته .

الفصل الحادي عاشر

السلعة الواردة من بر النصارى مثل البراميل وشبهها : يفتح منها عند التعشير نحو عشرها ، والنظر فيما يفتح منها للأمناء ، وإن كانت أبازير وشبهها تسفد . وقطع الخردة تفرغ عن آخرها ، ولا يكتفى بما هو مقيد على ظهرها .

الفصل الثاني عشر

ما يعثر عليه عند التعشير من الممنوع جلبه : مثل السلاح والبارود وملحه والكبريت والرصاص ، وغير ذلك من آلات الحرب والأفيون : يحوزه الأمناء لجانب المخزن أعزه الله . موسوقاً كان أو موضوعاً . ويطلعون العلم الشريف به . مع بيان وزنه وعدده .

وكذلك ما يقبضه الوردیانات والعسس من الكطربانض بغير الديوانة من الممنوعات المذكورة وغير الممنوع : فيحاز لجانب المخزن . ويعطى لقابضه ربع قيمته إن كان ممنوعاً ، وربع ثمنه إن كان غير ممنوع ، ويعلمون به أيضاً .

الفصل الثالث عشر

يكون الأمناء يحوزون مستفاد المرجان الذي تصطاده المراكب على يد الجانب العالي بالله هناك : بحساب مائة وخمسين ريالاً في العام لكل مركب ، وفق الشرط الستين مع الاسبنيول .

الفصل الرابع عشر

ما يعشر الأمناء في اليوم يقيده كل واحد من العدلين بتقيدته ساعة تعشيره . وعند ختم اليومية ومقابلة كل واحدة من تقييدتهما بالأخرى يعلم عليهما كل من العدلين بنصف علامة ، فيدفع الأمناء إحداهما ـ بعينها لا نسخة منها ـ لأمين الداخل ، وإن لم يبيتوها عنده فلا يقبلها منهم في الغد ، ويبقون الأخرى عندهم . يكتبون منها نسخ الحساب الذي يوجهونه لشريف الحضرة وللأمين المكلف لا غير . ولا يتركون منها بالديوانة نظيراً .

الفصل الخامس عشر

كل من عشر له الأمناء من سلعة الوسق أو الوضع يعطون بطاقة ـ ببيان ما عشروا له قليلاً أو كثيراً : مثل ما في اليومية بلفظها وتاريخها ، وتكون بعلامتهم ـ لأمين القبض ، فيأخذ نسخة منها ، ويقبض واجبها من صاحبها ، ويدفعها له بعد وضع علامته ـ أيضاً ـ عليها : على أنه توصل بما فيها .

الفصل السادس عشر

يكون الأمناء يجمعون مدخول كل أسبوع عند انتهائه : مفصلاً في أيامه على ضلعين : أحدهما الداخل الموضوع . والآخر الداخل الموسوق . ولا ينهضون من محل الخدمة في ذلك اليوم حتى يختموا كتابه ، ويدفعونه لأمين الداخل ببطاقتهم

له ويجيبهم عنها بوصوله ، وإن لم يدفعوه له في اليوم الآخر منه فلا يقبله منهم بعد ويعلم ، ولما يحوزه يوجهه بُوسطى المخزن أعزه الله .

الفصل السابع عشر

تقييد حساب المعشرات وضعاً ووسقاً كل شهر عربي :

فيذكر بعد نص الافتتاح : إسم أول يوم الشهر ، ويسمى الشهر والعام ، وموافقه من العجمي ، ثم تاريخ كذا أخرج فلان ما ورد له مع البابور أو المركب الفلاني ، بتاريخ كذا ، وبرسم في أضلاع : أولها لعدد القطع ، والثاني لنمرها ، ثم إن كانت مما يعشر بالوزن فالثالث لوزنها بالطارة ، والرابع لوزنها صافياً ، وإن كانت مما يعشر بالعد ، فالخامس لعدد ما بداخلها ، والسادس للسوم بحساب البليون ، والسابع للواجب ، ويقيد حساب الموضوع على حدته متتابعاً بأيامه في الشهر كله ، ويجمع بليونه ويرد ريالاً ، ويليه حساب الموسوق على حدته كذلك ، وبرد بليونه ـ أيضاً ـ ريالاً ، ويجمعان ، ويضاف لجمعها ما تحصل في المخاطف وغيرها مفصلاً .

الفصل الثامن عشر

كيفية تقييد الصائر بالكناش :

يكتب بعد الحمد له ما نصه : بيان ما صيره الأمينان فلان وفلان ، ويذكر اسم اليوم الأول من الشهر المصير فيه ، وعدد أيامه ، وعام تاريخه ، ثم يجعل الصائر مرتباً في تراجم : كل جنس منه في ترجمة خاصة به .

ويصدر بترجمة المؤن اليومية مفصلة ، مقدماً منها الأكد فالأكد ، إلى أن يكمل صائر المؤن في اليوم الأول ، ثم يضرب المجتمع من ذلك في عدد أيام الشهر ، وتضع خارج الضرب في ضلع الواجب .

وتليها ترجمة الرواتب الشهرية مفصلة على الترتيب المذكور ، ويضع ما تجمل

فيها بمحله تحت جميع المؤن .

ثم ترجمة كراء الدور المنفذة مفصلة كذلك .

ثم ترجمة الحوادث : يصدر منها بعمل المنجرة ملخصاً : بذكر العود المشترى في جميع الشهر ، وإقامة الحديد وما يلحق بها ، مفصلاً جميع ذلك ثمناً ومثمنا : بذكر عدد المعلمين على مراتبهم . وعدد أيام خدمتهم في الشهر . وما يعطى كل منهم في الشهر عن كل يوم ، ويخرج جميع ذلك إلى محله . وكل ما يشترى من المجاذيف وشبهها مما يرجع لخدمة القوارب : يصير في ترجمة المنجرة . ليكون صائر القوارب مجموعاً في ترجمته الخاصة به .

ثم تليها ترجمة البناءات الجديدة : مبيناً ما تصير في كل محل منها على الترتيب المتقدم .

وبعدها ترجمة بناءات الإصلاح على التفصيل المذكور .

ثم ترجمة الوفر الموجه للحضرة الشريفة ، وما تصير على حمله من كراء وغيره .

ثم ترجمة صائر الخيل والمخازنية الواردين من الحضرة الشريفة ، ويتعرض ما وردوا لأجله ، وفي هذه الترجمة تصير أجرة الرقاقيص الموجهة للحضرة الشريفة وغيرها ، مبيناً سبب توجيهها .

ثم ترجمة صائر ما يتوقف عليه من القبض : من كنانيش وكاغد ومداد ولك وأجرة رقاص أن احتاجه ، ورقاص الحساب الذي ينهض على يده ، وغير ذلك مما يعرض .

ثم ترجمة الشعير والتبن المشترين لبهائم المخزن ، مع ما يحدث من صائر الجنات مبيناً ، وفي هذه الترجمة تصير زيت الأبراج إن لم يكن في الأبراج صائر غيرها ، وإلا فتصير في ترجمة صائر الأبراج الخاصة بها .

ثم ترجمة الكسوة مفصلة بذكر أنواعها . ثم يفصل ما دخل في الكسوة الواحدة من الملف والإقامة وأجرة الخياطة ، ويضرب واجبها في عدد نوعها ، وما خرج

في ذلك يضعه بمحله في ضلع المجموع ، وهكذا إلى آخر ما عنده من أنواع الصائر .

والمقصود أن يكون لكل نوع منها ترجمته تخصه على الترتيب المذكور ، ثم لا يحتاج إلى تلخيص الصائر ، لأن هذا الترتيب هو عين التلخيص ، كما لا يحتاج في الشهر الذي يليه إلى تفصيل المؤن ، بل يقتصر منها على مجموع أيام الشهر قبله . فإن حدثت فيها زيادة أو نقصان نبه على ذلك في تاريخه : بأن يقول بزيادة كذا أو نقص كذا بسبب مغيب فلان أو مئونة . وما تجمل في الشهر كله من المئون يخرج به إلى ضلع المجموع ، وكذلك يكون عمله في الرواتب وكراء الدور المنفذة ، ولا يحتاج إلى تفصيلها إلا في الشهر الأول من عدة خدمة الأمينين ، وبعد ذلك ينبه على ما وقع فيها من الزيادة أو النقصان كما تقدم ، وبعد انسلاخ الشهر يرد مجموع الصائر ريالاً بحسب ما يروج به في الوقت ، ولا يحدث صائر إلا بأمر مولوي ، إلا إن كان يلحق من تأخيره ضرر فيشرع فيه ويطالع به العلم الشريف أسماه الله ، وجميع ما يتوقفون عليه من الدراهم لذلك يخرجون به البطائق على أمين القبض من أول الشهر إلى انسلاخه ، فيجمعون معه ما في تلك البطائق ويحوزونها ، ويكمل لهم عليها ما يفضل له من داخل ذلك الشهر ، ويحوز خط يدهم بمجموعه في كناشة .

التاسع عشر

يكون الأمناء عند انتهاء كل شهر يوجهون لشريف الحضرة وللأمين المكلف مضمن الداخل في الشهر ، بعد زيادة جملة المضافات عليه ورده ريالاً ، وكذا مضمن الصائر فيه بعد رده ريالاً أيضاً ، في كتاب مختوم يدفعونه لأمين الداخل يوم الثالث أو الرابع من الشهر الذي يليه . وهو يوجهه على يده في بوسطي المخزن أعزه الله ، وبعد ذلك يوجهون حساب الداخل والصائر مفصلاً على الترتيب المتقدم مختوماً ، مع كتابهم به على يد أمين الداخل أيضاً ، ويكتبون نظيره في كناشين ، وعند فراغهم من الخدمة يوجهون أحدهما ـ مع ما يتعلق به ـ لشريف الحضرة ، والآخر للأمين المكلف ، وكناش ثالث يقيدون فيه تفصيل الصائر فقط ، يتركونه بالديوانة لمن بعدهم .

الفصل العشرون

السلع الموسوقة من بعض المراسي إلى أخرى من المراسي السعيدة : يتخذ لتقييدها كناش خاص يقيد فيه إسم السلعة ، والنمر الذي عليها ، والميزان ، وإسم صاحبها ، واسم البابور الموسوقة معه ، وتدفع لصاحبها بطاقة مقيد بها ما ذكر بخط أحد العدلين وعلامة الأمينين معاً ، وإن كانت مما يجب فيها الأعشار فيحاز الواجب في أعشارها وثيقة ، ويضرب لصاحبها أجل بقدر ما يأتي فيه بجواب الأمناء بوصول تلك السلعة إلى المرسي الموجهة إليها ، بحيث إذا انصرم الأجل ولم يأت بجواب الوصول فيعمر ما حيز منه في جملة الداخل في الأعشار ، ولا يقبل من صاحبها كلام بعد ذلك .

الفصل الحادي والعشرون

تفقد الميزان بالمسح وإبدال الوزان كلما أبدل الأمناء ، ورد بالهم له ، بحيث لا يضيع جانب المخزن ولا يتضرر التاجر ، وإن صدر منه خِلَل خدمتهم ما لا يليق يبدل أيضاً .

الفصل الثاني والعشرون

أنواع الحبوب التي توسق : يحضر الأمناء في كل عام من غلتها فيه بقصد اختبار وزن فنكْة ، فيوزن من كل نوع منها ملء فنكْة محققة بمحضر جمع من التجار بتلك المرسي ، ومعاينة عدولها ، ويعملون موجباً بذالك بثبوته بعلامتهم بكناش خدمتهم ، وتكون نسبة الفنكْة منه عند وسقه على مقتضى الموزون فيها في ذلك العام ، إلى أن تختبر قطاني العام الذي يليه فيثبت اختبارها فيه بموجبه أيضاً ، وافق الذي قبله أو خالفه .

الفصل الثالث والعشرون

ما بخزائن المخزن من أمور المخزن ومن سلعة التجار : كل ذلك في عهدة

الأمناء ، لا يستقل به واحدهم دون الآخر .

الفصل الرابع والعشرون

لا يتعاطى الأمناء التجارة بالمرسي المستخدمين بها ، ومن ثبت عليه شيء من ذلك يعاقب ويبدل فوراً ، ولا يستعملون أصحابهم في شيء مما يرجع لخدمة المرسي .

الفصل الخامس والعشرون

يكون الأمناء على بال عند وسق البيض والدجاج ومسالين اللحم والبقر ، فيبينون في البيض عدد سلله وصناديقه كل يوم لمن هي ووزنها ، وسلل الدجاج ومسالين اللحم ، وبيان التيران ، وبطائق النواب بتسريحهما : يدفعونها لأمين القبض يأخذ نسخة منها ويردها لهم .

الفصل السادس والعشرون

زيت الكاز والوقيد وفحم الحجر وما أشبه ذلك من الأمور النارية : بمجرد نزولها من البابور أو المركب يحوزها صاحبها ، ولا يبقيها بالمرسي ، ولا يدخلها للخزين بها ، ومن سكت من الأمناء عن شيء من ذلك حتى أدى إلى ضرر فيكون عليه درك ما ضاع بسبب ذلك .

الفصل السابع والعشرون

الرباع والجنات وغيرهما من أملاك الجانب العالي بالله يجب على الأمناء رد البال إليها ، فما يكرى منها أو تباع غلته . ويكون ذلك بسكة الريال . ولا يعقد فيه الكراء أكثر من سنة . ولا يحدث المكتري بها شيئاً من بناء أو غيره إلا بأمر مولوي . وما يكتري منها مشاهرة يقبض كراءه عند انسلاخ الشهر . وما كان منها مسانهة فيقبض كراءه عند تمام السنة . ومن أخر شيئاً من الكراء عن وقت قبضه فيكون دركه عليه .

الفصل الثامن والعشرون

المكاتب الشريفة الواردة على الأمناء بقصد تنفيذ مضمنها ، وكذلك أجوبة وصول الوفر الموجه لشريف الحضرة وشبه ذلك مما فيه براءة الذمة : ينسخ كلما ورد منها في كل شهر أمام صائره ، ويقيد جميع لفظ المنتسخ منه ، ويكون ذلك بخط يد عدلي المرسي وعلامتهما ليكون حجة ، وأما الأمور الداخلة للخزائن والخارجة مما لا ترجع إلى الصائر . فمكاتب تنفيذها تنسخ بتأخر كناش الخدمة .

الفصل التاسع والعشرون

العمل في خبز الأسجان : أن يعين الأمناء رجلا ثقة ينوب عنهم في الحضور كل يوم بالسجن ، حتى يتوصل كل واحد من مساجين عمال البوادي بالخبزتين المنفدتين له في كل يوم ، وعند انتهاء الشهر يحضر معه نائب عامل البلد وعدلان من قبل القاضي ، ثم يقع تسراد هؤلاء المساجين بمحضرهم ، وينظرون من هو مضطر فيهم إلى الكسوة فينفد له منها ما يستر به عورته ، ويحسب ذلك على عامله ، زيادة على ما يترتب عليه في صائر خبز مساجين إيالته ، وبعد تمام مدة خدمة الأمناء يجمعون صائر الخبز في المدة كلها ، مع زيادة صائر الأجور ، ويقسمون ذلك على عدد الخبز الخارج من يدهم ، حتى يعلمون ما ينوب الخبزة الواحدة ، ثم يقيدون ذلك في آخر كناش خدمتهم ، ويرتبون حسابه على ستة أضلاع :

الأول اسم العمال .
الثاني مساجين إيالتهم .
الثالث عدد الخبز المنفذ لهم .
الرابع الواجب في ثمن الخبز .
الخامس واجب الكسوة .
السادس مجموع الواجب من ذلك على كل عامل .

وجميع ما تصير في ذلك يردونه ريالاً ، ويصيرونه في آخر خدمتهم ، ويطلعون العلم الشريف بمضمنه ، ليأمر ـ أيده الله ـ بقبض ذلك من العمال .

الفصل الثلاثون

جميع ما يوجهه العمال من الحبوب التي للجانب الشريف بقصد وسقها على يد أمناء المرسي . فينبغى أن يتخذوا لها كناشاً خاصاً يقيدون في أوله نسخة من الكتاب الشريف المأمور فيه بقبض ما على كل عامل ، وبعده عدد الحبوب المحوزة من العمال ، ثم كيفية وسقها ، ولأي محل توجهت ، وبيد من ، ويتحفظ على أجوبة وصولها ، فربما يحتاج إليها ، وعند انتهاء خدمتهم يلخصون ذلك كله ، ويقيدونه بآخر كناشهم الذي يوجهونه للأعتاب الشريفة ، وكذا ما يوجهه العمال من المئون بقصد المحلة السعيدة وقت حلول سيدنا ومروره المبارك ببعض المراسي ، يثبتون ذلك كله مفصلاً في آخر الكناش المذكور .

الفصل الحادي والثلاثون

الأمور الجهادية تكون عند الأمناء من أهم الأمور :

ومن الاعتناء بها أن يتخذو لها كناشاً خاصاً ، يقيدون فيه كل برج باسمه ، وما اشتمل عليه من أنواع المدافع : بفرمتها ، وعدد كورها ، وإقامتها ، وما هو منها خارج الأبراج بالمحل الذي يعبرون عنه بأشبارات . وكذا ما في الأبواب والخزائن ، وما افتقر منها إلى الإصلاح يطلعون به العلم أسماه الله ، ثم يقيدون جميع ما في الخزائن من السلاح مفصلا ، وكذا البارود ، بحيث لا يهملون تقييد شيء من ذلك ، وما زاده مولانا ـ المؤيد بالله ـ بالأبراج والخزائن من المدافع وغيرها : يقيدون ذلك كله وقت دخوله ، وإن نفذ ـ دام علاه ـ شيئاً منها : يقيدون وقت تنفيذه ، ويبقى هذا الكناش محفوظاً بالمرسي ، ويدفعه الأمناء لمن بعدهم بعد التنبيه عليه .

وهذا الفصل تعلق به رد البال للأمور الحربية كالسلاح والكبريت وملحه الممنوع جلبها إلا بالأمر المولوي أسماه الله . وقد تقدم حكم ما يعثر عليه من ذلك في الفصل الثاني عشر .

الفصل الثاني والثلاثون

العذائر السعيدة القريبة من بعض المرسي : يكون الأمناء منها على بال ، وفي كل ستة أشهر يخرج أحد الأمناء أو نائبهم صحبة عدلين من قبل القاضي ، فيحضرون مع المكلف بالعذير لتسراد جميع ما اشتمل عليه من الخيل والبغال والبقر وغيرها ، بعد وصفها ، وطبع ما يناسب طبعه ، ويتخذ الأمناء لذلك كناشاً خاصاً يقيدون فيه أصلها في العذائر ، وما خرج منه ، وما تحصل من النتاج في مدة ما بين التسراد الأول والذي بعده . وإن ضاع منها شيء يوتي بجلده . وفي محرم اللحم يوتي بموجبه . ويضبطون أمر مدخول الإدام بعد اختباره على الوجه المتعارف في ذلك ، وبعد إحصاء ما في العذائر يطلعون به العلم الشريف أسماه الله ، ثم إذا كملت مدة خدمة الأمناء بالمرسي : يقيدون في آخر كناشهم الذي يوجهون : عدد ما تحصل في التسراد الأخير من مدة خدمتهم ، ويبقى كناش العذير بالمرسي .

الفصل الثالث والثلاثون

عند تمام خدمة الأمناء ودفعهم ما يدفع لمن بعدهم من أمور المخزن حسبما تقدم في الفصل الثاني : يقيدون بآخر كناش خدمتهم الذي يوجهونه لشريف الحضرة ، وبنظيره الذي يوجهونه للأمين المكلف : جميع ما دفعوه من كبريت وخفيف وبارود وغير ذلك : مفصلاً على ثلاثة أضلاع :

الأول الأصل المحوز من الأمناء قبلهم .
الثاني ما خرج من ذلك على يدهم في مدة خدمتهم .
الثالث الباقي وهو المدفوع للأمناء بعدهم .

كما يقيدون بآخر كل منهما ـ أيضاً ـ ما لجانب المخزن من مال السلف والديون القديمة على ثلاثة أضلاع أيضاً : الأصل ، والمقبوض منه في مدتهم ، والباقي ، وكذلك سائر أمور المخزن التي على يدهم بالديوانة ، وكذا سلعة التجار التي لا زالت لم تعشر : مبينة كما بالفصل الثاني ، ونظير ذلك يقيدونه بكناش صائر خدمتهم الذي يبقى بالديوانة .

الفصل الرابع والثلاثون

الأمناء والعدول بعد إعفائهم من الخدمة لا يسافر واحد منهم لبلده حتى يستكمل جمع العمل فيما كلف به ، ويثبته بمحله على الترتيب المتقدم ، ولا يتركون ديناً من مدة خدمتهم ، وإن تركوه فلا يقبله الأمناء المستخدمون بعدهم ، وبعد انتهاء عملهم بالمرسي ينهضون نائباً عن جميعهم بالوفر الباقي من خدمتهم ، وبكناش خدمتهم . مع أصول المنفشطوات . بعد تجريد عددها وتواريخها فيه . وبطائق النواب بما أخرج لهم من حوائجهم ، وبطائق وسق التيران ، وكناش الوسق من مرسي خدمتهم إلى أخرى من مراسي الغرب ، مع بطائق الوسق الذي يرد عليهم من المراسي المذكورة : كل ذلك لشريف الحضرة : وبنظير كناش خدمتهم ، وكناش الوسق من مرسي خدمتهم إلى أخرى ، ونسخ بطائق ما يرد عليهم من المراسي المذكورة : للأمين المكلف ، ويكون تقويم الموجه المذكور بذلك ذهاباً وإياباً آخر ما يصيرون ، ويتوجه كل منهم لمحله بسلام .

(تقدير الأجور التي تحاز كل شهر لمن يذكر)

فلأميني التعشير : مائة وخمسون ريالاً للواحد	0150
وللعدلين معهما : خمسة وسبعون ريالاً للواحد	0075
وللناسخين لهم عشرون ريالاً للواحد	0020
ولأمين القبض : مائة وخمسون ريالاً أيضاً	0150
وللعدل معه : خمسة وسبعون ريالاً كذلك	0075
ولناسخ معه عشرون ريالاً	0020
ولترجمان المنفشط وغيره : ثلاثون ريالاً	0030
ولرئيس المرسى خمسة عشر ريالاً	0015
ولخليفته سبعة ريال	00007

في خزانة خاصة .

ملحق 22

رسالة عزيزية بشأن مساهمة أبناء قبيلة عبدة في العسكر النظامي

خديمنا الأرضي : القائد عيسى بن عمر العبدي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فهذه مدة منذ أصدرنا أمرنا الشريف لقبيلة إخوانك : خدامنا عبدة بفرض العدد الذي بيناه لهم من أبناء قبيلتهم الأصحاء ، الرجال الأقوياء ، وهو خمس عشرةماية نفر تامة كاملة ، مطابقة كلها للوصف المقرر لهم ، بقصد استخدامهم في عسكرنا السعيد ، وتنظيم جميعهم على ضابطه المؤسس الحميد ، وأمرناك ـ أنت ـ بحوز العدد المذكور منهم ، وتوجيهه ـ فوراً ـ لحضرتنا العالية بالله .

وقد طال الانتظار والتشوف إلى وصوله كله ، فلم يصل منه لأعتابنا الشريفة ـ مع هذه المدة الطويلة ـ إلا إحدى عشرة مائة ، فبقي يخصك أربعمائة .

وبوصول هذا إليك نأمرك بالقيام على ساق الجد بتوجيه الخاص المذكور ـ فوراً ـ من غير تأخير ولا توان .

والسلام ، في 28 جمادي الثانية عام 1320 .

. من وثائق الأستاذ العميد مصطفى الشابي .

ملحق 23
رسالة عزيزية بشأن مساهمة الجيش السوسي في العسكر النظامي

وصيفنا الأرضي : الباشا العربي بن فرجي وأعيان الجيش السوسي بفاس العليا ، وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فقد علمتم أنكم من أخص جيوشنا السعيدة ، ومن جناح المخزن قديماً وحديثاً ، إذ المدار عليكم وعلى أمثالكم من جيوشنا ـ الموفرة بالله ـ في الخدمة والنصيحة ، وتعيين فرض العسكر والمسخرين لحفظ النظام المخزني ، وصيانة ضابطه السني .

واقتضى نظرنا ـ الشريف ـ تأسيس العمل بتقرير أصالتكم في الاعتبار ، وإبقائكم مركزاً معتمداً في التنظيم الذي عليه المدار .

فنأمركم أن تقوموا على ساق الجد في فرض عسكركم الذي قدره ثلاثمائة ، وفرض المسخرين 500 ، وانتخابهم من ذوي الأوصاف المطلوبة في الخدمة : قدرة وحزماً وسلامة أعضاء .

وقصدنا بإحياء هذا التنظيم المبارك : أن يبقى عند المخزن أصلاً مؤصلاً ، وضابطاً محصلاً ، وتدوموا به عمدة قوية ، وركناً من الأركان المخزنية ؛ بحيث تكون القبائل النائبة كلها لا تعد إلا إضافة عليكم في التأسيسات النظامية ، والتصريفات الإمامية ، رعياً لمكانتكم القديمة ، وملاحظة لخدمتكم الصادقة القويمة .

فلتعجلوا بتقديم الفرضين المذكورين على الوصف المذكور ، وإحضار الجميع تام العدد لحضرتنا الشريفة ، ويكون لهم الإعتبار والتمييز في المؤنة ، والحظوة والتقريب ـ بحول الله ـ أكثر مما كانوا قديماً ، أصلحكم الله ورضي عنكم.

والسلام في 24 شوال عام 1321.

محفوظات قسم الوثائق خ . م .

ملحق 24

رسالة من العزيز لتنظيم عملية التنظيف بمدينة العرائش

الحمدلله وحده ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

خديمنا الأرضي ، المحتسب بالعرائش : الحاج الراضي بن الطاهر الحراق . وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد فإن تنظيف البلد من الأزبال والعفونات ، والجيف والقاذورات ، ورفع الأضرار من سائر الطرقات ، أمر متعين شرعاً وطبعاً ، فقد ورد : بني الدين على النظافة ، واتفق الأطباء على أن غالب الأعراض والأمراض من تغير الهواء ، الناشيء عن فاسد الأبخرة المتصاعدة من العفونات ، ولتلك المصلحة جعل له مستفاد يقوم به في كل محل يسمى بالجرجومة ، لاكنه هنالك قد عفى رسمه وبقي إسمه ، وصار إنما بحسب الإمكان ، حيث إن مدخوله صار ضعيفاً كما كان ، فتعين رد الوجهة إليه ، وجعل ضابط يكون المدار عليه في ضبط مدخوله الذي يحصل القيام به ، وصرفه في محله على الوجه الأصلح ، والعمل الأنجح .

وذلك بأن يقدر العطاء على الذبائح الكافي للتنظيف ، فيجعل لكل رأس من الغنم البيضاء بليونان ، ولكل رأس من الغنم السوداء بليون واحد ، ولكل رأس من البقر ثمانية بلايين ، ولكل رأس من الفحول أربعة بلايين ، ولكل رأس من الإبل إثنا عشر بليوناً ، ولكل رأس من أبكارها ستة بلايين ، ويسقط ما عدا ذلك مما يؤخذ مجاناً افتياتاً : كالكوارع والطحال والمخاصي والأمخاخ والمصارين والأنصاب وغيرها ، بل يبقى ذلك لصاحبه يفعل به ما يشاء .

وقد كلفنا بقبض الواجب المذكور أمين المستفاد ثمة ، بعد سمسرة المنفعة المذكورة المدة المعتبرة على تلك النسبة . بمحضره وبمحضر أمناء المرسي ، وامضائها لأخر زائد فيها لمدة من عام واحد ، وهكذا عند تمام كل سنة .

كما كلفناه بالقيام بمصلحة التنظيف على الوجه الذي تحصل به الكفاية هنالك ، بعد أن يتفق معهم ومع العامل على ترتيب العدد الكافي لذلك في كل يوم : من الحمر والقطابة . على أن الحمر تشتري ـ أولاً ـ من المدخول بقصد الخدمة عليها . وصائر الأجور وعلف البهائم وتقويمها : يسقط الجميع من داخل اليوم ، والفاضل يكون يقيده عليه إلى أن يؤمر بالعمل فيه .

كما أمرناه بالقيام على ساق بتنظيف البلد من الأزبال والعفونات وطين المطر بداخل الحومات وأبواب الدور ، كترصيف ما دعت الضرورة إليه من الطرقات ، أو تسويته بالتراب أو عقد الرمل ، ونحو ذلك مما فيه مصلحة عامة ، أو رفع أضرار شاملة .

وأعلمناك بذلك لتشد العضد فيما ذكر لأمين المستفاد المذكور ، ومهما وقع تساهل أو تكاسل في التنظيف أو عفونات بمحل ولم تعلم به ، فإن العهدة تكون عليك .

والسلام ، في 26 جمادي الثانية ، عام 1320 .

من وثائق جائزة الحسن الثاني .

ملحق 25

رسالة من العزيز في موضوع إصلاح وضعية المساجين بسجني فاس الجديد

وصيفنا الأرضي : القائد سعيد بن فرجى ، وفقك الله ، سلام عليك ورحمة الله.

وبعد فإن من جملة المصالح التي تتعين المبادرة إليها ، والإهتمام بأمرها : تفقد الأسجان ، وتعاهدها في كل آن ، وقد اقتضى نظرنا الشريف تعيين أمينين لها ، وهما الطالب إدريس برادة . والطالب محمد بن عبد الجليل ، مع عدلين عارفين خيرين يعينهما القاضيان لهما ، ومع نائبك الذي تعينه للحضور معهم على ذلك ، ليجري معهم على الضابط الذي يذكر في سجني فاس العليا .

وهو أنهم يتخذون كنانيش لتقييد ما افتقر إليه كل سجن من التنظيف من الأزبال والعفونات ، وزيادة الماء الكافي في سقايته وميضأته ، وتقويم مسجده ، ليباشر إصلاح ما يحتاج إليه من ذلك ، وتقييد أشخاص المساجين بأسمائهم وأنسابهم وقبائلهم وعمالهم ، وعلى يد من كان سجنهم ، وتاريخه ، وجريمة كل مهم ، وما هم عليه من الضيق وعدمه ، والمفتقر منهم لما يستر به عورته ويسد جوعته ، وسؤال كل منهم عن الخبز المنفذ لهم هل يتوصلون به يومياً أم لا ، وقدر ما لم يصلهم منه ، ومن كان يتقاعد عليَه .

وتقييد ذلك كله بعد أن يأخذوا من شريف حضرتنا كناش عمل من قبلهم ليتمشوا عليه ، ويستعينوا به ، ويأخذوا عند فراغهم من التقييد نسخة منه : كل سجن بكناش خاص يبقونه تحت يدهم ، لما عسى أن يتوقفوا عليه في المستقبل ، ويوجهوا النظائر لحضرتنا الشريفة ، لنرى في ذلك بنظرنا السديد ، إن شاء الله .

ويبقى الأمينان والعدلان مكلفين ـ في المستقبل ـ بالنظر في أمور السجنين المذكورين والمساجين ، ويكون تفريق الخبز المنفذ لكل منهم على يدهم مع الكسوة المعتادة سنوياً للمفتقرين إليها ، بحيث لا يتركون أحداً بالسجن جائعاً أو عرياناً ،

وكذلك ما يفتقر إليه السجنان من تنظيف أوتسريح ماء أو إصلاح كيفما كان : يكون على يدهم ـ أيضاً ـ ويد من هو من وظيفه : الناظر أو المكلف بالتنظيف .

ويكونون يقيدون بالكناش المشار إليه من سرح من المساجين ، ومن دخل للسجن منهم ، وعلى يد من ، وجريمته ، وتاريخ تسريحه أو سجنه ، وعند رأس كل شهر يكونون يجردون قائمة بذلك ، ويوجهونها لشريف أعتابنا ، ويكون عملهم على هذا دائماً .

مع الكون على بال مما يحدث بالسجنين المذكورين والمساجين ، وفيما عسى أن يلحقهم من الظلم والتعدي اللاحق لهم من العامل أو السجان أو غيرهما ، ويقومون على ساق في رفعه عنهم ، وإعلام حضرتنا الشريفة ، وإلا فتكون العهدة عليهم .

وأعلمناك لتكون على بال ، وتعين نائبك للحضور معهم على ذلك كله على نحو ما ذكر .

وقد أمرنا الخديم القائد عبد الكريم ولد أبّا محمد بمثله .

والسلام في 21 ربيع ثاني ، عام 1320 هـ .

محفوظات قسم الوثائق : خ . م .

ملحق 26

رسالة من العزيز في موضوع إصلاح
وضعية المساجين بطنجة

خديمنا الأرضي : القائد الصديق بركاش ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ،

وبعد فقد بلغ لعلمنا الشريف ما عليه السجن والمساجين هنالك من التفريط من أجل الماء والتنظيف ، وما يقع في الخبز المعين للمساجين وغير ذلك من وجوه الضرر التي لا يسع السكوت عنها .

وقد كلفنا الأمين الطالب أحمد بوصوف الطنجي بالنظر في أمور السجن والمساجين كلها ، وعينا للخدمة معه في ذلك العدل الطالب محمد بن إدريس الطنجى .

وأمرناه بأن يحضر مع نائبك ـ أولاً ـ بالسجن ، ويقيد بكناش خاص ما هو مفتقر إليه السجن من تنظيف الأزبال والعفونات ، وزيادة الماء في سقايته وميضأته ، وتقويم مسجده ، ومباشرة إصلاح ما يحتاجه .

ثم يقيد بالكناش المذكور جميع أشخاص المساجين : كل واحد باسمه ونسبه وقبيلته وعامله ، وعلى يد من سجن ، وتاريخ سجنه ، وبيان جريمته .

ويبحث المساجين عن الخبز المعين لهم هل يتوصلون به يومياً على التمام أم لا ؟ وإن لم يصلهم فمن الذي يتقاعد عليه ؟ ويقيد جوابهم عن ذلك بالكناش أيضاً .

مع بيان ما هم عليه من الضيق وعدمه ، والمفتقر منهم للكسوة الذي ليس له ما يستر عورته .

وعند فراغه من تقييد ذلك يوجه لشريف حضرتنا كناشه ، بعد أن يبقى تحت يده نسخة منه .

ويبقى مقابلاً لذلك بنفسه مع العدل المذكور من غير إتكال على أحد ، ويتولى تفريق الخبز على المساجين يداً بيد ، وكذا الكسوة السنوية التي تنفذ للمفتقر إليها ، ويقوم بما يحتاجه السجن من تنظيف أو تسريح ماء أو إصلاح على يده ويد النظار إن كان من وظيفهم ، أو المكلف بالتنظيف .

ويثبت بكناشه من سرح أو سجن باسمه ونسبه وجريمته ، وعلى يد من سجن ، وتاريخ تسريحه أو سجنه ، ويوجه لشريف أعتابنا قائمة ذلك كل شهر .

ويكون على بال مما يحدث بالسجن ، وما يحصل للمساجين من الضرر ممن كان ، ويعلم به شريف حضرتنا ، لنأمر بالمقتضى فيه .

وعليه فنأمرك أن تعين نائباً عنك للحضور معه على ذلك ، وتشد عضده فيما كلف به ، والسلام .

في 9 جمادي الأولى عام 1320 .

مجموعة نهليل : اللوحة 100

ملحق 27

رسالة من السلطان العزيز في موضوع إصلاح وضعية المساجين بمكناس

خدامنا الأرضين : أمناء الصائر السعيد بمكناس ، وأمين المستفاد به ، وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فنأمركم أن تعينوا من قبلكم أميناً خيراً ثقة حازماً ضابطاً بأجرة قدرها عشرة ريال في الشهر ، ليكون نائباً عن جميعكم في تفريق الخبز المنفذ للمساجين ، والنظر في مصالحهم ، وما عسى أن يلحقهم من الضرر الذي يتعين رفعه ، ليعلمكم به ، وتعملوا المتعين في رفعه : بأن تعلموا العامل به ، فإن رفعه فذاك ، وإلا فأطلعوا به علمنا الشريف ، ليؤمر بالمتعين فيه .

وأن تكونوا تتعاهدون الأسجان والمساجين بأنفسكم مرتين في الشهر . لما عسى أن يلحقهم من الضرر في أنفسهم أو في الأسجان .

وليكن عملكم جارياً في ذلك على مقتضى الضابط الممهد فيه .

وقد أصدرنا أمرناً الشريف للعامل بتأخير الأمين والعدلين المكلفين بذلك ، وبتنفيذ ما تكتبون له فيما يتعين رفعه عنهم من الأضرار .

والسلام في 27 شعبان الأبرك عام 1322 .

محفوظات قسم الوثائق خ . م .

الفصل الثالث
إتجاه موظف سام حول تصميم الإصلاحات

في مقدمة الفصل الثاني جاءت الإشارة إلى المشروع الإصلاحي الذي اقترحه العضو في دار النيابة بطنجة : القائد عبدالله بن القائد الحاج محمد بن سعيد السلوي ، ثم قدمه إلى السلطان العزيز ، لشرح وجهة نظره في شأن الإصلاحات التي طرحتها وزارة محمد المفضل غريط ، وسيكون تحليل هذا المشروع هو موضوع الفصل الثالث .

* * *

وقد صنفه في تسعة عشر فصلاً ، فيتناول الفصل الأول شبه مباديء عامة يقدمها هكذا .

يمكن تلافي حالة الإيالة الشريفة بدوام العدل والإستقامة ، وعقد السلم مع جميع الأجانب لأمد كاف ، والأخذ بالإستعداد من جديد .

ويضيف نفس الفصل نقطاً أخري : فيذكر الإطمئنان في السياسة ، والعدل في الرعية ، وإشعارها بمستقبلها مع الأجانب ، وتوفير الجبايات لإفتقار الإستعداد الجديد إلى دخل مهم .

وعن الموظفين الذين يضطلعون بالوظائف الجديدة أو يساعدون الموظفين القدامى ، ينصح المشروع :

بأن يكونوا من أهل المروءة والدين المتين ، ومن المعروفين بالأمانة وسلامة الطوية والشجاعة المهنية ، مع منحهم الأجور الكافية ، وتهديدهم على التلاعب بالعقاب اللازم ، وعزل من يستوجب العزل .

وآخر هذه المباديء العامة : الرغبة في فتح مدارس تهتم بنشر العلوم التي يتوقف عليها التنظيم المرتقب .

* * *

وبعد هذه المباديء العامه تأخذ المذكرة السلاوية في بسط ملامح الإصلاحات المقترحة .

وتبتديء من عمال الأقاليم ، فتوصي بأن تؤسس لهم قوانين تنظيمية مكتوبة ، ليزود كل عامل بدفتر منها ، ويكون تصرفه مطابقاً لها . ومن توابع هذا أن يتوفر كل عامل على دفتر للوصولات ، ليسلم لكل دافع وصلاً مقتطعاً موقعاً عليه بخطه أو طابعه .

وتنتقل المذكرة من العمال إلى مشروع إحداث مجالس بلدية ، ولهذا تقترح أن يكون في كل بلدة مجلس ينتخب من أماثل الناس المجربين للأمور . من أهل العلم والمروءة . والجد والديانة .

على أن تكون مهمة هذا المجلس النظر في مصالح البلد كالأوقاف والأسعار وغيرها .

ويرجع إليه كذلك فيما عسى أن يلحق المواطنين من تعسف عامل البلدة . أو انحراف القواد المجاورين .

وفي هذه الحالة يقوم المجلس بالتحريات اللازمة في حق الجهة المنحرفة ، حتى إذا تبين له الشطط يكتب للحاكم المعني بالأمر ، وفي حالة إصراره ـ بعد هذا ـ يطالع بتصرفاته السلطة العليا .

ولأجل أن يتفرغ أعضاء المجالس البلدية لمهامهم ، يعين لهم مرتب مرفه ، حتى ينقطع تشوفهم إلى مد اليد للغير إطلاقاً .

وكذلك ينبغي أن يكون الشأن بالنسبة لجميع الموظفين مع الدولة على مختلف المستويات .

وفي صدد تنظيم الجبايات . توصي المذكرة بالعمل على تحديد منطقة كل عامل ومسحها . وإحصاء ما اشتملت عليه من الأراضي : البيضاء والمغروسة . ويسجل ذلك في دفتر يسلم لعامل المنطقة ، بعدما يودع نظيره لدى السلطة العليا ، حتى تكون الجباية حسب نوعية الأرض .

وأيضاً : فإن الغلال التي تنتجها الأراضي تؤخذ جبايتها من دافعيها على الوجه الشرعي ، وتصرف في مصارفها الشرعية ، أما الماشية فتقدر جبايتها بقدر سنوي لكل رأس .

مع مراعاة التسوية بين البادية والحاضرة في هذا العطاء .

وبالنسبة إلى ضريبة المباني : تكون الجباية على نسبة كراء الرباع ، لا على نسبة ثمن رقبتها ، وتكون الضريبة خفيفة ، وعامة لجميع الطبقات : شريفهم ومشروفهم ، والأعيان وغيرهم .

ومن ذيول هذه التنظيمات الجبائية . أن يتخذ بدار المخزن كناشة جامعة : تشتمل علي تحديد المملكة المغربية وتفصيل أقسامها ، وبيان أرض كل عمالة ومساحتها ، وما تشتمل عليه من القطع ، حتى تكون هذه الكناشة أصلاً يرجع إليه .

وقد اهتمت المذكرة السلاوية بقطاع الدفاع ، وأوصت بالتنظيمات العسكرية ، وبضمان التموين الكافي لأفراد الجيش ، وأن يباشر تثقيفهم معلمون من مهرة المسلمين .

وعلى المستوى العام يأذن ولي الأمر جميع من بالمملكة بتعلم الفنون العسكرية ، ويأمر بتدريب الأولاد على الرماية وركوب الخيل ، وفي هذا النطاق تدرب الناشئة على تعلم الرماية والحرب مرة في كل أسبوع : بادية وحاضرة ، أغنياء وفقراء ، ومن كان موسراً يؤمر بشراء الخيل لأولاده بدل البغال .

ومن جهة أخرى لا يستخدم الموظفون مع المخزن في ركوبهم سوى الخيل دون

البغال إلالضرورة ، ويؤمر كل موسر باقتناء فرس يكون رهن تصرفه ، سواء استخدمه أم لا .

ومن مهمات الخطة الدفاعية أن تستجلب الدولة عدداً وافراً من السلاح من أول درجة ، مع ما يكفيه من ذخيرة القرطوس ، حتى يكون ذلك مذخراً في خزائن السلاح ، والأولى هو العمل لإقتدار المغرب على صنعه بداخل المملكة ، حذراً من تعذر شراء السلاح في بعض الحالات .

والآن : يصل المطاف بالمذكرة إلى وظيفة القضاء ، حيث تقترح أن يكون مع كل قاض في أي جهة . أربعة من أعيان الفقهاء ، وإثنان من الكتبة ، بقصد تدوين جميع القضايا المعروضة ، وتسجيلها بلفظها في كناشة .

ولا يبرم القاضي أمراً ولا يمضيه إلا بمشاورة الفقهاء الأربعة ،

ويكون جلوسهم جميعاً للفصل أربع ساعات يومياً تكون معروفة لدى الخصوص والعموم . وعند نهاية الجلسة يوقع القاضي والعلماء علي المحاضر التي راجت في نفس اليوم .

وفي كل شهر يوجه القاضي نسخة من محاضر الجلسات إلى الدوائر العليا .

وعلى مستوى القضاء العالي : توصي المذكرة بأن يكون بدار المخزن قاض عالم ممتاز محنك ، ومعه عدد من أعيان العلماء ، بقصد مراجعة القضايا التي ترفع للمقام السلطاني .

مع مراجعة دفاتر محاضر الجلسات التي ترد من جهات قضاة المملكة .

وهذا المجلس العالي يسجل ـ بدوره ـ ملاحظاته على القضايا المرفوعة إليه أو على محاضر القضاة ، ويوقع أعضاؤه ذلك ليحتفظوا به في موضع مأموريتهم بدار المخزن .

وأخيراً تأتي التوصية الختامية من المشروع السلاوي ، لتقترح إصدار أمر عال لجميع المعنيين بالأمر ، بأن لا يتركوا أرضاً تصلح للفلاحة خالية من الحرث ،

ومن لم يتوفر لديه مال : فإن ولي الأمر يقدم له ما تقوم به فلاحته من البذور والحيوان ، بثمن يرتفع نحو خمسة وعشرين أو ثلاثين في المائة ، على أن يسدد الفلاح دينه في السنة المقابلة إن كانت مخصبة ، وإلا فإلى السنة التي بعدها ، ويودع رسم العقار رهناً ، أو يعطى كفيلاً .

* * *

وإلى هنا ينتهي عرض خلاصة المشروع الذي حرره عضو اللجنة السياسية بدار النيابة بطنجة : القائد عبدالله بن محمد بن سعيد السلاوي ، وقد تبينا فيه لوناً من اليقظة المغربية الرصينة في مطلع القرن العشرين ، ونعقب عليه بتذييلين :

الأول : نص المشروع السلوي كاملاً ؛ عند الملحق رقم 28 .

الثاني : ترجمة واضعه القائد عبدالله بن سعيد : بالملحق رقم 29 .

ملحق 28

النص الكامل للمشروع الإصلاحي
الذي اقترحه القائد عبدالله إبن سعيد السلوي

الحمدلله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

وبعد : فهذا ما ظهر لكاتبه فيما شرح الله له صدر مولانا أمير المؤمنين ، المحفوف بعناية رب العالمين ، من مصالح رعيته السعيدة ، أبد الله نصره ، وأعلا في الخافقين ذكره ، ووفق لما يزان إليه أمره .

الفصل الأول

إنه يمكن تلافي حالة الإيالة الشريفة بدوام العدل والإستقامة ، وعقد السلم مع جميع الأجانب لأمد كافي ، والأخذ بالاستعداد من جديد على منوال يأتي بيانه :

إن المعارف لدينا أسرع رجوعاً وأجدر عرفاناً بجميع أنواعها في أقرب زمان وأسرع مدة ، لأنها منا أخذت ، وإلينا تعود أشوق ما يكون ، لكن مع اطمئنان في السياسة . وعدل في الرعية . وإشعارها بمستقبلها مع الأجانب . وتوفير الجبايات . لافتقار الإستعداد الجديد إلى مدخول له بال ، به صلاح تلك الحال ، بعون الله .

إن الأسباب المعينة بفضل الله كثيرة ، منها حسن التربية ، وضعف العوائد ، وجودة الصادرات بأنواعها الثلاثة : الحيوان والنباتات والمعادن ، وكثرتها وقلة الخارج بنسبة دخل الدولة ، حفظها الله .

وإن رابطة الإسلام ـ أعلا الله مناره ـ من أقوى الروابط وأعلا الأسباب وأمتن الحصون على منع سواها من النفوذ في سياستها وحجرها للغير عن سومها بسوء ، وكلما زادت قوة علت سطوتها ، وارتقى نفوذها ، وما بالعهد من قدم ، انظر دولة مولاي محمد بن عبدالله قدس الله روحه .

في اختيار أناس ذوي مرؤة ودين متين ، وأمانة نفوس وسلامة صدور ، وشجاعة قلوب ، قصاراهم رفع الدين وأهله ، غافلين عن نفع أنفسهم وعن جاههم ، بقصد القيام بالوظائف التي يحدث تجديدها ، أو تجعلهم إعانة لذوي الأعمال المكلفين حينه ، مع إعطائهم الكفاية ، وتوعدهم على الجناية بالعقوبة ، وإن طرأ عارض بدلوا .

وإحداث مدارس لتعليم مهمات جديدة يتوقف نفوذ النجاح عليها وعلى معرفتها ، وذلك من الاستعدادات المأمور بها .

الفصل الثاني

عامل كل إيالة يدفع له كناش لضبط كيفية تصرفه ، مشتملاً على ما يأتي في أموره وما يذر ، التي من جملتها ما دفعه كل واحد من الرعية ، معلماً عليها بخطه أو طابعه في ورقة من كناش مقتطع .

الفصل الثالث

يكون بكل بلدة مجلس مؤلف من أهل العلم والمروءة ، والجد والديانة والمعرفة ، بقصد النظر في مصالح البلد كالأوقاف والأسعار وغيرها ، ويرجع إليه كذلك فيما عسى يصدر من العامل لرعيته ، سواء عامل البلدة أو غيرها من العمال المجاورين لها ، وإذا اثبت عنده جور العامل على الرعية بعد البحث التام ، يكتب له فيه ، فإن أنصف فذاك ، وإلا فيطلع به شريف علم مولانا المنصور .

الفصل الرابع

انتخاب أماثل الناس وأفاضلهم المجربين للأمور ، الذين تطمئن بهم النفس للقيام بهذا الوظيف ، ويعين لهم من الأجور ما يكفيهم الكفاية التامة ، ويقوم برفاهيتهم على ما ينبغي ، لينقطع تشوفهم لمد اليد مطلقاً ، وكذلك يرتب لجميع خدام الحضرة وكبرائها الراتب المعتبر الكافي .

الفصل الخامس

تحد إيالة كل عامل ، ويحصى جميع ما اشتملت عليها من الأراضي والأبنية والجنان وما في معناها ، بفلاحين وتاجرين وعدلين من الحاضرة ، وأربعة من مهرة تلك الإيالة ، بمحضر عاملها أو نائبه ، ويتخذ لذلك كناشاً يشتمل على جميع تلك الأراضي بحدودها وكيلها ، ليكون العطاء على نسبة مقاديرها في الأرض البيضاء ، وعلى نسبة ما تساويه الغلة في ذات الأشجار .

الفصل السادس

عند تمام الكناش على الوجه المطلوب يدفع لعامل الإيالة ، بعدما يوجه نظيره لشريف الأعتاب ، معلماً بعلامة عدلين والعامل .

الفصل السابع

ما تنتجه تلك الأراضي من الغلال ذات الزكاة الشرعية ، يحاز من أربابها على الوجه الشرعى ، ويصرف في مصرفه الشرعى ، وكذلك الماشية ذات الحوافر ، فيكون مقدراً بقدر سنوي لكل رأس ، ويحازمن البوادي والحواضر على السواء .

الفصل الثامن

الرباع : الدور والفنادق والحوانيت وما في معناهما ، يعين لهما تاجران وعارفان وعدلان مع العامل أو نائبه لتقويم كرائهما ، ويكون العطاء على نسبة كرائهما ـ لا على ثمن رقبتهما ـ خفيفاً ، لأن أهل الحاضرة ليسوا كغيرهم من البادية في الضرورية والصوائر .

الفصل التاسع

يكون العطاء عاماً على جميع الإيالة شريفها ومشروفها والأعيان وغيرهم .

الفصل العاشر

يتخذ بالأعتاب الشريفة كناش بتفصيل الإيالة السعيدة ، وتقسيم أقسامها ، وبيان أرض كل عامل ومساحتها ، وما اشتملت عليه من القطع ، ليكون أصلاً وحجة يرجع إليه .

الفصل الحادي عشر

إذا حصل الأمن للرعية تقع الحرية لا محالة في الأخذ والعطاء ، فتنمو سائر أنواع التجارة وأسبابها ، وتسري سريان الماء في العود ، ويسوغ إذ ذاك للمخزن ـ أعزه الله ـ تسريح بعض الأمور الممنوعة الوسق لأجل معلوم عند الاستغناء ، وعند ذلك يتضاعف مدخول المراسي السعيدة وغيرها ، ويعمر بيت المال السعيد عمره الله ووفره ، بوجود مولانا أعزه الله ونصره .

الفصل الثاني عشر

إذا فتح الله تعالى وظهرت النتيجة ، وأراد المخزن أعزه الله وسق عدد من الأمور الممنوعة الوسق ، مثل أناث البقر والغنم وذكرانها ، والقمح والشعير والخيل والبغال ، فتسرح لوقت معلوم ، ويعين القدر المسرح من كل مرسي ، وتعطى به سنوياً . ويكون نصف العدد المسرح لأهل الإيالة . والنصف الآخر للأجانب . ويقسط لهم على التساوي ، ويكون ذلك لأجل محدود .

الفصل الثالث عشر

إذا أراد سيدنا نصره الله بيع شيء مما ذكر في الفصل قبله ، يسقط هذا العدد من القدر المسرح ، ويباع النصف للرعية والنصف للأجانب كذلك .

الفصل الرابع عشر

ترتب قراءة الدعاء الناصرية : (يا من إلى رحمته المفر ، ومن إليه يلجأ المضطر)

في جميع مساجد الإيالة بادية وحاضرة بعد قراءة الحزب ، ويكون يعطى لمعلمى الصبيان ـ على قراءتها كل يوم مرة بجميع المكاتب ـ قدر يسير من الأحباس أو بيت المال لكل معلم ، لأن الأطفال قليلوا الذنوب ، وينظر الله ـ تعالى ـ إلى عبادة العصاة بسببهم ، فلا شك أنه يستجاب دعاؤهم ، ويكفى الله الأمة شر الأشرار بسببهم ، وكذلك يترتب في كل مدينة من المدن ـ في أربع محلات منها ـ الحزب الكبير ، واللطيف الوسط ، والشفا ، ويرتب خراج شهري .

الفصل الخامس عشر

ترتيب العسكر السعيد . وجعل المئونة الكافية له . وجعل حرابة من مهرة المسلمين ، وأن يأذن سيدنا ـ أيده الله ـ جميع من بإيالته لتعليم العلوم العسكرية ، ويأمر بتدريب الأولاد على الرماية وركوب الخيل ، ويأمر الموسرين بشراء الخيل لأولادهم عوض البغال ، وكل من في الخدمة المخزنية يكون يركب الخيل دون البغال إلا لضرورة ، ويكون من جملة تعليم الأولاد تعليم الرماية والحرب مرة في الجمعة : بادية وحاضرة ، أغنياء وفقراء ، ويؤمر كل موسر بشراء فرس يكون عنده سواء ركبه أم لا .

الفصل السادس عشر

أن يتخذ المخزن عدداً وافراً من السلاح الجديد من أول درجة ، وما يكفيه من القرطوس : يكون مدخراً بخزائنه السعيدة ، والأولى هو السعي في الإقتدار على صنعه بالإيالة السعيدة حذر التعذر .

الفصل السابع عشر

أن يكون مع كل قاض من القضاة في كل محل أربعة من أعيان الفقهاء وكاتبان بقصد كتابة جميع الدعاوى التي تروج باللفظ في كناش ، ولا يبرم أمراً ولا يمضيه إلا بمشاورة الفقهاء المذكورين ، وجميع ما كتب في اليوم يضع

عليه علامته ، والعلماء معه خطوط يدهم ، ويكون يجلس للفصل هو ومن معه أربع ساعات في اليوم ، وتكون معينة تلك السوائع للخاص والعام ، وفي كل شهر يوجه نسخة مما دار في مجلسه لشريف الأعتاب ، إذ بذلك تنضبط الأحكام ويقل الجور ، بل يضمحل بحول الله .

الفصل الثامن عشر

يكون بالأعتاب الشريفة قاض عالم كبير محنك ، ومعه عدد من أعيان العلماء ، بقصد مراجعة القضايا التي ترجع للحضرة الشريفة ، ومراجعة الكنانيش التي ترد من الآفاق ، ويكتبون ذلك أيضاً ، ويبقى بمحل خدمتهم في الحضرة الشريفة ويعلمونه .

الفصل التاسع عشر

أن يصدر الأمر الشريف لجميع الإيالة بأن لا يتركوا أرضاً تصلح للحراثة خالية من الحرث ، فمن كانت له أرض يحرثها من ماله إن كان له مال . ومن لم يكن له مال فإن سيدنا أيده الله يعطيه من زرعه ما يزرع به بلده ، ومن العذائر السعيدة الثيران التي تكفيه للحرث ، بثمن مزيد فيه نحو 25٪ خمسة وعشرون في المائة أو 30 في المائة ، ويمهله إلى السنة القابلة إن كانت الصابة ، وإلا فإلى السنة التي بعدها ، ويضع رسم البلد رهناً أو يعطى ضامناً ، وهذا ما فتح الله ـ تعالى ـ به مع ...رط استعجال ، وعسى أن يمن سبحانه بغيره ويكون ـ بهمة مولانا ـ محمود العواقب في الحال والمال .

ونرجوا الله ـ ببركة مولانا وبركة جده عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ أن يحصل نجاح الدولة العالية وفلاحها ، وعناية الله تحرس السرح . وتغدو بأعلام النصر والنجاح وتروح ، وكتبه خادم الأعتاب الشريفة .

محمد بن عبدالله بن سعيد ، كان الله له .

من وثائق نخبة مدينة سلا الغيور الوجيه السيد الحاج العربي إبن سعيد : في نسخة من الأصل .

ملحق 29

ترجمة القائد عبدالله بن سعيد السلوي
نقلاً عن رحلة إلى بعض مدن المغرب الساحلية عام 1910/1328

عبدالله بن سعيد السلوي : هو ابن القائد الشهير محمد بن محمد ابن سعيد ، من ذوي الوجاهة والوقار ، والثروة واليسار ، شب في الرئاسة منذ صباه ، ورضع لبان المعارف والأداب ، عمدة من عمد المغرب وفطاحله ، قل نظيره في الاطلاع على ماجريات السياسة ، وأحوال الدول وقوانينها وحقوقها . ولا سيما عوائد دول المغرب وأحوال ملوكه وأيامهم .

لازم دروس عمه أبي حامد ، وأبي العباس الناصري ، وغيرهما ، وخالط كتب الأدب مخالطة جيدة ، أكسبته إقتداراً عظيماً على الكتابة والنطق وحسن المحاضرة ولطائف المحاورة ، يستحضر نفح الطب ، ويهتف بغيره من كتب المعارف .

وفي سنة 8 عين عدلاً بمرسي الرباط .

وفي عام 10 توفي والده فعينه السلطان مولاي الحسن ـ عوضاً عنه ـ عاملاً بسلا .

وفي حجة من نفس العام : زاد له وظيفة أمين بديوانة طنجة .

وفي أول عهد المخزن السابق عين عضواً بدار النيابة بطنجة ، مع بقائه في وظيفته الأصلية .

ثم انتدب لمباشرة بعض الأشغال مع إسبانيا في سبتة .

وفي سنة 23 عزل عن ولاية سلا ، وبقي بدار النيابة .

ولما زار غليوم طنجة انتدب المترجم لاستقباله ، لكون الطريس كان بفاس ،

وقام بوظيفته أتم قيام ، وأنعم عليه الإمبراطور بنيشان النسر الأحمر .

وفي سنة 26 مات الطريس وعين ـ في النيابة ـ الجباص ، فأقر المترجم على وظيفته ، وما زال فيها إلى أن وقع التنظيم الأخير في دار النيابة في السنة الفارطة : فآخر مع بقية الموظفين .

زرته يوم دخولي لطنجة ، وقد وجدت الرجل ـ مع أدبه وسياسته ـ عظيم الديانة ، شديد الغيرة على دينه ووطنه ، محباً في الخير وأهله ، ذءوباً على فعل الخير واكتساب المجد ، مع الشهرة الواسعة .

توفي ضحى يوم السبت 24 صفر الخير 16/1342 أكتوبر 1923 ، ودفن بعد صلاة العصر بروضتهم جوار الشيخ أبي محمد عبدالله بن حسون غربي الجامع الأعظم من سلا .

. خطوات وخطرات » : إسم رحلة إلى بعض مدن المغرب الساحلية . تأليف القاضي عبد الحفيظ الفاسي :
خ . ع . د 4401 : أول مجموع .

الفصل الرابع
مصير المبادرات الإصلاحية

مقدمة :

عرض الفصل الثاني محاولات إصلاحية ، مست قطاعات منوعة ، ويبدو أن هذه المبادرات كانت ـ في بدايتها ـ تتسم بطابع الجدية ، وقد تبينا في افتتاحية نفس الفصل : أن السلطان ـ وهو لا يزال بمراكش ـ أجرى بعض الاستشارات الوطنية في شأن الإصلاحات .

ولما انتقل العزيز إلى فاس استدعى الطريس ومعه نائبه الأمين بناصر غنام ، وقيل : إن الغاية من ذلك أخذ رأي الموظفين السامين في إجراء الإصلاحات ، واقتراض المال من الخارج لتسديد نفقاتها[1] .

يضاف لِمَخَايِلِ هذه الجدية : مبادرة محمد الجباص أثناء سفارته للجزائر عام 1320/1902 ، وقد استرشد الرئيس ريفوال الوالي العام للمغرب الأوسط ، ورغب في إفادته بالقوانين العصرية التي تسير عليها إدارة الجزائر ، حتى يعرضها السفير المغربي على السلطان العزيز ، ليختار منها ما يوافق طبيعة البلاد ، ولا يعارض القواعد السياسية الإسلامية .

وأسعف الحاكم الفرنسي هذه الرغبة ، فقدم للسفير الجباص قوانين الإدارة

1 ـ « الحلل البهية » ، وتصحف ـ غلطاً ـ في المخطوطة المنقول عنها لقب « غنام » بغلاب .

الجزائرية : المدنية والعسكرية ، بعد ترجمتها إلى العربية ، مضافاً لها بعض التنظيمات التونسية .

ثم قام الأديب الجزائري : الكمال محمد بن مصطفى بن الخوجة [2] بمراجعة هذه القوانين وتهذيبها ، ودونها في كتاب صار يحمل إسم : « مجموع مشتمل على قوانين مفيدة ، وتنظيمات سديدة » ، فجاء ينقسم إلى جزأين : الأول : المدني ، والثاني : العسكري ، وكان الفراغ من جمع الجزء الأول في 10 رجب عام 1320/1902 ، وفي العام نفسه وقع نشره بمطبعة قونتانة بالجزائر العاصمة في 237 ص .

وهكذا نتبين من مبادرة الجباص ، وما تقدمها من الاستشارة الملكية : ملامح الجدية في المحاولات التجديدية التي عرضها الفصل الثاني .

يضاف لهذه المخايل الجادة : أن السلطان نفسه استدعى القواد ، وأمرهم بالكف عن الأضرار بالناس . وأن لا يسمحوا ـ من جهة أخرى لأنفسهم ـ بأن يبتزهم أحد[3] .

ولما حاد بعض الموظفين عن هذه التعليمات : جدد السلطان أمره لجميع القواد بالكف عن الإضرار بالناس في أموالهم ، حسب إشارة رسالة سلطانية بتاريخ 8 ربيع الأول 1321/1903 ، حيث سيرد نصها بالملحق رقم 30 .

هذا إلى أن العزيز أعطى من سلوكه نموذجاً رائعاً في هذا الصدد . فقد كانت الرحلات الملكية تتحمل عبء تموينها القبائل التي يمر عليها الموكب السلطاني ، غير أن العاهل المنوه به أراد أن يعلن للملأ إلتزامه لقرار إعفاء الرعية من الكلف المخزنية[4] ، وكان ذلك بمناسبة سفره من مراكش إلى الرباط أواسط عام 1319/

---

2 ـ ترجمته عند عادل نويهض في « معجم أعلام الجزائر » ص 138 . حيث ذيلها بالإشارة إلى المصادر ، التي يحسن أن يضاف لها جريدة « السعادة » المغربية : عدد 12ـ13 شتنبر 1915 .

3 ـ « جولات في مغرب أمس » : إسم الترجمة العربية التي أنجزها الأستاذ المرحوم عبد المجيد بن جلون لرحلة قامت بها إلى المغرب سنة 1901 : الكاتبة الأنجليزية فرنسيس مكنب . نشر مكتبة المعارف بالرباط : ص 125 .

4 ـ « المصدر الأخير » ص 126 .

1901 ، فقد نقد أثمان جميع التجهيزات اللازمة لذلك خلال الطريق كلها ، دون أن يطالب الجهات التي مر بها كلفة تموين السلطان وحاشيته .

ونتيجة لهذا الإلتزام الذي عرضنا نماذج من شواهده ، فإن بعض المشاريع الإصلاحية بدأت تسير نحو مرحلة التطبيق إلى قيام ثورة المغرب الشرقي ، إنطلاقاً من رجب عام 1902/1320 ، وهذا ما يشهد به المؤرخ السليماني[5] وهو يتحدث عن الإصلاحات الوليدة : « ... وكان السير في ذلك على أحسن ما يرام . لو لم يكدر صفو ذلك السير قيام الزرهوني ... » .

* * *

1 ـ وهكذا نَسْتنتج من فقرة « اللسان المعرب » : السبب الرئيسي لتعثر هذه الإصلاحات ، وقد توقفت ـ نهائياً ـ مع استفحال الثورة ، على أن هناك أسباباً أخرى لهذه النكسة .

2 ـ ونشير ـ الآن ـ إلى موقف الدول الغربية ـ على العموم ـ من هذه المبادرات . وقد أكدت كاتبة إنجليزية سنة 1901م « 1319هـ : « أن الدول النصرانية لا تنظر بعين العطف إلى عودة قيام دولة إسلامية ناهضة ، ولذلك فهى مجمعة على إزعاج السلطان عبد العزيز . بعد أن كانت سياسة الحسن الأول تهددها بقيام دولة على غرار مصر في أيام محمد علي[6] » .

وفي هذا الإتجاه يقول الكتاب العرب الحديثون : إنه لولا التدخل الأجنبي لاستطاع السلطان أن يضمن الإستقرار لبلاده ، وتوجيهها نحو التقدم والإصلاح[7] .

3 ـ ومن الأسباب الداخلية للنكسة ذاتها أن هذه الحركة التجديدية لم تتقدمها توعية للقاعدة الشعبية بمزايا الإصلاحات ، ولم يراع في تطبيقها الشعور العام بالتحفظ إزاء الأجنبي .

5 ـ « اللسان المعرب » ص 142 ، ونحو فقرة السليماني عند غريط في « فواصل الجمان » ص 94 .

6 ـ « جولات في مغرب أمس » ص 112 .

7 ـ « أزمة المغرب الأقصى » تأليف روم لاندو : الترجمة العربية . نشر مكتبة الانجلو المصرية : ص 29 .

فكان من نتائج إغفال ذلك ، وقوف مشروع مد الخط الحديدي عند البداية ، مع العلم بأن ثورة قبائل بني مطير ليست ضد سكة الوابور البري بالقصد ، وإنما وقعت رداً على الأسلوب المتبع ، حيث عاين الثوار المباشرين لذلك وهم من الأجانب ، فعاد إلى ذاكرتهم ما يسمعونه عن تصرفات حكام الجزائر آنذاك ، وما يروى لهم عن سلوك البرتغال ومن إليهم لما كانوا يحتلون السواحل المغربية ، فكانت معارضة هذه القبائل تأخذ في اعتبارها مقاومة تدخل أجنبي سيعصف ـ مع مر الزمن ـ باستقلال البلاد .

ولو أن توعية معمقة سبقت الحدث ، ولو أخذ بعين الاعتبار مراعاة المشاعر الوطنية ، لما وقعت الثورة ، ولنجح ـ بالمغرب ـ مد الخط الحديدي من ذلك التاريخ .

وقد كان السلطان الحسن الأول على بينة من تحفظ الأمة إزاء التدخل الأجنبي ، ولهذا كان ـ دائماً ـ يعقب على الاقتراحات الأجنبية :

« بأن الحكومة المغربية مقتنعة بضرورة إدخال التنظيمات العصرية للمغرب ، ولكنها مقتنعة ـ أيضاً ـ بأنه يجب أن تكون اليد المتصرفة والمنظمة لهذه الإصلاحات هي اليد المغربية ...[8] » .

وبعد هذه الفترة يدرك العاهل الألماني غليوم الثاني أهمية مراعاة الشعور المغربي إزاء الإصلاحات ، وكانت زيارته لطنجة مناسبة للجهر بهذه الحقيقة ، وهو ما أعلنه في الخطاب الذي ألقاه على الجالية الألمانية بنفس المدينة عام 1323/ 1905 ، فقد قال وهو يتحدث عن السلطان العزيز :

« أما الإصلاحات التي ينوي جلالته إدخالها إلى بلاده ، فإني أرى أنه يجب عليه أن يتدبرها ملياً ، وأن يراعي ميول شعبه وعواطفه الدينية ، حتى لا يكون إدخال الإصلاحات سبباً للفتن والقلاقل[9] » .

---

8 ـ « تاريخ المغرب » لمحمد بن عبد السلام بن عبود : المطبعة المهدية بتطوان 2/100ـ101 .

9 ـ « الدولة العربية المتحدة » من تأليف أمين سعيد : مطبعة البابي الحلبي وشركائه بالقاهرة 1936 : 2/263 .
مع « المسألة المغربية » ص 263 .

4 ـ ومن الأسباب الأخرى لهذه النكسة : أن المباشرين للإصلاحات أهملوا العمل لتطوير التعليم ، ولم يكن اهتمامهم بالتنظيم العسكري إلا سطحياً ، فجاء إتهامهم بأن المشاريع التي يروجونها تخدم المصالح الأجنبية أكثر مما تخدم المغرب ، وهي تهمة ستلصق ـ استقبالاً ـ بمقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء لإصلاح الأوضاع المغربية ، فإن بعض ساسة أوربا بعدما درسها علق عليها قائلاً .

« ليس فيها ما يدل على أن الدول قصدت إصلاح المغرب الأقصى وترقية شؤونه : بوضع نظامات دولية تئول إلى ذلك ، بل كل ماهنالك أن مواد هذا الإتفاق تئول إلى ترويج متاجر الأوربيين في ثغور المغرب الأقصى ، وتعزيز نفوذهم وهيبتهم ، وتسهل سبل التدخل في شؤونه لهم ، وشتان ما بين هذه النتيجة والغاية التي عقد لأجلها[10] » .

5 ـ والسبب الخامس لفشل هذه الحركة التجديدية ، يجسمه واقع المشرفين على الإصلاحات ، فكانوا دون مستوى المهمة المنوطة بهم ، وهي الملاحظة التي يبرزها محمد الحجوي[11] : « إن السلطان عهد بالإصلاح لمجلس الوزراء ، وهذا المجلس كان لم ينضج ، وهو نفسه محتاج لإصلاح ونظام ، ومراقبة من السلطان » .

6 ـ هذا إلى ظهور انحرافات في سلوك بعض المسؤولين ، وهي التهمة التي يؤكدها المشرفي[12] بهذه الفقرة :

« ... فانظر هذا مع ما هو عليه الناس اليوم : من ظهور الخيانة التي لا يشك فيها عاقل ، فيكون الرجل لا شيء عنده متوقفاً على السؤال ، فإذا تولى ولاية عَمَل أصبح ـ بمجردها ـ يشيد القصور ويزخرفها . ولم يكفه شراء الدور وإبقاؤها على بنائها ، حتى يأمر بهدمها وبنائها ـ ثانياً ـ على مقتضى رأيه ... » .

---

10 ـ « الدولة العربية المتحدة » 2/288 .

11 ـ « المذكرات الحجوية » الأولى .

12 ـ « الحلل البهية » .

7 ـ وسبب آخير : وهو ضيق نطاق الاستشارات الإصلاحية ، فكانت مع بعض كبار الموظفين ، وأهمل ـ بالمرة ـ أخذ رأي العلماء والتجار والطبقات المستنيرة ، على خلاف سياسة الحسن الأول : في مناسبات أقل شأناً من مشاريع هذه الإصلاحات الجديدة[13] .

* * *

ومن هذا السبب وما سبقه : نتبين أن العوامل السبعة التي فصلت آنفاً : تظافرت ـ جميعها ـ على إفشال معظم المشاريع الإصلاحية ، ولم يستمر منها سوى ضريبة الترتيب ، فقد تعثر تطبيقها أولاً ، ثم انبعث العمل بها من بعد واستمر[14] حتى عام 1381/1961 ، حيث استبدلت بضريبة جديدة .

---

13 ـ من نماذج ذلك : نازلة طلب بعض الدول ـ عام 1303/1886 ـ الترخيص في تسويق بعض المواد الغذائية ، فكانت استشارة العاهل المنوه به واسعة ، وشارك فيها ـ من فاس ـ العلماء وأهل تلمسان والمرابطون والتجار والأعيان والأشراف وأرباب البصر ، فضلاً عن نخبة سكان زرهون وسواهم ، حسب إشارة ظهير حسني في « إتحاف أعلام الناس » 2/389-390 وللمزيد من التفاصيل : يحسن الرجوع إلى الملحق رقم 6 آخر هذا الجزء الأول .

14 ـ جدد العمل بها بظهير يوسفي يحمل تاريخ 23 ربيع الثاني 1333/10 مارس 1915 ، مع ظهير ـ في نفس التاريخ ـ يتعلق بالترتيب على الأشجار ذوات الثمار ، حيث ثبت نصهما في « الجريدة الرسمية » : السنة الثالثة ص 100-105 .

ملحق 30

رسالة العزيز إلى أحد القواد : يحذره من ابتزاز الرعية ، مع الإشارة إلى صدور أمر مماثل إلى جميع القواد

خديمنا الأرضي القائد عيسى بن عمر العبدي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد فقد علمت أن الضابط الذي أسسناه لك ولغيرك من العمال في إيالات رعيتنا السعيدة : ظاهر المصلحة ، وكفيل بتسكين الناس وإقرارهم على الهناء والأمن ، وقطع مواد النزاع والتشويش : بسلامتهم من الأسباب التي ينشأ عنها ذلك : من اتباع أغراض الطمع ، ومد الأيدي في أمتعتهم بلا موجب ، وغير ذلك من التعديات ، وراعينا في ذلك المصلحة العائدة على الناس وعلى عمالهم وعلى جانب المخزن .

ثم إنه بلغ لشريف علمنا أن خلائف العمال عاد والخلاف ذلك ، وصاروا يمدون أيديهم في الإيالة بالفرض والقبض والتعدي ، حتى أفضى الحال بجل الناس إلى الركون للأجانب ، وبيع زروعهم قبل إفراكها ، من شدة ما ثقل عليهم من الإلزامات ، والمخالفة لما صدر به أمرنا الشريف .

ومن العجب أن يخفى عن العامل ما يفعله خليفته ، أو يدعى وجهاً لإلتماس العذر بجهله ، مع علمه بأن الدرك والعهدة في ذلك عليه .

وها نحن جددنا لجميع العمال أمرنا الشريف بالفحص عن أعمال خلائفهم ، وانتقادها عليهم وكفهم عن ذلك ، وتوعدهم على اقتحام المخالفة ، فإن هذا هو السبب في إحياء عرق الفتنة ، وجراءة الغوغاء .

وعليه فنأمرك أن تلزم خليفتك الجريان على الضابط المؤسس لكم ، والإنكفاف عن مد اليد في متاع الناس ، وعدم العود لشيء يخالف المراد . ولا تقبل منه رخصة

فيما يرجع لذلك ، فإن عهدته عليك ، وها نحن من وراء ما نسمعه عنكم بعد غاية الاسترعاء .

والسلام ، في 8 ربيع 1 عام 1321 .

محفوظات قسم الوثائق خ . م .

الباب الثالث

نماذج من تجاوب المغرب مع المشرق
في إطار البعث الإسلامي الحديث

عرض البابان الأولان ألواناً ـ ولو أنها محدودة ـ من ملامح اليقظة المغربية في المرحلة الأولى التي نبحثها ، وكانت في نطاق الإصلاح الداخلي ، ومعارضة التدخل الأجنبي .

وإلى جانب ذلك فإن علاقات مغرب الفترة ذاتها بالجهات الإسلامية ، عرفت ـ بدورها ـ تطوراً تجاوب ـ إلى حد ـ مع مشاعر المسلمين هنا وهناك .

ويلاحظ ـ أولاً ـ أن هذه المنطقة لم تكن ترتبط مع العثمانيين ـ رمز الخلافة الإسلامية ـ بعلاقات منتظمة ، فلا سفارة عثمانية بطنجة ، ولا سفارة مغربية بالأستانة ، رغماً عن وجود السفارات أو القنصليات الغربية في بلاد الدولتين الإسلاميتين ، ومرد هذه الظاهرة إلى تدخلات أجنبية ، تحول دون تبادل التمثيل الدبلوماسي بين المغرب وتركيا .

ومع ذلك فقد شهدت الحقبة التي نعرضها ، نوعاً من الإرتباط الهادف بين المغرب والمشرق ، وكان مشروع سكة الحجاز فرصة مواتية لتحقيق هذا الإتصال أيام الخليفة عبد الحميد الثاني ، حيث اعتزمت الدولة العثمانية مد الخط الحديدي من الشام إلى المدينة المنورة ، ومنها إلى مكة المكرمة ، فالطائف فعسير فصنعاء ، وتحقق ذلك ـ فعلاً ـ بين دمشق والمدينة المنورة[1] .

---

1 ـ « الارتسامات اللطاف ... » : إسم الرحلة الحجازية من تأليف الأمير شكيب أرسلان ، مطبعة المنار بمصر ص 278 ، وللمزيد من المعلومات عن سكة الحجاز ، وبالخصوص محطاتها من دمشق إلى المدينة المنورة : يرجع إلى « الرحلة الحجازية » تأليف محمد لبيب البتنوني ، مطبعة الجمالية بمصر ص 303 ـ304 ، غير أن المعلومات الموسعة في هذا الصدد هي التي تقدمها « خطط ـ الشام » تأليف محمد كرد علي ، نشر دار العلم للملايين 5/170ـ185 .

وقد أعلنت الدولة المنوه بها عزمها على هذا المشروع إلى جميع الجهات الإسلامية . مما هو داخل تحت نفوذها أو خارج عنه ، واستحثت نخوة المسلمين لتعضيد هذا العمل الإسلامى ، وبدأت الإعانات تتوارد من الجهات الإسلامية ، وألف الهنود ـ وحدهم ـ مائة وستا وستين جمعية لهذا الغرض[2] .

* * *

وبهذه المناسبة كان المغرب بين الدول الإسلامية التي دعيت للمساهمة في تبرعات السكة الحجازية ، وزار المغرب ـ في هذا الغرض ـ مبعوث فاسي الأصل انتقل لجوار البيت الحرام ، وهو الحاج محمد بن مسعود الدباغ الحسني[3] ، الموفد من طرف شريف مكة عون الرفيق باشا : يحمل منه رسالة ـ بهذا الصدد ـ إلى السلطان العزيز .

والغالب أن إعانة السكة الحديدية ، هى التي يشار لها بـ « أشغال تخص الحرمين الشريفين » ، في خطاب شريف مكة إلى النائب السلطاني بطنجة : الحاج محمد الطريس ، ليعمل هذا على تسهيل مأمورية المبعوث المشار له لدى سلطان المغرب ، وهذه الرسالة وسابقتها : تحملان ـ معا ـ تاريخ الأربعاء 11 جمادي الأولى عام 1318/ « 1900 » ، وسيرد نصهما عند الملحقين 31 ، 32 .

وقد أسهم المغرب في هذا المشروع الإسلامى بمبلغ خمسمائة ألف درهم : 500،000 ، وهى تعادل ـ بصرف الفرنك الفرنسي ـ مائة ألف وأربعة وثمانين ألفاً وستمائة وفرنكاً واحداً وخمسين سنتيماً : 50 ـ 184،601 ، بعث بها النائب الطريس إلى الوزير الصدر بالدولة العثمانية : سعيد باشا ، حتى يسلمها هذا إلى صندوق إعانة السكة الحجازية ، حسب الرسالة التي كتبها له النائب بطنجة ، بتاريخ 13 شوال عام 1320 هـ / 1903 م ، وهى الواردة بالملحق 33 .

* * *

---

2 ـ « خطط الشام » 171/5 .

3 ـ ترجمته عند أحمد بن الصديق في فهرسه : « البحر العميق . في مرويات إبن الصديق » : مخطوط الأستاذ الشريف محمد بن الأمين بوخبزة الحسني 189/1 .

ومن ذيول العلاقات المغربية المشرقية في المرحلة ذاتها ، رسالة سترد نصها عند الملحق رقم 34 ، وهى في شكل منشور حرره محمد صادق ـ مدير الطباعة العثمانية ـ عام 1319 هـ ، وخاطب فيه المسؤولين في الحكومة العزيزية ، ليحذرهم من بعض العثمانيين الذين شقوا عصا الطاعة على حد تعبير المنشور ، وفروا إلى أوروبا ، ومنها إلى البلاد المغربية ، وقصدوا مدينة مراكش العاصمة آنذاك .

ومن الواضح أن الرسالة تعني أعضاء « جمعية تركيا الفتاة » ، الذين تبددوا والتجأ بعضهم إلى المغرب .

كذلك التجأ للمغرب في هذه الفترة بعض الضباط الأتراك ، وكانوا يفرون من مناقبهم في طرابلس الغرب وبنغاري والفزان ، فيستخدمهم السلطان العزيز ويفيد من مواهبهم[4] .

* * *

وإلى جانب الإرتباط على المستوى الرسمي ، نشير إلى لون مواز من العلاقات المغربية المشرقية ، فتجسمه عواطف شعب مصر في توجيهات أو تشجيعات مكتوبة ، ففي أثناء عام 1901 «1319» : يسجل محمد فريد المحامي[5] إشفاقه على وضعية المغرب ، وينصح بالمبادرة لإجراء الإصلاحات بالبلاد ، في لهجة محتدة يختتمها بهذه الفقرة .

« .... فإذا لم تتنبه الحكومة المراكشية لحالها ، وتفيق من نعاسها ، وتصلح داخليتها ، وتبني لها جيشاً قوياً ، وتوثق روابط الإتحاد بينها وبين الدولة العلية (التي لا سفير لها في تلك البلاد) : فقل على استقلالها السلام » .

وبعد هذا عام 1321 هـ / 1903 م ، تنشر مجلة المنار[6] وهى تذكر السلطان العزيز : « .... ولقد كنا نصحنا لحكومته منذ ست سنين ، كما نصح غيرنا

---

4 ـ « ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم » : تأليف أمين محمد سعيد ، مطبعة البابي الحلبي وشركائه بمصر : ص 384 .

5 ـ في رحلته بعنوان « من مصر إلى مصر » ، مطبعة الموسوعات بمصر ص 53 .

6 ـ المجلد 6 ج 14 ص 609 : بتاريخ الأربعاء 16 رجب 1321/7 أكتوبر 1903 .

من الكاتبين : بأن تعتني – قبل كل شيء – بتأليف قوة عسكرية منتظمة ، وبنشر المعارف ، وأن تستعين على هذا بأختها الدولة العثمانية ، والمنار يرسل – من أول نشأته – إلى وزير خارجية المغرب الأقصى وغيره من كبراء البلاد ، ولكن من يقرأ ومن يسمع لنا ولأمثالنا » .

ومن جهة أخرى وصل إلى مصر أنباء المشاريع الإصلاحية التي اعتزمت حكومة المغرب تحقيقها ، فتفاءل الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده لهذه التباشير ، وسجل إرتياحه – للمبادرة التجديدية – في مطالع رسالة يقول فيها عن السلطان العزيز :

« وصل إلى أسماعنا ونحن في ديارنا ، أنباء ما وجه إليه همه ، وشحذ لبلوغه عزمه ، من النهوض ببلاده إلى الإصلاح ، والسير بها في منهج الفوز والفلاح ، وتلونا ما نشر من أوامره الكريمة ، ووعينا ما تضمنه من القواعد القويمة ، فتجددت في سلامة تلك البلاد آمالنا ، واشتغلت بأحاديثها أفكارنا وأقوالنا .

ولما كان الإصلاح الذي يقصده المولى ، إنما يتم برعاية الدين ، والرجوع إليه في كتابه المبين ، وسنة صاحبه الأمين ، ثم النظر في أقوال وأعمال السلف الصالحين ، لتعرض على ذلك كله أعمال الخلف المحدثين :

تعلقت الأمال بأن يكون لمولانا لفتة إلى العلوم الدينية ، وإحياء ما مات منها ، ونشر ما طوي من كتبها ، لتتأدب النفوس بأدبها ، وتحيي القلوب إذا اتصلت أسبابها بسببها ... »[7] .

---

7 – « تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده » : الطبعة الثانية في مطبعة المنار بمصر 1344 : 2/620– 621 .

6 - مصورة الملحق 31

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده سبحانه عز شأنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم



... بعد اهداء ... من الحرم المحترم وابلاغ ... من بفوح نشره العبق ... واحسن ما سارت به سائرة الاقلام وتراسلت به في الطيف لدى الاوصال

وصلى الله تعالى عليه وآله وسلم الجناب ... المتسم ذروة ... ذوي المجد والاحترام نخبة ذوي الاعتبار ... على سيدنا الامم

حضرة عبد العزيز بن المرحوم الحسن تيك فاس الافخم حفظه الله تعالى وابقاه وحرسه ... وبعد فالداعي الى تحريره والموجب الى تسطيره اولا الاستفسار عن صحة حال الحضرة

نرجو الكريم المتعال ان تكونوا بأحسن حال وانعم بال ثم الذي نرفعه الى ... كان جل مقصود ومرغوب مولانا السلطان الاعظم والخاقان الافخم مولانا

السلطان عبد الحميد ... الله تعالى بقاه وحفظه وحرسه ووقاه حصول ... والامنية التامة لكافة المسلمين في اقاصي الارض وادناها لا سيما في اداء فرائضهم الدينية

وواجباتهم الاسلامية وحيث ان حج بيت الله الحرام وزيارة روضة نبيه عليه وآله افضل الصلاة والسلام هو من اهم الواجبات الدينية واعظم الفرائض المحمدية واحد الاركان الخمسة ...

وقد قال عز من قائل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فوجه مولانا السلطان الاعظم عبد الحميد خان ... الصائبة وافكاره الثاقبة ...

باجراء سكة حديدية من الشام جهة الحجاز الى مكة المكرمة ومنها الى المدينة المنورة ثم الى [illegible] وذلك لكيفية من المواصلات الخفية التى لا تحصى والصعوبات الجمة التى تتعرض لحجاج بيت الله
الحرام وزوار روضة نبيه عليه وآله افضل الصلاة والسلام اولا سرعة التسهيل لهم وحفظهم من انواع المشقات الشديدة التى تحصل لهم فى خلال الطريق والمحافظة عليهم من التغيرات الجوية
من حر وبرد ومطر وقلة المصاريف والمحافظة ايضا على امتعتهم واشيائهم من الضياع فى اثناء الطريق وترخيص اقوات اهالى الحرمين الشريفين والحاصل ان فوائد هذه الطريق
الحديدية امر معلوم لا يحتاج الى البيان ولكن حيث انه امر عظيم ومشروع جسيم [illegible] الى الاعانة من كافة المسلمين وحيث اعتقادنا ان حضرتكم ممن يحب فعل الخيرات والمساعدة
فى اجراء المبرات على الخصوص لحجاج الحرمين الشريفين وترخيص اقوات اهالى الحرمين الشريفين ونداعى ان حضرتكم من ملوك المسلمين فلا شك ان غيرتكم وحميتكم فى هذا الشان فى حق
حجاج الحرمين الشريفين لا يعادلها احد بناء على ذلك حررنا هذا الى حضرتكم وارسلناه صحبة المأمور الحاج محمد بن مسعود الدباغ مأمورا مخصوصا من طرفنا ونؤمل بوصوله الى ناديكم
الاعظم تبذلوا غيرتكم الاسلامية وحميتكم الدينية فى تحصيل اعانة نقدية وارسالها الى هذا الطرف بالدفاتر المضبوطة ببيان الاسماء لاجل الدعاء لهم بالخير ولا شك ان بهذا الخصوص
يحصل لحضرتكم زيادة الدعاء فى هذه الاماكن المطهرة كما هو جارى لكم دائما وبذلك يحصل لحضرتكم مزيد الاجر والثواب من الملك الوهاب ودمتم محفوظين بعون الملك المعين والسلام تحريرا
فى يوم الاربعاء المبارك الموافق ليوم الحادى عشر من شهر جمادى الاولى عام الثامن عشر بعد الثلثمائة والالف من هجرة من له العز والشرف صلى الله تعالى عليه وسلم

امير مكة المكرمة

ملحق 31

رسالة شريف مكة عون الرفيق باشا
إلى السلطان العزيز في شأن إعانة السكة الحجازية

إن أحسن ما سارت به سائر الأقلام ، وتراسلت به ـ في الطيف ـ أماني الأحلام ، إهداء شريف سلام يفوح نشره العبيق ، من حما الحرم المحترم والبيت العتيق ، (وتحية) صادرة من مكة دار الحرم ، ومهبط الوحى على سيد الأمم . صلى الله ـ تعالى ـ عليه وآله وسلم .

إلى جانب قدوة الملوك العظام ، وخلاصة ذوي المجد والاحترام . نخبة ذوي الإجلا (ل) ، المتسنم ذروةسناء الكمال : حضرة عبد العزيز بن المرحوم الحسن ملك فاس الأفخم ، حفظه الله ـ تعالى ـ وأبقاه . وحرسة ووقاه .

وبعد : فالداعى إلى تحريره ، والموجب إلى تسطيره ـ أولاً : الاستفسار عن صحة حال حضرتكم ، نرجو الكريم المتعال . أن تكونوا بأحسن حال ، وأنعم بال .

ثم الذي نرفعه إلى مسا (معكم الكريمة) : أنه لما كان جل مقصود ومرغوب مولانا السلطان الأعظم ، والخاقان الأفخم : مولانا السلطان عبد المجيد خان . أطال الله ـ تعالى ـ بقاه ، وحفظه وحرسه ووقاه ، حصول الراحة (التامة) ، والأمنية العامة ، لكافة المسلمين في أقاصي الأرض وأدناها ، لا سيما في أداء فرائضهم الدينية ، وواجباتهم الإسلامية .

وحيث إن حج بيت الله الحرام ، وزيارة روضة نبيه عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ، هو من أهم الواجبات الدينية ، وأعظم الفرائض المحمدية ، وأحد الأركان الخمسة الإسلامية ، وقد قال ـ عز من قائل ـ « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » .

فوجه مولانا السلطان الأعظم : عبد الحميد خان آراءه الصائبة . وأفكاره الثاقبة ، فرأى أن من أعظم الخيرات ، وأجسم المبرات ، إجراء طريق حديدية ،

من أسكلة جدة المحمية ، إلى مكة المكرمة ، ومنها إلى المدينة المنورة ، ثم إلى الشام ، وذلك لما فيه من الفوائد العظيمة التي لا تحصى . والتسهيلات الجسمية التي لا تستقصى : لحجاج بيت الله الحرام ، وزوار روضة نبيه عليه وآله أفضل الصلاة والسلام :

أولاً : سرعة السير لهم ، وحفظهم من أنواع المشقات السفرية التي تحصل ـ دائماً ـ في خلال الطريق ، والمحافظة عليهم من التغيرات الجوية : من حر وبرد ومطر ، وقلة المصاريف ، والمحافظة ـ أيضاً ـ على أمتعتهم وأشيائهم من الضياع في أثناء الطريق ، وترخيص أقوات أهالي الحرمين الشريفين ، والحاصل أن فوائد هذه الطريق الحديدية أمر معلوم لا يحتاج إلى البيان .

ولكن حيث إنه أمر عظيم ، ومشروع ج (سيم) ، ف (يحتاج) إلى الإعـانة من كافة المسلمين ، وحيث اعتقادنا أن حضرتكم ممن يرغب فعل الخيرات ، والمساعدة في إجراء المبرات ، على الخصوص لحجاج الحرمين الشريفين ، وترخيص أقوات أهالي الحرمين الشريفين ، وبداعي أن حضرتكم من ملوك المسلمين ، فلا شك أن غيرتكم وحميتكم في هذا الشأن ـ في حق حجاج الحرمين الشريفين ـ لا يعاد لها أحد .

بناء على ذلك : حررنا هذا إلى حضرتكم ، وأرسلناه صحبة المأمور الحاج محمد بن مسعود الدباغ مأموراً مخصوصاً من طرفنا ، نؤمل بوصوله إلى ناديكم الأعطر ، تبذلوا غيرتكم الإسلامية ، وحميتكم الدينية ، في تحصيل إعانة نقدية ، وإرسالها إلى هذا الطرف بالتحاويل المضبوطة ببيان الأسماء ، لأجل الدعاء لكم بالخير ، ولا شك أن بهذا الخصوص يحصل لحضرتكم زيادة الدعاء في هذه الأماكن المطهرة ، كما هو جار لكم دائماً ، وبذلك يحصل لحضرتكم مزيد الأجر والثواب ، من الملك الوهاب .

ودمتم محفوظين ، بعون الملك المعين ، والسلام .

تحريراً في يوم الأربعاء المبارك ، الموافق ليوم الحادي عشر من شهر جمادي الأولى ، عام الثامن عشر بعد الثلاثمائة والألف ، من هجرة من له العز والشرف ، صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم .

محفوظات قسم الوثائق خ . م .

7 - مصورة الملحق 32



عمدة ذوي الأجلال المتسنم ذروة سنام الكمال حضرة النائب الفقيه محمد بن العربي الطريس سلمه الله تعالى آمين

وبعد إهداء جزيل السلام الوافر والثناء العاطر غير خاف حضرتكم أننا أرسلنا ناقل تحريرنا هذا الحاج محمد بن مسعود

الدباغ مخصوصا من طرفنا في أشغال تخص الحرمين الشريفين لدى حضرة جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى فنؤمل من

حضرتكم إجراء المساعدة والتسهيلات اللازمة للمذكور ودمتم في حفظ الله والسلام تحريرا في يوم الأربعاء المبارك

الموافق ليوم الحادي عشر من شهر جمادى الأولى عام الثامن عشر بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله تعالى عليه وسلم

أمير مكة المكرمة

تحريرا في يوم الأربعاء ١١ جمادى الأول [illegible]



ملحق 32

رسالة شريف مكة عون الرفيق باشا
إلى النائب الطريس ، للتوصية بحامل خطابه إلى السلطان العزيز

« عمدة ذوي الأجلال ، المتسنم ذروة سنام الكمال ، حضرة النائب الفقيه محمد بن العربي الطريس ، سلمه الله ـ تعالى ـ أمين .

وبعد إهداء جزيل السلام الوافر ، والثناء العاطر : غير خافي حضرتكم أننا أرسلنا ناقل تحريرنا هذا : الحاج محمد بن مسعود الدباغ ، مخصوصاً من طرفنا في أشغال تخص الحرمين الشريفين لدى حضرة جلالة الملك عبد العزيز ، حفظه الله تعالى .

فنؤمل من حضرتكم إجراء المساعدة والتسهيلات اللازمة للمذكور ، ودمتم في حفظ الله ، والسلام .

تحريراً في يوم الأربعاء المبارك ، الموافق ليوم الحادي عشر من شهر جمادي الأولى ، عام الثامن عشر بعد الثلاثمائة والألف ، من هجرة من له العز والشرف ، صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ...

محفوظات قسم الوثائق في المكتبة العامة بتطوان محفظة 116-97 .

ملحق 33

رسالة النائب الطريس إلى الوزير الصدر العثماني بمقدار المبلغ الذي ساهم به المغرب في مشروع سكة الحجاز

« جناب المحترم المكرم ، رئيس سياسة الدولة العثمانية الجليلة ، وصدرها الأعظم : السيد سعيد باشا ، حفظكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله ، عن خير مولانا الإمام ، ظل الله في أرضه على الأنام .

وبعد : فإن جلالة جانب الحضرة الشريفة دام علاها ، لما بلغها ما شرح الله ـ سبحانه ـ إليه صدر مجادة خديم الحرمين الشريفين . السلطان الأفخم : السيد عبد الحميد خان ـ نصره الله ـ من أنشاء السكة الحديدية الحجازية ، تسهيلاً لإقامة شعائر فريضة الحج .

أنعمت ـ أعزها الله ـ بخمسمائة ألف درهم 500،000 ، إعانة على هذا الإنشاء الجليل ، وصرفت ست إيطاري ، وجب فيها 184،601،50 : مائة ألف فرنك وأربعة وثمانون ألفاً وستمائة ، وفرنك واحد وخمسون سنتيما ، حسبما بيانه مع الأبناك المخرجة عليها بالطرة .

وها اليطرات المذكورة توافيكم طيه ، لتأمروا بإرسال واجبها المذكور لصندوق إعانة تلك المشروعية السنية ، راجين من الله ـ سبحانه ـ عموم نفعها لكافة الأمة الإسلامية ، وأن يديمكم في سلامته ، وعلى المحبة والسلام .

وحرر ـ بطنجة ـ في 13 شوال الأبرك ، عام 1320 ، محمد بن العربي الطريس ، لطف الله به » .

ذكر البطرات المشار إليها :

نمر		سنطيم	فرنك	
7254	فعلى كنطوال باريز		40,000	كنطوال
85349	وعلى الكريدي السو في باريز		30,000	ناهون
15060	وعلى انجلو أجيبسيان باريز		50,000	التابوري
9041	وعلى أنكى ماريط أنبين باريز		10,000	حسان
85574	وعلى الكريدي الهون باريز	50	49,601	ناهون
45204	وعلى أنكلو أجيبسيان باريز		5,000	هسبنير
	الجميع	50	184,601	

« تاريخ تطوان » للمؤرخ محمد داود : القسم المخطوط .

ملحق 34

منشور صادر من مدير الطباعة العثمانية محمد صادق في شأن أعضاء جمعية تركيا الفتاة ، حيث التجأ بعضهم للمغرب

إن بعض العثمانيين قد شقوا عصا الطاعة والعصيان ، وقصدوا هدم الخلافة الإسلامية ومحو أثر العثمانيين عموماً ، ويأبى الله إلا نصرتهم ، وفروا من بلادهم التجأوا إلى أوربا ... وأكثروا من الفجور والعصيان والطعن في إخوانهم المسلمين ، فطردهم الأورباويون من بلادهم ، ثم إلتجأوا إلى البلاد المغربية ، وذهبوا بصفة التجسس والتحيل لمراكش : لحضرة الملك الأعدل : مولانا عبد العزيز نصره الله .

وخصوصاً إن المؤمنين إخوة ، ومثل هؤلاء يجب طردهم بل قتلهم ... فكل من دخل البلاد المغربية يتكلم باللسان التركى ، أو لابس ثوب الأتراك : فهو منهم فاطردوه ، بل واقتلوه ...

وعليه فنستلفت أنظار الوزراء ... نيابة عن جلالة ولي نعمتنا : الغازي عبد الحميد خان نصره الله ، وهم ... السيد المهدي المنبهى و ... السيد الحاج محمد الطريس و... السيد فضول غرنيط ، ووزير بيت المال السيد محمد التازي ، والفقيه السيد عبدالله ابن سعيد ، والوزير الأجل السيد عبد الكريم بن سليمان ، وكل مؤمن مخلص : أن ينبهوا مولانا عبد العزيز ـ نصره الله ـ والرعايا لشأنهم ، حتى تجري المخابرات الرسمية في حقهم ، وانتصاركم هذا لله ولرسوله ﷺ .

محرر مدير الطباعة ، نائب الحضرة الحميدية على الفرقة الطاغية : محمد صادق 1319 .

ـ من خط القاضي المرحوم عبد الحفيظ الفاسي ـ في كناشته بالمكتبة التطوانية بسلا ـ مع بعض إختصار .

المرحلة الثانية

ويأتي تحليلها حسب الأبواب التالية :

مدخل :
الباب الرابع : الموقف الرسمي من أزمة الصحراء .
الباب الخامس : الرد الرسمي ضد المطالب الفرنسية .
الباب السادس : محاولات تجديدية على المستوى الرسمي .
الباب السابع : ملامح اليقظة السياسية للنخبة المغربية في مطالع القرن العشرين .
الباب الثامن : دور العلماء في التوعية .
الباب التاسع : مشروعان دستوريان .
الباب العاشر : نماذج من مساهمة الشعر في التوجيه الإصلاحي .
الباب الحادي عشر : البدايات الأولى لظهور الطباعة العربية المركبة على الحروف .
الباب الثاني عشر : المقاومة المسلحة في الشاوية وتافيلالت .

مدخل

نحن ـ الآن ـ مع المرحلة الثانية للطور الثالث من مظاهر يقظة المغرب الحديث ، حيث تبتدي مع فترة عروض تاياندييه ، وسنتبين وقائعها بعد عرض قصير . نشير فيه ـ أولاً ـ إلى الإتفاق الودي الفرنسي الإنكليزي : 8 أبريل 1904 « 22 محرم 1322 » ، وهو الإتفاق الذي قضى على التنافس بين الدولتين ، بعدما استمر المغرب يستفيد منه لدعم استقلال البلاد منذ احتلال الجزائر : 1245 هـ / 1830 م ، وهكذا أعطى الوفق الثنائى لفرنسا حرية العمل لهدم استقلال المغرب ، مما جعل المنطقة ميداناً لأحداث خطيرة .

فثورة المغرب الشرقي لا تزال مشتعلة ، دون أن تتمكن الدولة من القضاء عليها .

بينما تضاعف ضغط الحملات الفرنسية على الحدود الجنوبية والشرقية : موريطانيا ، وعين بني مطهر ، ومركز الحاسي الأحمر ، وقصر الأحمر ...[1] .

وعلى الصعيد الإقتصادي : جاءت هذه المرحلة والمغرب يتورط في القروض الفرنسية ، مما أدى إلى تمكين الدائنين من التصرف في الجمارك على امتداد المراسي الثمانية : تطوان ، طنجة . العرائش . الرباط . البيضاء . الجديدة . آسفى .

الصويرة ، وبدأ العمل يجري بذلك من 21 يونيو 1904 « 1322 » ، تحت إشراف مراقبين يستخلصون (0/60) من المداخل الجمركية[2] .

---

1 ـ المذكرات الحجوبة الأولى .

2 ـ « المسألة المغربية » ص 166 ، 424 .

وزاد في خطورة الوضع الاقتصادي تقاعس كثير من النواحى عن أداء ضريبة الترتيب[3] .

* * *

وفي الأفق السياسي جاءت مطالب فرنسا « الإصلاحية » على أن تكون الدولة صاحبة الاقتراح هى المباشرة للإصلاحات ، حيث ستطبق في المجالات العسكرية والمالية والإدارية .

وفي هذا الصدد وصلت إلى فاس بعثة سانت رينيه تايا نديه 26 يناير 1905 « 20 ذي القعدة 1322 » .

وقد واجه المغرب هذه المطالب باستدعاء مجلس الأعيان ، وانبثق عن هذا مؤتمر الجزيرة الخضراء .

وبعد موافقة المغرب على مقررات هذا المؤتمر ، تصاعدت مظاهر الاستياء الوطني ، فكان مصرع الطبيب الفرنسي ، واحتلال وجدة ، ثم حوادث الدار البيضاء واحتلال هذه المدينة ...

وهكذا أثرت أوضاع هذه المرحلة على سير الإدارة ، وأفضى الأمر إلى التخلي عن الإندفاع في سياسة الإصلاحات[4] ، وبدا ـ واضحاً ـ عجز الحكومة عن مجابهة الموقف .

وهنا برزت نخب على المستوى الشعبي ، فلمعت مشاريع إصلاحية ، وساهم الأدب المغربي ـ من جهته ـ في إذكاء الشعور ضد التدخل الأجنبي ، بينما ظهرت صحف محلية جديدة ، وتقدمت ـ إلى حد ـ أجهزة الطباعة العربية .

ومن جهة أخرى فإن واقع الاعتداءات الفرنسية ، جر إلى فتح واجهات قتالية في نواحى الدار البيضاء ، وفي تافيلالت .

وسيراً مع منهجية « مظاهر يقظة المغرب الحديث : فإن وظيفة هذه المرحلة تبريز ملامح اليقظة المغربية في العمل الرسمي ، وعلى المستوى الشعبي ، وقد كاد هذا

---

3 ـ « المصدر » ص 124 .

4 ـ « المصدر » ص 258 .

القطاع الأخير يأخذ بزمام المبادرة أواخر هذه الفترة ، غير أنه سيرجأ تحليل هذه الظاهرة إلى ما بعد عرض المواقف اليقظة التي استطاعت الحكومة القيام بها في غمرات الأحداث ، على أن يأتي تصنيفها حسب الأبواب التالية .

4 ـ الموقف الرسمي من أزمة الصحراء .

5 ـ الرد الرسمي ضد المطالب الفرنسية .

6 ـ محاولات تجديدية على المستوى الرسمي .

وقد جاءت هذه الأبواب تابعة ـ في تعدادها ـ للأبواب السالفة .

الباب الرابع

الموقف الرسمي من أزمة الصحراء

بدأ التحرش الفرنسي بإقليم شنحيط من أول عام 1318[1] / 1901 ، ولمواجهة التحدي عين العاهل المغربي مندوبين إثنين بمنطقة طرفاية لمراقبة هذه الناحية إلى رأس بوجدور ، والعمل على صيانتها من أي تدخل أجنبي براوبحراً ، انظر الملحقين رقم 37 ، 38 .

وبعد نجاح فرنسا الدولي عام 1322/1904 . أخذ المعتدون يتوغلون في الصحراء : في حملة آتية من الساحل ، وأخرى من جهة السنيغال .

وبالإضافة إلى مقاومة السكان للاعتداءات ، قر رأيهم على إرسال وفد إلى السلطان العزيز ، ووصل الوفد إلى فاس بمعية حسانة بن الشيخ ماء العينين ، فعرضوا على ولي الأمر واقع هذا الجزء من التراب المغربي ، وطلبوا منه العمل لوقف المد الاستعماري : بمقابلة الحرب بالحرب ، أو بطريق التفاوض .

كما ألحوا على إمداد المجاهدين بالسلاح الحديث الذي يفتقدونه بالمرة ، وأكدوا على بعث ممثل للسلطة المغربية ليلتف المناضلون حوله ، انظر الملحقين : 39 ، 40 .

وهنا نسجل أن الحكومة ـ وعلى رأسها ملكها ـ وقفوا موقفاً صارماً ضد الاعتداء ، فأمد العاهل المجاهدين بالبنادق ذات الطلقات السريعة ، وبالذخيرة والمؤونة .

---

1 ـ انظر الملحقين رقم 35 ، 36 .

كما أوفد بعثة لعين المكان قصداً لتنظيم الدفاع ، يرأسها الأمير العلوي : إدريس بن عبد الرحمن بن السلطان المولى سليمان[2] ، وكان مع قائد البعثة رسالة عزيزية تحمل تاريخ 23 صفر 1323/1905 ، غير أنه لا يعرف ـ الآن ـ النص العربي للرسالة ، وجاء في ترجمتها الفرنسية[3] ما نص تعريبه :

« ... بلغ لشريف علمنا ما تشتكونه من محاولات الأمم الأجنبية الإستيلاء على بلادكم ، وأن القبائل المجاورة لكم ـ من مملكتنا الشريفة ـ مستعدون لمساعدتكم في مقاومة الأجنبي ، وأن الإذن الخصوصي والقائد المطاع هما اللذان ينقصانكم ، ومن جهة أخرى : الأسلحة العصرية ، وهذا دليل على حسن نباهتكم .

ونحن نرى أن خوفكم من ذوي المطامع السياسية في بلادكم ، واتفاقكم مع القبائل المجاورة ، برهان قاطع على حسن إيمانكم بالله .

ومن جهة أخرى فإن ما تطلبونه من حكومتنا الشريفة التي تعرف إخلاصكم من قديم هو موجب لقبول مطالبكم ، ودليل على وفائكم في التعلق بجانبنا العالي بالله ، وبذلك ستدافعون عن ملتكم ، وتحتفظون بمكانتكم عندنا .

أما الوسائل التي تخصكم ، والعون الذي تنتظرونه منا ، والمصلحة التي تريدون أن نبلغها إليكم : فذلك كله من الواجبات علينا ، ومن الاهتمامات التي تلزمنا نحوكم ، وإذا شاء الله فستحصلون منا على كل ما تريدون .

وعليه فقد بعثنا إليكم حامله الذي هو ... وهو قادم إليكم للتعرف بأرضكم ، ودراسة حالتها الحاضرة ، وسيتحدث مع رؤساء القبائل في كل ما يهمكم ويهم هذه البلاد .

وكل هذا سيقع بواسطة الشيخ العلامة السيد ماء العينين الذي كتبنا له في الموضوع .

ونحن نأمركم بحسن مقابلة رسلنا ، وتسهيل القيام بما أموريتهم التي طوقوا بها ، ملتزمين كل ما يأمركم به الشيخ وفق مرادنا .

---

2 ـ يرجع إلى الملحقين رقم 41 ـ 42 .

3 ـ جريدة « صحراء المغرب » ع 71ـ72 « مزدوج » : ص 5ـ6 .

ثم نأمركم أن تختاروا ـ بإخلاص ـ من بين أعيانكم من ترونه صالحاً لقيادتكم ، ونحن نبعث له ـ حيناً ـ الظهير الشريف وطابع الحكم ، وهكذا نريد أن نسجل ولاءكم الدائم لنا ، ونفيض الخيرات على بلادكم » .

وإلى هنا تنتهي هذه التوجيهات الملكية للمعنيين بالأمر في المنطقة . وكان العاهل العزيز أوصى ممثله بأن يأمر المعتدين بالجلاء ، وعند الاقتضاء يشهر عليهم الحرب .

وتطبيقاً لهذه التعليمات . كتب أمير البعثة إلى قائد الحملة الفرنسية بتيجيكجا لمطالبته بإخلاء « تكانت[4] » .

وإلى جانب ذلك عقد المبعوث المغربي مؤتمراً بالصحراء ضم نخباً من الممثلين لقبائلهم ، وقد حث جميعهم على الإتفاق والتعاضد ، وحضهم على التمسك بالطاعة[5] ، وسنرى بالملحق رقم 44 نموذجاً لأحد الاستدعاءات لهذه الغاية . ويتعلق الأمر برسالة من الشيخ ماء العينين إلى جماعة إيد وعيش بتاريخ 19 جمادي الأولى عام 1322 .

ونتيجة لهذه الإتصالات ، استطاع الخليفة السلطاني أن يجمع حوله عدة قبائل من أدرار وأولاد أبي السباع .

ومن المعارك الذي قادها ضد جيش الاحتلال ، مهاجمة الفرنسيين بقوة وطنية قوامها 900 مجاهد ، ودامت المعركة من الثامنة صباحاً إلى الحادية عشرة ، حتى اضطر الخصوم إلى التراجع نحو جهة تيجيكجا[6] .

وهكذا يتبين ـ حسب ملاحظة البعض ـ أنه كان لهذه البعثة وللسياسة الحكيمة التي أوحت بها : ما أفاد القضية المغربية في هذه المرحلة ، فإن تقبل الموريطانيين للبعثة . وتدخلها كممثلة للسلطة الشرعية : أمر مهم ـ بمفرده ـ بالنسبة للقضية .

---

4 ـ انظر الملحق رقم 43 .

5 ـ « الجأش الربيط .. » تأليف الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين مطبوعات « دار العلم » بالرباط : ص 23 .

6 ـ انظر الملحق رقم 43 .

زيادة على التأثير المعنوي الذي أحدثه وجودها ، إذ أدرك الشناقطة أن ملك البلاد راع أمين ومتيقظ [7].

ومما يسجل للمغرب في هذه المرحلة بالذات . أن المسؤولين لم يتنازلوا ـ أبداً ـ عن تبعية موريطانيا حتى في أحرج الأزمات ، فقد كان بين مطالب فرنسا بعد مقتل الطبيب موشان ، مطلب يهدف إلى تخلي المغرب عن هذه المنطقة ، غير أن وزارة الخارجية المغربية قطعت على السفارة الفرنسية هذا الإتجاه ، وأعلنت أن المخزن قد أجل قضية « الأدرار » حتى اليوم الذي يصبح في الإمكان بحثها فيه [8] .

ونختم هذا الموضوع بملاحظة لمجلة العالم الإسلامى تقول فيها : « إن سياسة الحكومة المغربية الصحراوية كانت واضحة وبينة ، ومبنية على أساس قوي من الحكمة ، إذ في هذه الجهة الصحراوية البعيدة حيث لا يمكن أي عمل مباشر ، كان من العقل أن تكتفى بمبدأ السيادة مثبتة نفوذ المرابط الروحى ، ومفندة ـ بحكمتها وكرمها ـ جميع الدعايات الأوربية .

وهكذا انتصرت ـ دائماً ـ سياسة المخزن ، حيث استعملت لمصلحتها الولاة المحليين الذين تأثروا بدعوة المغرب ، وكان ذلك ـ في الوقت نفسه ـ تعميراً للثغر الجنوبي ، حيث تكون البوليس الصحراوي من القوة الوحيدة للمتطوعة .

وهكذا أصبح المخزن قادراً على أن يحتج ـ باسم الأهالي ـ ضد كل تدخل نصراني » [9] .

---

7 ـ « جريدة صحراء المغرب » ع 71-72 « مزدوج » ص 6 .

8 ـ « المسألة المغربية » ص 422 .

9 ـ « جريدة صحراء المغرب » ع 71-72 « مزدوج » ص 5 .

ملحق 35

رسالة الشيخ ماء العينين إلى السلطان العزيز
يشعره باستعداد فرنسي للتحرك نحو أدرار

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

أمير المؤمنين ، ظل الله على الأرضين ، خليفة جده سيد المرسلين : مولانا عبد العزيز ، نصركم الله وأعزكم ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ ما دام الكون وحركاته وسكناته .

ثم ليكن في كريم علمكم أن نصارى أندر بلغنا عنهم ــ بخبر التواتر ــ أنهم مشتغلون في النهوض لأدرار ، فلتنظروا ــ حفظكم الله ــ فيما يصلح للمسلمين . لأنهم ــ لعنهم الله ــ مشتغلون في ذلك بشراء الجمال والقرب وغيرهما مما يصلح لأسفار الصحاري ، حفظكم الله وأيدكم في كل أمر جاري .

والكثير من الناس لا يقول إلا هذه البلاد لمولاي الحسن رحمه الله ، وإبنه مولاي عبد العزيز نصره الله ، وما أرسل لنا به مولاي عبد العزيز نفعله ، وما لا فلا .

والله المرجو لنصركم بالتمام ، وعلى المحبة والسلام . في 1 من المحرم عام 1318 .

عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين ، غفر الله لهم وللمسلمين ، آمين .

« الجأش الربيط » ص 78 .

ملحق 36

رسالة الشيخ ماء العينين إلى الوزير أحماد يشعره باستعداد فرنسي للتحرك نحو أدرار

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ابننا الأبر ، قرة عيننا ثمرة أفئدتنا الأشهر : الوزير أب أحمد ، حفظك الله في كل بلد ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ما دام الكون وحركاته وسكناته .

وبعد : فليكن في كريم علمكم أنا طرأ علينا من الخبر ما لم يتبين لنا إلا وجوب إنهائه إليكم ، وهو أن النصارى أهل أندر لعنهم الله : ثبت عندنا ـ بالتواتر ـ أنهم مشتغلون بشراء الجمال والقرب ، ومريدون بذلك النهوض لأدرار ، وبقى من في البلاد متحيراً فيما يدخل معهم ، فالبعض يقول نحن في بيعة مولاي الحسن وابنه مولاي عبد العزيز ، ولا نقدر على فعل شيء حتى يخلف لنا مولاي عبد العزيز ، والبعض يقول : إن خرجوا إلينا وقدرنا على قتالهم قاتلناهم ، وإلا فإنا نهاجر عنهم .

والآن إعلموا أنه ليس لأهل هذه البلاد في الحقيقة من الرأي والتدبير إلا ما صدر من جانبكم في الأمر ، وليسرع بما هو مفعول قبل خروج النصارى إلى البلاد ، فإن اقتضى النظر المولوي أن ترسلوا للنصارى من هنالك في المراسي أن البلاد بلادكم ، ومن فيها في بيعتكم ، ويكون ذلك كفاً لهم عن البلاد ومن فيها : فبها ونعمت ، وإن اقتضى النظر أن يرسل لمن هنا من أهل الشوكة والسلاح أنهم يتعرضون لهم ويقاتلونهم : فبها ونعمت أيضاً ، وإن اقتضى النظر غير ذلك فنظركم أوسع .

وأعلم أن النصارى كثيراً ما تأتيني رسلهم طلباً للعهد معي ، وأنا أمتنع لهم من ذلك أيّ امتناع ، إلا إذا كان ذلك على يد السلطان نصره الله تعالى ، وأقول لهم : إن الله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى

الأمر منكم ، ونحن أولوا أمرنا أمير المؤمنين نصره الله تعالى ، فلا يكون بيننا معكم كلام إلا بواسطته .

والآن ما هو النظر عندكم ، أحب أن أكون عارفاً به لأقوله لهم إن أرسلوا لي ، وإلا فلا كلام بيني معهم إلا بشيء صادر لي من جهتكم .

حفظكم الله وأيدكم ، ورزقنا وإياكم التوفيق لما يحبه بالتمام ، وعلى المحبة والسلام ، في سابع المحرم عام 1318 .

ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين ، غفر الله لهم وللمسلمين ، آمين .

« الجأش الربيط » ص 78–79 .

ملحق 37

ظهير عزيزي بتعيين موظفين للسهر على مراقبة شواطيء الصحراء الغربية

خديمنا الأرضي : القائد إبراهيم بن مبارك الشتوكى التكني . وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد أسندنا لك وللخديم محمد بن البلال البو سعيدي : النظر في رد البال بكوشطة رعيتنا السعيدة : من طرفاية إلى رأس بوجدور ، والكون منها على بال .

فنأمرك أن تقوم معه على ساق الجد والاجتهاد في رد البال لها بحراً وبراً ، وصرف الوجهة للاعتناء بصيانتها سراً وجهراً ، ونصب العيون على من بروم إحداث شيء فيها مما يخالف عادتها التي هى عليها أو ينافيها ، وتطيير الإعلام لعلي جنابنا بما عسى أن يروم أحد إحداثه بها : من ناحية البر أو ناحية البحر .

وإياك والتراخي في ذلك ، فإن عهدته عليكما ، وراجعة إليكما .

وبمثله أمر الخديم محمد بن البلال .

والسلام ، في فاتح محرم فاتح عام 1319 .

« الساقية الحمراء ووادي الذهب » 323/1 .

ملحق 38

رسالة عزيزية إلى القائد حمادي الشباني
لإعلامه بمضمون الرسالة بالملحق الأخير

خديمنا الأرضي : القائد حمادي الشباني ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد : فقد كلفنا خديمنا القائد إبراهيم بن مبارك الشتوكي التكني . والقائد محمد بن البلال البوسعيدي : برد البال لكوشطة رعيتنا السعيدة : من طرفاية إلى رأس بوجدور ، وصيانتها من أن يحدث بها أحد شيئاً براً وبحراً .

وأعلمناك لتكون على بال .

والسلام ، في فاتح محرم عام 1319 .

. « الساقية الحمراء ووادي الذهب » 344/1 .

ملحق 39

رسالة ماء العينين إلى العزيز ، يقدم بها رسالة نواب الصحراء الغربية ، ويحدد مطلبهم

الحمدلله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

حمداً لمن جعل للمؤمنين مأوى يأوون إليه ، هو من سلالة نبيه المختار ممن لديه .

وبعد : فإلى ظل الله في البلاد ، ومن هو للمسلمين ـ الذين يستندون إليه ـ من أقوى عماد ، أيده الله ونصره وأعزه في جميع العباد ، ذلك الأمير الذي نحن قائلون عليه : الحمد لله بلا تعداد ، هذا وإنه سلام الله ورحمته وبركاته ، ما دام الكون وحركاته وسكناته ، إلى أمير المؤمنين مولانا عبد العزيز .

وبعد : فمن موجبه أنا ـ منذ زمن ـ يبلغنا شيء من الخبر عن هذه النواحي الموالية لنا ، ونتحير هل ننهيه لعلمكم الشريف أم لا ؟ إن تذكرنا ما في براوة عندنا لمن نرجو في الله تنوير ضريحه ، والدكم مولانا الحسن : أنا لا يبلغنا شيء من الخبر إلا وأنهيناه للعلم الشريف : قلنا ننهيه . وإن نظرنا في عدم التحقيق سكتنا ، حتى أتانا من الخبر ما هو مكتوب لكم ، وستجدونه ـ إن شاء الله ـ مع هذا ، وجاءنا معه من التحقيق ، ما لا ينبغى معه إلا التصديق ، فلذلك أنهيناه لكم .

ولما فتشنا عن حقيقة الأمر : إذا حاصله أن هذه البلاد ـ التي هى بلاد الشناجطة ـ فيها من المسلمين الحاملين للسلاح وغيرهم ما لا يحصيه إلا الله ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وقد قال لي مولانا مولاي عبد الرحمان جدكم نور الله ضريحه : إنا متوسمون أن الإيمان الحقيقى اليوم ليس إلا في تلك البلاد .

ولم يكن لهم فيما مضى من الزمن خبر بالنصارى ، ولا أنهم يريدون بلداً بالملك ، بل إنما يظنونهم تجاراً يبيعون اللباس ، ويريدون المعاملة مع الناس ، ولم يعلموا بشيء إلا وإذا هم طالبون ملك البلاد ، والإستيلاء على العباد ، فأراد البعض منهم أن يتلقى لهم بالحرب ، فإذا هو لم يتيسر له ذلك من جهتين : إحداهما : عدم أمير تنقاد له

القبائل كلا ، والثانية : عدم السلاح الذي أتاهم به النصارى : وهو العدة المسماة بالوروار .

فلما نظروا في ذلك إجتمع رأيهم على أنهم لا حيلة لهم إلا رفع الأمر لكم ، مع أنهم ـ أولاً ـ قالوا لهم إنهم في بيعتكم منذ عهد مولاي إسماعيل ، وإنهم جددوها لمولاي الحسن ، فقال لهم النصارى : إن كان ذلك حقاً فأرونا طابعاً واحداً لهم عندكم ، وإذ ذاك أظهر رئيس أدرار طابع مولاي الحسن نور الله ضريحه الذي عنده ، مع طابعكم .

والحاصل أن النصارى أخذوا من بلاد المسلمين مواضع ثمانية ، وهى نزر ـ ولله الحمد ـ بالنسبة لغيرها ، وأرسلوا لكم بما ترون ، فإن اقتضى النظر الشريف أن يساعدوا بما أرادوا فإني لا أظنه إلا فضلاً ساقه الله لكم ، وأرجو الله أن يكون من أوائل إجابة دعائى : فإني أرجو الله أن يعطيكم ملكاً لم يكن لغيركم .

والأمر سهل ـ ولله الحمد ـ إن أخذتم أحداً من خدمتكم سواء من قربائكم وسواء من غيرهم يكون نائباً عنكم ، وشيئاً من العدة التي طلبوا .

والله المرجو أن ينيلكم من فضله ما لا تكيفه العقول ، ولا تحصره النقول ، وغير ذلك لا نرجوه ، كما أنا لا نرجو أن يخيب رجاء من رجاءكم لنصر دينه ، بل نرجوه أن ينصركم وينصر بكم ، ويبلغ لكم ولمن رجاكم بالخير ما تحبونه بالتمام ، وعلى المحبة والسلام .

في 13 رمضان عام 1322 .

« الجأش الربيط » ص 21-22 .

ملحق 40

رسالة نواب الصحراء الغربية إلى العزيز يشرحون فيها واقع بلادهم ، ويحددون مطلبهم

الحمد لله الذي رفع ظلم أهل الظلم والطغيان ، بعدل أهل العدل والإحسان . والصلاة والسلام على خير الأمم ، سيد العرب والعجم .

وبعد فإلى ظل الله في الأرض ، طولها والعرض ، كهف المسلمين ، وملاذ المؤمنين ، وعماد الدين ، وخليفة سيد المرسلين ، ومحط رحال الخائفين ، وغوث الراهبين ، وغيث الراغبين ، ومراعى مصالح المسلمين أجمعين ، أمير المؤمنين : مولانا عبد العزيز بن مولاي الحسن ، أيدك الله ونصرك وأعزك : السلام الأسنى ، والتحيات المباركات الحسنى ، ممن هم في بيعتكم سلفاً عن خلف أجمعون :

قبائل الشناجطة المتبوءون بلاداً لم يكن للنصارى سبيل عليها من قبل . وهذه البلاد فيها كثير من أهل الإيمان الحقيقيين .

فمنها آدرار بلد واسع ، قيم أمره خديمك سيدي أحمد بن عيد الذي عنده طابعك ، وهو في كثر من الرجال الأبطال أهل الحرب .

ومنها بلاد تكانت . وقيم أمرها عثمان بن بكار بن سويد أحمد . ومعه من الرجال أهل النضال ما لا يحصى كثرة .

ومنها الحوض . وفيه من قبائل الإسلام ـ ولله الحمد ـ ما لا تسع الأوراق إحصاءه ، من أوفر ما فيه قبيلة يقال لها مشظوف ، وقيم أمرها إسمه محمد المختار ابن محمد محمود بن لمحيميد ، وفيه قبيلة ـ وافرة أيضاً ـ يقال لها أهل سيدي محمود ، وقيم أمرها سيدي المختار بن محمد محمود بن عبدالله بن سيدي محمود ، وفيه قبيلة وافرة ـ أيضاً ـ يقال لها الأغلال . ومنها بلاد يقال لها القبلة ، فيها قبيلة وافرة ـ أيضاً ـ يقال لها الترارز ، وقيم أمرها إبن محمد الحبيببن بكار .

وهذا الذي سمى من القبائل إنما هو بعض ممن يحمل المكاحل من أهل تلك

البلاد ، وأما قبائل يقال لها الزوايا وما لم يذكر من أهل المكاحل : فالجميع لا يحصى كثرة ، ولله الحمد ، والله يؤيد بكم الإسلام .

وأهل هذه البلاد قرب النصارى من دخول أراضيهم ، بل أخذوا القليل منها وبنوا فيه بناءات متفرقة عددها ثمانية مواضع : أحدها مال ، وميت ، وأنبود ، وأخروف ، الخامس سهوت الما ، السادس أنواكشوط ، السابع بتلميت ، الثامن نودق ، وأذلوا أهل هذه المواضع ذلاً يختارون عنه خراب المرابع ، والكثير من هذه البلاد سالم من البناء ، وسلامته في آخر رمق وذماء . والآن استغاثوا بك واستنصروك ، واستنجدوك واستعدوك . والأهم عندهم مسألتان : العدة الوروارية . وواحد منكم يكون هو النائب عنكم . ليدفعوا به هؤلاء النصارى عن أراضيهم . وليس عندهم من الحيلة في دفعهم إلا هذا المثل : (نبه لها عمراً ثم نم) . والسلام .

« الجأش الربيط » ص 20–21 .

ملحق 41

تقزير عن البعثة المغربية التي زارت الصحراء الغربية عام 1323/1905

الحمد لله وحده .

عندما كان السلطان المولى عبد العزيز يقيم بفاس ، أي حوالي سنتي 1322 ـ 1323 هجرية : وقعت مراسلة بين السلطان والشيخ ماء العينين ، في موضوع الحالة المرتبكة التي أوجدها في الصحراء المغربية الإعتداء المسلح الذي قامت به الجيوش الفرنسية ، فقد طلب الشيخ من السلطان المولى عبد العزيز في إحدى رسائله أحد أمرين : إما أن يرسل الأسلحة إلى سكان الصحراء لتمكينهم من تنظيم الدفاع عن أنفسهم ، (وأما) أن يتخذ التدابير الديبلوماسية مع فرنسا لتوقف نشاطها العدواني ، وبالفعل دخل السلطان في محادثات مع فرنسا ، لكن هذه المحادثات لم تفض إلى نتيجة . لأن فرنسا زعمت أن منطقة الصحراء لم تكن تصل لها السيادة المغربية ، فأرسل الشيخ ماء العينين إلى القصر الملكي بفاس وفداً برئاسة أحد أقاربه الأقربين ، وهو السيد عبدالله بن جنبوب ، وذلك ليطلب من السلطان أن يعين خليفة له في الصحراء ، وقواداً جدداً .

وقد عين السلطان كخليفة له في الصحراء أحد شرفاء تافيلالت ، وهو المولى إدريس بن عبد الرحمن بن سليمان ، وعين الفقيه سيدي المدني وزيراً له ، والفقيه الغرفي كاتباً ، وكانت هاتان الشخصيتان الأخيرتان تعملان في كتابة الخليفة المولى عبد الحفيظ ، وقد وقع الاختيار عليهما من بين سكان تافيلالت بسبب كون مناخ تافيلالت يشبه ـ إلى حد كبير ـ مناخ الصحراء .

وقد أرسلني السلطان لأرافق هذه البعثة ، ولأسلم في عين المكان ظهائر تولية 14 قائد جديداً لأصحابها الذين عينوا عمالاً للملك في الصحراء .

وقد تلقيت الأمر بأن أسلم هذه الظهائر إلى أصحابها بمحضر الشيخ ماء العيْنَيْن .

وفيما يلي وصف الرحلة .

غادرنا فاس في متم شهر ربيع الأول من عام 1323 هجرية ، وكانت مرحلتنا الأولى هي العرائش التي استقبلنا فيها ـ بأمر من صاحب الجلالة ـ من طرف أمناء المرسي الذين أركبونا في سفينة ألمانية توجهت بنا إلى الصويرة .

وفي الصويرة استقبلنا من طرف باشاها السيد عبد الرحمن بركاش ، ومن طرف الأمناء ، وأجرت لنا السلطات المحلية المركب الإسباني « ريوس » ، ليقلنا إلى طرفايا ، وليرجعنا إلى الصويرة .

وعند وصولنا إلى طرفاية ، استقبلنا من طرف القائد حميدة الشرادي ، والأمين السيد الطاهر ابن المليح ، وكوكبة من الجند ، ووفد من قبائل الصحراء على رأسه ممثل الشيخ ماء العينين .

ووجدنا ـ كذلك ـ رهن إشارتنا جمالاً أرسلها الشيخ لتقلنا إلى العاصمة « الصمارة » . وكانت مراحل سفرنا ـ عبر الصحراء ـ هي التالية :

المرحلة الأولى	:	اغراد لعصل
المرحلة الثانية		سبخة لعصل
المرحلة الثالثة	:	اساتف
المرحلة الرابعة	:	الحكونية
المرحلة الخامسة		تواغد
المرحلة السادسة		لميحيين
المرحلة السابعة		اكويرت الحيسن
المرحلة الثامنة والأخيرة		الصمارة

حيث خصنا الشيخ ماء العينين باستقبال حافل ، وسط وفود جميع القبائل الصحراوية التي استقدمت بهذه المناسبة : قبائل تكنة ، وايزركيين ، وآيت لحسن ، وازوافيط ، أيتوسي ، يكوت ، وقبائل نواحي الداخلة وواد الذهب : أولاد دليم ، والعروسيين ، وأولاد تيدرارين ، والرقيبات ، وأولاد أبي السباع ، وآيت يعقوب ،

أهل الحاج ، والكرح ، وأولاد لب ، والصكارنة ، وقبائل أدرار الموريطانية ، أولاد عمني أولاد أكشار ، وأولاد غيلان ، والطرشان ، وإد يشلي ، والسماسيد ، وقبائل شمامة : مثل الترارزة ، وأولاد لولب ، أولاد بير ، وأهل باركالله . وتاكاط ، وايدان بن لحسن ، وقبائل أخرى من تاكانت : كايدا وعيش ، وايدا وعلي ، وتجاكنت ، وقبائل اركيبة : كالاغلان ، وقشومة ، وايد وبوسات ، وايدا وعيش .

وأمام جميع هاته الوفود المجتمعة ، ألقى الشيخ خطاباً قدم فيه الخليفة السلطاني ، فبايعته جميع الوفود ، وعبرت له عن ولائها ، ثم قال لهم الشيخ .

يجب عليكم أن تدفعوا لخليفة السلطان الزكاة الشرعية ،فامتثلت الوفود ، وسلمت للخليفة ما مجموعة ألف ومائة جمل .

وإذ ذاك سلمت لكل عامل ظهير تعيينه » .

من إملاء الحاجب محمد الحسن بن القائد إدريس إبن يعيش على شخصية مهتمة .

ملحق 42

رسالة ماء العينين إلى العزيز
بشأن وصول البعثة المغربية ...

الحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الحمد لله رب العالمين ، على ظل الله في العالمين أمير المؤمنين ، أيده الله بنصره والتمكين ، وسلام الله تعالى ورحمته وبركاته ، عليكم ما دام تجري من ربنا على خلقه رحماته .

وبعد : فليكن في كريم علم أمير المؤمنين : أن الوفد الشريف المباركها هو قد قدم علينا ولله الحمد ، والله يجازيكم عنا وعن المسلمين بما تحبونه ، ويجعل مجيئه من أسباب النصر ، والتمكين والظفر .

ثم إنه قد طرأ علينا من الخبر بعدما أرسلنا ما هو بطيه ، ولكن لا بأس إن شاء الله ، بل لقد عددناها من بركتكم وتقديم النصر أمامكم ، جعله الله معكم مصاحباً لكم وقدامكم ، ومع رسلكم وأقدامكم ، وها نحن ـ إن شاء الله ـ ننظر فيما يليق به ويكون به النصر لكم ، ونفعله إن شاء الله .

ونرجوه أن يوفقنا ـ جميعاً ـ لما يحبه ويرضاه ، ويجازيكم عنا بما تحبونه وترضونه ، ويكفيكم شر مخلوقاته ، ويطيل أعماركم في العافية ، ويؤيدكم بنصره بالتمام . وعلى المحبة والسلام .

في 7 جمادي الأولى عام 1323 .

« الجأش الربيط » ص 22ـ23 .

ملحق 43

تقرير فرنسي عن النشاط العسكري للبعثة المغربية بالصحراء الغربية

من م ميليس دولاكروا وزير المستعمرات
إلى
م ستيفان شيون وزير الشؤون الخارجية

باريس 23 نوفنبر 1906

إن والي عام افريقيا الغربية الفرنسية وجه لإدارتي بتاريخ 9 نوفنبر الجاري تقريراً عن الحوادث الأخيرة التي جرت بموريطانيا.

ولي الشرف بأن أبعث لكم طيه نسخة من هذه الوثيقة، وكما ستلاحظون فإن هذا التقرير يثبت مرة أخرى مقدار النفوذ الإسلامي المرتكز على المغرب الذي ليس أجنبياً عن الحوادث الأخيرة.

ميليس دولاكروا

الملحق:

من م مرلان قائم مقام الوالي العام لإفريقيا الغربية الفرنسية، إلى السيد وزير المستعمرات.

كورى - 9 نوفنبر 1902 : لقد أخبرتكم من قبل بوجود ولد للشيخ ماء العينين إسمه حسانة بايدا وعيشة، وأنه يوزع السلاح والذخيرة، وقد إزداد الأمر استفحالاً منذ ذلك الوقت.

والعامل المهم: هو المسمى مولاي إدريس ولد مولاي عبد الرحمان ولد مولاي سليمان قريب سلطان المغرب، والذي يزعم أنه مرسل من قبله.

والإستعلامات تثبت دخوله لأدرار بتوصية من الشيخ ماء العينين . يصحبه أحد أولاده : حسانة ، ويوجد في أود جفت وشنقيط ، وهو يجمع الزكوات . ويوزع السلاح المستقدم من كاب جوبي ومن الساقية الحمراء .

ولكنه يقترب من بسط دعاوته على القبائل الخاضعة لنفوذنا . وقد أعلن مولاي إدريس أنه جاء لحكم البلاد . ويطالب بملكية الأراضي حتى الوادي باسم السلطان : (يقصد نهر السنغال) .

وفي بداية سبتمبر سنة 1906 عرفني مفوض الولاية العامة في موريطانيا : أن الأخبار التي تصله تؤكد أن سيدي المختار – رئيس أهل سيدي محمد – يعمل وسيطاً بين المرسلين المغاربة وبين القبائل الموريطانية ، ويصرح – علانية – بعداوتنا ، ويستعد للسير ضدنا في الوقت المناسب ، مستعيناً على ذلك القصد بتأييد تاجا كانت ، وقد أصبح إقليم كيفة مركز تجمع هذه الطوائف المعادية لنا .

ومن جهة أخرى فإن الشريف مولاي إدريس جمع من حوله خمسمائة محارب ، منها مائة من سكان حوض أكدال ومشظوف .

لقد أخبرتكم بهذه الأشياء في الوقت الذي طلبت من خليفة حاكم السنغال العليا والنيجر ، ومن مفوض الولاية العامة بموريطانيا : أن يضاعفوا حراستهم ، ويتخذوا التدابير التي تجعل مراكزنا في حماية من المهاجمات .

وقد كان لهذه التعليمات – بالأسف – ما يبررها ، فإن القبطان تيسو حاكم مركز تجيكجة عرفني عن طريق البرق – الذي أوصل لسان لويس ، يوم 26 اكتوبر – أنه اتصل برسالة من مولاي إدريس يطلب منه إخلاء حصن تاجا كانت ، ويوجد الشريف – حينه – في كشالة على بعد يومين من شمال اشاريم ، ومعه من آل ايدا وعيشة نحو الخمسين ، وعديد من أولاد بوسبع ومن المشظوف والاغلال ، وقلة من الثوار القادمين من الترارزة ومن البراكنة .

ويرى القبطان تيسو أنه من المصلحة دفع الشريف خارج تاجا كانت قبل أن يصله المدد الذي ينتظره من أدرار . ولكن الإستعلامات التي جاءته بعد ذهاب الكشافة أكدت له أن الجماعة التي مع الشريف عديدة وجيدة التسلبح ، فالكشافة

ـ لضعفها ـ يمكن أن تهزم ، وأيضاً فإن المركز الذي أعلن الشريف عزمه على مهاجمته محتاج لرجاله كي يدافع عن نفسه ، ولذلك فإن القبطان تيسو طلب من المرسلين أن يرجعوا إلى تيجيكجة ، وفي أثناء هذا التحرك قابلهم الشريف في نيبميلان على بعد خمسة وعشرين كيلومتر من جنوب غرب تيجيكجا ، وقد هجم عليه تسعمائة محارب أغلبهم مسلح ، ونحو المائتين منهم يملك بنادق سريعة ، وقد استمر الكفاح من الثامنة إلى الحادية عشرة صباحاً ، واضطرت الإرسالية للكفاح متقهقرة نحو تيجيكجا ، بعدما شتتها العدو .

والبرق الأول الذي وصل ، والذي بعثته لكم يوم 30 نوفنبر كان ناقصاً ، وقد أخبر بخسار زائدة على الواقع . ولكنها ـ في الواقع ـ مرتفعة جداً : الأوربيون الأربعة قتلوا . وقد وقع الإضطرار ـ بالأسف ـ لترك أجسامهم للعدو . والحيوانات قتلت أو أخذت ، وخمسة عشر من الأهالي فقدوا ، أما الآخرون ـ الذين جرح منهم 33 ـ فقد رجعوا للمركز ، بعض الأسلحة وقليل من الذخائر وقعت في يد العدو .

أما الموريطانيون فقد خسروا من جهتهم مائة وخمسين رجلاً : منهم ثلاثة رؤساء ، وخمسة من أولاد بكار ، ورئيس أيدا وعيشة .

وقد بقي القبطان تيسو ـ إذن ـ في الحصن مع حراسة ضعيفة ، لا تشتمل على أكثر من 65 مقاتلاً ، وليس له من الإطارات غير سرجان من الأوربيين ، ومعاون من الشؤون الأهلية ، وحول الحصن عدد الموريطانيين يزداد ، ونجاح الشريف وأمل الغنيمة : يجلب له الكثير من السكان .

ميرلان

جريدة « صحراء المغرب » ع 17 ص 8ـ10 .

ملحق 44

رسالة ماء العينين
إلى قبيلة أيد وعيش الموريطانية

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

أحباؤنا الأكرمون ، وأصدقاؤنا الأقربون ، الأحمدون الأطهرون الأطيبون ، الأسياد : جماعة اد وعيش عموماً وخصوصاً ، وطرراً ونصوصاً : كل واحد باسمه ، وخالص وسمه ، لا سيما أهل الحل والعقد منكم : كتال أسويد أحمد ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ما دام الكون وحركاته .

أما بعد : فليكن في كريم علمكم أن السلطان ـ نصره الله ـ وجه إلينا ابن عمه خليفته نائباً عنه في كل ما أهمكم ـ الآن أو قبل ـ من الأمور كلها ، لا سيما أمر النصارى دمرهم الله . لأنه ـ ولله الحمد ـ أرسله بالوقوف على ساق الجد ، حتى تعلو كلمة الإسلام ، ويقضي ـ بحول الله ـ كل مرام .

والآن لا بد من إتيان ولاة الأمر منكم ، لتقع المشافهة مع الخليفة على أيدينا ، كما أن السلطان ـ نصره الله ـ كتب لنا بذلك ، ليحصل لكم بها كل غرض ، فيما مضى وما عرض ، لأنا كتبنا لأمير المؤمنين ـ نصره الله ـ أنكم في تلكم البلاد أنتم أهل شوكتها ، وأهل حلها وعقدها ، ونراكم تفوزون بهذه السبقية إن شاء الله تعالى .

كان الله لنا ولكم ولياً ونصيراً ، وعلى سائر الأعداء ظهيراً ، وبلغكم أقصى المرام بالتمام ، وعلى خالص المحبة والسلام .

لإحدى عشر بقيت من جمادي الأولى عام 1323 .

عبيد ربه ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل ابن مامين ، غفر الله لهم وللمسلمين ، آمين .

جريدة « صحراء المغرب » ع 54 ص 16 .

الباب الخامس

الرد الرسمي ضد المطالب الفرنسية

يمكن القول بأن رد المغرب تجاه هذه المطالب كان أشجع موقف اتخذته الحكومة المغربية ، ضداً على التحرشات الفرنسية في هذه الفترة .

وكما أشير له سلفاً : فإن فرنسا تقدمت للسلطان العزيز بمطالب تشرف بموجبها على تسيير الجهاز المغربي : في ميادين الجيش والمالية والإدارة ، وكان الحامل لهذه المطالب هو السفير تاياندييه ، حيث وصل لفاس يوم 26 يناير 1905 « 20 ذي القعدة 1322 » .

ويهمنا ـ أن نسجل ـ هنا ـ أن المسؤولين المغاربة اتخذوا موقفاً صارماً إزاء هذه المناورة الجديدة ، ورد المخزن ـ بواسطة وزارة الخارجية ـ أن السلطان يرغب في عرض المشاريع المقترحة على مجمع وطني يضم الهيئة الوزارية ، ومعها مجلس من الممثلين للمدن والقبائل .

ومبالغة في الاحتياط للأمر ، كان العاهل العزيز ، قد بعث بالدعوة للممثلين بمجرد ما علم بهدف السفارة وقبل حلول السفير بفاس بأكثر من شهر ، وهكذا وجه السلطان ـ بتاريخ 12 شوال 1322 « 20 ديسمبر 1904 » ـ مكاتب إلى عمال مدن المملكة وقبائلها ، ليرسلوا مبعوثين عن جهاتهم إلى فاس ، حتى يساهموا في دراسة المطالب الفرنسية .

ولحسن الحظ فإن هذه الإستدعاءات يعرف منها ـ لحد الآن ـ ستة نصوص : واحد منها إلى قبيلة دكالة .

والثاني : لقبيلة غيغاية وتدارة ...
والثالث : لقبيلة فطواكة .
والرابع : لقبيلة بني مسكين .
والخامس : لقبيلة الزيايدة .
والسادس : لقبيلة الخلط والطليق .

ويتبين من جميعها أنها حررت في شكل منشورات موحدة الصيغة . غير أن النص الأول معظمه منشور ، والخمسة الباقية مخطوطة ضمن وثائق الخزانة الملكية .

وقد ورد بهذه الاستدعاءات : « ... وعليه فبوصول كتابنا هذا إليكم : نأمركم أن تعينوا من خيار قبيلتكم ... ممن تعتقدونهم في الأمانة والديانة ، وترضونهم وكلاء عنكم في أقوالكم وأفعالكم ، وتأتمنوهم على نفوسكم ، وتوجهوهم لحضرتنا الشريفة ، بقصد الحضور مع غيرهم – من أعيان جميع القبائل – على المفاوضة في الأمر العارض المذكور .. » انظر النص – كاملاً – عند الملحق رقم 45 .

واستجابة للدعوة الملكية توارد الممثلون إلى فاس من كافة جهات البلاد ، باستثناء المغرب الشرقي الذي تقوم فيه الثورة ، حيث لم يقع استدعاء نواب عنه[1] ، وانضم إلى الوافدين قضاة فاس الثلاثة . ونخبة من أعلامها وأعيانها . فصار مجموع أعضاء مجلس الأعيان أربعين ممثلاً ، وسترد أسماء المعروفين منهم آخر هذا العرض

ولتنظيم مسطرة العمل . طلب السلطان من السفير أن يبدأ بدراسة تمهيدية لمطالب دولته مع بعض أعضاء المجلس ، وأمام معارضته لهذا الاقتراح ، اتفق الجانبان على أن يناقش مجلس الوزراء – فقط – مع تاياندييه المشاريع الفرنسية ، على أن يحضر هذه الجلسات خمسة عشر مندوباً يمثلون المدن الرئيسية وأشهر القبائل ، ليكونوا كمستمعين يحتفظون بإبداء آرائهم حتى ينتهي السفير من عرضه العام ، وكان يتخلل هذه الجلسات اجتماعات خاصة بين الحكومة وكافة أعضاء مجلس الأعيان[2] .

وقد اتبعت هذه المسطرة في المرحلة الأولى للمباحثات ، فانعقدت خمس

1 – المذكرات الحجوية الأولى بعنوان : « انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره » .
2 – « المسألة المغربية » ص 259–260 ، مع المذكرات الحجوية الأولى .

جلسات في خمسة أيام متفرقة ، حيث ابتدأت بعد عطلة العيد الكبير يوم الأربعاء 17 ذي الحجة عام 1322/ « 22 فبراير 1905 » ، ثم استمرت إلى يوم الخميس 7 محرم عام 1323/[3]« 14 مارس 1905 » ، وكان الاجتماع يقع في متنزه روض الوزير الأول المفضل غريط[4] ، في جلسات تعقد في الصباح والمساء ، تحت رياسة قائد المشور إدريس إبن يعيش .

ويحضر من الجانب المغربي الوزراء ، مع كل واحد كاتبه ، وخمسة عشر من المندوبين . ووزير فرنسا يرافقه دوسانت أولير ، وكايار ، وقدور ابن غبريط ، وهذا يقوم بدور الترجمة ، وكان ترجمان الجهة المغربية هو الطاهر بن محمد بن الحاج الأودي[5] .

وقد اقتصرت هذه المرحلة الأولى على الاستماع لعرض عام للمقترحات الفرنسية من تاياندييه دون الدخول في التفاصيل ، مع العلم بأن الأعضاء الخمسة عشر سيدلون بأجوبتهم من بعد[6] .

ويذكر ابن زيدان أنه وقف على عدة دفاتر حاملة لمطالب السفير وأجوبة الأعضاء[7] ، غير أن هذه الدفاتر لا تزال في مكنونات الغيب ، والمعروف ـ لحد الآن

---

3 ـ « مقدمة » كتبها الطاهر بن الحاج الأودي . وصدر بها عرض الترجمة التي عرب بها ميثاق الجزيرة الخضراء ، حيث يوجد ذلك في مخطوطة مبتورة الآخر ضمن وثائق خ . م ، انظر التعليق 14 .

4 ـ « الاستبصار في عجائب الأمصار . والجبال والأنهار ... » : إسم مذكرات سجلها ـ بالدارجة المغربية ـ الطاهر بن الحاج الأودي ، حسب نسخة « خاصة » بخط مؤلفها : ص 97 ، حيث يضيف أن الروض يقع بـ « الوريبة » (من حي المخفية) .

5 ـ من ملف وثائق بعثة تاياندية ضمن وثائق وزارة الخارجية الفرنسية : الوثيقة رقم 13 ، وسنشير لهذا المصدر ـ استقبالاً ـ بعنوان « ملف وثائق البعثة الفرنسية » .

وعن الترجمان المغربي : يرجع إلى إشارة وردت في كتابه « الاستبصار » ص 95-96 .

6 ـ « المسألة المغربية » ص 260 .

7 ـ « العلائق السياسية للدولة العلوية » لابن زيدان : شذرات مخطوطة منها : خ . م 11774 ص 58 : هامش .

وأستدرك الآن فأشير إلى أنه بعد تقديم الكتاب للطبع عثرت على واحد من هذه الدفاتر ضمن وثائق الخزانة الحسنية رقم 777 . فترد في بعض فصول الأجوبة إشارة إلى أنها صادرة عن ممثلي مكناس . مما قد يدل على أنه كان لممثلي كل منطقة دفتر تسجل به مقترحات السفير وأجوبة الأعضاء المعنيين . غير أن هذا الدفتر ليس به سوى عروض السفير في الجلسات 2 . 3 . 4 . 5 . وذلك ما سيرد عند الملحق 83 .

من وثائق الجانب المغربي ـ مجموعة من الأوراق الموضوعية يمكن تصنيفها في خمس وثائق :

1 ـ رسالة كتبها شاهد عيان من فاس إلى بعض أصدقائه ، ليخبره باجتماع عقده السلطان بدار المخزن يوم الأحد 21 ذي الحجة 1322 هـ . وحضره أعضاء مجلس الأعيان بكاملهم ، حيث تلقوا من العزيز تصريحاً مشجعاً ، ضداً على مطالب السفير في جلسة سابقة يتأكد أنها هي الأولى .

2 ـ عرض السفير في الجلسة الثانية .

3 ـ ورقة مبتورة من أولها يترجح أنها عن عروض الجلسة الختامية .

4 ـ النص الكامل للرد على المشاريع الفرنسية ، حرره ممثل من مدينة الرباط لم يذكر إسمه .

5 ـ قطعة بخط الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ، تتناول الرد على عرض الجلسة الثالثة ، على بتر بأولها .

فهي خمس وثائق من تسجيلات الجانب المغربي عن مداولات هذه المرحلة الأولى من المباحثات في شأن المشاريع الفرنسية المقترحة على المغرب . وسترد نصوصها عند الملحقات ذوات الأرقام من 46 إلى 50 .

ونحاول ـ هنا ـ الإستفادة منها في استجلاء الموضوعات العامة لعروض السفير في جلسات المرحلة ذاتها .

وهكذا تشير الوثيقة رقم 1 إلى الجلسة الأولى ، حيث قدم السفير ثلاثة مطالب ألح في تنفيذها :

ـ وضع جيش فرنسي بمنطقة الحدود الشرقية .
ـ مد خطوط التلغراف والسكة الحديدية .
ـ جلوس مراقبين فرنسيين مع الحكام المغاربة .

وحسب الوثيقة رقم 2 : فقد طرح السفير في الجلسة الثانية قضية اختلال

الأمن ببعض المراسي المغربية ، وفي الحدود الشرقية ، واستخلص من هذا الوضع المطالبة بتنظيم الجيش تحت إشراف فرنسي .

وحسب الوثيقة الخامسة : تطرق السفير في الجلسة الثالثة إلى مشاريع إصلاح المراسي وتجهيزها ، وتنظيم البوليس والتلغراف البحري بها .

وحسب الوثيقتين الثالثة والرابعة : كان موضوع الجلسة الختامية مشاكل الحدود الشرقية ، ليرتب عليها السفير اقتراحاً بإسناد المحافظة على الأمن بهذه المنطقة إلى حكام الجزائر .

وبين الجلسة الختامية والجلسة الثالثة : تقع ـ بهذه الوثائق المغربية ـ فجوة بالنسبة لعروض الجلسة الرابعة ، لغياب المستندات الوطنية الخاصة بها ، غير أنه قد تبين من الوثيقة رقم 4 أن الجلسة المشار لها ، تناولت موضوعات أكثرها اقتصادية : إحداث البنك المغربي والضرائب . وتنظيم أملاك المخزن وأملاك الأحباس ، وإنشاء جواز السفر والتنبر ، والترخيص في نقل الموسوقات من مرسي إلى أخرى .

ومن هذا العرض ، وبالضبط من قراءة الوثيقتين الرابعة والخامسة ، نتبين الدور اليقظ في جواب العضوين من مجلس الأعيان ، مع التأكيد على أن هناك ردوداً أخرى في الإتجاه ذاته ، وقد علمنا ـ سلفاً ـ أن ابن زيدان وقف على عدة دفاتر حاملة لمطالب السفير وأجوبة الأعضاء ، هذا إلى أن تاياندييه يشير إلى أجوبة حاهزة يتقدم إليه بها الأعضاء رداً على عروض سابقة[8] .

فإذا رجعنا إلى الوثيقة الأولى ، نقرأ فيها تصريحاً ملكياً متعاطفاً مع مواقف الأعيان ، ومعارضاً لمطالب السفير التي تقدم بها في بدايات هذه المرحلة الأولى .

* * *

وخلال المراحل التالية من المباحثات ، يتوضح أكثر فأكثر ، الموقف المغربي اليقظ من هذه المطالب .

---

8 ـ « المسألة المغربية » ص 262 .

ففي المرحلة الثانية كان السفير قد انتهى من عرضه أمام مجلس الأعيان والوزراء . وأخذ مع أعضاء الحكومة ـ بمفردهم ـ يدرس تحليل المطالب بدءاً بالمقترحات العسكرية ، واستغرقت هذه المداولات معظم شهر أبريل ، غير أنه في آواخر الشهر ذاته ، أعلن وزير خارجية المغرب :

« أن السلطان يعتبر أنه ليس لهذه المحادثات المتعلقة بالإصلاح العسكري أي صفة رسمية ، وأنها ليست إلا محادثات ودية ، وأن المشروع الذي نجم عنها لا يمكن أن يكون نهائياً إلا بعد أن يلقى موافقة مجلس الأعيان »[9] .

* * *

ولابراز دور الممثلين : إستدعى ولي الأمر كافة أعضاء مجلس الأعيان ـ في المرحلة الثالثة ـ ليتدارسوا ـ من جهتهم ـ مشروع إصلاح الجيش . وأعلن أنه يترك لهم أمر قبول كل أو جزء من هذا المشروع أو رفضه ، وأضاف قائلاً : « أما ما يتعلق بي فلست إلا واحداً منكم » .

وبعد أن درس الأعيان المشروع العسكري تحفظوا في شأنه ، واشترطوا لإمكان قبوله ـ إذا كان ذلك ضرورياً ـ أن يحاط بضمانات دولية ، وفي الوقت نفسه أعربوا عن أسفهم ، حيث إن إصلاح الجيش لن يكون بوسائل المخزن الخاصة[10] .

* * *

وفي المرحلة الرابعة دعي جميع الأعضاء للاجتماع ، واتخذوا القرار النهائي في موضوع المطالب الفرنسية ، وقد أعلن المجلس :

أ ـ رفض المقترحات الفرنسية .

ب ـ دعوة الدول الموقعة على ميثاق مدريد ، لعقد مؤتمر لبحث الإصلاحات الملائمة لوضع البلاد[11] .

---

9 ـ « المصدر » ص 265ـ267 .

10 ـ نفس المصدر ص 267 .

11 ـ المصدر ذاته ص 270ـ271 .

وبناء على هذا القرار : سلم وزير الخارجية المغربية للسفير الفرنسي وجهة نظر المخزن ، في رسالة بتاريخ 28 مايو 1905 « 23 ربيع الأول 1323 » ، وقد ورد فيها حسب الترجمة الفرنسية :

« إن السلطان لا يجهل جوار الجزائر ... ولكن عندما عرض على أعيان البلاد ما كان قد دار بينكم ، طلبوا أن لا يوافق على أي إصلاح عسكري أو غيره في هذا البلد ـ بواسطة دولة واحدة أجنبية ـ إلا بعد عقد مؤتمر دولي في طنجة ، يشترك فيه وزراء الدول الموقعة على اتفاق مدريد . ومندوبو المخزن ، للتفاوض على الشكل الذي ستكون عليه الإصلاحات التي يقتضيها الموقف ، وأن يتفقوا بصورة ترضي الرأي العام » .

وهنا عقبت الرسالة بهذه الفقرة : « إن السلطان لا يمكنه أن يعارض الشعب ، ذلك لأن الشعب له الحق في ألا يهمل في مسألة لها مثل هذه الأهمية ... » .

ثم جاء في خاتمة الرسالة : « وبناء على ذلك ، فإن هناك أمراً سلطانياً لممثل السلطان في طنجة ، أن يطلب من الدول ـ بواسطة ممثليها ـ عقد مؤتمر في طنجة ، لبحث المقترحات التي يقدمها المخزن فيما يتعلق بالإصلاحات التي تناسب الموقف الحالي في المغرب »[12] .

* * *

وبأثر هذا الجواب ، قام النائب السلطاني بطنجة : محمد بن العربي الطريس ، بتسليم الدعوة إلى ممثلي الدول لعقد المؤتمر : في منشور قصير صادر عن وزير الخارجية المغربية ، ومحرر في فاس بتاريخ 30 ربيع الأول عام 1323/ « 4 يونيو 1905 » ، وهو يذكر أن السلطان أمره بدعوة الدول المعنية بالأمر ، إلى عقد مؤتمر يشترك فيه مندبوها مع مندوبي المغرب : للنظر في إجراء الإصلاح الذي عزم جلالته على إجرائه في سلطنته ، وفي مسألة تدارك النفقات اللازمة للإصلاح ، مع مراعاة الأحوال الحاضرة[13] .

---

12 ـ « المسألة المغربية » ص 270-271 .

13 ـ « الدولة العربية المتحدة » 2/272 .

8 ـ افتتاحية النشرة العربية لعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء

عقد مشتمل على ما اتفق عليه المؤتمر الدولي في الجزيرة

بسم الله القهار

ان جلالة قيصر المانيا ملك بروسيا باسم دولة المانيا القصرية

وجلالة قيصر نمسا ملك بوهيميا وغيرها ملك هنقرية الابوستليك

وجلالة ملك البلجيك

وجلالة ملك اصبانيا

وجناب رئيس الولايات المتحدة

وجناب رئيس الجمهورية الفرنساوية

وجلالة ملك المملكة المتحدة اكريت ابريطروار لندة الاراضي

البريطنية التي من وراء البحار قيصر الدمند

وجلالة ملك ايطاليا

وجلالة سلطان المغرب

وجلالة ملك هلندة

وجلالة ملك البرتقال والكربات وغيرها وغيرها وغيرها

وجلالة قيصر الممالك الروسية بجميعها

وجلالة ملك السويد

المطبعة المغربية * بطنجة

وبهذا انبثق عن سياسة العزيز وقرار مجلس الأعيان : نقل مسألة الإصلاحات المطروحة من المجال الثنائي إلى الحقل الدولي ، غير أن مكان المؤتمر استبدل ـ بموافقة المغرب ـ بالجزيرة الخضراء عوضاً عن طنجة ، ومن هنا صار يعرف بـ « مؤتمر الجزيرة الخضراء » .

وكان افتتاحه يوم 16 يناير 1906/ « 20 ذي القعدة 1323 » ، ثم استمرت أعماله إلى 7 أبريل 1906/ « 12 صفر 1324» . وقد صيغت مقررات المؤتمر في نص موحد بالفرنسية ، يشتمل على 123 مادة موزعة بينسبعة أبواب ، وتم توقيع الأعضاء عليه ـ عدا المغرب ـ بتاريخ 16 ابريل 1906/ « 21 صفر 1324 » ، ثم نشر ـ بعنوان « عقد الجزيرة العمومى » ـ في المطبعة المغربية بطنجة عام 1907 : في كراسة تشتمل على الترجمة العربية : 57 ص ، فالنص الفرنسي : 49 ص[14] .

وحسب هذه الوثيقة : بلغ عدد الدول التي شاركت في المؤتمر ـ إلى جانب المغرب ـ إثنتي عشرة دولة ، وهى التي وقعت على اتفاق مدريد ، وجاء ترتيبها بالميثاق هكذا :

ألمانيا ـ النمسا ـ بلجيكا ـ اسبانيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ فرنسا ـ بريطانيا ـ إيطاليا ـ هولاندة ـ البرتغال ـ روسيا ـ السويد .

وقد اختارت لتمثيلها ـ بالمؤتمر ـ دبلوماسيين ممتازين ، بينما كان الوفد المغربي يتركب من شخصيات موازية كالتالي :

ـ الحاج محمد بن العربي الطريس النائب السلطاني بطنجة : رئيس الوفد .

ـ الحاج محمد بن عبد السلام المقري : عضو .

---

14 ـ وخلافاً لهذه الترجمة : هناك تعريب ثان لميثاق الجزيرة : قام به الطاهر ابن الحاج الأودي ، غير أن الموجود منه يقف عند المادة 34 : في كراسة مخطوطة ضمن وثائق خ . م ، حيث أفاد منها هذا العرض حسب التعليق رقم 4 ، ومن الجدير بالذكر أن إسم المعرب غير وارد بالموجود من هذه الكراسة ، وإنما عرف ذلك بواسطة إشارته في كتابه« الاستبصار » : إلى أنه كان ترجمان الوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء ، حسب معلومات عن حياته وردت في « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 1/ 3 .

ـ الحاج محمد الصفار : عضو .
ـ السيد عبد الرحمن بنيس : عضو مكلف بنفقات المؤتمر .
ورشح الطاهر بن محمد ابن الحاج الأودي ليكون ترجمان الوفد بالمؤتمر[15] .

ولا يهم هذا البحث عرض تفاصيل الميثاق ، ما دام الموضوع هو استجلاء ملامح اليقظة الرسمية في سياسة هذه الفترة ، وإنما تحسن الإشارة إلى أنه ـ رغماً عن الإنتقادات الموجهة لمقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء ـ استطاع المغرب انتزاع هذين القرارين :

ـ الوحدة الترابية .
ـ الاستقلال .

وقد استفاد منهما المغرب ـ إلى حد ـ في فترة محنة الحماية ، فاستمرت بذور الوحدة والسيادة ، لتعود إلى طبيعتها بعد استقلال البلاد .

ومن هذه الناحية ـ وحدها ـ نتبين جذوى سياسة العزيز وقرار مجلس الأعيان إزاء المطالب الفرنسية ، فقد عرف المغرب كيف يستفيد من التنافس الفرنسي الألماني الذي احتد عند هذه الأزمة .

---

15 ـ يشير لهذا الترشيح الترجمان نفسه : في المقدمة التي صدر بها تعريبه لميثاق الجزيرة في كراسة أشير لها بالتعليق الأخير رقم 14 ، ويذكر الطاهر الأودي أن الطريس استبدله بترجمان فرنسي ، حيث يبدو أن هذا الإجراء تبعه اختلال في سير الترجمة لبقية أعضاء الوفد المغربي ، فيقول المقري : « إننا هنا جالسون كتماثيل ، لا نستطيع أن نقول شيئاً ، ولا أن نفهم شيئاً مما يقال » : « المسألة المغربية » ص 351 .

ومن جهة أخرى : جاء بالمصدر الأخير ص 351ـ 352 : إشارة إلى مترجم آخر للوفد المغربي باسم « سي عبد الوهاب » الذي عمل في معهد الدراسات الشرقية في برلين . وقد رشحته المفوضية الألمانية . إلا أن هذا المترجم لم يكن موضع ثقة عند المقري الذي قال عنه : إنه كان يعمل للألمان أكثر مما كان يعمل للمغاربة .

وقد ورد ذكر هذا الترجمان في رسالة من أحمد الطريس إلى ابن سليمان هكذا : « ... ورد لدار النيابة السعيدة ترجمان باشدور الألمان ، وشافهنا ـ على لسان باشدوره ـ بأنه إن اقتضى النظر الشريف استخدام السيد عبد الوهاب بن بو بكر بن علي المعلم في مدرسة اللغة الشرقية ببرلين في مدة المؤتمر ، ويعطيه جانب المخزن إبرة واحدة في اليوم مدة خدمته في المؤتمر ، ومصاريف وروده من برلين وإيابه : فالدولة الألمانية تساعد على استقدامه لقضاء هذا الغرض ورجوعه لمحله بعد انتهاء مدة المؤتمر ... » ، حسب نص هذه الرسالة في « كناش مكاتيب المندوبة السعيدة بطنجة » : خ . ع . ك 2720 ص 24ـ3 .

ونشير ـ بعد هذا ـ إلى أن مؤتمر الجزيرة كان فرصة للإعلان عن بعض المشاريع التي تعتزم الحكومة المغربية تحقيقها :

فهناك رسالة صادرة من وزير الخارجية إبن سليمان إلى النائب الطريس ، ليعرض هذا الأخير على المؤتمر ، مشروع إقامة بناية بمكان المنار القديم بطنجة ، لتشيد بها مدرسة طبية ، ومحجر صحي للحجاج[16] .

كما أن وثيقة المؤتمر تشير إلى مقترحات ـ ذات طابع تجديدي ـ تقدم بها الوفد المغربي ، ومنها ضرائب متنوعة من بينها :

- ضريبة المباني .
- ضريبة على بعض الحرف والأشغال التجارية والصناعية .
- حق التنبر على العقود والرسوم العدلية .
- حق التسجيل عند بيع الأملاك .
- حق جوازات السفر ...[17] .

هذا إلى مقترحات أخرى بناءة تقدم بها وفد المغرب ولم يقرها المؤتمر ، وكانت هي غالبية التدخلات المغربية[18] .

وقد كان من الاحتياطات المخزنية ، أن الوفد المغربي لم تكن له الصلاحية لتوقيع الميثاق[19] ، ولما عرضت مقرراته على العاهل العزيز أبدى تحفظاً ، وحاول تحريك المؤتمرين ليعيدوا النظر في بعض بنوده ، ولكنه قوبل برفض شبه إجماعي[20] .

وأخيراً : زاره عضو المؤتمر السفير الإيطالي بطنجة ، وقيدوم الدبلوماسيين بها ، وحمل إليه رسالة من مليكه يترجاه فيها باسم الدول المشتركة في المؤتمر ،

---

16 ـ نفس الكناش ص 31-1 .

17 ـ « وثيقة المؤتمر » عند المواد 61 ، 63 ، 64 ، 65 .

18 ـ « المسألة المغربية » ص 374-376 ، 380-81 ، 397 .

19 ـ « المصدر » ص 400 .

20 ـ « المصدر » ص 409 .

فلم ير بداً من التوقيع على الميثاق ، وتم ذلك يوم الإثنين 18 يونيو 1906/[21]
« 25 ربيع الثاني 1324 » .

فكانت هذه الموافقة من العزيز بداية لانتقاضة شعبية سنرى أبعادها في أماكن من هذا الكتاب .

* * *

ومن الجدير بالملاحظة أن مجلس الأعيان انقطعت صلته مع المخزن بالاستدعاء للمؤتمر ، ولم تقع استشارته إبان انعقاد المؤتمر ولا من بعده . وإنما أذن لهؤلاء الممثلين بالإنصراف ، دون أن يقع جمعهم وإعلامهم بنتيجة المؤتمر . ومن غير جبر خواطرهم بكلمة فضلاً عن أخذ رأيهم ، وهذا ـ حسب الحجوي ـ من أعظم الأشياء التي توجب غريب التعجب من السياسة الخرقاء التي ارتكبتها الوزارة العزيزية .

وهكذا فإن هذا المصدر يضع مسئولية هذه النهاية لمجلس الأعيان في ذمة الوزراء وحدهم ، وفي الوقت نفسه يشيد المؤلف ذاته بالإتجاه الديمقراطي للسلطان ، في فقرة مطولة نقتطف منها ما يلي :

« إن مولاي عبد العزيز قد جالت في رأسه فكرة الشورى والديمقراطية ، وأتاه سفراؤه بهذه الأفكار فعجل بها ... ولما نزل به الأمر العظيم ، وهو مجيء السفير الفرنسي بمطالب فرنسا في إصلاح المغرب ... فأول ما عمل مولاي عبد العزيز ، فرق أوامره على مدن المغرب بتوجيه نوابهم للاستشارة في الأمر »[22] .

ومرة أخرى يقول محمد الحجوي : « ويمكن أن نقول : إن مؤتمر فاس أول مجلس شورى ، وأول مؤتمر سياسي مغربي من نوعه في الأعصر الأخيرة »[23] .

ونختم هذا العرض بالبحث عن أسماء الأعضاء بمجلس الأعيان ، ويؤكد

---

21 ـ « تاريخ المغرب في القرن العشرين » تأليف روم‌لاندو : النص العربي ص 93 .

22 ـ المذكرات الحجوية الأولى بعنوان « انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره » .

23 ـ نفس المصدر .

مصدر أجنبي أن عددهم يبلغ أربعين ممثلاً، بينما يصعد مصدر مغربي[24] بتعدادهم إلى خمسين عضواً، وأياً كانت الأرقام، فإن اللائحة الكاملة لأسمائهم لا تزال غير معروفة، والمعروف منهم ـ لحد الآن ـ لا يزيد على سبعة عشر اسماً كالتالي :

فمن فاس : سبعة من العلماء وبعض التجار :

1 ـ الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني .

2 ـ قاضي مقصورة السماط الشيخ عبدالله بن خضرا السلوي .

3 ـ قاضي مقصورة الرصيف الشيخ حميد بن بناني .

4 ـ قاضي فاس العليا الشيخ محمد بن رشيد العراقي .

5 ـ والمفتي : الشيخ العباس التازي .

6 ـ والمفتي : الشيخ المهدي الوزاني .

7 ـ إلى بعض التجار[25] بيّنهم الحسن بن العربي الحجوي[26]، والدُ الشيخ محمد الحجوي المفكر الشهير .

8 ـ ومن مكناس إثنان : الأمين المكى بن الحسين التراب[27] .

9 ـ والوجيه المهدي بن محمد العيسوي بن الفضيل الطاهري[28] .

10 ـ ومن الرباط ثلاثة : القائد الصديق بن محمد بركاش .

11 ـ والأمين عبد السلام بن مَحمد والزهراء .

12 ـ والأمين الحاج عبد الرحمن العوفير .

13 ـ ومن سلا إثنان : خليفة عاملها أبو العباس أحمد الطالبي[29] .

---

24 ـ مكاتب « المنار » يبلغ بهم إلى خمسين عضوا، حسب مجلة « المنار » بالمجلد 8 ص 158، ويقدرهم مكاتب جريدة تونسية بنحو الخمسين فأكثر : جريدة « أظهار الحق » عدد 43 . الأحد 6 محرم 1323/12 مارس 1905 ص 4 .

25 ـ جريدة « إظهار الحق » : في نفس العدد والصفحة .

26 ـ المذكرات الحجوية الأولى .

27 ـ من استجواب مع الوطني المرحوم المختار أحرضان الطنجي .

28 ـ استجواب مع ولده الأستاذ محمد الطاهري .

29 ـ من آخر الكناشة الوسطى لفقيد المعارف الإسلامية المرحوم محمد المدني بن الحسني : بنقل ولده الأستاذ المرحوم سيدي عبد الكريم، وبخصوص بركاش : استجواب مع الأستاذ المرحوم السيد أحمد الزبدي الرباطي : بمنزله غروب يوم الجمعة 23 جمادي الأولى 1378/5 دسنبر 1958 .

14 ـ والأمين مولاي أحمد الصابونجي[30] .
15 ـ ومن طنجة ثلاثة : الأمين الصديق أحرضان .
16 ـ والوجيه العربي أبا رودي[31] .
17 ـ والحاج الحسن الغسال[32] .

---

30 ـ من استجواب مع القاضي المرحوم الشيخ الهاشمي ابن خضراء بمنزله عشية نفس اليوم المشار له وشيكاً ، وأضاف إلى الصابونجي كلاً من الطالبي بسلا ، والعوفير بالرباط .

31 ـ من استجواب مع المرحوم المختار أحرضان بالنسبة لوالده الصديق ، وجاءت الإشارة له ـ أيضاً ـ ومعه العربي أبا رودي عند الرسالة رقم 1 من « ملف وثائق البعثة الفرنسية » .

32 ـ من الترجمة التي كتبها له الأستاذ الكبير عبدالله كنون ، حيث نشرها في جريدة « الميثاق » : بالعدد 253 بتاريخ 1 رمضان 17/1397 غشت 1977 ص 5 .

ملحق 45

الصيغة الموحدة لرسائل الاستدعاء لحضور مجلس الأعيان

خدامنا الأرضين . قبيلة ... وعمالهم وأعيانهم . وفقكم الله . وسلام عليكم ورحمة الله ـ تعالى ـ وبركاته .

وبعد فقد علمتم أننا ـ بحمد الله ـ منذ طوقنا الله ـ تعالى ـ أمر المسلمين . وقلدنا ربقة التكليف بحياطة الرعية والدين ، ونحن مجتهدون في حفظ قواعد نظام الإسلام ، وقائمون بواجب النصيحة والمدافعة والإهتمام ، وباذلون في مصالح المسلمين نفائس الأعمار ، ومستعدون لذب أهل الفساد عنهم بكل ما أمكن من عدة التقوية والإنتصار . وما زلنا على ذلك نكافح عن جانبهم صروف الحوادث . ونحصن ساحة الرعية من خوض كل خائض ونكث كل ناكث . قياماً بما أوجبه الله علينا كتاباً وسنة ، وامتثالاً لقوله ﷺ : « أيما عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بما يحوط به نفسه إلا لم يجد رائحة الجنة » .

ولا يخفى عنكم ولا عن غيركم ما قاسيناه في تمهيد القبائل وتسكين فتنتها . والسعي في إصلاحها وإنقاذها من دواعي الفساد ، ومن ظلمات أهل البغي والعناد . وما لا زلنا نعانيه من إرشادها ، وتأسيس مصالحها العائدة عليها بنعمة الهناء والرعاية . وتأمين طرقاتها من عوارض الإذاية ، حتى أنفقنا في ذلك ذخائر الأموال . وبذلنا نفائس الأعمار في تدارك المصالح بتقويم أجناد الخيل والرجال . سعياً فيما يرضي الله والرسول ، وتوفية بحق الله الذي عنه الراعي مسئول ، وحرصاً على صيانة أموال المسلمين ودينهم وأعراضهم ، وإبقاء لهم في ظلال الأمان التي تدفع عنهم ـ بحول الله ـ حوادث أعراضهم ، ولا يجهل ذلك كل من تدبر من أهل البصر والبصيرة ، واعتبر بعقله فيما أظهره صرف الوقت واقتضاه حال السيرة . وما زالت شفقتنا عليكم تحملنا الإجتهاد في المحافظة على نظامكم ، ومدافعة الضرر عن مالكم ودينكم وأحسابكم . رجاء أن يحقق الله الظن بدوام حفظ هذه الإيالة السعيدة ، وحياطتها بألطافه المديدة .

إلى أن عرض أمر مهم من آكد الأمور . التي يهتم بها الخاصة والجمهور . ولم يسع فيه إلا الكتب لسائر قبائل رعيتنا السعيدة . لتعين كل قبيلة أفراداً من كبرائها وأعيانها ، ممن يثقون بهم ويأتمنونهم على أمور دينهم وعرضهم وماهم . ويرتضونهم وكلاء عنهم . ولا يرون في قبيلتهم أصلح ولا أرجح منهم . ويوجهونهم لشريف حضرتنا بقصد اجتماعهم على المفاوضة في علاج هذا الأمر الملم ، والخطب العارض المهم ، لتكون المشاورة فيه بين جميع أعيان الرعية ، ونستبريء بذلك لديننا ، ونخلص من شوائب التقصير الذي يتوهم في العمل والروية . إذ ـ على كل حال ـ إن المشورة في الأمر العام أمر مطلوب . لا سيما وفيها سر الإصابة بتوفيق الله مع سلامة الصدور واطمئنان القلوب .

وعليه فبوصول كتابنا هذا إليكم ، نأمركم أن تعينوا من خيار قبيلتكم .

ممن تعتقدونهم في الأمانة والديانة ، وترضونهم وكلاء عنكم في أقوالكم وأفعالكم ، وتأتمنونهم على نفوسكم ، وتوجهوهم لحضرتنا الشريفة . بقصد الحضور مع غيرهم ـ من أعيان جميع القبائل ـ على المفاوضة في الأمر العارض المذكور ، عسى الله ـ تعالى ـ أن يلهم الجميع فيه للوجه المشكور ، فإنه ـ سبحانه ـ كفيل لهذه الأمة المحمدية بأن يعاملها بما يرضي رسوله خير العباد ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ، والسلام .

في 12 شوال عام 1322 .

ملاحظة :

كما أشير له : فإن هذا الملحق يمثل الصيغة الموحدة لرسائل الاستدعاء لحضور مجلس الأعيان وعددها ستة . وهناك رسالة استدعاء لقبيلة الرحامنة حررت في صيغة مباينة ، وسيرد نصها ضمن الملحقات الختامية التي يذيل بها على هذا الجزء .

نشر معظمها في مجلة « المغرب الجديد » بالعدد 8 ص 31-32 .

وتكملتها من نصوص مماثلة ضمن محفوظات قسم الوثائق خ . م .

9 - مصورة الملحق 45

الحمد لله وحده   وصلى الله على مولانا محمد وآله



[illegible]

القيامة انه لا يخلف الميعاد والسلام في 12 شوال عام 1322

ملحق 46

رسالة تصف إجتماعاً عقده العزيز مع أعضاء مجلس الأعيان ، للتعقيب على وقائع الجلسة الأولى مع السفير الفرنسي

« ... فقد كنت أخبرتكم – قبل هذه البوسطة – بما صدر بالأعتاب الشريفة . وبما وقع في الجمع بروض الوزير في المناظرة مع الفرنسيس ، فإن سيدنا – نصره الله – أمرهم أن يسمع منه ولا يجاوبه أحد ، فلم يقصر في التطاول والجسارة والطيش والقوة ، حتى قال لهم : إنما أنتم صرتم من دولتنا ، وسلم جميع الأجانب التصرف بالمغرب ، وإن لم تساعدوا على الشروط المطلوبة فإن يد الفرنسيس طويلة عليكم . وقد انتخبكم السلطان من الثغور لتوافقوا على هذه الشروط . فأجيبوني عن ثلاثة شروط ، وسلموها لنبين لكم غيرها . وأطال في الجسارة على عادته ...

حاصله : فظن جميع الناس الذين بالجمع من العلماء والوزراء والوفود وأرباب الصدور : أن الأمر تم ، وساعده (السلطان) على المطالب ، فلأجله قاموا حيارى ، وغابوا عن حالهم ، وحصل لهم الدهش بالبكاء والنحيب ، ثم طلب الوزير أن يمهلهم في الجواب .

حاصله : فلما بلغ الخبر لسيدنا – أيده الله – بما صدر من الفرنسيس ، اغتم غماً شديداً من سوء كلامه وتطاوله ، وافتخاره بالمحال الذي لا يقبل شرعاً ولا طبعاً .

ثم أن يوم الأحد تاريخ 21 منه (ذي الحجة 1322 هـ) وقع الجمع بالعتبة الشريفة : الوفود وأرباب الصدور والعلماء والقضاة . وسيدنا الشيخ رضي الله عنه (يقصد الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني) جالس والقضاة والوزراء ، وسيدنا – نصره الله – قريب منهم ، فقال لهم – بأعلا صوته – قائد المشور : يقول لكم سيدنا أعزه الله ونصره : إن ما صدر به العدو الكافر من الطيش وسوء الكلام : فإنه أساء الأدب علينا .

فأما قوله يد الفرنسيس طويلة علينا وسلم له النجليز وغيره من الأجانب : فنحن ملوك سلفاً عن خلف ، ولا كانت دولة المغرب تحت جنس أصلاً ، والنجليز ليس له يد علينا حتى يسلمنا إليك ، فنحن دولة مستقلة مثل جميع الدول ، فلو كان النجليز ملكنا تحت دولته ثم سلمنا إليه يكون لنا ما يكون . فنحن ـ والحمد لله ـ دولة مستقلة مخصوصة من قديم الأعصار . يتصرف ملوكنا كيف شاءوا بأنواع التصرفات .

وأما جميع ما طلبه لم نساعده على شيء أصلاً ، وها هي مقيدة تسعة شروط ، وكل شرط تحته شروط مطوية . فقد أجبته عنها بسياسة ولطف فقرأها ، ومن ظهر له شيء فليكتبه ، فأنتم والوزراء وسيدنا سواء في هذا الأمر ، ومن أراد أن يتكلم فليتكلم ، فكلنا سواء ، وهذا هو العمل والمعول عليه ، أحب أم كره ، وإن أراد غير هذا فنحن بصدده فيما يريد بحول الله وقوته ، فإني لا أحول على هذا النظر أصلاً .

حاصله : ظهرت من سيدنا ـ أعزه الله ـ قوة عظيمة ، واجتهاد كبير في اجتماع كلمة الإسلام ، ففرح أهل الجمع ، ووقع لهم من السرور ما لا يعلمه إلا الله ...

ولما تلاقى الفرنسيس قبل هذا ودفع الشروط الوارد بها لسيدنا ـ أيده الله ـ أرسلها لسيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه ، فأجاب عنها بكراس مملوء بالقواعد والسياسة والقوانين ، ثم أكد عليه بمطالعته ... فلما تم المجلس وكان هو المتكلم والفقيه القاضي سيدي عبد الله بن خضراء ، فخرج الأمر الشريف أن سيدنا الشيخ يطلع ـ يوم تاريخه ـ للقى ، ليتفاوض مع سيدنا في بعض الشروط وما يضاف إليها .

وقد وقع الجمع البارحة بروض الوزير بالمناظرة ، وجميع المكلفين والعدو معهم ، فطلب منهم الجواب عن الثلاثة شروط ، فقالوا له بين لنا جميع مطالبك وشروطك لنجاوبك عن الجميع ... » .

أما الشروط الثلاثة فهي عبارة عن ثلاثة مطالب عرضت في ميمنة الرسالة ـ بهامشها ـ هكذا :

الشرط الأول : طلب نزول العسكر بالحدادة .
الثاني : طلب إنزال العسكر بالسلك وبأبور البر .
الثالث : طلب الجلوس مع الحكام .

ـ من وثائق نخبة مدينة سلا الغيور السيد الحاج العربي إبن سعيد .

ملحق 47

تقرير عن عروض السفير الفرنسي
في الجلسة الثانية لمجلس الأعيان

الحمد لله .

المجلس الثاني

لما طولب الباشدور بتمام الكلام وتفصيل المجملات : أجاب بالإستفهام عن التفصيل المطلق : هل في جميع ما تحمله . أوفى التنظيم العسكري فقط ؟ فأجيب ببيان الجميع .

فذكر أن التفصيل متعلق بالمباشرة . وحين يتلاقى سيدنا ـ أيده الله ـ يبين له ذلك ، فأجيب بأن سيدنا ـ أيده الله ـ كلف أعيان الرعية بتلقى ذلك منه .

فذكر أنه حين تلاقى ذكر لسيدنا ـ أيده الله ـ أن يعرض كلامه عليهم ، ولا خلاف في الموضوع ، وإنما بقيت كيفيته المباشرة بيديها لسيدنا أيده الله . ثم قال : إن التقرير الإجمالي يقرره بمحضر الجمع ، لكن المباشرة خاصة بالملاقاة .

ثم شرع في تتميم الكلام فقال : إنه كان قرر لدولته من الخصوصيات ، وما يلزم عليها في الدولة الشريفة ، وبيان العلل المتعينة الصلاحات (كذا) . ولا سيما الأمور العسكرية ، وإنما يطلب الإنصات والاستيعاب .

ثم قال : نواحى هذا القطر المفتقرة للتنظيم هى النواحى التي فيها التجارة الأرباوية ، وحصل لأهلها التشويش ، وصارت تتشوف لحماية الأجانب ، وخصوصاً الكوشطات ، ثم نواحى الحدود من البحر الأوسط إلى الصحراء .

وإنه يقدم الكلام في الكوشطات ، وهو أنه لا يخفى أن المتعاطين للتجارات يطلبون الأمن على أموالهم وأنفسهم ، وفيهم منافع بالسلع ، ومنفعة للوطن ، وإن هذا الموضوع كثير من الأجانب والأجناس عقدوا فيه عقوداً .

10 - اللوحة الأولى من مصورة الملحق 47

الحمد لله المجلس الثاني

لما كان طلب المباشرين بتمام الكلام وتفصيل المجملات اجابا
بالاستفهام عن التفصيل المطلوب هل جميع ما تحمله اوراق
التنظيم العسكري بعده واجب بيان الجميع
فذكر ان التفصيل متعلق بالمباشرة وحيث يتنافى تسيير
ايدي الله ييسر ذا لنا فالواجب بيان تسيير ايدي الله كل
الجبال التي عينة يتلقى ذا الامنه
فذكر انه حيث تلا في ذكر تسيير ايدي الله ان يعين ذكر كلامه
عليهم وبعد ما كان في الموضوع وانما بقيت كيفية المباشرة
فيريهما تسيير ايدي الله ثم قال ان التفريق بين الجمال التي يقوم
بحملها الجميع بعد كون المباشرة خاصة بالمجلدات
ثم شرع في تتميم الكلام فقال انه كان في الرواية والخصوصيات
وما يلزم عليهما في الرواية الشريعة وبيان العلل المتعينة
للمكافات وبعد بيان الامور العسكرية وانما يطلب الانتمانات
والاستيعاب
ثم قال نواحي هذا الفكر المعتبرة للتنظيم في النواحي

الى

ولا يخفى أن الدول التي عندها التجارة في هذا المغرب تطلب التسهيل والأمن على أنفسهم وأموالهم ، وأول ما يناسب لإصلاحات التجارة إصلاح المراسي وتحصينها ، لأنها اليوم ليست ضامنة لصيانة أموال التجار . وأعظم الحصون هو الأمن الذي صار ينقص . وتكررت الشكايات التي يجب الاعتراف بأنها على صواب . وأما ما يرجع للحوادث فكثيراً ما كانت تقع . لكن هذا الحادث أدى إلى الإضرار بالحدود ، وزيادة تفاقمها ، حتى إن العمال لم يبق لهم نفوذ .

وأنه أراد أن يقدم الذكر على طنجة . وإنها لها بال . فيتعين صرف المخزن همته وباله لها . وإن قبل هذا كانت مأمونة ، على أن نحو الثلثين منها خارج المدينة . واليوم صارت كأنها في حالة الحصار من عدم الأمن . وزاد ذلك بقوة بعض الفساد ، حتى صارت كلمتهم هناك أعظم من كلمة النائب . وبعضهم يتعرض في نواحيها للناس ، ولا زال ذلك في زيادة . ولا يخفى ما كان وقع من قبضهم على بعض الأرباويين ، وتكتيف البعض ، وتقدم استرعاء الأجانب في ذلك ، لأن ضمانته المخزن ينبغي أن تكون محفوظة .

وإن طنجة فيها نواب الدول . وقد صارت مركزاً عظيماً . وإنهم يطلبون الأمن على تجارتهم ورعاياهم ، وعيونهم كلها مفتوحة لها . ولا أمن فيها . على أنه ينبغي للمدن الساحلية أن تكون فيها قوة النفوذ المخزني . واستشهد بأن أصيلاً وقع فيها ما يصدق عدم النفوذ المخزني .

وكان وقع ما وقع بالعرائش ، حتى ظل البارود يخرج . وصار الأرباويون الذين يطلبون الاستغاثة على الوجهة الحبية ، فحصلت بسبب المركب الذي نزل بمرساها على يد النواب .

وكذلك ما وقع بالدار البيضاء : بهجوم بعض الفساد عليها بعدم نفوذ العمال ، حتى صولحوا ورجعوا .

وإنه لم يقرر الوقائع . بل نقص واختصر . وعلى هذا تتعين القوة والنفوذ في كلمة العمال . وهذه القوة استدعاها الوقت . ولو تكون قليلة تكون مضبوطة .

ولا يخفى ما وقع من حادث بردي كريس . ولما توجهت المحلة لأجل ذلك

أول ما شرعت فيه النهب ، فتعين الكون على بال من شكايات الدول بأن الضرر تزايد ، وأن القوة في نقصان ، ولم يبق على تجارتهم أمن ، والأجوبة التي صدرت لهم انتشرت في الجرائد .

ثم قرر الوقائع بنواحي الحدود المتعلقة بأفرانصا خاصة ، فقد حصل لها ضرر عام بعدم الأمن لرعيتهم ، وهي منقسمة بين تل وصحراء ، فالأول إلى نواحي سعيدة ، وكثيراً ما يقع فيها القتل والنهب ، ويفر الفعال إلى الإيالة المغربية ، وبلغ الترامي إلى قرب تلمسان ، وهذا نحو عام ونصف وقعت نهوب وهجومات فيما بين تراب إيالتهم إلى ناحية سعيدة ، ولزمتهم صوائر للمدافعة عن أنفسهم .

وأما نواحي الصحراء : فيقع كل يوم أكثر من ذلك ، ولزمتهم مشقة في كف رعيتهم عن المقابلة لأخذ الثأر .

وأما نواحي فجيج ففيها تجار أفرانصا ، وكانت بها العسات الأرباوية ، وفي هذه الأيام قتل من أهل تلك العسات نحو سبعين أرباويين ليلاً ، وإنكم تعرفون الوقائع العظيمة التي صدرت في الحدود ، ولا يخفى ما يلزمهم من الصوائر ـ على حفظها ـ على نحو ثلاثين ألفاً من العسكر ، فيصير على ذلك كل سنة نحو الأربعين مليونا من الأفرنك ، ولا يخفى أن لصبر دولتهم حد ونهاية ، وكثيراً ما يدافعون ، وربما يأتي وقت لا يمكن الصبر والمدافعة فيه .

وعلى كل حال فلولا أنه لم تتقدم وفاقات بين الجانبين على حفظ الحدود بإعانة منهما معاً : لوقع دخول الإيالة الجزائرية ، ولا يقدر على منعها ، وهذه الوفاقات هي ـ بنفسها ـ التي حفظت نواحي الحدادة المغربية ، ولولا وجود هذه الوفاقات والتشكي بكثرة صوائرهم وشيوع الضرر لم يستعجل المباشرة ، لأنهم طالما صبروا غيرهم ، ويواعدونهم بسبب تلك الأوفاق ، لكن حيث كثر وعدهم بالصبر تعين تدارك المباشرة ، لأنه يبق وجه لتصبيرهم .

وعلى كل حال : إذا لم تكن للمخزن قوة بأي شيء يرد السحاب العام ، وقد أبدى شاهداً : وهو أنه كانت حلت قوة من عسكرهم بنقطة من الإيالة المغربية بغير إذن من الدولة الجزائرية ، وكان حلولها على الوجهة الحبية ، حتى منعوا

11 ـ اللوحة الثانية من مصورة الملحق 47

التي فيها التجارة الدارية وحصلت عليها التشويش
وصارت تتشوف لحماية ابن جانب وخصوصا الكونشلات
في نواحي الثغور مراسيها لا وسعه الى الصحراء
وانه يغرها الكلاع بالكونشلات وهو انه ان ينبغي ان
المنعة كتتيق للتجارات يطلبون الامن على اموالهم وانفسهم
ويبيع منه وبع بالبيع وصنعة للوكر وان هذا الموضع
كثير من اجانب والاجناس يغفروا فيه عقودا
فما ينبغي ان الدول التي تعمر هذه التجارة في هاذا المغرب
تطلب التسهيل والامن على انفسهم واموالهم واول ما
يناسب ان ملاحظات التجارة اصلاح المراسي وتحصينها —
لانها اليوم ليست ضامنة لصيانة اموال التجار واعظم
الحصون موانئ مراسيها ينفعو ونكررنا الشكايات
التي تجب الاعتراف بانها على صواب واما ما يرجع
للحوادث بكثيرا ما كانت تقع ان كرهنا الحادثة الهوائي
ان ضمار بالعروض وزيادة تبعة فيما حتى ان العمال
لم يبق لهم نفوذ
وانه اراد ان يغروا الترك على طنجة وانما لما بال فيتعين

الفتان بنواحي عيون بني مطهر ، وما توقفوا على طلب ذلك من الدولة المغربية ، لكن اقتضاه الحال على الوجهة الحبية ، وحيث حلوا بتلك النقطة فلم يمكن لهم إنهاضها ، لأنهم إن أنهضوها يعمر الفتان المحل .

نعم إذا يعمرها المخزن تنهض حينئذ محلتهم ، وبوجود تلك الأوفاق أجازت دولتهم عسكر المخزن بترابها ، وما قدرت دولة ـ فيما تقدم ـ أن تجيز عسكراً أجنبياً ما عداها ، وذلك دليل المحبة ، فسامحوا وساعدوا على سبيل الإعانة .

والعسكر المخزني لما أجازوه وسلك في ترابهم وبلغ الإيالة المغربية : صار يفر من عدم المؤنة ، ولما حل العسكر بفجيج صار يبيع العدة فيشتريها الفساد ، ويضربون بها الإيالة الجزائرية ، وذلك كله من عدم التنظيم .

وصارت الملامة ترجع عليهم من رعيتهم : بكونه تسبب في إتيان العسكر الذي يبيع العدة لمن يؤذيهم بها ، ويجيبهم بأن لهم الحق ، لكن فجيج هو للمخزن ، فعليه أن يحفظه بعسكره .

وعلى كل حال تعين اليوم أن نواحي الحدود تضبط وتحفظ ، بحيث إذا قدرت الإيالة المغربية بذلك لم يبق يلحقهم ضرر الصوائر التي بلغت ما تقدم .

وهذه المقدمات يترتب عليها كيفية التنظيم الذي تحمله .

ثم قال : فمن يرى العسكر الآن يراه صالحاً بطنبوره وكبرائه ، نعم إن وقع التنظيم تبقى كيفيته على حالها ، وإن القوة المطلوبة في التنظيم : هي أن تكون يومية ، ويرتب مأكوله ، وتعين مساكنه ، ويكون تفاوت مراتبه بحسب المزايا ، ومن وقعت منه هفوة يعاقب .

ومن الأصول ـ على سبيل التقرير ـ أن يقدر طابور ـ مثلاً ـ كان يعد بخمسمائة : فتكون تامة دائماً ، لا ينقص من عدده أبداً ، وعدم ضبط الأمور العسكرية ضرر على الدِّين والرعية ، فإذا كان طابور يعد بذلك العدد ، وتكون نسخ عند النكلفين : لا ينبغي أن يكون عدده يعرض له النقص أصلاً .

ومن مرض يعالج ويرد لمحله ، ومن فر يبحث عنه ويرد كذلك ، ويتعاهد

الطابور بالتسراد في كل شهور 3 ، ولا ينقص عدده .

على أن الذي يفر لا موجب لفراره إلا إهماله من المؤنة ، أو خصاصة من القوت ، وإن تعذرات المؤنة هي التي أوقعت الأفة في العسكر . فبسببها يفر أو يبيع العدة ، وإن المؤنة والطعام والتنظيم : إن لم يكن في جميع العسكر دفعة . فينبغي أن يجرب في طابور واحد ، حتى تعرف نتيجته .

ومن شرط التنظيم أن لا يكون العسكر متفرقاً ، بل تكون القشالي مجتمعة . وتنظر له المحال المناسبة ، وهذا التنظيم لا بد فيه من الرجال الذين يقومون به ويحسنونه ، ويعرفون تحريبه ، وتعيينهم متوقف على أفراد . وأولى العارفين بذلك دولة أفرنصا ، فعندها أفراد من رعيتها المسلمين يعرفون ذلك .

على أن العسكر الذي ينظم ينبغي أن يكون مختاراً ، ولو لم تكن فيه كثرة الأعداد ، وعلى تقدير أن يكون طابور المشاة مئات 500 صحيحة . فكل مائة تنقسم على نصفين : يكون على كل نصف مكلف عسكري جزائري عارف بالتنظيم الداخلي ، ويكون على كل مائة مقدم جزائري ، سوى في عسكر الطبجية : فعلى كل مائة يكون مقدمان ، ويكون طابور الطبجية مؤلفاً من ميئن 300 : مقسومة كل مائة على نصفين ، وعلى كل نصف مكلف جزائري : وظيفته تغريف الخمسين بصقل سلاحهم وملبوسهم ونحو ذلك من الضروريات ، ومن غاب منهم ينوب عنه في ذلك .

والمقدم الذي يكون على المائة يكون حراباً ، ويعان بسرجان وعسكري . فيكون ــ حينئذ ــ على كل مائة ثلاثة بإندراج الأخرين .

ويكون على كل مائة من الطبجية أربعة : إثنان نفر ، وإثنان مقدمان ، أما الافرانصاويون : فيكون على كل طابور واحد .

والطوابر التي تنظم بطنجة : أكثر ما يكون على العسكر الذي ينظم بها أربعة افرانصاويون : أحدهم كبير عليهم ، ويكون له كاتب ، فيكون هو الخامس ، ويكون عدد العسكر بتقريب 1500 ، ومقدمون مسلمون ، ونفر جزائريون .

12 - اللوحة الثالثة من مصورة الملحق 47

في مال المخزن ضمنه وبال له لهما وقبل هاذا كانتا مأمونة
على ان نحو الثلثين منهما خارج المدينة والبيوت صارت كأنها
في حالة الهدم وعلم الامر زاد هذا الكلام بقوة بعض
الافساد حتى صارت كلمتهم هناك اعلى من كلمة النائب
وبعضهم يتعدى في نواحيهما للناس وازالة الكلام زيادة
وبعد ما كان وقع من قبضهم على بعض الربا ويبرونكتيه
البعض ونفروا استرعاء الاجانب فهذا الكلام ضمانه
المخزن ينبغي ان تكون معروفة
وان طنجة فيها نواب الدول وقد صارت هي كذا حكمها
وانهم يطلبون الامر على تجارتهم ورعاياهم وغيرهم
كلها مفتوحة لها وان امر فيما على انه ينبغي للمدن
الساحلية ان تكون فيها فرق النعوبة المخزنية واستشهد
بالرباط وقع فيها ما يسري عن النعوبة المخزنية
وكذا وقع ما وقع بالعرائش حتى كثر البارود بمخرج
وصار الرباطيون الذين يطلبون الاستغاثة على
الوجهة العربية فحصلت بسبب المركب الذي نزل بمرساها
على يد النواب

وكزالك

وكما يعين التنظيم بطنجة : يكون ما يناسب في غيرها : كوجدة وفجيج وغيرهما

وإن الذي يظهر أنه لا ضرر في هذه الكيفية على الدين ، ولا على الأعراف ، لكن ينبغي أن يكون للافرانصاويين المكلفين النفوذ في عدم تعطيل المؤنة ، وفي طعام العسكر وملبوسه والمراقبة عليه .

والمقصود بالتنظيم حصول الأمن ، وطاعة الإيالة ، وتقوية جانب المخزن .

والمقصود الثاني : أنهم اختاروا التحري بتعيين المسلمين الجزائريين ، حتى لا تتطرق الخيالات للناس .

وهؤلاء الإفرانصاويون يكونون عند نظر المخزن ونظر ولاته ، ويتحافظون على مقام المخزن ، وسائر ما يتوقف العسكر عليه يتمشون فيه على نظر المخزن .

وبيان المؤنة الطعامية : أن ينفذ ـ مثلاً ـ للعسكر كروش 6 ، وحيث يتيسر الطعام ينقص له منها بقدر ما أكل ، ويعطاه الباقي .

ويكون في المشاة مرتبتان : أعلاها كروش 7 للواحد ، وأدناها كروش 6 .

وفي المقدمين مرتبتان : أعلاها بساسيط 2 وكروش ، وأدناها بساسيط 2 فقط .

وفي قواد المئين مرتبة واحدة ، فيها ريال واحد لكل واحد .

وكل ينقص له بقدر ما أكل من مؤنة الطعام .

وقواد الأرحى يكونون على مراتب 3 : أعلاها بريال 4 . وتحتها بريال 3 ، والروتية بريال 2 .

والمؤنات يكون لها أمناء تحت المراقبة ، ويكون للأمناء مرتبتان : أعلاها بريال 3 للواحد ، وأدناها بريال 2 .

ولهم خلائف : فلكل أمين خليفة ، والخلائف على مرتبتين : أعلاها بريال 1/2 .1 ، وأدناها بريال 1 .

والحرابة الأفرانصاويون : يكون لهم كبير واحد على جميعهم ، يقبض في العام ألوف 15 من الأفرنك .

وأما الفسينات : فبحسب مراتبهم وخططهم وحالهم : من ألوف 7 أفرنك في العام ، إلى ألوف 8 ، إلى ألوف 9 .

وهنا انتهى كلام الباشدور .

من مخطوطات المكتبة الأحمدية بفاس .

13 - اللوحة الأولى من مصورة الملحق 48

يقوم بجبره على ما يظهر من الأحوال ؛ ومعلوم حسان بو عمامة من الناحية وما هو عليه وما قوته من سلام المخزن
الذي يبان له ؛ ومن العشائر الواقعة وإن كانت بعيدة عن بلاد بني [illegible] قريبة من تلمسان ؛ وعلى تقدير أن فرقت دولة
الفرانصيص لم تتبعها عنهم ولو بالقوة فإنها تجمع لهما ؛ ومعلوم أن عجز المخزن اليوم منوط بالإهمال في الأمور كونه
لم يقدر من يحيط به على القبائل وقد مر في الجبال التي المتفرقة بين ما يعزم من دولة الفرانصيص من بعض الجهة أن
لها بالحدود نحو [illegible] بعمالة وهران ؛ ومع قدرة دولة الفرانصيص أن ذلك لم يحصل لها [illegible] وما كان [illegible]
الذين يعملون القبائل بالنهاية يجعلون الملجأ لم يمكن دولة الفرانصيص الوصول إليهم فيه ؛ وتختصر مطالب
الإيالة الجزائرية في شأن ما وقع لهم هنالك منذ عشرة أعوام إلى الآن أي ما نهب إبل وغنم أو الهجوم بالقوة
على الأزوار أو على العزيبات أو قتل العسة ؛ ومن الفضل لهم المشاركة في التوقيف بجعل الموظف فيها بتلك الناحية
ولا زالت الدولة منتظرة الجواز العمل على مقتضى الأوفاق وقد وقعت للمكلفين هنالك وحتى الجواب لم يصدر عنها
؛ وقد وقعت حوادث أخرى في [illegible] ثلاث عشر يوما الفارط في قتل [illegible] والرعي ؛ وبعد علم ذلك
وقع نهب لها بليلة من ناحية الإيالة الجزائرية وقتل في ذلك رجلان فرانصيص ؛ ثم بعد شهور وقع هجوم
على [illegible] البوصيطي [illegible] وقتلوا جميعا ثم وقع هجوم على العسة الحارسة للطريق من غير تعيين منها وبلغ
عدد من قتل منهم ستين 65 في تلك المرة ؛ ثم بعد ذلك نهبت غنم قدرها الآف 15 للإيالة الجزائرية
؛ ثم وقع الهجوم من [illegible] 5000 غنم [illegible] مولاي المصطفى على قصر [illegible] من حساب الإيالة الجزائرية [illegible]
[illegible] ومات من الإيالة الجزائرية عدد له بال [illegible] لهم العجب يكون هذه الحركة خرجت من مركز المخزن ولم يقع
إعلام بها للمخزن ؛ ثم بعد ذلك كانت طائفة من العسكر متوجهة من [illegible] موضع الهجوم عليها
وقتل منها خمسة 97 من الفرانصيص وجميع [illegible] ؛ ومن جملة ذلك أنه [illegible] للتعجب [illegible]
معا ؛ ومع اجتهاد الدولة الفرانصيصية في الحراسة والضوابط صارت عاجزة حيث لم يمكنها الدخول على [illegible] المحل
الذي يلتجئون إليه ؛ ولو كانت الدولة المغربية ضابطة بحدودها لم يقع هذا الضرر منهم هنالك والدولة
الفرانصيصية تشتكي بما ذكر وبتعذر المعاملات التجارية بتلك النواحي ومن المعاملة التجارية المتعذرة [illegible]
خاصة بالإيالة الجزائرية [illegible] حتى للإيالة المغربية [illegible] الأوطان والحدود [illegible]
الإيالة الجزائرية للإيالة المغربية ما يزيد على الآف 15 [illegible] في السنة [illegible] للإيالة الجزائرية
تصبر على ما ذكر ؛ وإذا كانت الإيالة الجزائرية صابرة على هذا الضرر الحاصل لها في [illegible] فلابد الدولة
الفرانصيصية [illegible] ونعرفها بكون المخزن بصدد [illegible] ؛ ولا ينبغي أن [illegible]
[illegible] لهنالك [illegible] الإيالة الجزائرية [illegible] المخزن يقوم بما عليه ؛ وما دام الأمان [illegible]
[illegible] للإيالة الجزائرية على الصبر ؛ [illegible] على الدولة بالكتابة
[illegible] وفي عدم [illegible] القبائل ؛ [illegible] الإيالة الجزائرية في شأن
[illegible] مليون [illegible] ومعلوم أن المخزن يصعب عليه إقامة [illegible]
[illegible] وحيث لم [illegible] للإيالة الجزائرية صبر على ما ذكر [illegible]

ملحق 48

تقرير - مبتور الأول - عن عروض السفير الفرنسي في جلسة يترجح أنها الجلسة الختامية لمجلس الأعيان

... يقوم غيره على ما يظهر من الأحوال . ومعلوم حال بو عمامة بتلك الناحية وما يرتكبه . وجل قوته من سلاح المخزن الذي يباع ثمة . وهذه الفتنة الواقعة - وإن كانت بعيدة عن فاس - فهي قريبة من تلمسان . وعلى تقدير أن قدمت دولة فرانسا لمدافعتها عنهم ولو بالقوة . فإنها ترجع لهنا . ومعلوم أن عجز المخزن اليوم منوط بالإهمال في الأمور . لأنه لم يصدر جد يحصل به على الطائل . وقد قدم في المجالس المتقدمة بيان ما يخرج من دولة فرانسا من الصوائر . حيث إن لها بالحدود نحو الثلاثين ألفاً بعمالة وهران » . ومع تحمل دولة فرانسا لذلك لم يحصل لها أمن في حدودها . لأن الفساد الذين يفعلون الفعائل بإيالتها يرجعون للمجا لا يمكن دولة فرانسا الوصول إليهم فيه . وتحت يده مطالب الإيالة الجزائرية في شأن ما وقع لهم هنالك منذ عقدت الأوفاق للآن . وهي إما نهب إبل أو غنم . أو هجوم بالقوة على الدور أو على العربات . أو قتل العسة . وهذه القضايا هي المشار لها في الوفق بجعل الفصال فيها بتلك الناحية . ولا زالت الدولة منتظرة إنجاز العمل على مقتضى الأوفاق .

وقد رفعت للمكلفين هنالك . وحتى الجواب لم يصدر عنها .

وقد وقعت حوادث أخرى ثمة . فإنه في تاريخ عقد الوفق الباريزي قتل صبيان على عين والديهما . وبعد عام من ذلك وقع نهب لقافلة من ناحية الإيالة الجزائرية . وقتل في ذلك سرجان فرانسوي . ثم بعد شهور 3 : وقع هجوم على رقاصة البوسطى وهم سبايس . وقتلوا جميعاً . ثم وقع هجوم على العسة الحارسة للطريق من غير تعد منها . وبلغ عدد من قتل منهم ستين في تلك المدة . ثم بعد ذلك نهبت غنم قدرها آلاف 10 : للإيالة الجزائرية . ثم وقع الهجوم من البرابر 5000 تحت رئاسة الشريف مولاي المصطفى على قصر تغيت من حساب الإيالة الجزائرية . وحاصروه أياماً . ومات من الإيالة الجزائرية عدد له بال . فحصل لهم العجب

بكون هذه الحركة خرجت من مركز للمخزن ولم يقع أعلام بها للمخزن . ثم بعد ذلك كانت طائفة من العسكر متوجهة من جنان الدار لتغيث ، فوقع الهجوم عليها ، وقتل منها نفر 97 فرانساويون وجميع فسياناتها ، ومن جملة ذلك أنه خرج قبطانان بالزوبيا للتفسح فقتلا معاً ، ومع اجتهاد الدولة الافرانسوية في الحراسة والصوائر صارت عاجزة ، حيث لم يمكنها الدخول على الفعال للمحل الذي يلتجئون إليه . ولو كانت الدولة المغربية ضابطة نفوذها لم يبق هذا الضرر لهم هنالك . والدولة الإفرانسوية تتشكى بما ذكر ، وبتعذر المعاملات التجارية بتلك النواحي . وهذه المعاملة التجارية المتعذرة ليست خاصة بالإيالة الجزائرية ، فإنها حاصلة حتى للإيالة المغربية ، فقد كان قبل الأوفاق والحدود يخرج من الإيالة الجزائرية للإيالة المغربية ما يزيد على آلاف فرنك 15 في السنة . ولهذا لم يبق للإيالة الجزائرية صبر على ما ذكر ، وإذا كانت الإيالة الجزائرية صابرة على هذا الضرر الحاصل لها في الرجال والمال ، فإن الدولة الافرانسوية هي التي تصبرها ، وتعدها بكون المخزن بصدد القيام بمواعده . ولا يخفى أن سفر الباشدور لباريز قبل وروده لهنا . كان وعد فيه الإيالة الجزائرية بأن المخزن يقوم بما عليه . وما دام الزمان يفوت والوقت لا يظهر نتيجة لوعده ، حتى أنه لم يبق للإيالة الجزائرية محل للصبر ، ومكاتيبها ترد على الدولة بالشكاية ، وتتكلم في الدعاوي المشار لها ، وفي عدم حصول الطائل . وقدر المطالب التي تطلبها الإيالة الجزائرية في شأن القضايا المشار لها ، يناهز مليونين من الفرنك ، ومعلوم أن المخزن يصعب عليه إقامة الأمن بين عجرود وثنية ساسي ، فضلاً عما بين ثنية ساسي وبين يكلي .

وحيث لم يبق للإيالة الجزائرية صبر على ما ذكر ، فإنها تطلب أن تقوم بإقامة الأمن بين عجرود وثنية ساسي ، وهذا الأمن الذي تقوم به هو أن تقوم به من مراكزها إلى ملوية ، ومن ثنية ساسي ، إلى آكلي ، وتمد الدخول هنالك إلى المحل الذي يكون كافياً في زجر الفعال ، وقد وقعت هذه المطالب لما كان الباشدور بباريز ، فلم يقصر في الدفاع والوعد بكون المخزن يفعل المتعين . ومن ذلك الوقت لم يصدر من الدولة المغربية أدنى ما يحصل به الإطمئنان ، وقد بلغه الخبر بأن الإيالة الجزائرية رجعت عما صبرها فيه ، وتريد الدفاع بالقوة . ولا زالت تلك

14 - اللوحة الثانية من مصورة الملحق 48

ان تقوم باقامة الامرين بجرود وثنية ساسي وهذا الامر الذي تقوم به هو ان تقوم به من مراكز مما الى ملوية ومن
ثنية ساسي الى الكيل وقد الدخول منالك الى المحل الذي يكون كافيا في زجر العمال .. وقد وقعت من المطالب ثلاثا
المباشرة وبيان ذلك فلم يقع شيء في الابان والوعد بكون المخزن يفعل المتعين ومن ذلك الوقت لم يصدر من الدولة
المغربية ادنى ما يحصل به الاطمئنان .. وقد بلغه الحكم بان الايالة الجزايرية رجعت عما صدر منها وتريد ردع
بالعنف ومن اجل هذه تلك المطالب تحت نظر الدولة تنظر فيها .. وهذا الامر لا يقرب اليوم في امر الحدود ..
ثم استفهم هل المراد بهذا المطلب ان يقوم المخزن بما ذكر او تقوم به دولة فرانصا فاجاب
بان ملخص ما وقع من الدولتين والدولة دولة فرانصا فاتت بما عليها منها والكل من جهتنا ونرجو
ان تقوم الدولة المغربية بواجبها لتحصل بها كذلك منفعة فلم تقم بشيء .. وحيث لم يبق صبر للايالة
الجزايرية وطال وعرف بفعل المخزن لذلك فانها تطلب ان تقوم هي باقامة الامرين بثنية ساسي
الى ملوية ومن ثنية ساسي الى الكيل من غير حظ وذلك الى المحل الذي يحصل به زجر العمال .. فاجاب ان هذا
انما اخبر به على سبيل الاخبار والانذار حيث ان ذلك كان تحت نظر الدولة للامور الفعلية وكان لم
يرد عليه امر من الدولة في ذلك ولاجله كان طلب تاخير الكلام في امر الحدود ولما طولب منه الكلام
في ذلك الذي ما عنده .. ختم المجلس في الساعة ونصف

المطالب تحت نظر الدولة تنظر فيها ، وهذا آخر ما يقرره اليوم في أمر الحدود .

ثم استفهم هل المراد بهذا الطلب أن يقوم المخزن بما ذكر أو تقوم به دولة فرانسا ، أجاب بأن ملخص ما قرره هو أن الأوفاق والشروط دولة فرانسا قائمة بما عليها منها وأكثر من جهتها ، وتترجى أن تقوم الدولة المغربية بواجبها ، لتحصل لها كذلك منفعة ، فلم تقم بشيء ، وحيث لم يبق صبر للإيالة الجزائرية . وطالما وعدت بفعل المخزن لذلك ، فإنها تطلب أن تقوم هي بإقامة الأمن من ثنية ساسي إلى ملوية ، ومن ثنية ساسي إلى آكلي ، من غير حصر ، وذلك إلى المحل الذي يحصل به زجر الفعال ، قائلاً : إن هذا إنما أخبر به على سبيل الإخبار والإنذار ، حيث إن ذلك لا زال تحت نظر الدولة الإفرانسوية ، ولا زال لم يرد عليه أمر من الدولة في ذلك ، ولأجله كان طلب تأخير الكلام في أمر الحدود ، ولما طولب منه الكلام في ذلك ألقي ما عنده .

انتهى ، ختم المجلس في ساعة 4 وقسمين .

من مخطوطات المكتبة الأحمدية بفاس .

ملحق 49

النص الكامل للرد على المشاريع الفرنسية
كتبه أحد ممثلي مدينة الرباط في مجلس الأعيان

الحمد لله وحده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن المقرر لدولة افرانصا من الخصوصيات لا ينكر ، ونصائحها لشريف الدولة مما يتحدث به بين الأجناس ويذكر . غير أن النصائح إذا كانت خالية عن الأغراض . تعين الإقبال على قبولها وعدم الإعراض .

فقوله النواحي المفتقرة للتنظيم إلى قوله وخصوصاً الكوشطات : لا يخفى أن هذه النواحي المشار إليها قد استغل جلها الأجانب والمتعلقون بهم . واستعصوا على المخزن بسبب التعلق بالتجارة الأورباوية . وذلك لما جبلوا عليه من حب التغلب والاستعصاء مهماوجدوا لذلك سبيلاً ،ولا يعرف في دولةمن الدول أن لا تجري على من دخل الإيالة أحكامها ، بحيث يعم حكمها جميع من حل فيها من جميع الأجناس . ولو أن المتعلقين أذعنوا لأداء ما يجب عليهم مطلقاً لاستقام أمر الترتيب بلا توقف ، إذ الأحكام إذا عمت الرعايا من غير أن يتميز فيها البعض دون البعض استقام أمرها . أما ما قيد قبل في شأن أداء الأجانب وأهل الحمايات واجب الترتيب : فذلك يقتضي التعويض عن أداء الواجب ، ويتعذر قوم بقوم . وإذا عاملهم المخزن ـ أعزه الله ـ بمقتضى القوة . وأدى بعض دون بعض : فلا يستقيم أمر . لعدم المساوات الناشيء منه كل ضرر ، ولمولانا النظر .

وقوله إنه يقدم الكلام في الكوشطات لأجل طلب المتعاطين للتجارة الأمن على أموالهم وأنفسهم إلى قوله وهذه المقدمات يترتب عليها كيفية التنظيم الذي تحمله وبين شروطه ومونته وتعيين مساكنه وعدد المستخدمين من دولته . إلى آخر ما سطره في ذلك .

أما تنظيم العسكر فلا بأس به . وقد كان ورد في ما مضى أناس جزائرون

وأورباويون من أجل تنظيمه ، ولم تظهر نتيجة في ذلك على أيديهم ، مع أنه صارت عليهم أموال طائلة يمكن أن يقوم بها أمر عظيم المنفعة ، وحيث طولب الآن التنظيم في ناحية الكوشطة يكون ما لا بد منه بحسب سعة المال ، لأن تنظيم العسكر ـ الآن ـ يلزمه صائر له بال ، ولا يسوغ تنظيمه في جميع المراكز قبل تنظيم المالية ، لأنها قطب دائرة رحى الجند ، ولا يقوم إلا بها ، لأنه إن أهمل تنظيم المالية وأخذ في تنظيم العسكر أدى ذلك إلى السلف الذي تنشأ عنه مضرات للرعية ، وعند ظهور ما ينتج من تنظيم المالية كآداء السلف الحاصل ، ويتوفر ما يصير على العسكر والجيش من وجوه استنتاجه : يزاد ـ حينئذ ـ ما تقتضيه المصلحة الوقتية بعد ظهور نتيجة ما ينظم أولاً .

وأما تسهيل منافع المراسي ببابورات الجر والفلائك : فتجب المبادرة إليه على الكيفية التي يقتضيها النظر الشريف في الجلب والتصرف .

وأما المون فكذلك مما تجب المبادرة إلى القيام بمصلحته ، لكن بعد بيان الكيفية في مدخوله .

وأما بناء الخزائن بالمراسي : فبحسب سعة المال ، لأن في الموجود بها ـ الآن ـ كفاية .

وأما التلغراف البحري إن كانت منفعته عائدة على المخزن والتصرف فيه خاصاً به أمراً ونهياً ، وإثباتاً ونفياً ، وإشاراته بالعربي لاغير ، ولم يكن الصائر عليه يجحف بالمدخول ، واقتضاه النظر الشريف : فلا بأس به . وللمخزن ـ أعزه الله ـ النظر في جلب أحد الماهرين من المعلمين لمباشرته من أين شاء ، مع المتعلمين الذين ينتخبهم المخزن من الرعية المغربية .

وأما أمر الإدارة الراجعة لاختيار طائفة البليس (كذا) فليست من اختيارات الأمور الحبية ، وإنما هي لتمام التوصل للأغراض التي منها التطلع على خبايا هذا القطر المغربي ، ولا يخفى ما يحصل بسببهم من المضرات العظيمة ، وتكاثر الشكايات بالإذايات الوخيمة ، والأخذ بالغرض والشهوة ، ونحن ـ في ملتنا ـ لا يمكن قبول خبر الواحد في كل الأمور ، وأمور الشرع لا مجال للعقل فيها ، وطائفة

البليس ينشأ عن الثقة بكلامها المواخذة بالغرم والقتل والقطع ، وذلك مخالف لشريعتنا الكريمة ، والثقة بها ـ أيضاً ـ تضطر الناس إلى موالاتهم ومحاباتهم ، وذلك إفساد على الرعية ، فلا يستقيم بها أمر لهذه الدولة الشريفة :

وأما أمر الحدود : فالجواب أن الحدود مقرر شروطها وضوابطها ، ومن اللازم أن يتمشى معها بالسياسة ، وتكون النهضة في ذلك لله تعالى ، والمقابل لذلك يكون خاصا ومن أهل الخصوصيات بمعرفة الأمور إن إقتضاه المخزن الشريف

وأما أمر السكة وضبطها بأحداث البنك : فلم يبين ضابطه ليفهم مرجع إشارته في قوله : إن للبنكة أن تطلب معاوضة على قيامها بما أشار إليه مكافأة ، وفي قوله ، إن من الأمور التي تطلبها البنكة : إن الأمور التي تصرفها تكون مباشرتها على يدها نيابة عن المخزن ، ففي هذا من التحجير على المخزن ـ أعزه الله ـ ما لا يخفى ، زيادة على ما في ذلك من الخرق المخالف للشريعة ، وإرتكاب الأمور الخارجة عن قانونها .

وأما أمر الضرائب فإن كانت جائزة شرعاً : فتكون على سبيل المساوات ، لا يحاشى عنها أحد كائناً من كان ، والمرجع في جوازها وعدمه للشريعة المطهرة . والنظر في ذلك لمولانا أعزه الله .

وأما أملاك المخزن : فينبغي أن يلحق منها بما ذكر أعلاه : القدر الذي هو غير خاص بالجناب الشريف ، وما يلحق به من أملاك إخوانه وأصنائه وغيرهم ، فيسند الأمر فيها إليه أيده الله .

وأما ما أشار إليه في أملاك الأحباس من ضبطها ودخول مستفادها لمحله . ولا تبقى على هذا الإهمال . فهذه نصيحة يجب الإصغاء إليها ، غير أنه يجب تقرير موجب الإهمال فيها ، وعدم الضبط المشار إليه . وذلك أن البعض من الأجانب يتحيلون على كراء ملك من أملاك الحبس بهذه الإيالة السعيدة من المراسي وغيرها ، فإذا توصلوا به يصيرون يتصرفون فيه تصرف المالك في ملكه . فإذا طلب منهم إفراغه امتنعوا ، وإن طولبت منهم الزيادة أبوا ولم يذعنوا . ونظار الأحباس في كل عام يتطلعون على أملاك الأحباس ويتبعون المصلحة . فما استحق الزيادة

زادوا ، وما اقتضت المصلحة تغييره أو الزيادة فيه كذلك . فمن كان تحت نظر المخزن أذعن طوعاً أو كرهاً ، ومن كان من الأجانب أو فيه رائحة التعلق بهم : لم يتمكنوا من الكلام معه . فلو كانت المساوات في الأحكام ثابتة لوجب ـ حينئذ ـ تفقد أحوال النظار ، ومن يصلح منهم ومن لا يصلح ، وعلى كل حال فمصلحة الأحباس منوطة بالتسوية في الحكم بين كل من ضمته الإيالة . وكم من مصالح مبنية على حكم التسوية ضاعت فيها حقوق الإيالة المغربية ، والأمر ظاهر .

وأما أحداث أمر ورقة التسريحات : فإن أمرها متعسر . والأموال التي تصير في أجور المكلفين بها لها بال . ولا يمكن استفادتها من ثمن الورقات . ولا محوج إليها . والنظر في ذلك لمولانا أيده الله . ولا يخفى تفصيل هذا الإجمال لمن تأمل .

وأما إحداث ورقة الطنبري : لم يبين الكيفية فيه وضوابطه ، على أن في طوابع البوسطة بهذه الإيالة السعيدة كفاية ، فالجواب عنه يكون بعد بيان الكيفية والضوابط .

وأما الإذن في الموسوقات من مرسي إلى أخرى ، والأداء عنها : فليس من النصيحة في شيء ، وفيه ضرر بين على التجار وعلى الرعية ، فالأولى إسقاطه وعدم الاعتداء به .

وأما ما فصله في أمر الحدود ، وطلب الإيالة الجزائرية إقامة الأمن بين عجرود وثنية ساسي ، ومن مراكزها إلى ملوية ، ومن ثنية ساسي إلى أكْثل ، وعد الدخول إلى المحل الذي يكون كافياً في زجر الفعال : فواجب ومتعين التيقظ لهذه المهمة العظيمة ، ومولانا ـ دام علاه وعزه ـ يصدر أمره الشريف برد البال لذلك ، ويأمر بمباشرة هذا الأمر فوراً من غير إمهال . لما في إهماله والتراخي فيه من توقع الخطب الجسم : بالحيلولة بين المحلة المظفرة الوجدية وبين مصالحها ومددها ، والحزم هو العزم ، وليفوق ـ دام علاه ـ سهام إمداداته بالعدة والعدد لناحية الفتان ، وعقول الملوك ملوك العقول ، والله يؤيد مولانا ويديم علاه .

مجلة « المغرب الجديد » : العدد 17 . السنة الثانية : ص 140–142 .

ملحق 50

قطعة من رد مطول للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ، فتتناول الأعتراض على المشاريع الفرنسية المطروحة في الجلسة الثالثة لمجلس الأعيان

... وقد درج على إحياء هذه السنة ـ أعني عدم الإستعانة بهم ـ جماعة من خلفاء الإسلام ، ممن له لسان صدق في الأمة : كعمر بن عبد العزيز ، والمنصور ، والمهدي ، وهارون الرشيد ، والمأمون ، والمتوكل ، والراضي ، ولولا خشية الطول لذكرنا حكايتهم ـ تفصيلاً ـ في عدم الإستعانة بالأجانب في شيء من أمور المسلمين ...

وأما ما ذكره في قانون منع التدليس في المراسي : فلا بأس به ، من كونه يطلب خط كل تاجر بموضوعه أو موسوقه .

وأما قوله : إن وجد موسوقه مخالفاً لما أعطي به خط يده فيحاز ذلك للمخزن : فإن هذا لا تقبله قواعد الشرع الكريم ، وغاية ما في الشرع الشريف أنه يتصدق بالشيء المغشوش ، كاللبن ـ مثلاً ـ إذا شيب بالماء فإنه يتصدق به ، زجراً له من العود لمثله .

وأما القوارب والمؤن والخزائن : فلا بأس بها أيضاً ، لكن في غير هذا الإبان ، والخزائن الموجودة ـ اليوم ـ كافية .

وأما التلغراف البحري في الكوشطات : فلا يتيسر ـ أيضاً ـ في هذا الوقت ، وفي وقت آخر يجعله السلطان نصره الله ، ليرجع مدخوله له لا للأجانب .

وإذا استنشق سيدنا منهم أنهم يحدثونه ـ غلبة ـ بالمراسي : فليتبادر إليه سيدنا ، حتى لا يكون مدخوله لغيره ، وحتى لا يحلوا بالمراسي حلولاً طبيعياً ، فإن دار البيضاء لما حلوها من قديم : صارت كأنها من بلادهم في جميع شؤونها ، ونزعت

منها هيبة الإسلام ، وأنوار الإسلام وطمأنينته ، فلا يسكن بها قلب تقي نقي خاشع متعلق القلب بالإلاه جل إسمه .

ومثل السلك هذا : لم يكن ينبغي أن تشير به دولة أفرنصا . لما تعلم من نفرة الإيالة من مثل هذه الأمور الأرباوية ، فطلبها مما ينافي الحبية .

وأما طائفة البوليس الكائنة في صفة العسكر تطلع على حقائق الأمور : فإنه لا يمكننا منه الشرع الكريم ، إذا العمل بمقتضى نقل الناقل من المسلمين : تشترط فيه العدالة والأمانة ...

فمن وجدت فيه الصفة فهو العدل الذي يقبل قوله : من المسلمين في المسلمين ، وقد قال الله سبحانه : « إن جاءكم فاسق بنباء فتبينوا » أي تثبتوا « أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

فكيف بالأجنبي يتجسس على أخبار المسلمين وينقلها ، ثم تبنى عليها البناءات من العقوبات ، أو الأخذ بالقول وإن كان زوراً أو معاتبة أو غيرها :

فإن هذا لا يقبله الشرع المطاع ، ولا تجري مقتضياته على مقتضى سياسته الرحمانية ، فلا يقبله مولانا ولا يساعد عليه ، وقد كان مولانا رسول الله يقول : « لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ، وهذا من النميمة ، وهي حرام بالكتاب والسنة والإجماع .

فهذا آخر الكلام في المجلس الثالث ...

. من مخطوطات خ . م 5503 .

من امور الشرع [illegible]

المغشوشين من البر فتلا اذا تيب للعلماء فلا ينبغي [illegible]

من العود مثله

وأما الفوارس والمشون والخزاوس فلا باس بها ايضا الكري في غير [illegible]

[illegible] والخز ابن الموجود في اليوم [illegible]

وأما التلغراف البحري الكوتشكات فلا ينبغي ايضا

في هذا الوقت وفي وقت [illegible] أن يحلم السلطان نصره الله الى رجع

من فعوله لدى [illegible] للاجانب واذا انكشف بيدنا منتظر

لنعم نجيز شعرنه غلبته للمراسي فليبادر اليه بيدنا حتى

لا يكون من فعوله بغير وحتى لا يحلوا بالمراسي حلولا كبعد

[illegible] دار النصارى لما حلوها صار [illegible] هلا [illegible]

في جميع شؤونها وسرت منها [illegible] الاسلام وانوار الاسلام

و [illegible] فلا [illegible] القلب

بالاالهم [illegible] وقال السلام عنه [illegible]

لم يكن ينبغي ان نيسر به دولة [illegible] الايالة

من مثل هذه الامور [illegible]

الباب السادس
محاولات تجديدية على المستوى الرسمي

لا نزال مع أعمال حكومة السلطان العزيز في هذه المرحلة الثانية ، وقد تبينا ـ سلفاً ـ السياسة اليقظة التي استطاعت الحكومة أن تواجه بها :

ـ أزمة موريطانيا .

ثم مطالب فرنسا الإصلاحية .

وسيأتي ـ بعد هذا ـ قليل من المنجزات أو المشاريع التي عرفتها الفترة ذاتها ، موزعاً ذلك بين الفصول التالية :

الفصل الأول

مشروع لتنظيم المراسلات عن طريق « الشفرة »

للتعريف بهذا التنظيم ، نشير إلى أن تعبير « الشفرة » ، يعني إشارات مصطلحاً عليها دولياً تستخدم في الإتصالات البرقية ، ووحدة هذه الإتصالات هي النقطة والشرطة ، فالنقطة إشارة قصيرة ، والخط إشارة طويلة بعض الشيء ، وقد اصطلح لكل حرف من حروف الهجاء ، ولكل عدد من الأرقام . على عدد من النقط والشرط ، وبهذا يمكن نقل الرسائل البرقية على هيئة نقط وشرط ، تفسر ـ بعد استقبالها ـ بكلمات البرقية الأصلية[1] .

والمشروع الذي نعرضه يرجع إلى الأيام الأخيرة من عهد السلطان العزيز ، ويعتبر تمهيداً مغربياً داخلياً لاستخدام هذه الطريقة في المكاتبات العادية ، وفي المراسلات التلغرافية .

وقد دونت التفاصيل في كراسة وثائقية من عشرين صفحة تبتدي بمقدمة تمهيدية ، تتلوها تسع لوائح بالألقاب والأسماء والتعابير المنوعة ، حيث يرسم الرقم الخاص إزاء ذلك أو بأعلاه ، ولشرح أهمية المشروع ، وتبيان طريقة استخدامه ، جاء موضوع المقدمة يسير في هذا الإتجاه في فقرة توضيحية كالتالي :

---

1 ـ « الموسوعة العربية الميسرة » ص 1088 .

« الحمدلله وحده . هذا : ولما كان الكلام بالأرقام . من أعلا وجوه الاكتتام . التي يستعان بها على نيل المرام : اتخذ هذا المسطور مشتملاً على أسماء من يكون معهم تداول الكلام :

مبتدئاً فيهم باسم الجناب المولوي أعزه الله .
ثم وزراء الحضرة الشريفة .
وأهل الوظائف المخزنية .
ثم ما هو كثير الاستعمال من الألفاظ .

وقد جعل لكل فرد مما ذكر عدد من الغباري مرّقوم بإزائه خاص به ، فكل ما أريد التكلم في شأنه بالمكاتبة أو التلغرافات ، فيرقم ماله من الغباري ، ويجعل خط على هذا الشكل ـ بحذاء كل كلمة ، تمييزاً لها عن التي بعدها .

وحيث كان الغرض قد يتعلق بغير تلك المفردات ، ضمن هذا المسطور جميع حروف أبجد إلى آخرها ، وجعل لكل حرف منها عدد من الغباري لا يطلق على غيره .

فإذا أريد التكلم بها : يرقم ما لكل حرف من الغباري ، وتوضع نقطة هكذا . دلالة على الفرق بين الحرف والحرف .

وإذا أريد ذكر العدد فيوضع هذا الشكل A علامة عليه » .

وإلى هنا تنتهي هذه المقدمة ، ليأتي تلوها عرض اللوائح التفسيرية التسعة كما يلي :

اللائحة الأولى : تشتمل على عرض ألقاب الموظفين السامين ، ثم بعض الألقاب العائلية ، وبإزاء كل رقمه الخاص .

اللائحة الثانية : بقية الموظفين الرئيسيين ، وأسماء حاجيات الدولة ، مع بعض التعبيرات المتداولة في الشؤون الإدارية ، ويقابل كل عنوان رقمه .

الثالثة : لائحة المالية والحناطي وما يناسبهما ، مع كلمات الشكايات وشؤون قائد المشور ، وبإزاء كل تعبير رقمه .

16 ـ اللوحة الاولى من مصورة الملحق 51

الحمد لله وحده هذا اول ما اذكر الاصطلاح بالارتفاع من اعلا وجوه الانتفاع
التي يستعان بها على نيل المرام الخفي هذا المشهور
مشتملا على اسماء من يكون معهم تداول الكلام مبتدئا فيهم
باسم الجناب المولوي اعزه الله ثم وزراء الحضرة
الشريفة واهل الوظائف المخزنية ثم ما هو كثير
الاستعمال من الالفاظ وفيه جعل لكل فرد
مما ذكر عدد من الغبار مرقوم بازائه فاذا اراد بعض
ما اريد التكلم في شأنه بالمكاتبة او
التكلم او لاتب فيتبع ماله من الغبار ويجعل
خطا على هذا الشكل بازاء كل كلمة تمييزا
لها عن التي بعدها وحيث كان الغرض فيه
يتعلق بغير تلك الكلمة ذاته ثم من هذا المشهور
جميع حروف الهجاء وجعل لكل واحد منها عدد من
الغبار يدل على غيره واذا اريد التكلم بها
يرقم لكل واحد من الغبار ويوضع نقطة
هكذا . دلالة على الفرق بين الحرف والحرف واذا
اريد ذكر العدد فيوضع هذا الشكل A علامة عليه

الجناب المولوي اعزه الله	55
وزير الداخلية	67
وزير الخارجية	85
وزير الحرب	100
وزير المالية	150
الحاجب	175
وزير الشكاية	200
قايد المشور	205

الخلايف والكتاب

الخليفة	68
الكاتب الاول	69
الكاتب الثاني	70
كاتب	71

كل خليفة له	56

العايلة

الوالد	57
الولد	58
الاخ	59
ابن الاخ	60
العم	61
ابن العم	62
الخال	63
ابن الخال	64
الصهر	65
ابن الصهر	66

الرابعة : لائحة بعض المدن المغربية ، ورقم كل واحدة منها .

الخامسة : لائحة بأرقام مشاهير المدن في أفريقيا وآسيا وأسمائها .

السادسة : لائحة بدول أوربا وأميركا وعواصمها ، مع أسماء بعض الرتب الدبلوماسية والمراكب البخارية والدور التجارية : بازائها أرقامها .

السابعة : مجموعة من تعابير الأفعال النحوية ، متسلسلة حسب ترتيب التهجية المغربية ، وفوق كل تعبير رقمه .

الثامنة : تشتمل على طائفة من المفردات الموضوعية ، وهي كسابقتها : في ترتيب تهجيتها ووضع أرقامها .

التاسعة : تحتوي على حروف أبجد بتمامها ، وعلى أيام الأسبوع وأسماء الشهور العربية ، فوقها جميعها أرقامها ، مع تذييل هذه اللائحة الختامية بعلامة T اللاتينية ، لتستخدم إشارة خاصة بالثائر : (الجيلاني الزرهوني) .

ومن الجدير بالذكر أن هذا المشروع ـ الذي نعرضه ـ جاء خالياً من تاريخ وضعه ، غير أنه ورد بخاتمته الإشارة لعلامة الثائر بو حمارة كما رأينا وشيكاً ، بينما ذكر عنوان الريال العزيزي في مكان آخر من المشروع ذاته ، فآفاد هذا وذاك أن التنظيم المنوه به يرجع لعهد السلطان العزيز .

فإذا رجعنا ـ بعد ذلك ـ إلى أسماء موظفي دار النيابة بطنجة ضمن اللائحة الثانية ، نستنتج أن هذه المبادرة إنما يعود توقيتها إلى هذه المرحلة الثانية .

وفيما يلي نعرض نص المشروع كاملاً ، وهو الملحق 51 .

ملحق 51

كراسة تفسيرية لإشارات المراسلات المغربية عن طريق الشفرة

الحمد لله وحده ، هذا ولما كان الكلام بالأرقام ، من أعلا وجوه الإكتمام ، التي يستعان بها على نيل المرام : أتخذ هذا المسطور مشتملاً على أسماء من يكون معهم تداول الكلام ، مبتدئاً فيهم باسم الجناب المولوي أعزه الله ، ثم وزراء الحضرة الشريفة وأهل الوظائف المخزنية ، ثم ما هو كثير الاستعمال من الألفاظ ، وقد جعل لكل فرد مما ذكر عدد من الغباري مرقوم بإزائه خاص به ، فكل ما أريد التكلم في شأنه بالمكاتبة أو التلغرافات : فيرقم ماله من الغباري ، ويجعل خط على هذا الشكل ـ بحذاء كل كلمة ، تمييزاً لها عن التي بعدها ، وحيث كان الغرض قد يتعلق بغير تلك المفردات : ضمن هذا المسطور جميع حروف أبجد إلى آخرها ، وجعل لكل حرف منها عدد من الغباري لا يطلق على غيره . فإذا أريد التكلم بها : يرقم ما لكل حرف من الغباري ، وتوضع نقطة هكذا . دلالة على الفرق بين الحرف والحرف ، وإذا أريد ذكر العدد فيوضع هذا الشكل A علامة عليه .

17 ـ اللوحة الثانية من مصورة الملحق 51

المتوظفـــون

القاضي		72
الفقيه		73
القايد		74
المحتسب		75
الناظر		76
نقيب الشرفاء		77
امناء المراســي		78
عـــروض		79
امين المستفادات		80
امين الصاير		81
امين الامراء		82
وكيل الحرمين	½	82
وكيل المنقطعين		83
وكيل الايتام	½	83
وكيل جبل طارق		84
وكيل مصر	¼	84
مثلو الوكيل	½	84

دار النيابة السعيدية

النائب		86
الاعضاء	غشام	87
	بنيس	88
	برادة	89
الكتاب	التطواني	90
	مليس	91
	زاغون	92
	التميمي	93
	كنون	94
	العشير	95
	سكيرج	96
	بوهوم	97
احد الاصحـــاب		98

الجيوش

الاسلحة والافات

الجناب المولوي أعزه الله	55
وزير الداخلية	67
وزير الخارجية	85
وزير الحرب	100
وزير المالية	150
الحاجب	175
وزير الشكاية	200
قائد المشور	205

الخلائف والكتاب :

الخليفة	68
الكاتب الأول	69
الكاتب الثاني	70
كاتب	71
كل خليفة له	56

العائلة :

الوالد	57
الولد	58
الأخ	59
ابن الأخ	60
العم	61
ابن العم	62
الخال	63
ابن الخال	64
الصهر	65
ابن الصهر	66

18 ـ اللوحة الثالثة من مصورة الملحق 51

المالية وما يناسبها

ادهم عليه سيرنا بسى	151
كاغيط بنكنوك	152
الثلك	153
البطم	154
الحبال العنزيم	155
التبغ	156
اللوبن	157
الهرنسك	158
الحبال العنبر	159
سكة النحاس	160
سبكة الذهب	161
سبكة الفضة	162
بارلة النحاس	163
بارلة الخفيف	164
ملح البارود	165
السلك	166
الانطرنيس	167
الزبس	168
اعشب الكمسيون	169
اعمال السخرة محلة على الحال	170
البطاقات تفلوروت لكم	171
اقبض الضامن لو المرهن	172
الكبريت	173

المناكي وما يناسبها والمونة

التبريع مولاهم	176
صاحب الوضوء	177
صاحب المراش	178
صاحب المكحلة	179
الدار	180
الروض	181
الام ايكية	182
ام اكخارج	183
الارز خارجة	184
الجمارك	185
المزرع	186
التسعير	187
اللزقيق	188
الكسكوس	189
الحمال	190
الارز	191
الزيت	192
السمن	193
الخليع	194
السكر والاتاي	195
الشمع	196
القهوة	197
مطلق المونة	198

المشكايات

ترجمة تابعة لفائدة المشور

المالية وما يناسبها :

أنعم عليه سيدنا بي	151
كاغبط بنكنوط	152
الثالك	153
البطرة	154
الريال العزيزي	155
البيرة	156
اللويز	157
الفرنك	158
الريال الفنش	159
سكة النحاس	160
سبكة الذهب	161
سبكة الفضة	162
بارة النحاس	163
بارة الخفيف	164
ملحة البارود	165
السلف	166
الإنطريس	167
الدين	168
أحسب الكمسيون	169
أعمل السكُرطة على المال	170
البطرة لم تقبل وردت لكم	171
أقبض الضامن أو الرهن	172
الكبريت	173

الحناطي وما يناسبها والمونة :

الشريف مولاي	176
صاحب الوضوء	177
صاحب الفراش	178
صاحب المكحلة	179
الدار	180
الروض	181
الأفرايكْية	182
أفراك خارج	183
الأروى خارجة	184
الحمارة	185
الزرع	186
الشعير	187
الدقيق	188
الكسكوس	189
البجماط	190
الأرز	191
الزيت	192
السمن	193
الخليع	194
السكر والأتاي	195
الشمع	196
القهوة	197
مطلق المؤنة	198

19 ـ اللوحة الرابعة من مصورة الملحق 51

بعض المراكز والمدن الساحلية

زامر الزهب	225	كصيرة	248
مخزور	226	سبتة	249
كم فلاية	227	تطوان	250
وادي الدرل	228	مليلية	251
وادي نوه	229	عجرود	252
اسكل	230	السعيدية	253
سنطاكروز	231	الغزوات	254
اكلو	232	مغنية	255
تزنيت	233		
ماسة	234		
اكادير	235		
الصويرة	236		
آسفي	237		
كميط	238		
الجديدة	239		
ازمور	240		
الدار البيضاء	241		
افضالة	242		
الرباط	243		
سلا	244		
مهدية	245		
العرايش	246		
اصيلا	247		

بعض المدن والمراكز الداخلية

بعض المراكز والمدن الساحلية :

رأس الذهب	225
مخدور	226
طرفاية	227
وادي الدرة	228
وادي نون	229
أسكا	230
سنطاكروز	231
آكلوا	232
تزنيت	233
ماسة	234
أكدير	235
الصويرة	236
آسفي	237
طيط	238
الجديد	239
آزمور	240
الدار البيضاء	241
أفضالة	242
الرباط	243
سلا	244
مهدية	245
العرائش	246
أصيلاً	247
طنجة	248
سبتة	249
تطوان	250
مليلية	251
عجرود	252
السعيدة	253
الغزوات	254
مغنية	255

20 ـ اللوحة الخامسة من مصورة الملحق 51

دوحة البلدان من إفريقية

وهران	286
تلمسان	287
الجزائر	288
تونس	289
اصفاقس	290
عنابة	291
القيروان	292
كم ابلس الغرب	293
اسكندرية	294
كنطا	295
الدمنهور	296
مصر	297
سويس	298
بلاد الجهير	299
الحبش	300
الصمال	301
زنجبار	302
تمكتوا	303
سنكال	304
كينيا العليا	305
الكنغوا	306
كينيا السفلى	307
كولولنا رأس الرجله	308
موزمبيق	309
بلاد الزنج	310
جزيرة ميديرا	311
جزائر كناريا	312
جزائر رأس الاخضر	313

المشاهير من ممالك آسيا وقصباتها

الممالك		القصبات			
بلاد الترك	314	ازمير	315	بيروت	316
بر الشام	317	دمشق	318		
بلاد العرب	319	مكة المشرفة	320	المدينة المنورة 321 : جدة	322
بلاد العجم	323	طهران	324	اليمن 325 ، العراق	326
افغانستان	327	كابول	328		
بلوخستان	329	كيلات	330		
هندستان	331	كلكتا	332		
الهند الصينية	333	متكابو	334		
الصين	335	باكين	336		
بلاد التتر	337	بخاري	338		
بلاد سيبيريا	339	توبوليسك	340		
ممالك يابان	341	جدو	342		

بعض المدن والمراكز الداخلية :

بعض المدن من أفريقية :

وهران	286	الحبش	300
تلمسان	287	الصمالي	301
الجزائر	288	زنجبار	302
تونس	289	تيمكتو	303
أصفاقص	290	سنكال	304
عنابة	291	كينيا العليا	305
القيروان	292	الكنغو	306
طرابلس الغرب	293	كينيا السفلى	307
اسكندرية	294	كولولنا رأس الرجاء	308
طنطا	295	موزميق	309
الدمنهور	296	بلاد الزنج	310
مصر	297	جزيرة مديرا	311
سويس	298	جزائر كناريا	312
بلاد الجريد	299	جزائر رأس الأخضر	313

21 ـ اللوحة السادسة من مصورة الملحق 51

ممالك اوروبا		قصباتها			
انكلتيرا	343	لندن	344	منشسطر : اللبالبول : برمنهام	345 346 347
سكوتسيا	348	ادنبورغ	349		
ايرلاندا	350	دوبلين	351		
برتوكال	352	ليسبون	353		356 357 358
اسبانيا	354	مادريد	355	مَلاكة : فالسنة جبل طارق	
فرانسا	359	باريز	360	مرسلية : الليون : الطلون	361 362 363
بلجكا	364	بروسيل	365	لالياج	366
هولاندا	367	امستردام	368		
دينمارك	369	كوبنهاغن	370		
جرمانيا	371	هامبورج	372		
بروسيا	373	برلين	374		
اوستريا	375	فينا	376		
بلاد السويس	377	برن	378		381 382
ايطاليا	379	رومة	380	كورنوا : ملاه	
بلاد اليونان	383	اثينا	384	جزيرة كريت	385
بلاد الترك	386	القسطنطينية	387		
روسيا	388	بطرسبورج	389	الموسكة	390
اسوير	391	استكهلم	392		
نروج	393	كرستيانا	394		

ممالك اميركا		وقصباتها	
ميركا الشمالية	395	واشنطون	396
الجنوبية بنزويلا	397	كراكاس	398
البرازيل	399	ريوجنيرو	400

بعض الرتب			
الميزنط	401	بابور الترك	407
الشفيم	402	الترك اليوم بي	408
باشدور	403	مركب حربي للدولة	409
قنصل جنرال	404	مطلق بابور	410
بيس قنصل	405	ثمان دريهم	411
ترجمان	406		

ذكر بعض التجار الذين يكلّفون بقضاء بعض أغراض المخزنية

دار سينير ٢ الملاز	412
دار كونر كمبانية الهنصيص	413
دار بنيطو كمبانية امنسر انجليزية	414
دار ابروزوبيتي بمرنهيص	415
دار ناهون الطليانية	416

المشاهير من مماليك أسيا وقصباتها :

المماليك :

القصبات :

ممالك أوروبا :

قصباتها:

22 - اللوحة السابعة من مصوره الملحق 51

بغية الأفعال

الألف

450 451 452 453 454 455

أخبرنا ابا القبض على . أخبرناهم . أخبرتم . أخبرونا . أخبرنا له . أخبرنا . أخبرناه بالتجمعة . أذنا له في الاعانة . أذنا له بطلب الاعانة . أجابت . أجبنا له . أجابونا . أجابوا . أجبناهم . اجتمع الرأي على . اعزم على أن نهنأ له به . اشتر . اشترينا . اشتروا . اشتروا . اكتب له مع أبو مسكي . امض الامر مع . أمضينا الامر مع . أمرنا له بالقبض على . أذنا له بالتصرف في القبض على . أمرنا له بالتصرف في اعمال الواجب عليك ولا تقم . أنعمتم . أنعمنا عليه . أنعمنا عليكم . أهملنا له . أهملناهم . أهملوا . التزم . التزمنا له . التزمه . أمتنع من . استعفاه . استعفوا منه . اجتنبنا . اجتنبوا . اجتنانهوا . اجتنب .

الباء

500 501 502 503 504 505 506 507

بارك الله في بذلنا . بادرنا . بادروا . بادر . بعثنا . بعث . بلغ . بادروا . بايع . بين لنا أوجه الكلام مع . بين لنا أوجه الكلام مع . بين لنا على النزول . بين لنا وجه الشروع في الصلح .

بقى

التاء

511 512 513 514 515 516

ترجمنا لكم بين البحر . توجه على لكم بين البحر . تعاهد . تربصنا . تربصوا . تربص . ترجع . تكون الا عتنا و في . تلافينا أعيان فيلة . توجه . توجهوا . توجه . تأملنا . تأملوا . تأملت تأملنا . تكلموا . تكلم مع . تكلفنا مع . تكلموا مع .

الجيم

530 531 532 533 534 535

جعلنا لكم . جعلنا له . جعلنا له . جاء لهم . جاءوا . جرحوا . جرح . جعلنا لهم . جعلناهم . جعلتم . جاوز . جاوزنا . جعلوا . جعلنا .

550 551 552 553 554 555 556

الحاء حاربه . حاربناهم . حاربوهم . حاز حازوا . حرمنا . حرقتم
557 558 559
حرفناهم . حرقوهم . حصلت الشجرة

565 566 567 568 570

الخاء خرج . خرجوا . خرجنا لا . خرجنا عليهم . خرزوا خرزكم من

600 601 602 603 604 605

الدال دخل . دخلوا . دخلنا . دخلتم . دعت الطيور إلى . دامع باكي هواس

610 611 612 613

الذال ذهب الله . ذهبوا . ذهبتم إلى . ذهبنا إلى .

620 621 622 623

الراء رجعتم إلى . رجعنا إلى . رجعوا إلى . رجع إلى .

630 631 632 633

الزاي زحفوا علينا . زحفوا على . زحفوا على قبيلة . زحفنا على قبيلة

640 641 642 643 644 645

الكاف كلب الاعانة . كلب مرث . كلبتم . كلبنا منه . كلب منا . كلبنا منكم
646
كلبنا أمهم

ممالك أميركا :

ميركا شمالية	395
الجنوبية بنزويلا	397
ابرازيل	399

قصباتها :

واشنطون	396
كراكاس	398
ريو جنيرو	400

بعض الرتب :

الميرنط	401
السفير	402
باشدور	403
قنصل خنرال	404
بيس قنصل	405
ترجمان	406
بابور التركي	407
التركي اليوم في	408
مركب حربي لدولة	409
مطلق بابور	410
شمان ديفر	411

ذكر بعض التجار الذين يكلفون بقضاء بعض الأغراض المخزنية :

دار هسنير الألماني	412
داركوش كمبانية الفرنصيص	413
داربرينطي كمبانية امنسورانجليزية	414
دار ابن زويك فرنصيص	415
دار ناهون الطليانية	416

بعض الأفعال

الألف :

أخبرنا	450	أمض الأمر مع	471
أخبرناه	451	امضينا الأمر مع	472
أخبرونا	452	أمرناه بالقبض على	473
أخبرتم	453	أذناه بالتربص في القبض على	474
أخبرناهم	454	أمرناه بالتربص في	475
أخبرنا بالقبض على	455	اعمل الواجب عليك ولا تقصر	476
أخبرنا بالنتيجة	456	أشرتم	477
أذناه في الإعانة	457	أشرنا عليه	478
أذناه في طلب الإعانة	458	أشرنا عليكم	479
أجاب	459	أهملناه	480
أجبناه	460	أهملناهم	481
أجابونا	461	أهملوا	482
أجابوا	462	ألزم	483
أجبناهم	463	ألزمناه	484
اجتمع الرأي على	464	ألزمه	485
أعرض عما شافهناه به	465	امتنع من	486
اشتر	466	امتنعنا من	487
اشترينا	467	امتنعوا من	488
اشترى	468	اجتنبنا	489
اشتروا	469	اجتنبوا	490
أكتب له مع البوسطي	470	اجتنابوا	491
		اجتنبب	492

23 ـ اللوحة الثامنة من مصورة الملحق 51

654 653 652 651 650

الظاء كظم وجه الخيم : كظمهم لكم : كظمهم له : كظمهم لهم : كظمهم لنا

666 665 664 663 662 661 660

الكاف كانوا : كنا : كان : كلمونا : كلمناهم : كتبنا الله : كتب لنا
كانت : كنتم : كتم الامر : كهاك امي :

686 685 684 683 682 681 680

الميم منعناهم : منعنا : منع : مكنونا : مكناهم : مكنا : مكناك ه
منعناك : منع الاسلحة والفكوس من الدخول الى : منع الاسلحة والفكوس من الخروج الى
منع الاسلحة من بين القبائل : مرض : ملف

700 699 698 697 696 695

النون نزل به : نازعناهم من : نازعناك : نازعنا : نازعوا : نازع
نزلوا به : نبائم : نهضوا من : نهضنا من : نهضنا من
نزلوا : نازلا : نزولكم : نزولهم : نزولنا : نزوله : نزول : نزل

712 711 710

الصاد صنع : صنعوا : صنعناهم

723 722 721 720

الضاد ضرب قبيلة : ضربوا قبيلة : ضربنا قبيلة : ضربنا على

730 731 732 733 734 735

العين — عزم ؛ عزموا ؛ عزمنا ؛ علمنا ؛ علمناه ؛ عملنا تلقاء ،
736 737 738 739
عملناه تلقاء إلى ؛ عمل سكارا ؛ عملنا سكارا إلى ؛ عجلنا الغروب
740 741 742 743 744
عملنا الواجب علينا ؛ عصم ؛ عصمنا عليه ؛ عصمهم ؛ ماهرناه على ؛
745 746 747
ماهرنا على ؛ ماهرناهم على ؛ ماهرونا على

750 751 752 753 754 755

الغين — غنم ؛ غنموا ؛ غنمنا ؛ غنمناهم ؛ غفلتم على ؛ غفل على ؛
756
غفلنا ؛

770 771 772 773 774 775

الفاء — بفر ؛ بفروا ؛ بفرناهم ؛ بصفنا ؛ بهم ؛ بهموا

770 771 772 773 774 775

القاف — قدم ؛ قدموا ؛ قبض على ؛ قبضوا على ؛ قبضناهم ؛ قبلناها امهلناه به
776 777 778 779 780
قتل ؛ قطع رأسه ؛ قطع رؤوس ؛ قبلناه ؛ قبلناهم
780 781 781 782 783 784
قهر ؛ قامروا ؛ قصروا ؛ قصروا ؛ قامرون ؛ قهرنا

الباء :

بايع	500
بايعوا	501
باع	502
بعنا	503
بادر	504
بادروا	505
بادرنا	506
بريء مما نسب إليه	507
بين لنا محل النزول	508
بين لنا وجه الكلام مع	509
بين لنا وجه النهوض من غير	
إذن لكم	510
بقصد ../2	510

التاء :

تربص	511
تربصوا	512
تربصنا	513
تعافى	514
توجه على طريق البر	515
توجه على طريق البحر	516
تكون الإقامة في	517
تلاقينا بأعيان قبيلة	518
توجه	519
توجهوا	520
توجهنا	521
تأمل	522
تأملوا	523
تأملنا	524
تكون	525
تكلم مع	526
تكلمنا مع	527
تكلموا مع	528

24 ـ اللوحة التاسعة من مصورة الملحق 51

السين: سنوجه المدد: سرحهم: سرحناهم: سجناهم، سجنوا: سجناك: سجن: 785 786 787 788 789 790 791
سيكون الأمر على الآت اليه: ساعدناك في، ساعدني: سنوجه لكم مطلوبكم: 792 793 794 795

الشين: شاجهتموه: شاجهناه: شاجهناك: شرعنا: شرع: شرعوا: 800 801 802 803 804 805

الهاء: هربوا إلى: هرب إلى: هجمنا: هجموا: هجم: 810 811 812 813 814

الواو: وردت علينا القبايل في الامان: وجهنا على: وجهنا لنا: وجهناك: 820 821 822 823
ورد علينا: وعزناهم: وعزنا: وعزوك: وعز: وعزنا: وصلنا بجيم: 824 825 826 827 828 829 830
وصلتنا الارقام بتاريخ

الياء: يرد علينا: يكون الكتوب لك عليها: يتم لنا الامور المكتوب لك عليها: يكون الوصول في: 835 836 837
يردون علينا: يرد عليكم: يردون عليكم: 838 839 840

بعض العبارات

860 861 862 863

الالف القبائل الصالحة : القبائل واسرة ؛ إلى اوصل الامر له في ؛ اذ لكم ؛ العمل على ما تعزم

864 865 866 867 868 869 870

اللهم اذا كان ؛ اليكم ؛ اليه ؛ اليهم ؛ التي ؛ ان ؛ زمنه

871 872 873 874 875 876 877 878

اذا ؛ انكم ؛ انتم ؛ اولائك ؛ المباشرة ؛ اخبرت ؛ زكية ؛ الزم

879 880 881 882 883

اذا ؛ او ؛ لا علاقة ؛ امل ؛ الحرف في الطريق وبوصوله يكون لك الاعلام في التلغراف

890 891 892 893 894 895 896

الباء بكم ؛ به ؛ بهم ؛ بالذي ؛ بذالك ؛ بعض ؛ بتاريخ

900 901 902

الجيم جنابكم ؛ جوابكم ؛ جوابه ؛

910 911 912 913

الحاء حينئذ ؛ حيث ؛ حتى ؛ حفل ؛

920 921 922 923 924 927

الكاف كونه ؛ كيف اخبرت في ؛ كما ؛ كانكم ؛ كفاية ؛ تكرارك

930 931 932 933 934

اللام لما فيه من المصلحة ؛ لكم ؛ لك لما في ذلك من الضرر ؛ لما فيه من الضرر ؛

935 936 937 938

له الينفع ؛ لم يبلغ عن علمي ؛ لما نتحقق ؛ لم تحصل نتيجة ؛

الزاي :

زحفنا على قبيلة	630
زحفوا على قبيلة	631
زحفوا على	632
زحفوا علينا	633

الطاء :

طلب منا	640
طلبنا منه	641
طلبتم	642
طلب من	643
طلب الإعانة	644
طلبنا منكم	645
طلبنا منهم	646

الظاء :

ظهر لنا	650
ظهر لهم	651
ظهر له	652
ظهر لكم	653
ظهر وجه الخير	654

الكاف :

كتب لنا	660
كتبنا له	661
كلمناهم	662
كلمونا	663
كان	664
كنا	665
كانوا	666
كانت	667
كنتم	668
كتم الأمر	669
كفاك أمره	670

الميم :

مكناه	680
ومكننا	681
مكناهم	682
مكنونا	683
منع	684
منعنا	685
منعناهم	686
منعناه	687
منع الأسلحة والقرطوس من الدخول إلى	688
منع الأسلحة والقرطوس من الخروج إلى	689
منع الأسلحة من يد القبائل	690
مرض	691
مات	692

25 ـ اللوحة العاشرة من مصورة الملحق 51

الميم

940 941 942 943 944 945

ماهو عليه . محصورة . محصورون . متوقفون . متوقف . مكيرة

946 947 948 949 950 951 952

معكم . معهم . من . منهم . منا . منه . ما ليس عليه

953 954 955 956 957

مما . منكم . مرة . معه . معنا

النون

960 961 962 963 964 965 966

نحن نبانهم والامر بالقضية . نحن في الاثر . نحن . ناحيتكم . ناحية . نحو . نحن

نحن على بال من ذالك .

العين

970 971 972 973

على كريم يدي الدهر . على كره يدي الدهر . على الهيبة القدوم عليكم . على الهيبة التوجه الى . على الهيبة

974 975

على شهوة منه . على مقتضى الشهوة فيه

الفاء

980 981 982 983 984

فيه . ذالك . في ذالك . فهؤلاء . فلا تطلب منه شيئا . فلا تغر به

985 986 987

فان . فانا . فانه .

الهاء

990 991 992 993

هاانتم . هذه . هؤلاء . هو

الواو

1000 1001 1002 1003 1004 1005 1006

وان . والامر . وما شاكله . ولا يزال كذا . واما . ومما . وهما . وانما

1007 1008 1009

ولك . ولكم . وانتم

حروف ابجد

ا (20) ، ب (21) ، ت (22) ، ث (23) ، ج (24) ، ح (25) ، خ (26) ، د (27) ، ذ (28) ، ر (29) ، ز (30) ،
ط (31) ، ظ (32) ، ك (33) ، ل (34) ، م (35) ، ن (36) ، ص (37) ، ض (38) ، ع (39) ، غ (40) ،
ف (41) ، ق (42) ، س (43) ، ش (44) ، ه (45) ، و (46) ، لا (47) ، ء (48) ، ي (49)

ايام الاسبوع

ج يوم الاحد (1) ، ج يوم الاثنين (2) ، ج يوم الثلاثاء (3) ، ج يوم الاربعاء (4)
ج يوم الخميس (5) ، ج يوم الجمعة (6) ، ج يوم السبت (7)

الاشهر

محرم (8) ، صفر (9) ، ربيع الاول (10) ، ربيع الثاني (11) ، جمادى الاولى (12) ،
جمادى الثانية (13) ، رجب (14) ، شعبان (15) ، رمضان (16) ، شوال (17) ،
قعدة (18) ، حجة (19)

علامة الشان العثمان T

غنموا	751
غنمنا	752
غنمناهم	753
غفلتم على	754
غفل على	755
غفلنا	756

الفاء :

فقد	770
فقدوا	771
فقدناهم	772
فهمنا	773
فهم	774
فهموا	775

القاف :

قدم	770[*]
قدموا	771
قبض على	772
قبضوا على	773
قبضناهم	774
قبل ما شافهناه به	775
قتل	776
قطع رأسه	777
قطع رؤوس	778
قبلناه	779
قبلناهم	780

قصد	2/..	780
قاصداً		781
قصداً	2/..	781
قصدوا		782
قاصدون		783
قصدنا		784

السين :

سجن	785
سجناه	786
سجناهم	788
سرحناهم	789
سرحهم	790
سنوجه المدد	791
سنوجه لكم مطلوبكم	792
ساعد في	793
ساعدناه في	794
سيكون الأمر على ما أشرت إليه	795

الشين :

شرعوا	800
شرع	801
شرعنا	802
شافهناه	803
شافهنا	804
شافهتموه	805

[*] ـ هكذا تكرر هذا الرقم والأرقام الخمسة بعده مع أرقام حرف الفاء .

الهاء :

هجم	810
هجموا	811
هجمنا	812
هرب إلى	813
هربوا إلى	814

الواو :

وجهنا له	820
وجه لنا	821
وجهنا على	822
وردت علينا القبائل في الأمان	823
ورد علينا	824
وعد	825
وعدوا	826
وعدنا	827
وعدناهم	828
وصلنا بخير	829
وصلتنا الأرقام بتاريخ	830

الياء :

يكون الوصول في	835
يسر لنا الأمور المكتوب لك عليها	836
يرد علينا	837
يردون علينا	838
يرد عليكم	839
يردون عليكم	840

بعض المفردات

الألف :

العمل على ما تقدم لكم	860
إذا وصل أنزله في	861
القبائل صالحة	862
القبائل فاسدة	863
اللهم إذا كان	864
إليكم	865
إليه	866
إليهم	867
إلى	868
إن	869
إنه	870
إنا	871
إنكم	872
أنتم	873
أولائك	874
المباشرة	875
أخبرت	876
أكيد	877
الذي	878
إذا	879
أو	880
الإعانة	881
اما	882
المدد في الطريق وبوصوله يكون لك الإعلام في التلغراف .	883

الباء :

بكم	890
به	891
بهم	892
بالذي	893
بذلك	894
بعض	895
بتاريخ	896

الجيم :

جنابكم	900
جوابكم	901
جوابه	902

الحاء :

حينئذ	910
حين	911
حتى	912
حقاً	913

الكاف :

كونه	920
كيف أخبرت بي	921
كما	922
كأنكم	923
كفاية	924
كذلك	925

اللام :

لما فيه من المضرة	930
لما في ذلك من الضرر	931
لما فيه من المصلحة	932
لكم	933
لك	934
له اليد مع	935
لم يساعد على	936
لما شرحته	937
لم تحصل نتيجة	938

الميم :

مكيدة	940
متوقف	941
متوقفون	942
محصورون	943
محصورة	944
ما هو عليه	945
ما هي عليه	946
منه	947
منا	948
منهم	949
من	950
معهم	951
معكم	952
مما	953

حروف أبجد

أ	20	م	35
ب	21	ن	36
ت	22	ص	37
ث	23	ض	38
ج	24	ع	39
ح	25	غ	40
خ	26	ف	41
د	27	ق	42
ذ	28	س	43
ر	29	ش	44
ز	30	هـ	45
ط	31	و	64
ظ	32	لا	47
ك	33	ء	48
ل	34	ي	49

أيام الأسبوع	
في يوم الأحد	1
في يوم الإثنين	2
في يوم الثلاثاء	3
في يوم الأربعاء	4
في يوم الخميس	5
في يوم الجمعة	6
في يوم السبت	7

الأشهر :	
محرم	8
صفر	9
ربيع الأول	10
ربيع الثاني	11
جمادي الأولى	12
جمادي الثانية	13
رجب	14
شعبان	15
رمضان	16
شوال	17
قعدة	18
حجة	19

علامة الثائر الفتان T

الفصل الثاني

ظهور « لسان المغرب »
كأول جريدة عربية ناطقة بلسان الدولة

بعد المشروع التنظيمي للمراسلات بطريقة الشفرة : ننتقل إلى نقط أخرى موضوعية .

ونشير ـ أولاً ـ إلى أن مغرب هذه الفترة ، عرف ـ لأول مرة ـ ظهور جريدة ناطقة بلسان الدولة ، وهذا ما نستنتجه من العرض التالي :

إنطلاقاً من رسالة من النائب الطريس إلى الوزير ابن سليمان بتاريخ 28 رجب 1324 « 1906 » ، وهي تتحدث عن تضايق جانب المخزن من لهجة الجرائد الحديثة الظهور بطنجة ، فهي « تتجاهر بالكلام الذي فيه ترويع لرعية هذه الإيالة السعيدة.. » ، ولهذا صدر الأمر السلطاني للنائب الطريس ، بالمفاوضة في هذا الشأن مع أعضاء دار النيابة بطنجة ، وبأن يعينوا عضواً يقظاً ـ كالأمين بناصر غنام ـ للمخابرة في ذلك مع ممثلي الدول بالمدينة الدبلوماسية .

ولما تفاوض هذا مع سفير ألمانيا . أجابه بأن الجرائد حرة فيما تنشر ... وأضاف لذلك أن الأليق بجانب المخزن في هذا الموضوع ، أن ينشيء جريدة رسمية عربية ، يكون للموظفين بها معرفة باللغات الأجنبية ، وكل من تجاوز الحد ـ من الجرائد الأخرى ـ تكذبه الصحيفة الرسمية وترد عليه ... أنظر الملحق رقم 52 .

وإلى هذه الرسالة نقرأ في افتتاحية العدد الأول من جريدة « لسان المغرب » أن اقتراح إنشائها جاء من شخصية مغربية مرموقة : « ... إذ سألنا بعض من نعد سؤالهم أمراً مفروض الطاعة له ، محتوم القيام به : أن نأتي هذه السلطنة الشريفة (المغرب) ، وننشيء جريدة فيها لقلة وجود الجرائد العربية ، وكان ذلك قبل انعقاد مؤتمر الجزيرة ، فأجبنا الأمر بملء المسرة ، شاكرين حسن الثقة بنا ، وجميل المؤازرة لنا ، ونحن منذ ذلك الحين ـ في هذا القطر العزيز ـ في سعي مستمر لإستكمال معدات الجريدة ومطبعتها ... إلى أن قيض الله ظهورها على هذا المنوال » .

يضاف لهذه الافتتاحية رسالة إلى الحاج محمد المقري من صاحبي الجريدة : الشقيقين أرتور نمور . وفرج الله نمور ، بتاريخ 5 شوال 1326 « 1908» ، ومن فقراتها : « ... وبما أننا كنا متأملين ـ من يوم إلى آخر ـ أن يقوم المخزن بحسب الشروط التي كنا اتفقنا عليها في باديء بدء : صبرنا على الأمر ، وداومنا الخدمة » ، إلى أن تقول الرسالة : « ... فإننا نطالب ذمة المخزن بأربعة آلاف ريال عن خسائر الثلاث سنين الماضية ، ثم إن شاء المخزن الشريف أن يقوم بجريدة تخدم مصلحته ومصلحة البلاد : فيلزم أن يقوم بنفقاتها على وجه عادل » .

انظر نص الرسالة بالملحق رقم 53 .

وقد رفعت الجريدة هذه الشكوى بعدما انتهى عهد العزيز الذي كانت ناطقة بلسان دولته ، حتى إذا بويع السلطان الحفيظ بدأت تتعرض لمضايقات ترددت أصداؤها بالأعداد الأخيرة ، وأيضاً بالملحقات الثلاثة الحاملة للأرقام 54 ، 55 ، 56 .

ويهمنا من هذا العرض أن نستنتج أن صحيفة « لسان المغرب » كانت ناطقة بلسان الدولة العزيزية باللغة العربية .

وكان صدور العدد الأول منها يوم الجمعة 24 ذي الحجة 1324/ 8 فبراير 1907 ، ووقفت عن الصدور عند العدد 84 حيث عطلت نهائياً ، ثم سافر صاحباها إلى خارج المغرب أوائل جمادي الآخرة 1327/ أو اخر جوان 1909[1] .

---

1 ـ جريدة « السعادة » : عدد 5 جمادي الثانية 1327/ 25 جوان 1909 : بالنسبة لتوقيت التاريخ الذي سافر فيه صاحباً جريدة « لسان المغرب » .

ملحق 52

رسالة من النائب الطريس إلى الوزير ابن سليمان
في شأن إشارة السفير الألماني بإنشاء جريدة رسمية عربية

... فقد وصل كتابكم ببيان ما صار يرتكبه أصحاب الجرائد الحادثة الطبع بهذا الثغر الطنجي المحروس : من التجاهر فيها بالكلام الذي فيه ترويع لرعية هذه الإيالة السعيدة ، الخارج عن المسطرة الجارية عند الدول في جرائد أراضيها . إلى آخره .

وبأنه قد تمحض لجانب المخزن ـ رعاه الله ـ من نفس هذه الجرائد ـ خصوصاً في هذه الأيام ـ أن نتيجتها منا فيه للمقصود ...

وبأن سيدنا ـ أعزه الله ـ يامرني بالمفاوضة في هذا الشأن مع أعضاء دار النيابة السعيدة على حسب ما قرر .

وبأن نعين عضواً نبيهاً فصيحاً ـ كالأمين السيد بناصر غنام ـ لمباشرة الكلام في ذلك مع نواب الدول بما تقتضيه المصلحة الحالية في كيفية المذاكرة وفي التقديم لها ، وفق ما بين في ذلك ، إلى أن يحصل المقصود ...

وعليه : فقد امتثلنا الأمر الشريف ، وكلفنا خديم سيدنا الأمين السيد بناصر غنام : بمباشرة القضية وفق ما أرشد إليه سيدنا فيها ، وباشر أمرها ـ مشافهة ـ مع باشدور ألمان روزن على الوجه المبين ، إلى أن أجابه بما حاصله : وهو أن الجرائد لها الحرية ، وأحرى إذا لم يكن لها ضابط تتمشى عليه في عمل الطبع حين تفتح الديار له ، وأن الكلام في شأنها لا يجدي نفعاً .

وأن الأليق بجانب المخزن في القضية : هو أن ينشيء عمل جريدة رسمية عربية ، يكون للمستخدمين بها اليد في اللغات الأجنبية ، وكل من خرج عن الحد

في تلك الجرائد ، وأعلم بخلاف الواقع : يكذب ويرد عليه في ذلك . إلى أن قال : أنه عند وصوله لشريف الحضرة يجري الكلام مع سيادتكم في هذه القضية ...

في 28 رجب عام 1324 .

محمد بن العربي الطريس

كناش مكاتيب المندوبية السعيدة بطنجة ، خ . ع . ك 2720 ص 188-3 .

ملحق 53
رسالة من صاحبي لسان المغرب
إلى المقريء ، في شأن نفقات الجريدة الباقية في ذمة المخزن

« لسان المغرب »
جريدة أسبوعية سياسية أدبية تجارية
صاحبها ومديرها السياسي : فرج الله نمور
إدارة الجريدة : في حومة بنيدر
ـ طنجة ـ

الحمدلله وحده .

حضرة صاحب الوجاهة الوزير الحاج محمد المقري الأفخم .

بعد إهداء السلام المشفوع بالاحترام ، نعرض : لإخفاء أننا حتى الآن ونحن نتخابر مع المخزن لفض المسألة : مسألة لسان المغرب ، ومعلوم لدى جنابكم أن المخزن قد دفع لنا على الحساب ألف ريال ، وخصص سبعين ريالاً مخزنياً في الشهر للجريدة ، ونحن في وقتها قبلنا بذلك مؤقتاً لبينما تستتب الأحوال .

ولكن بعد ذلك كتبنا إلى جلالة مولاي عبد العزيز ، وأخبرنا حضرته الشريفة بالأمر ، وبينا أن خسائرنا هي خمسة آلاف ريالاً ، وأن هذه القيمة لا تكفي لثلث نفقات الجريدة الشهرية ، فأرسل لنا ـ حفظه الله ـ ألف ريال آخر ، غير أن حضرة النائب السيد الجباص هو الذي حاز هذا المبلغ لدى وصوله ، إذ قال : إن المبلغ الأول أداه من جيبه الخاص ، ويريد استرجاعه .

هذا وبما أننا كنا متأملين من يوم إلى آخر أن يقوم المخزن بحسب الشروط التي كنا اتفقنا عليها في باديء بدء : صبرنا على الأمر ، وداومنا الخدمة ، أما الآن

فلم يعد بالإمكان الصبر والانتظار ، لأن الديون علينا من كل جهة ، وهي على ازدياد أيضاً ، لأننا ندفع ضعفي القيمة الشهرية من نفسنا لكي نقوم بالجريدة .

ولهذا اقتضى أن يكون لهذه الخسائر والأضرار حد محدود ، فإننا نطالب ذمه المخزن بأربعة آلاف ريال عن خسائر الثلاث سنين الماضية ، ثم إن شاء المخزن الشريف أن يقوم بجريدة تخدم مصلحته ومصلحة البلاد : فيلزم أن يقوم بنفقاتها على وجه عادل .

ولهذا مرسلين بتاريخه أيضاً : رسائل للجانب الشريف مولاي عبد الحفيظ ، ولبعض رجال المخزن ، راجين أن يحلوا هذه المسألة التي ننتظر حلها يوماً فيوماً . وأرسلنا هذا لحضرتكم حتى إذا شئتم تذكروا الأمر في الحضرة الشريفة .

أما نحن فإننا حباً بالعدل راضون أن يوكل المخزن أحداً هنا مع بعض من موظفي السفارات ، لكي ينظروا في المسألة ويفصلوها على وجه الحق ، ومهما كان حكمهم فنكون قابلين به ، حيث ليس من العدل كما تعلمون حضرتكم أن نخدم البلاد ثلاث سنوات ليلاً ونهاراً خدمة شهد بصدقها الجميع حتى الأعداء أيضاً ، وننفق أموالنا ، وبعده يكون جزاؤنا جزاء سنمار .

ونحن بالنظر للصداقة وما بدا من سيادتكم من اللطف والفضل : لا نريد أن نكتم عن سيادتكم ضميرنا ، لأننا بالحق لا نروم أن نعود إلى نشر المسألة مرة أخرى في الجريدة . واستنصاف الدولة . والمطالبة المستمرة . لأن ذلك ليس بحسن . ولا له طيب الأحدوثة في تاريخ المخزن والمغرب ، فلذا اقتضى الإشارة إلى ذلك .

هذا ما لزم ، نسأل الله أن يلهمكم ما به الخير للجميع ، ويوفقكم إلى كل حق وصواب ، وأدام الله تعالى بقاكم .

طنجة في 5 شوال سنة 1326 .

الداعيان : – **ارتور نمور – فرج الله نمور .**

. محفوظات قسم الوثائق : خ . م .

ملحق 54

رسالة من الطريس يلح فيها على المقري في استصدار جواب شريف بتسديد نفقات « لسان المغرب »

... وبعد ، فقد وصلنا جوابك عما كتبنا لك به في شأن ما أمضيناه مع مدير جريدة « لسان المغرب » ، وليس عليه أثر استحسان لذلك ، وكنا في انتظار الجواب الشريف بتنفيذ الخمسة آلاف فرنك التي استسلفناها من مدير البنك المخزني ، مع سبعين ريالاً شهرية على نظار الأحباس هنا لمدة من عام ، التي جعلت له عوضاً عن الألف ريال المنجزة ، التي كان وقع الوفق معه عليها بالأعتاب الشريفة ، فلم يرد إلى الآن .

وحيث كان الظاهر أن هذا من المصلحة التامة التي لا تخفى على أحد في هذا الوقت الصعب : فنرجوك الوقوف في إخراج الجواب الشريف بتنفيذ ذلك . ولا بد . وعلى المحبة ، والسلام ، في 8 جمادي[1] عام 1326 .

ومنه . قد كتبنا بمثله للفقيه الوزير السيد عبد الكريم حفظه الله . فنحبك أن تذكره في ذلك لكثرة الأشغال ، صح به ، محمد بن العربي الطريس لطف الله به .

. « كناش لتقييد المكاتب الموجهة للحضرة الشريفة » خ . ع . ك 2721 ص 215 .

ملحق 55

رسالة من الطريس إلى الحضرة الشريفة
إشعاراً بوصول الرسالة العزيزية بتسديد نفقات « لسان المغرب »

... وبعد : فقد ورد على الخديمين الكتاب الشريف ـ أسماه الله ـ بتنفيذ السبعين ريالاً مشاهرة على نظار أجناس طنجة لمديري جريدة لسان المغرب مدة من عام . وبتوجيه حوالة على البنك المخزني بالخمسة آلاف أفرنك التي كانت استسلفت منه ، ودفعت لهما طبق ما كنا طلبناه من سيدنا دام علاه .

ووصل الجميع ودفع لمن ذكر ، وفرح المديران غاية الفرح ، ووعدا بالقيام بما يجب عليهما من نشر ما فيه الرضاء العالي بالله على صفحات جريدتهما .

والمولى يبارك في عمر سيدنا ويؤيد عزه ، وعلى الخدمة ، والسلام ، في 15 جمادي الأولى عام 1326 ، محمد بن العربي لطف الله به .

أخيراً أقدم جزيل الشكر لسيادة رئيس المجلس العلمي بالعدوتين الشيخ محمد المكي الناصري على مساعدته في اطلاعي على مجموعة جريدة « لسان المغرب » المحفوظة بخزانته .

كناش لتقييد المكاتب الموجهة للحضرة الشريفة خ . ع . ك 2721 ص 219 .

ملحق 56

رسالة من الجباص النائب الجديد بطنجة إلى السلطان الحفيظ : يخبر فيها بالاتفاق مع صاحب « لسان المغرب » ، فيما تبقى من دينه على المخزن

ينهي الخديم أنه وصله كتاب مولانا المنصور بالله بأن صاحب جريدة المغرب كتب للجلالة الكريمة : بأن له على المخزن – سابقاً – قدراً من المال ، ونفذ له البعض دون البعض ، وادعى أن الإبراء الصادر منه كان بغير إرادته ، امرا مولانا ببيان حقيقة الأمر في ذلك ، إلى آخره .

فليكن في علم الجناب الشريف : أن الرجل المذكور لما طال الأمر على ما كان يطالب به المخزن في دعواه ، وقع معه الفصل أخيراً فيها : على أن دفع له خمسة آلاف فرنك معجلة ، وألف ريال تدفع له مقسطة على عام واحد : بحسب سبعين ريال في الشهر ، ويقوم في مقابلتها بخدمة مصالح المخزن إلى إنتهاء المدة المذكورة ، وأشهد هو وأخوه بإبراء المخزن في الدعوى كلها ، والتعهد بما ذكر في مقابلة المشاهرة المذكورة ، حسبما بالنسختين الواصلتين بطي هذا .

وكان القدر الشهري المذكور نفذ عند نظار الأحباس هنا ، فدفعا له واجب شهرين ، وعذراً عليه واجب الشهرين الآخرين .

هذه حقيقة الأمر في ذلك ، وقد وجه الخديم على صاحب الجريدة المذكورة ، وكلمة في موجب كتبه للحضرة المولوية بخلاف الواقع ، فصار يتعلل بوقوع الغبن عليه في الفصل المذكور ، وأن الذي اضطرهم لقبوله فيما مضى هو ما كانوا عليه من حرج الحالة ، وشدة الاحتياج إلى أداء ما تحملوه من الديون في المصاويف المطبعية ، وزيادة على ذلك ما حصل لهم من التضرر بتأخير المشاهرة عن أبانها ، ثم ما عندهم من مواعد مولانا الكفيلة بالإحسان إليهم ، وجميل المبرة بجانبهم .

وحيث ظهر أن غاية ماهم فيه الحق هو إجراء المشاهرة المذكورة إلى انتهاء

المدة طبق العقد المحرر معهم فيها ، إنفصلنا معه على إعلام الحضرة الشريفة بالواقع ، ليرى مولانا ـ بسديد نظره ـ في إصدار أمره المعتز بالله لنظار الأحباس بإجراء المشاهرة المذكورة قطعاً لمادة دعواه ، أو غير ذلك لجلالته الكريمة .

هذا ما لدى الخديم في القضية ، ولمولانا النظر الأسد ، أبد الله تأييده وعلاه ، وعلى سعيد الخدمة ، سائلاً من مولانا رضاه ، والسلام على كريم المقام ورحمة الله ، في 11 رمضان المعظم ، عام 1326 .

خديم المقام العالي بالله محمد بن محمد الجباص وفقه الله .

« كناش لتقييد المكاتب الموجهة للحضرة الشريفة » خ . ع . ك 2721 ص 133–134 .

الفصل الثالث

إرتباطات مشرقية ومع أوربا

عرفت هذه المرحلة الثانية إتصالاً بين المغرب وبعض قادة الجامعة الإسلامية ، ومن ذلك أن الحاج محمد بن عبد السلام المقري بعدما قضي حجته عام 1322 «1905» ، كتب ـ برسمه ـ شريف مكة عون الرفيق باشا ، رسالة إلى رئيس كتاب الديوان بالباب العالي بالإستانة ، يشعره فيها بأن حاملها سيتوجه إلى مركز الخلافة الإسلامية ، لتقديم الاحترام ـ باسم حكومته ـ لجناب أمير المؤمنين (عبد الحميد خان الثاني) ، تأييداً وتمكيناً للإرتباط المادي والمعنوي للجامعة الإسلامية ، حسب الترجمة العربية للنص التركي ، من رسالة شريف مكة التي تحمل تاريخ 18 ذي الحجة 1322 «1905» . أنظر الملحق رقم 57 .

وفي طريق المقري إلى الأستانة مر بالقاهرة ، فاتصل بمصطفى كامل رئيس «الحزب الوطني» ومنشيء جريدة «اللواء» ، كما اتصل بغيره من الشخصيات التي تؤيد الجامعة الإسلامية ، وقد أعدوا للسفير المغربي مشروعاً يحمله إلى سورية والأستانة[1] .

* * *

1 ـ «ملف وثائق البعثة الفرنسية» : الوثيقة رقم 8 .

وإلى هذه السفارة : نشير إلى تعيين قنصل جديد لتمثيل المغرب في جبل طارق ، ووقع الاختيار على محمد بن الحاج محمد مرتيل التطواني عام 1906/1324 ، عوضاً عن القنصل السابق إبن بوزيان ، ولدينا عن هذه الوكالة وثيقتان :

الأولى : رسالة من النائب الطريس نص المقصود منها :

« يعلم سيدنا ـ أعزه الله ـ أنه ورد علينا كتاب شريف . بما اقتضاه شريف النظر من تكليف الطالب محمد بن محمد مرتيل التطواني ، وكيلاً بجبل طارق عوضاً عن الخديم ابن بوزيان المعفى ، لما بلغ عنه من النجدة والمرؤة والخيرة .

وأن شريف الأمر صدر لقائد تطوان ـ وصيف سيدنا إبن الغازي ـ بتوجيه المذكور لدار النيابة السعيدة بقصد ترتيب عمل وظيفه ، وبيان ضوابط تكليفه .

وبطيه وصل الظهير الشريف لندفعه له ، بعدتعريفه بما يأتي وما يذر في عمله ، ويتوجه لمقابلة ما عين له .

فإنهاء لكريم العلم أسماه الله ، أن المذكور قد ورد علينا بدار النيابة السعيدة ، وبعد أن لاقيناه بباشدور النجليز في رفقة خليفتنا وعرفه به ، طلب الباشدور الكتابة له في شادنه ، فكتبنا له إعلاماً بتعيينه للقيام بالوظيف المشار إليه ، إلى آخره ، وأجابنا بما في النسخة من كتابه ... وها هو على نية التوجه ـ غدا ـ للقيام بالوظيف ..

في فاتح ربيع النبوي 1324 ، محمد بن العربي الطريس »[2] .

أما الوثيقة الثانية فهي صادرة عن سلطان الدولة الإنجليزية إدوارد السابع بقبول اعتماد المذكور قنصلاً بجبل طارق ، مع التوصية باعتباره ، حسب نصها الوارد عند الملحق رقم 58 .

* * *

ونذيل ـ هنا ـ بالإشارة إلى ثلاثة معارض تجارية بأوربا ، شاركت فيها ثلاث بعثات مغربية :

---

2 ـ « كناش مكاتيب المندوبية السعيدة بطنجة » خ . ع ، ك 2720 ص 111ـ4 .

26 - مصورة الملحق 57، وهو مكتوب باللغة التركية.

1 ـ **معرض باريس** لسنة 1900/ «1317-1318» : ذهب إليه الصديق أحرضان والعربي أبا رودي : مندوبين عن مدينة طنجة ، وبنفس الصفة شاركاً ـ سابقاً ـ في معرض باريس سنة 1889[3] .

2 ـ **معرض بلجيكا** عام 1323/ 1905 : شارك فيه الأمين عبد الرحمن بناني ، وعاد من مهمته يوم 28 رمضان 1323/ 1905[4] .

3 ـ **معرض إيطاليا** عام 1324/1906 : توجه إليه الأمين محمد بن عبد السلام ابن جلون التويمي يوم التاسع من المحرم 1324/1906 ، وكان قد عين أميناً للقسم المغربي بهذا المعرض[5] .

* * *

ومن ملحقات هذا الفصل الإشارة إلى ثلاثة شبان من طنجة يدرسون الطب في الجزائر ، حسب فقرة قصيرة في جريدة « السعادة[6] هكذا :

« ... ورجع ـ أيضاً ـ للرخصة إلى طنجة : السيد عبد القادر ولد العباس ، والسيد أحمد بن عمر ، والسيد محبوب بن محمود ، الذين كانوا يتلقون الدروس الطبية في الجزائر ، وقد قدموا امتحانهم عن السنة الأولى فنجحوا نجاحاً جميلاً ، فنهنيهم ، لا سيما وهم من تلامذة مدرسة طنجة الفرنساوية العربية ... » .

---

3 ـ « ملف وثائق البعثة الفرنسية » : الرسالة رقم 1 .

4 ـ « كناش مكاتيب المندوبية السعيدة بطنجة » خ . ع ، ك 2720 ، ص 21-1 .

5 ـ « المصدر » ص 84-4 .

6 ـ عدد 143 بتاريخ 11 جوليت 1907 ، يضاف لهؤلاء أفراد بطنجة يتوفرون على ثقافة حديثة ، حيث يظن الأستاذ الكبير عبدالله كنون أنهم درسوا خارج المغرب أيام السلطان العزيز ، وكانت أسماؤهم كالآتي :

ـ محمد اللواح ، طبيب : من طنجة .

ـ المختار عمور ، طبيب : سلوي أقام بطنجة مدة .

ـ الصادق التونسي ، تعليم عام : من طنجة .

ـ أخوه المختار ، تعليم عام : من طنجة .

حسب استجواب مع المنوه به ليلة الخميس 23 محرم 1384/4 يونيه 1964 . مع ملاحظة أنه لا يبعد أن يكون هؤلاء درسوا في الجزائر على غرار الذين نعلق على أسمائهم .

ملحق 57

رسالة عون الرفيق إلى رئيس كتاب الديوان بالإستانة ، توصية بمساعدة المقري لزيارة الخليفة

إلى جناب رئيس كتاب الديوان الملكي المعظم .

يا حضرة صاحب الدولة .

إن وزير حكومة فاس من المغرب الأقصى : الحاج السيد محمد بن عبد السلام المقري .

بعد أن أتم فريضة الحج ، سيتوجه إلى مركز الخلافة الإسلامية ليتشرف بتقديم الإحترام باسم حكومته لجناب أمير المؤمنين المقدس . تأييداً وتمكيناً للارتباط المادي والمعنوي للجامعة الإسلامية . ويأمل أن يحظى بشرف المثول بين يدي حضرة الخليفة ، فالرجاء الوقوف إلى جانبه ، وببذل العناية الكافية مساعدة له ، للحصول على هذه الأمنية المقدسة .

والأمر لكم سيدي .

في 18 ذي الحجة 1322 .

أمير مكة : **عون الرفيق**

محفوظات قسم الوثائق خ . م : في النص التركي للرسالة . وتعريبه من عمل الأستاذ الدكتور ممدوح حقي .

ملحق 58

النص المعرب لرسالة عاهل إنكلترا ، بقبول اعتماد محمد مرتيل قنصلاً مغربياً بجبل طارق

نص تعريبها من الإنكليزية بعد الطابع الملكي :

« يعلم الواقف على هذا فرداً كان أو جمعاً ، بعد تقديم الوداد والتحية والتهنئة من أدوارد وسلطان الدولة الإنجليزية : المملكة المتحدة : أكريت أبريطـن . وإيرلانده ، والممالك التي وراء الأبحر ، وملكها حامي لواء العهد والأمانة :

أن حضرة سلطان المملكة المراكشية عين الطالب محمد بن محمد مرتيل ، لخدمته قنصلاً لجنابه الشريف بجبل طارق ، فاستحسنا تعيين المذكور للخدمة المشار إليها .

وأملنا منكم شد عضد السيد محمد بن مرتيل المذكور ، فيما يتوقف عليه ـ أحياناً ـ من الإعانة له على القيام بخدمته ، وإعطائه جميع الامتيازات والرخص والمنافع الخاصة به ، المتعلقة بوظيفته .

صدر به الأمر بالقصر المسمى صانط جيمس ، في اليوم السابع عشر من يونيه ، عام ستة وتسعمائة : السنة السادسة من توليتنا ... » .

من وثائق جائزة الحسن الثاني .

الباب السابع

ملامح اليقظة السياسية
للنخبة المغربية في مطالع القرن العشرين

مقدمة :

حسب مدخل هذه المرحلة : فإن المغرب ـ بعد الاتفاق الودي سنة 1904 ـ شهد أحداثاً هددت استقلال البلاد وتماميتها ، وأفضت المأساة إلى تنحية السلطان العزيز ، واستبداله بأخيه الحفيظ ، وفي غمرة هذه البلبلة بدأ تصاعد الشعور الوطني بواقع الأزمة المغربية وما يتطلبه الوضع من حلول .

وبهذا ظهر ـ على المستوى الشعبي ـ رد جعل قوي ضدا على المطامع الأجنبية ، وسارت هذه الحركة في اتجاهين : ففي المناطق المحتلة قامت واجهات مسلحة لوقف المد التوسعي ، وهو موضوع سنعود إليه في غير هذا المكان .

ونأخذ ـ الآن ـ في تحليل واقع المقاومة السياسية الشعبية ، متسلسلاً ذلك في أربعة فصول :

الفصل الأول

الروافد الأولى للوطنية المغربية

مدخل :

بدأت النهضة الإصلاحية في الشرق بالدعوة للرجوع إلى السلفية ، علماً بأن التحرر الإسلامي الكامل : يستلزم أن يسبقه إعداد روحي يقوم على انتشار العلم والأخلاق بين أفراد الأمة .

وفي هذا الاتجاه يؤلف الكواكبي كتاب « أم القرى »[1] ، فيدون فيه مداولات وقرارات مؤتمر « خيالي » انعقد بمكة المكرمة في موسم الحج من عام 1316/ 1899 ، وقد ضم ثلاثة وعشرين مفكراً يمثلون جهات العالم الإسلامي ، فيتدارسون أمراض المسلمين من مختلف المستويات ، ثم يتواصون بالحلول الناجعة ، وليست سوى العودة إلى الهدي الإسلامي .

وإذا كان مجمع الكواكبي خياليا ، فقد لمع بعده إسم صحفي مسلم من القرم بروسيا ، وهو إسماعيل بك غصْبرْ نسكي ، وقد زار مصر عام «24-1325» / 1907 ، ودعا - في جمع كبير - بالقاهرة ، إلى عقد مؤتمر إسلامي عام للبحث في شؤون المسلمين . وقال في بيان المشروع الذي ابتكره :

---

1 - منشور ، والرجوع - هنا - إلى نشرة المطبعة المصرية الأزهرية عام 1350/1931 : في حجم صغير يشتمل على 217 ص عد الفهرس .

« إن انحطاط العرب والأتراك ، لم يكن السبب فيه ضعفاً في المدارك . أو نقصاً في الاستعداد ، أو تأثيراً من الدين الإسلامي الذي ـ هو بالعكس ـ موافق للرقي والتقدم ، وإنما السبب فيه هو سلوكنا المخالف لأصول الدين وقواعده . ولذا كان من اللازم عقد مؤتمر إسلامي عام ، لا غاية له سوى النظر في أسباب اانحطاط المسلمين ، وفي الوسائل المؤدية إلى غايات النجاح ، والمفضية إلى حصولنا على حصتنا من المدنية الغربية »[2] .

وإزاء هذا المشروع وما قبله من توصيات جمعية أم القرى ، كان الشرق قد عرف دعوة جمال الدين الأفغاني إلى الجامعة الإسلامية ، وتتركز على أن العالم الإسلامي يجب عليه أن يتحد إتحاداً دفاعياً عاماً مستمسك الأطراف وثيق العرى ، ليستطيع بذلك الذياد عن كيانه ، ووقاية نفسه من الفناء المقبل ، وللوصول إلى هذه الغاية الكبرى . يجب عليه اكتناه أسباب تقدم الغرب ، والوقوف على تفوقه وقدرته[3] .

وإلى جانب هذه الجامعة الدفاعية ، ينعى الأفغاني على المسلمين فرقتهم ، وإنحرافهم عن العمل لإعلاء كلمة الله سبحانه ، وهو يعلق على احتلال الأجانب لكثير من البلاد الإسلامية ويقول « كل هذه الرزايا التي حطت بأقطارنا ، ووضعت من أقدارنا ، ما كان قاذفنا ببلائها ، ورامينا بسهامها ، إلا افتراقنا وتدابرنا ، والتقاطع الذي نهانا الله ونبيه عنه .

لو ادينا حقوقاً تطالبنا بها تلك الكلمة التي تهل بها ألسنتنا ، وتطمئن قلوبنا بذكرها ، وهي كلمة الله العليا ، هل كان يمكن للغرباء أن يمزقوا ممالكنا كل ممزق ، وهل كان يلمع سيف العدوان في وجوهنا ، وهل كنا نشيم نيران الأعداء إلا وأقدامنا في صياصيهم ، وأيدينا على نواصيهم ؟

إن لأبناء الملة الإسلامية يقيناً بما جاء به شرعهم ، لكن أليس على صاحب اليقين بدين أن يقوم بما فرضه الله عليه من ذلك الدين ؟

---

2 ـ « دائرة معارف القرن العشرين » لمحمد فريد وجدي : 3/ 71 .

3 ـ « حاضر العالم الإسلامي » ، الطبعة الثالثة : دار الفكر 1/ 307 .

أنرضى ونحن المؤمنون وقد كانت الكلمة العليا ، أن تضرب علينا الذلة والمسكنة ، وأن يستبد في ديارنا وأموالنا من لا يذهب مذهبنا ، ولا يرد مشربنا ، ولا يخدم شريعتنا ، ولا يرقب فينا إلّا ولا ذمة[4] .

هذه فقرة جمال الدين ، حيث توضح دعوته لبناء الجامعة الإسلامية من وجهتيها الدينية والسياسية . ثم يدعو إلى إكتمال هذا الهيكل بالجامعة الإسلامية الإقتصادية ، وأساسها : ثروة المسلمين للمسلمين .

وثمرات التجارة والصناعة في جميع المعمور الإسلامي هي لهم يتنعمون بها .

ورؤس الأموال الأجنبية يستعاض عنها برؤوس مال إسلامية .

وعدم تجديد الامتيازات ـ لأوربة ـ في الأرضين والمعادن والغابات وقطر السكة الحديدية والجمارك[5] .

تلك هي الخطوط الرئيسية للجامعة الإسلامية التي دعا لها جمال الدين الأفغاني ، غير أن تلميذه الشيخ محمد عبده ، تبين له أن جمع كلمة المسلمين ورفع شأنهم عن طريق السياسة لا يتيسر الوصول إليه آنذاك ، فسعى فيه من طريق العلم ، وجعل همه رفع منار الإسلام وجمع كلمة المسلمين بالتعليم والتهذيب ، وتقريبهم من أسباب المدنية الحديثة ، ليستطيعوا مجاراة الأمم الراقية ، ورأى أن ذلك لا يتأتى إلا بتنقية الدين من الشوائب التي طرأت عليه بتوالي العصور ...[6] .

وقد كانت الدعوة إلى تنقية الدين من الشوائب ، تمس ـ بالدرجة الأولى ـ طرق الصوفية ، على حين أن هذه كان لها ـ آنذاك ـ قوة كبرى ، ولبعضها دور ملموس في نشر الإسلام ومقاومة التبشير والاستعمار ؛ وهو ما يشهد به أساطين التبشير والإستعمار ، ومن ذلك قول المستربلس : « إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقية ... وليس خصمنا هو العربي الذي يرتاد البلاد للإتجار بالرقيق ... بل إن هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو

4 ـ « محمد توفيق البكري » تأليف دكتور ماهر حسن فهمي ، سلسلة أعلام العرب رقم 64 ص 8ـ9 .
5 ـ « حاضر العالم الإسلامي » 1/ 328 .
6 ـ « مشاهير الشرق ... » تأليف جرجي زيدان : الطبعة الثانية 1/ 305 .

الدرويش ، صاحب النفوذ في إفريقية أكثر مما هو كذلك في فارس ...[7] .

وهذه شهادة يقدمها شاتلييه رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامي ، عن خطر جماعة الصوفية على المصالح الأوربية : « والخلاصة أن الإسلام مدين ـ بكل فتوحاته السلمية ، وانتشاره في الأقطار ـ لجماعة الصوفية ، فمشايخ الطريق هم ـ في الحقيقة ـ الذين يديرون حركة الإسلام الحية ، ولا يخفى ما في عملهم هذا من الخطر على المصالح الأوربية »[8] .

وهكذا نستنتج من هذه الشهادة وسابقتها ، دور فريق الصوفية في مقاومة المد التبشيري والإستعماري في هذه الفترة ، وبالخصوص الطرق الحديثة كالسنوسية بإفريقية ، حيث تلتقي مع أهداف الجامعة الإسلامية .

والظاهر أن ذلك هو الذي حفز السيد عبد الرحمن الكواكبي ، إلى طرح اقتراح يدعو فيه طرق الصوفية للرجوع إلى الأصول الملائمة للشرع والحكمة في الإرشاد والتربية ، ثم تكليف كل فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يخدمون بها المجتمع الإسلامي الجديد ، ففرقة تختص بإعاشة الأيتام وتعليمهم ، وأخرى تقوم بمواساة المساكين وأبناء السبيل ، وجماعة بتمريض الفقراء والبائسين . وطائفة تعمل للتشويق إلى الصلاة ، وفئة تنتدب للتنفير من المسكرات ، وجماعات أخرى تشتغل بما يشابه ذلك من المقاصد الخيرية الشرعية[9] .

والغالب أن هذا الإقتراح الصادر في كتاب « أم القرى » كان يتجاوب مع تفكير يشغل بال بعض المصلحين الآخرين ، حتى تمكن الاستفادة من هذا الفريق في بناء المجتمع الإسلامي الحديث ، وهكذا يقول السيد محمد رشيد رضا : « طالما فكر محبو الإصلاح من عقلاء المسلمين ، في إصلاح شأن المنتمين إلى طرق الصوفية ... ولما هاجرت إلى مصر سنة 1315 ، كان أول إصلاح سعيت إليه ، أن حاولت

---

7 ـ « الغارة على العالم الإسلامي » تأليف أ . ل شاتليه ، تلخيص وتعريب مساعد اليافي . ومحب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة : ص 21 .

8 ـ « محمد توفيق البكري » ص 181 .

9 ـ كتاب « أم القرى » ص 181 .

إقناع شيخ مشايخ طرق الصوفية الشيخ محمد توفيق البكري بالقيام بهذا الإصلاح ، كلمتهبذلك قبل إصداري المنار ، ثم ما زلت ألح عليه في ذلك وهو يسوف مع الاستحسان ، حتى عمد إلى ذلك بوضع لائحة رسمية ، ولائحة داخلية ، ثم وضع كتاباً في الأخلاق والآداب »[10] .

ومن الجدير بالذكر أن الشرق الإسلامي ، عرف ـ في هذه الفترة ـ تجمعات تتسم بالطابع الوطني ، ومنها ـ بمصر ـ « الحزب الوطني » وزعيمه مصطفى كامل ، وجريدته « اللواء » ، ثم « حزب الإصلاح على المباديء الدستورية » ، وزعيمه علي يوسف ، وجريدته « المؤيد » . غير أن الوطنية كان مفهومها ـ آنذاك ـ يتسع لإعتبارات دينية ، ولا أدل على هذا من كون الحزبين المصريين يؤيدان الجامعة الإسلامية بكل حرارة .

وفي تركيا ظهرت بعض التجمعات الجنسية ، مثل جمعيات « الوطن التركي » ، والجنسية الطورانية التي تألفت في الأستانة[11] ، على أن بعض زعماء الأتراك كانوا يفضلون الرابطة الإسلامية بغض الطرف عن الجنس والقومية ، ومن هؤلاء أنور باشا أحد أقطاب جمعية الإتحاد والترقي[12] .

* * *

وإلى هنا فقد قدم هذا المدخل الملامح العامة لحركة النهضة الحديثة بالشرق الإسلامي ، وبعد ما كانت أصداؤها تنتقل ـ متقطعة ـ إلى المغرب ، بدأت ـ من أوائل القرن العشرين ـ تصل بانتظام ، حيث تتأدى إلى المغاربة بواسطة الصحافة والكتب المشرقية ، وعن طريق بعض الجرائد التونسية ، وعلى لسان الرحالين من الحجاج والتجار ، فضلاً عن الصحافة المحلية التي أخذ صدورها ينتظم في مدينة طنجة .

فكان لهذه المصادر ـ على تنوعها ـ أثر في تزايد الشعور بواقع البلاد ،

---

10 ـ « تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده » 129/1 .

11 ـ « حياة الشرق » تأليف محمد لطفي جمعة ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ص 226 .

12 ـ « المصدر » ص 221 .

وحاجتها إلى التطور في تفكيرها وسياستها وسلوكها . ولمعت هذه اليقظة ـ أكثر ـ في أربع مدن : فاس العاصمة العلمية والإقتصادية والسياسية آنذاك ، ثم طنجة : القاعدة الدبلوماسية ، ثم سلا والرباط .

ولا نغفل ـ هنا ـ عن الإشارة إلى مصدر آخر لهذا الشعور . ويتمثل في النخبة الواعية من الذين درسوا في أوربا . وتبوأ بعضهم مناصب سامية . ومنهم الزبير سكيرج . وأحمد الجبلي . والطاهر بن الحاج الأودي . والطبيب المصطفى بن عبد السلام الزاودي الطنجي . وأسماء أخرى متعددة .

هذا إلى تأثير بعض الوافدين على البلاد من الشرق الإسلامي . وسنأتي على أسمائهم آخر هذا الفصل ، مع العلم بأن بينهم من كان يرتبط بالجامعة الإسلامية وصحافتها ، أو حزب الإتحاد والترقي .

وهناك تأثير بعض المغاربة الذين نشئوا أو أقاموا ـ طويلاً ـ بالشرق العربي ، ثم عادوا ـ في هذه الفترة ـ إلى وطنهم . وبينهم محمد بن مصطفى بن محمد ابن سعد التلمساني ثم التازي[13] . والحاج علي زنيبر السلوي[14] . وعبدالله القباج الفاسي ، ومحمد بن إدريس بو عشرين المكناسي[15] .

ثم الحاج محمد القباج الفاسي ، أحد التجار المغاربة الذين ساحوا بالشرق قبل عودتهم إلى السكنى بفاس ، ويذكر عنه مؤلف « مختصر العووة الوثقي »[16] : أنه من تلاميذ جمال الدين الأفغاني ، فكان يحضر دروسه الليلية التي يلقيها على محمد عبده وأقرانه . وهناك كان رفيقاً للشيخ الإمام ومحمد المويلحي وسعد زغلول وعبد الله نديم ، وأمثالهم من أدباء الشرق .

وقد استفاد من مجالستهم فوائد لم تكن مع أحد في المغرب في وقته . وهو الذي أذاع فضل جمال الدين وعبده وأمثالهما ، وعرف المغاربة بأخبارهم وأحوالهم .

---

13 ـ ترجمته في « معجم الشيوخ » 1/ 61ـ63 .

14 ـ سيرد التعريف به عند الباب 9 .

15 ـ كلا الأديبين من تربية الحجاز ، بعد ما كان مولد أولهما بمكة المكرمة ، والثاني : بالمدينة المنورة .

16 ـ المؤلف هو محمد الحجوي : ص 21 .

وفي نطاق دور هذه الروافد في التوعية السياسية نشير إلى نموذجين إثنين : بدءاً من الطبيب الطنجي المصطفى الزاودي سابق الذكر وشيكاً . وكان يقرأ الجرائد ، ويحسن بعض اللغات الحية ، فيكتب ـ يومياً ـ إلى فاس بماجد من أخبار المطامع الأجنبية حول المغرب[17] .

الثاني : السياسي الغيور : القائد عبدالله بن سعيد السلوي ، العضو في دار النيابة بطنجة ، ومن مبادراته رسالة صارخة بعث بها من طنجة إلى فاس . ليخبر فيها ببعثة طاياندي التي خرجت من طنجة قاصدة فاس ، ثم يستعرض مطالب السفير الفرنسي ويحللها ، لينتهي إلى أن الغاية منها هو التدرج في الإستيلاء ـ السلمي ـ على المغرب ، وهنا تلح الرسالة على تصلب ولي الأمر أمام هذه المقترحات . وتشير بعرضها على العلماء والأكابر ليقولوا فيها كلمتهم . . حسب نص الموجود من هذه الرسالة بالملحق 59 .

* * *

وإلى هنا : فقد قدم هذا العرض نماذج من الروافد الأولى للوطنية المغربية في مطالع القرن العشرين ، حيث يغلب عليها الطابع المحلي ، وإلى ذلك عرف المغرب في هذه المرحلة وافدين من الشرق الإسلامي أو تونس ، فأثر عدد منهم في مسار الوطنية المغربية الناشئة . وكانوا صلة وصل بين الوطنيين والجامعة الإسلامية . أو حزب الإتحاد والترقي .

ونستعرض هنا ما وصلت إليه من أسماء هؤلاء الوافدين ، مع إضافة بعض الإرتباطات الأخرى في نفس الإتجاه .

1 ـ فنذكر ـ أولاً ـ العالم التونسي محمد خير الدين ، مبعوث جمعية الإتحاد والترقي بتركيا[18] ، حيث أقام بمدينة مراكش ، وكان له إتصال بالشيخ

---

17 ـ مذكرات محمد عبد الحي الكتاني بخطه : خ . م 13096 .

18 ـ من استجواب مع القاضي المرحوم عبد الحفيظ الفاسي : في داره بحي مارسا بالرباط خلال عام 1955/1374 .

محمد بن عبد الكبير الكتاني .

2 ـ وإذا كنا لا نتوفر ـ الآن ـ على معلومات أكثر عن هذا الوافد المقيم بالمغرب : نشير ـ بعده ـ إلى علي زكي الصحفي المصري[19] ، ومراسل جريدة « المؤيد » في مؤتمر الجزيرة الخضراء ، وكان وصوله إلى فاس ـ بعد انفضاض المؤتمر ـ يوم السبت 23 ربيع الثاني 1324/1906 ، فقوبل بعناية خاصة ، ونزل بالدار المعدة للقادمين من الخارج ، وتضيف الجريدة[20] التي نشرت هذا النبأ قائلة : « وفي رواية إن المخزن نفذ له مئونة يومية قدرها خمسة أو ستة ريال عزيزية ، وأنه في البحث والتنقيب عن رياض لائق لسكناه ، حيث إنه عازم على استخدامه في مهام حكومية » .

وقد قام علي زكي هذا بمساعدة هامة للوفد المغربي أثناء انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء ، وعمل لإذكاء روح المقاومة لدى هذا الوفد ، ولإقناعه بالاعتماد على خبرات المسلمين المشارقة ـ من أتراك ومصريين ـ في تنفيذ الإصلاحات ،

= وقد مر على هذا الاستجواب زهاء ثلاثة عقود من السنين ، دون أن أقف على معلومات جديدة عن الضيف التونسي ، إلى عشية الخميس 14 ذي الحجة 1403/22 سبتنبر 1983 ، حين زرت نخبة مدينة سلا الغيور الوجيه السيد الحاج العربي ابن سعيد ، فاطلعني على مبيضة تعزية والده في محمد خير الدين في رسالة بعث بها إلى شقيق المتوفي : وزير العدلية التونسية طاهر باشا خير الدين .

فأفادت هذه الرسالة تصحيح اسم المذكور ، ومكان وفاته : بحاضرة تونس . فضلاً عن أنه أحد أشبال خير الدين باشا : الوزير التونسي الشهير .

وإلى هذا يضيف صاحب الوثيقة أن محمد خير الدين أقام في مدينة مراكش سنتين . ثم أبعد عن المغرب بدسائس أجنبية .

وإلى غيرته الإسلامية كان معدوداً من علماء تونس ، فيشير إليه الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور بمناسبة عودته من تركيا إلى تونس صحبة ، شقيقه طاهر باشا ، ويذكره بوصف العالم المتفنن محمد خير الدين ، حسب « تراجم الأعلام » : الدار التونسية للنشر ص 254 .

19 ـ عين ـ في العهد الحفيظي ـ مدير الأشغال العمومية في طنجة ، وبعد الحماية اسندت له مهمة إرشاد القبائل المغربية لطرق إصلاح الفلاحة والماشية ، فكانت له بالبوادي أيام مشهودة كل عام ، يخطب فيها ـ بالعامية ـ على جموع الفلاحين ومن إليهم ، إلى أن توفي عام 1347/«28-1929» ، « مذكرات محمد عبد الحي الكتاني » خ . م 13096 ، مع « لحظات القلوب » : في تعليقة ختامية 144/1 .

20 ـ جريدة « السعادة » في عددها الصادر يوم الخميس 28 ربيع الثاني 1324/21 يونيه 1906 .

ويبدو أن هذا الصحفي لعب دوراً هاماً في تحضير المشاريع التي تقدم بها الوفد المغربي ، وخاصة مشروع البنك[21] .

3 ــ وبعد علي زكي نشير إلى الشيخ العالم السوري عبد الكريم بن السيد عمر ابن مصطفى بن الشيخ مراد ، الشامي الطرابلسي ثم المدني الحنفي ، مبعوث الشرق إلى المغرب .

ورد على فاس عام 1324 «1906–1907» ، ونزل في الزاوية الكتانية بأعلى القطانين ، وابتدأ يلقي دروساً في الجغرافيا والفلك والتجويد ، وكان مجلسه مجلس أنس وسياسة ومحاضرة ، وغيره على الدين وأهله وغربتهم[22] .

وقد ألف في قدمته هذه كتاباً باسم « الهدية النافعة لشرح منظومة الواضحة »[23] ، شرح فيه الأرجوزة المسماة بالواضحة ، من نظم برهان الدين الجعبري : إبراهيم ابن عمر الخليلي ، وطرز ــ باسم السلطان العزيز ــ طالعة الكتاب ، ليعقب ــ بعد ذلك ــ بهذه الفقرة » فنرجو من سيدنا ــ أعزه الله تعالى ــ طبع هذا الكتاب ونشره ، وفتح مكتب لأجل قراءة الأولاد على الطريقة الصحيحة : من العلوم الدينية والوقتية ، بترتيبنا الغريب ، وصنعنا العجيب ، حسبما شهدت بفضله العلماء الأعلام ، بمدرستنا في المسجد الحرام ، ومدينة النبي عليه السلام ، ويسمى « بالمقاصد العزيزية » . لنشر العلوم الدينية والوقتية ... » .

وهكذا نتبين أن المنوه بـه كـان يهدف ليقوم ــ في المغرب ــ بعمل إصلاحي في حقل التعليم الإبتدائي ، فيضع هذا التأليف في مستوى المتعلمين الصغار ، ويحاول فتح مدرسة ابتدائية ، لتلقين العلوم الدينية والعصرية .

وإذا كانت آماله في فتح مدرسة « المقاصد العزيزية » لم تتحقق : فهو قد نجح ــ إلى حد ــ في إلقاء دروس علمية تناولت مباديء السياسة والجغرافيا والحساب

---

21 ــ « المسألة المغربية » ص 352 .

22 ــ من مقيدة للشيخ محمد عبد الحي الكتاني في صفحة مستطيلة : من المكتبة الأحمدية بفاس .

23 ــ منه نسختان ناقصتان بخط المؤلف : أولاهما في خزانة خاصة ، والثانية : خ . ع . د 1042 آخر مجموع من ورقة 168 إلى 182 .

والتاريخ ، وكان من الأخذين عنه القاضي عبد الحفيظ الفاسى ، والقاضي المهدي الفاسي .

وإلى هذا كان مراسل جريدة « المؤيد »[24] .

ومن المبادرات السياسية للسيد عبد الكريم مراد : تدوينه لمشروع إصلاحي مطول ، حيث قدمه إلى السلطان العزيز بعد مؤتمر الجزيرة ، واقترح فيه ـ لحفظ استقلال المغرب ـ تأسيس مجلس نيابي ، ووضع دستور مغربي ، وهو موضوع سنعود له في مكانه من هذه الدراسة .

ونشير ـ الآن ـ إلى أن المترجم مكث طويلاً بفاس ، ثم انتقل منها إلى النيجر ، فتوفي ـ بها في مدينة كانو ـ التي استوطنها ـ عام 1347/[25] 1928 .

4 ـ السياسي الغيور عبد الحكيم بن محمد المزوغي ، التونسي المولد والنشأة ، المغربي الأصل ؛ ويبدو ـ من المعروف من رسائله ـ أنه كان موظفاً مع الحكومة المغربية ، فينتقل ـ في خدماتها ـ بين طنجة وفرنسا وتركيا ... ولما كان يتقن بعض اللغات الأجنبية : صار على خبرة تامة بنوايا الدول نحو المغرب ، فيفيد كلاً من الحكومة وبعض الوطنيين بتطورات القضية المغربية[26] .

وفي هذا الإطار : تتخير ـ من بين رسائله ـ واحدة كتبها إلى شخصية مغربية لم يذكر اسمها ، وكان ذلك إبان إنعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء ، فيعرف بدخائل المطالب التي تتقدم بها بعض الدول للمؤتمر ، ويشير بالحلول التي تضمن إستقلال المغرب ، وستكون هذه الرسالة هي موضوع الملحق 60 .

---

24 ـ « مذكرات » محمد عبد الحي الكتاني المتكررة الذكر .

25 ـ « إتحاف ذوي العلم والرسوخ ... » تأليف محمد بن الفاطمي بن الحاج السلمي ، دار الطباعة الحديثة بالبيضاء ، ص 25 : تعليق . وخلال إقامة المنوه به في مدينة كانو رحل إلى سويسرا ، حيث زار الأمير شكيب أرسلان في مدينة لوزان عام 1923 ، وكتب هذا عنه واقع المسلمين في بلاد النيجر وما إليها ، « حاضر العالم الإسلامي » 3/50-51 .

26 ـ بعد كتابة هذا وقفت على إشارة له بالمصدر التالي . فيذكر له عدة مؤلفات في الإقتصاد السياسي . وكان مستشاراً تقنياً لدى الحكومة المغربية قبل الحماية . كما يشير إلى متملكاته الزراعية بناحية مراكش . حيث اشتغل فيها ـ بعد وفاته ـ أخوه (الشريف كيلاني حكيم) . الذي حل بالمغرب سنة 1933 .
LE LIVRE D'OR DU MAROC
Dictionnaire des personnalités passées et contemporaines du Maroc.

5 ـ ننتقل ـ الآن ـ إلى صنف آخر من الوافدين . انطلاقاً من الشيخ محمود النوري السفاقسي نزيل الإستانة : وصل إلى مدينة فأس عام 1322/1904 . واتصل بالسلطان العزيز ، ثم توفي ـ بفاس ـ في السنة ذاتها[27] .

6 ـ وفي هذه الفترة كان يسكن بسلا طبيب سوري : محمد شاكر . واسمه ـ كاملاً ـ محمد شاكر بن الشريف السيد أحمد الرجله القصار ، الحسيني الدمشقي[28] .

وكان يضيف إلى معرفته بالطب إتقان الرياضيات والكيميا . وعالج أمراض السل واليرقان والحمى التيفوشية ، وألف فيها رسالة .

وتوفي ـ بسلا ـ عام 1324/1905[29] .

7 ـ وبعد الطبيب السوري : نشير إلى أبي بكر بن عبد الوهاب مدير جزيدة « إظهار الحق » ، وهو ترجمان الوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء . بعدما كان معلماً في مدرسة اللغات الشرقية ببرلين ، حسب ذكره في وثيقة سبقت الإشارة لها عند الباب الخامس بالتعليق رقم 15 .

وفيها تعرض إسمه للتحريف ، فذكر باسم : عبد الوهاب بن أبي بكر بن علي .

ولحسن الحظ ظهرت معلومات جديدة عنه في الترجمة التي كتبها له الأستاذ محمد بن عبد الصمد كنون[30] :

وهو يذكر أن المترجم ولد بالجزائر من أب مغربي انتقل إليها قديماً ، وكان يتقن ـ بالإضافة إلى العربية ـ اللغتين الألمانية والفرنسية ، ورجل للشرق فجال في البلاد الإسلامية ، واستقر ـ مدة ـ بالعاصمة العثمانية ، حيث تعرف بزعماء

---

27 ـ « كناشة » عبد الحفيظ الفاسي . في الخزانة التطوانية بسلا .

28 ـ تكملة إسمه من ملكية بخطه الشرقي ، كتبها على الجزء الأول من « عمدة المحتاج في علمي الأدوية والعلاج » تأليف السيد أحمد أفندي الرشيدي : بتاريخ 22 صفر سنة 1306 هـ .

29 ـ من ترجمته في أرجوزة « إتحاف أشراف الملا ... » لناظمها محمد بن علي الدكالي : خ . م 227 .

30 ـ « مواكب النصر وكواكب العصر » مطبعة سوريا بطنجة ص 114ـ115 .

الأتراك وساستهم ، كما جال في أوربا ، وأقام بألمانيا مدة . وتزوج من إحدى فتياتهم ، ولما رجع إستقر بطنجة ، فكان محط المتابعة الخطيرة ، وفي آخر الأمر أنشأ صحيفة « إظهار الحق » ... توفي سنة 1348/ «29-1930» .

* * *

وعرفت مدينة طنجة جماعة من اللبنانيين النازلين بها . فأفادوا في تكوين عدد من الكتاب المغاربة .

8 ـ وبينهم وديع كرم محرر جريدة ومجلة « الصباح » . ثم جريدة « السعادة » .

9 ـ وأخوه ميشال كرم صاحب مكتبة تجارية بطنجة .

10 ـ ثم فرج الله نمور مدير جريدة « لسان المغرب » .

11 ـ وأخوه أرتور نمور رئيس تحريرها .

12 ـ والشيخ نعمة الله الدحداح الذي صار ـ من بعد ـ محرر جريدة « الفجر »

ونذيل هذا العرض بقصيدة خاطب بها ميشال كرم المؤرخ السلاوي محمد بن علي الدكالي ، بعدما كتب هذا للأديب اللبناني يستفسره عن محتويات مكتبته بطنجة ، وهذا نص القصيدة ، وقد بعث بها عام 1319 هـ :

سلام على أهــل الكرامــات من ســـلا
سلام مشــوق عن مُعَنيــه ما ســلا

يعلل قلبــاً مضــه الوجد والجــوى
وأحْــرِ بقلــب الصــب أن يتعلــلا

دعتــه تباريــح الصبابــات فانتــوى
عن الشام شــام الله في الأرض والمــلا

يؤم بــلاد الغــرب ثغــراً وفرضــة
إلى أن ـ أخــيراً ـ رام طنجــة منــزلاً

مدينــة عز أمهــا كــل عالــم
ولكــن سلا أم المعــارف والعــلا

حللت بهــذا الثغــر عنــدي كتائـــــب
من الكتــب في جيد العلــوم هي الحـــلى

مهاودة أسعــارها وهي نخبــــــــة
تخيرتهــا فاخــتر لنفســك ما حـــــلا

دعاني إلى تثمــين هــذا إليــك مــا
كتبــت إلى ميشـــال من قبــل سائـــلاً

بعثــت بهذا النظــم ـ وهــو خريدة ـ
من الشام تبغــي في رتاجــك موئـــــلاً

نقيبــة ثوب الحــب عذراء كاعــــب
أتتك ترجي من حياضــك منهـــــــلا

عليهـــا شهــود عُــذّل في ولائهـــــا
وفيها حديث الشوق يــروى مسلســـلاً

لئن لم تصادف منــك حظا فردهـــــا
وإن صادفــت حظا فذلــك أفضـــــلا

يرجــع في إنهائهـــا ما ابتدأتــــــه
سلام على أهل الكرامات من ســـــلا[31]

* * *

وبالإضافة إلى الوافدين : الزوار أو المقيمين ، يلمع ـ بالمغرب ـ إسم أحد الدعاة ـ بمصر ـ للجامعة الإسلامية : مصطفى كامل سالف الذكر ، وهو لم يزر هذه الجهات ، غير أن جريدته « اللواء » وقفت ـ موقفاً مشكوراً ـ بجانب المغرب خلال الغارة الإستعمارية على الدار البيضاء عام 1907/1325 ، وقد تتبعت المعارك الدفاعية باهتمام بالغ ، فتبرز بطولات المغاربة وتشيد بها ، وترصد انتصارهم ـ أحياناً ـ وتنوه به ، مؤيدة ذلك باعترافات الساسة ، أو شهادات

31 ـ وردت هذه القصيدة بخط المخاطب بها محمد بن علي الدكالي : في إحدى « كناشاته » : خ . ع ، د 4257 ص 25 .

المراسلين للصحافة الفرنسية والألمانية . وتضيف جريدة « اللواء » . لهذا وذاك . تنديدها بالغزو الجهنمي بالبوارج الحربية والمدافع والمذابح من أمة متمدنة . ضد بلد مستقل مسالم . لا يتوفر إلا على شجاعته الخارقة . وهكذا تقول صحيفة « اللواء »[32] تحت عنوان « الدار الفانية » :

« إن الإنسانية ترتجف جزعاً من هول المذابح الجارية في المغرب الأقصى . ولقد دعونا الدار البيضاء بالدار الفانية ، لأنه قد رفرف عليها الموت من كل جانب ، وفنى فيها كل شيء إلا وجه المدافع . وإن القلوب لتتفطر آسى وحزناً من كون المتمدنين لم يعرفوا ـ الآن ـ طريقة تمدين الناس ـ على ما يزعمون ـ إلا تسليط القنابل عليهم تحصدهم حصداً ، وتنسف منازلهم نسفاً . وأن لا يجد إنسان هذا الزمان لغة ليخاطب بها أخاه الإنسان إلا زمجرة المدافع وزفير النيران ...

ولقد كان البدوي في البادية يلتقي بعدوه الألد ، وله عنده ثارات . فيأنف أن يأخذه على غرة منه ، أو يحاربه بسلاح ليس عنده مثله . وكذلك قوانين المتمدنين ، تلتمس ظروفاً مخففة للمجرمين الذين لم يقدروا الجريمة قدرها ، ولا أدركوا مبلغ مسئوليتها .

وهؤلاء القبائل من المراكشيين ، لم يشتركوا ـ جميعاً ـ في (جريمة الاعتداء) على الثمانية الفرنسويين ، ثم هم لا يقدرون العواقب قدرها ، ولا يدركون الخطر الذي يصيبهم من التعرض للبورج الحربية وقنابلها ، وإنما هم قوم وقر في أنفسهم أن الفرنسويين يريدون الإستيلاء على بلادهم ، فثارت الأنفة في رؤوسهم ، فالرحمة واجبة على فرنسا المتمدنة ، التي طالما قامت قيامتها لإنسان يسجن ظلماً ، ومجرم يعاقب عقاباً معذباً .

وما نحن نقول هذا القول وحدنا ، بل قاله بعض كبار الكتاب من الفرنسويين أنفسهم ، قالوه لما هالتهم كثرة القتل والتعذيب والتدمير بغير جريرة ، سوى الحماسة البدوية . والنعرة العربية . وهم يطلبون من حكومة الجمهورية أن تخاطب القوم

---

32 ـ عدد 2423 . بتاريخ السبت 15 رجب 1325/24 غشت 1907 . والنقل هنا عن نسخة من المقال عند الأستاذ المرحوم الحاج أحمد بناني . حيث انتسخت منها عام 1374/1955 .

بغير لسان النار والحديد ، وأن تعلن في طول البلاد وعرضها أنها لا تنوي فتحاولا استعماراً ، ولا تضمر للبلاد شراً ، وأن تجذب الناس إليها بمحاسن تمدنها ، وتبرهم برقة معاطفها وعظمة علومها » .

* * *

وبعد هذه العاطفة نحو المغرب من الزعيم المصري مصطفى كامل : نقفي عليها بالإشارة لرسالة من مفتي الديار المغربية الشيخ المهدي الوزاني إلى مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده ، وقد أفتي هذا بحل طعام أهل الكتاب وذبائحهم ، وهي المعروفة بالفتوى الترانسفالية .

وفي خطاب العالم الفاسي يعطي موافقته لما ذهب إليه الشيخ الإمام ، في أسلوب إخواني يبتدي كالتالي : « ... فالمقصود الإعلام بأننا على محبتكم ووداكم وإن لم نركم بالأبصار ، لكن نرجو الله ـ تعالى بفضله ـ أن يجمعنا بكم في هذه الدار ... » .

وسيرد نص الرسالة ـ كاملاً ـ عند الملحق رقم 61 .

ملحق 59

رسالة القائد عبدالله ابن سعيد إلى الشيخ الكتاني للتعريف بأهداف بعثة طاياندي

« ... هذا وقد ألهمني الله ـ تعالى ـ لتحرير هذا الكتاب . طالباً منه أن يكون للخير من جملة الأسباب . والله تعالى أسأل . وبنبيه ـ ﷺ ـ أتوسل : أن يوفق بنصائحك أمير المؤمنين ، لما فيه حماية بيضه الدين . إنه على ما يشاء قدير . وبالإجابة جدير .

فأقول : يا سيدي وعمدتي وحبيبي وقرة عيني وأنيس قلبي : لا يخفاك ما فاهت به الألسن وسطرته الأقلام بين الأنام : في شأن أرضنا الطيبة الطاهرة ، منبت الصالحين ، ومقر الموحدين ، حتى تشوف إليها العدو الأحمر ، ولم يعارضه ـ إلى الآن ـ منا منكر ، ولا زال طمعه يمتد ، ما دام لم ير الأنكار من أحد .

وها هو نائبه الملعون قد خرج من طنجة ، قاصداً حاضرة فاس ، معتمداً فيها على بعض الناس ، وقد استفدت من عدة طرق : بأن له مطالب سيطلب تنفيذها من المخزن المحروس بالله .

منها بسط يده وتكليفه بترتيب دخل المراسي وتنظيمها على نمط المراسي الافرنسوية ، نعوذ بالله من شر ذلك .

ومنها انتصاب أمين ـ بل خائن ـ من بني جنسه بدار المخزن ، يشارك أمناء الجناب العالي في الرأي والتدبير فيما يرجع للأمور المالية : من دخل وخرج .

ومنها توظيف واحد من بني جنسه بصفة مستشار ومدبر : يكون ـ دائماً ـ مع المخزن أينما حل : مثل الشعرة تحت اللسان ، نعوذ بالله من شر ذلك .

ومنها تكليف الباشا دور الفرنسي بطنجة بحفظ الراحة العامة ، وحراسة البلاد ونواحيها برجال يجلبهم من الجزائر يكونوا ـ أيضاً ـ تحت أمره ونهيه .

وبعد الاستيلاء ووضع اليد على طنجة ونواحيها : يعمم ذلك على بقية المراسي ونواحيها ، ثم يدخل بسياسة وخديعة لمراكش بالحوز ، وفاس بالغرب .

ومنها تكليف حرابة من الفرنسيين بتنظيم جيوش المسلمين ، بل بحصر قوة المسلمين وعدتهم بيده . لا سمح الله بذلك .

ومنها عرض سلف آخر على المخزن لا قدر الله بذلك . وصرف القدر المستقرض في إصلاح الطرق والمراسي على يد أناس من الفرنسيس تحت نظر نائبهم بطنجة . اللهم أكفنا شر ذلك .

فهذه ـ سيدي ـ جملة المطالب التي سيطلبها نائب الأفرنسيس من المخزن . وهذه مدة وهو يدبر ويستعد سراً ، بمشاركة بعض الأشقياء بدار المخزن الذين لا غيرة لهم لا على وطنهم ولا على دينهم ، اللهم أهلك من رام أو رضي بهلاك المسلمين .

وإعلم ـ سيدي ـ أن الفرنسيس ليس له قوة ولا قدرة على إلزام المسلمين ، وهو ـ مع شدة خوف منا ـ قد طمع فينا بسبب ما رأى في بعض الرجال من الخوف منه ، وهل يخاف من الكافر إلا من كان ناقص دين ، وضعيف في اليقين .

وقصد هذا العدو هو التداخل في أمور بلادنا : في المسائل المالية والإدارية والعسكرية بوجه معين ومشير وصاحب ، ثم بعد وضع يده واشتهار نفوذه واستيناس الرعية بالمصارفة معه والنظر في وجهه : يعلن بإعلاء كلمته ونشر حمايته وأوامره ، وإذ ذاك يصعب على المسلمين مقاومته وطرده ، بعدما مكنوه من مال المسلمين وجيوشهم ، لا سمح الله .

ولا شك أنكم سمعتم بالاتفاق الذي وقع بين الإنجليز والفرنسيس فيما يتعلق بأحوال المغرب ، وصورته أن الانجليز قد تسامح للفرنسيس بأن يتقرب من المخزن قرباً خاصاً ، وإذا استحصل على امتيازات ومنافع كالتي أشرنا إليها في المطالب أعلاه ويمناه : فإن الإنجليز لا يزاحمه فيها ، ولا يطلب من المخزن ما يقابلها على مقتضى الشروطات .

وأما الاسبنيول فإنه لم يسلم للفرنسيس في حقوقه في الغرب المبنية على المعاهدات

القديمة . وقد انتصر كل الإنتصار لجانب الغرب . وأعانته بقية الأجناس على ذلك . وآخر الأمر إلتزما معاً ـ أعني الفرنسيين والاسبنيول ـ على احترام استقلال مملكة المغرب ، وعدم مس أرضه بوجه من الوجوه ، وأعلنوا جميعاً ـ بوجه رسمي ليس فيه شك ـ بأنهما قد اتفقا والتزما الإلتزام الكلي باحترام مملكة المغرب واحترام السلطنة القائمة به ، وإذا حصل أحدهما على امتياز فللأخر أن يطلب ما يقابله ، انتهى .

فتحصل مما ذكر أن وجه الغصب قد وقع الإقرار والإلتزام بإبعاده وعدم استعماله بوجه من الوجوه ، ولم يبق بيد الفرنسيين إلا استعمال الخدائع والحيل والمكيدة : فتارة يتهدد ، وتارة يرشي ، وتارة يتذلل ، حتى يحصل على امتيازات ، ويبني في أرضنا حقوقاً تنمو بنمو الأيام ، إلى أن يعظم أمرها ، ويصعب فكها ، كما وقع ذلك في تونس ومصر ، حتى آل مئالهما إلى ما ترى ، فرج الله على المسلمين .

فمقتضى ما ذكر . وذلك نقطة من بحر الخديعة ومكر الكافرين : فإني نعرض على جنابك ـ بصفة الشاكي الباكي الحيران ـ هذا الحال ، لتنقذ مولانا من شبكات الخديعة والمكر ، فقد أحاطت به أناس لا يعرفون الله ولا الرسول ، يحسبهم الإنسان منا وهما منهم ، اللهم أكف المؤمنين شرهما .

هذا والمشورة واجبة بالكتاب والسنة والعقل ، ولذلك نطلب الله أن يلهم مولانا ويسرنا بجمع العلماء والآكابر ، ويعرض عليهم مطالب الافرنسيس كتابة ، وبعد النظر فيها والتأمل التام يجيبون عنها ، فما وافق مصلحة المسلمين يقبلونه . وما فيه ضرر يردونه بالتي هي أحسن .

ولا بد ثم لا بد ثم لا بد : أن يطلب سيدنا من نائب الفرنسيس بأن يقدم جميع مطالبهبالكتابة ،ولا يقبل أبداً أبداً أبداً : أي مطلب كان حقيراً أو جليلاً بدون كتابة .

والحذر كل الحذر ، والاحتراز كل الاحتراز : من الخوض مع نائب الفرنسيس فيما اتفق به مع الإنجليز أو مع الاسبنيول ، بل مهما تكلم نائب الافرنسيس مع المخزن في هذا الموضوع وذكر الاتفاق الذي وقع بينه وبين الجنسين المذكورين :

ألا ويجاب بهذه الكلمات الخفيفة على اللسان الثقيلة في الميزان :

إعلم أيها الباشدور : أن الدولة الفرنسية لما أرادت أن تتفق مع الإنجليز أولاً ومع الاسبنيول ثانياً : لم تطلب من المخزن أن يدخل في هذا الإتفاق . ولا أعلمته بمضمنه ، ولا طلبت منه المساعدة والموافقة عليه . فهذا الإتفاق كيفما كانت أهميته هو كالشيء المعدوم في نظر المخزن . وعليه فإن المخزن لا ينظر إليه ولا يقبله ، ولا يعتبره بوجه من الوجوه . وإنما الذي يلزم المخزن هو ما يقبله بطيب نفس منه ، ويتفق عليه بطابعه وخط يده رسمياً . فذاك هو الاتفاق الموافق للشرع والقانون . واجب تنفيذه ، لأن المؤمن إذا عاهد وفى ...

من وثائق نخبة مدينة سلا الغيور الوجيه السيد الحاج العربي إبن سعيد .

ملحق 60

رسالة عبد الحكيم التونسي . للتعريف بحقيقة التدخلات التي تطرحها بعض الدول على مؤتمر الجزيرة الخضراء ، مع الإشارة بالردود المغربية البديلة

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله .

قد كنت عرفتكم بطلب الفرنسيس بالقيام بمسئلة البوليس بمرسي طنجة والعرايش والرباط والدار البيضاء والجديدة ، وأما الصويرة وآسفي فسكوت عنهم ، وذلك لعلة ، لأن الألمان يقول : بأنه لا يقبل أن يكون غيره حارساً بالمرستين المذكورتين ، هذا على فرض توزيع الحراسة على الأجناس إذا رضي المخزن بذلك لا سمح الله ، وأما رأي الألمان في مسئلة البوليص هو أن المخزن يقوم بذلك بدون أدنى تداخل من طرف الأجناس بأي وجه . ليبقى مقام السلطنة واستقلال البلاد محفوظ ، حسبما اعترف بذلك جميع الأجناس ، نعم إذا ظهر للمخزن أن يجلب بعض الأنفار من أوروبا لترتيب البوليص المذكور على النسق الأوروباوي ، ويكون الأنفار المذكورون مختارون (كذا) من رعايا الأجناس الكبار أو الصغار على حسب نظر المخزن واختياره والمصلحة التي يراها لنفسه : فله ذلك ، وليس لجنس من الأجناس حق في التداخل في أمر ذلك لا من بعيد ولا من قريب . سداً لباب الذريعة ، وحسماً لمواد النزاع .

هذا كلام الألمان ولا أظنه يخرج عنه .

أما الفرنسيس فيقول : إن الغرب مجاور إليه ، ومديون له في أموال لها بال ، وإن المخزن قد قبل منه الإعانة في الأمور المالية والحربية ، واحتج في ذلك بمكاتيب السيد عبد الكريم إبن سليمان ، سيما المكتوب المؤرخ في 12 جمادي الأولى عام 1322 ، إلى غير ذلك من الحجج التي هي أو هي من بيت العنكبوت ، طالباً بمقتضى ما ذكر جعل البوليص بالمحلات المذكورة أولاً ثم بفاس ومراكش

تحت يده خاصة ، أو بمشاركة الأسبنيول والإيطاليان .

فلم يرض الألمان بذلك ، قابضاً في كلامه الأول ، وهذا حد الكلام بينهما إلى هذه الساعة .

أما نظري ونظرك ونظر كل مسلم : فإن المخزن لا يقبل أي تدخل من الأجناس في أمر الحراسة وحفظ حياة الأمة ، لا من قريب ولا من بعيد بأي صورة من الصور ، لأنه إذا تساهل بشعرة من نفوذه وسلطانه فإنه يفتح عليه باباً لا يسده إلا يوم القيامة ، أما جلب بعض الناس واستخدامهم بصورة اختبارية على أجل معلوم يرتبون فيه بعض الأمور حتى يفرج الله . ويرحم المخزن بمن ينصح إليه ويصادقه ويتقي الله فيه وفي المسلمين : فلا بأس بذلك .

أما البنك المالي فإني لم نر في تيسره وجهاً أبداً ، وكيفما كانت صورته فهي مضرة غاية ، ومخالفة للشرع المحمدي ، ومن كان على غير شرع فلا خير فيه ، والأولى والأنسب ـ بل الواجب علينا ـ هو خلاص الديون بأي وجه كان ، وقطع السرقات من المراسي ، حتى لا يبقى للأجناس قول . وأسباب تقوية مداخيل المخزن ومحصولاته كثيرة ، فليتأمل المتأمل في ذلك . وعوضاً عن جعل بيت مال المسلمين بيد النصارى ، وحصر معاش المسلمين وكسبهم ومنافع بلادهم في إرادة الغير : فقد تعين على المخزن ـ والحالة ما ذكر ـ أن يكلف من رعيته من ينظر في أسباب تقوية بيت المال بالطرق المعروفة عندنا ، أو المقلدة عن غيرنا ، وللمخزن أن يستعين ببعض آراء الأجانب العارفين بطرق الاقتصاد وتنمية الأموال بدون تداخل الأجناس ، كما هو جار في سائر الممالك .

وكذلك مسئلة ضرب السكة وتعديلها : فكان من الواجب جعل ذلك على يد أناس ثقات يأخذون حقهم ويتركون حق المخزن ، لا كما وقع في هذه السنين الأخيرة على يد بْرُنْزْويك من جهة ، وڤودش من جهة ، وهسنير من جهة ، ومكلين من جهة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولا أحد يغير المنكر ، فإلى متى ؟ والكفر قد أحاط بنا ، اللهم فرج علينا وإرحمنا .

وقد سمعت أيضاً وقرأت وتحققت بأن الأجناس قد اتفقوا كلهم على أن يطلبوا من المخزن تكليفهم بجميع أنواع الأشغال العامة : أعني خدمة المعادن والطرق وبناء القناطر وإصلاح المراسي ، وغير ذلك من المنافع التي تحتاجها البلاد .

والقصد بذلك هو وضع اليد على نتائج المملكة بحذافرها . يوزعون ذلك بينهم ، وحسب المسلم فيه النظر بعينه ، وأما الطعام ففي فم غيره .

وعليه : فالواجب المحافظة على ما بيدنا وعدم تفويته أو إعطاء شيء منه ، لتبقى منفعته عندما يتيسر لأهل البلاد وللمخزن .

وإذا ظهر للمخزن استخراج بعض النتائج أو إصلاح طريق أو مرسي من المراسي : فإنه يعلن بذلك لسائر الأجناس ، ولا ينفذه المخزن إلا بشروط . وبعد المنادات عليه وإشهار بيعه ينفذ لمن تقف عليه الزيادة ، ويقبل شروط المخزن . فهذه هي الصورة الوحيدة التي يكون عليها عمل المخزن ، كما هو الواقع في سائر الممالك ، وأما تداخل النصارى في أمورنا بدعوى الإعانة والمودة وحب الخير : فهي حبائل شيطانية قد أمرنا الله بالبعد عنها ، والويل لمن خالف كلام الله وأتمن من أشرك به .

وقد كنت كاتبتكم في شأن الصندوق الخاص الذي طلبه الأجناس بإشارة نائب الإنجليز ، لوضع زوايد الأعشار التي وافقوا عليها تحت نظرهم ، ثم صرفها – على يدهم – فيما يعود عليهم أو علينا نفعه ، ونبهتكم لما في ذلك من الضرر العظيم ، لكونه يفتح علينا باب المراقبة الأجنبية ، وينقص – في نظر الأمة – من عظمة السلطنة وحقوق الملك المستقل ، إلى غير ذلك من المضار والإهانات التي لا حصر لها ولا حد . فلتتأمل في ذلك ولا تغتر بأحد .

فليكن جواب المخزن على مسئلة الصندوق الخاص : بأن المخزن لا يقبل تداخل الغير في أمور بلاده . ولا يرضى بمراقبة الأجناس لأمواله . نعم إذا ظهر للأجناس أن يبينوا للمخزن بعض المنافع العامة والإصلاحات التي تلزم بالمراسي : فإن المخزن يتأمل فيها بعين الاعتبار . والذي يقبله من تلك الإصلاحات فإنه يأمر بتنفيذه لا محالة . وينفذ .

وعلى كل حال إذا لم يرض الأجناس بهذا الجواب وتعللوا : فإن المخزن يرد عليهم تلك الزوايد ولا يقبلها منهم . وينفذ ما يقدر عليه من الإصلاحات في بلاده من ماله الخاص . إلى أن يظهر ما يكون ، فإن غالب الأجناس إذا رأوا المعقول والجد من المخزن ورجاله : يتركون التعصب والتعنت للحصول على ما يفيد الجميع .

وأما تداخل الأجناس في أموال الدولة ووضع يدهم عليها أو على البعض منها بواسطة أو بغير واسطة : فذلك لا يكون ولا يقبله المخزن بوجه من الوجوه ، ولا يسمعه منهم . لأنه يمس بحقوق السلطنة . ويؤدي إلى ضياع الملك والمملكة .

وقد تأملت فيما عرضه الألمان والفرنسيس في ما يخص بالبنك المالي ووجدتهما لا يصلحان لصالحة ، فالفرنسيس أراد أن يدخل بالثلث في رأس مال البنك ، والباقي يوزع بين الأجناس ، وتصرف البنك يكون على مدة قدرها خمسة وثلاثون سنة ، يقوم فيها البنك المذكور بسائر مداخيل المخزن وخارجه بشروط هي مقررة عندكم ، لا تستحق أن تسمع فضلاً عن أن يقبلها المخزن ، لأن في قبولها الدخول تحت الحجر لأجل لا يعلم حده إلا الله تعالى .

وأما الألمان فيطلب أن البنك يكون تحت نظر جميع الأجناس ، ورأس ماله يقوم به كل الأجناس ، والمدة تبتديء بخمسين عاماً : أعني لا نهاية لها ، وأعمال البنك المذكور هو قبض مدخول الدولة وصرفه في المصالح العامة على يدهم ونظرهم وبموافقتهم ، إلى آخر ما تعلمه .

فتأمل بارك الله فيك ، فإن الحياة على يد النصارى ممات .

وعلى كل حال إذا تعين ولزم وتحتم جعل البنك بالمغرب لتعديل السكة : فليكن البنك المذكور مغربي صرف : أعني أن رأس ماله يقوم به المسلمون ، وذلك سهل ، والمخزن يعين لضبطه والقيام به من له خبرة بأمور التجارة وقلب الأموال من ثقات المسلمين ، ولا بأس إذا استعانوا ببعض النصارى على ترتيب البنك وتحسين إدارته بكيفية تقرب من بنوك أوروبا ، فإنه ـ إذ ذاك ـ يكون بنكاً مغربياً بالإسم والمسمى ، وأما جعل البنك بالنصارى وعلى يدهم : فذاك هو عين الضرر والهلاك ، فتأمل ولاتغتر .

وقد سمعت بأن المخزن قد عرض على الأجناس صورة عن جعل البنك ، إن شاء الله تكن موافقة لما ظهر لي .

والسلام في 3 محرم عام 1324 .

عبد الحكيم المزوغي

ومنه الذي يظهر أن الألمان والفرنسيس لا يتفقان : لا على البنك ولا على البوليص ، ويبقى الأمر كما كان ، وما شاء الله كان .

. محفوظات قسم الوثائق في المكتبة العامة بتطوان : محفظة 10/67 .

ملحق 61

رسالة الشيخ المهدي الوزاني
إلى الشيخ محمد عبده

« الحمد لله . وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

« سيدنا الإمام ، الدراكة الهمام ، المتبحر مفتي الأنام . القائم بشريعة الإسلام ، الحائز قصب السبق ، في الفضل والتقدم والمجد ، الأستاذ مفتي الديار المصرية أبوعبد الله سيدي محمد عبده . سلام على سيادتكم ورحمة الله .

« أما بعد : فالمقصود الإعلام بأننا على محبتكم وودادكم وإن لم نركم بالأبصار ، لكن نرجو الله تعالى بفضله أن يجمعنا بكم في هذه الدار ، وقد أخبرني عن سيرتكم ومحاسنكم صاحبنا وحبيبنا الفقيه الوزير العلامة الأسعد ، البركة الفاضل الأمجد ، أبو عبدالله سيدي محمد القباص الفاسي وزير الحرب الآن الذي كان سفيراً بالجزائر قبل هذا الوقت ، وإن كان لم يتلاق معكم أيضاً هناك وقد تأسف على ذلك . وجاءه خبركم وهو بوجدة فرجع سريعاً إلى الحزائر بقصد ذلك فلم يلحقكم هناك ، وإن كان تلاقي معكم نجله المبارك الميمون سيدي محمد لكنه لم يكتف بذلك ، ولا زلنا جميعاً نرجو الله تعالى أن يجمعنا بسيادتكم على أحسن حال ، بجاه النبي والآل .

« ثم أنه كان سألني بعد قدومه من الجزائر عن ذبيحة أهل الكتاب فأجبته بما قاله الإمام ابن العربي وغيره من حليتها ، وقد كانت وقعت فيها بفاس مذاكرة قبل هذا الوقت فكتبت فيها جواباً بذلك ، فإذا به جاءتنا جريدة من محروسة فصر فيها فتواكم عن ثلاث مسائل ، فأعجبتني وسررت بها غاية السرور ، وضمنْتُها كتاباً لي في النوازل لحسنها ، ثم لما رأيت في تلك الجريدة نفسها كلاماً لبعض المارقين من الدين اغتظت لذلك ، وعزمت أن أوجه لكم بعض ما كنت قيدته فيها من كلام الأئمة المهتدين ، فشاورت في ذلك الوزير المذكور ، فحث عليّ في تقديم إرساله على جميع الأمور ، وأعجبه ذلك مظهراً به غاية الفرح

والسرور . ومسلماً عليكم أيضاً وطالباً صالح أدعيتكم في خلواتكم وجلواتكم .
والسلام ـ 14 ذي القعدة الحرام عام 21

المهدي الوزاني بفاس

مجلة « المنار » ج 24 مجلد 6 ص 927–928 .

الفصل الثاني

نماذج من تصاعد الشعور الوطني

تبينا من الفصل الأول المنافذ المنوعة التي انبثق عنها تزايد الشعور المغربي الحديث ، وفي هذا الفصل الثاني ينتهي بنا المطاف إلى عرض النماذج الأولى لمعطيات هذه اليقظة .

ونشير ـ أولاً ـ إلى بدء توافر قراء الصحف بين المغاربة ، وقد كانت « المنار » من بين المجلات التي عرفها مغرب هذه الفترة[1] .

أما الجرائد الشرقية فمنها « الأهرام » و« الوطن » البيروتية ، و« اللواء » ، و« المؤيد » .

ومن صحف تونس : « الرائد » ، و« الصواب » ، و« الحاضرة » ، و« إظهار الحق » .

ومن الجزائر : جريدة « كوكب افريقيا »[2] .

---

1 ـ يذكر الشيخ محمد رشيد رضا : أن « المنار » يرسل ـ من أول نشأته ـ إلى وزير خارجية المغرب الأقصى وغيره من كبراء البلاد ، مجلة « المنار » : المجلد 6 ج 14 بتاريخ الأربعاء 16 رجب 1321/7 أكتوبر 1903 : ص 609 .

2 ـ يستفاد رواج هذه الجرائد من إشارات ترد ببعض فصول الباب الذي نحلله ، وبالنسبة إلى جريدة « اللوا » : كان من المعجبين بها الفيلسوف الرافعي محمد بن أحمد الأزموري ثم الجديدي ، فينوه باستقرار موضوعاتها في ستة فصول لا تتخلف أبداً ، ويشيد بمديرها ، ويذكر ـ إلى جانبه ـ أسماء أعضاء إدارة الجريدة =

وقد كان للجرائد 3 ، 4 ، 7 ، 8 ، 9 : مراسلون مغاربة ، فضلاً عن بعض كتاب المقالات ، ومنهم الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الذي كتب بالمؤيد والحاضرة التونسية ، وكتب بالمؤيد ـ أيضاً ـ القاضي عبد الحفيظ الفاسي .

ويذكر عن صحيفة المؤيد بالخصوص . أنها لم تكن مقرؤة من جهة المهتمين فحسب ، وإنما انتقل صداها إلى نفوس الأعيان المغاربة من غير المثقفين ، لا سيما الذين زاروا القاهرة للتجارة أو في طريق الحج ، وقد كان بعض هؤلاء الأعيان ، تحدث عن مناقشة حادة بين جريدتي المؤيد والمقطم في مسائل تتعلق ببعض شؤون المغاربة المقيمين في مصر .

بينما كان آخر من المنوه بهم يتحدث عن الشيخ علي يوسف وجريدته المؤيد بإعجاب كبير ، ويسرد جملاً من مقالات له في مسائل وطنية

أما جريدة اللواء فكانت ـ هي الأخرى ـ تقابل من الوطنيين المغاربة بتقدير وإعجاب بها وبمديرها مصطفى كامل ، ومن الطريف في هذا الصدد ، أن بعض أدباء فاس ـ وهو محمد بن يحيى الصقلي ـ رأي رسم صاحب اللواء مصوراً على مروحة ، فكتب عليها هذه الأبيات :

أنظر ترى رسم الذي شرفت به
مصر وحازت أعظم القربات
هو مصطفى فخر السياسة عزها
بحر المعارف كامل الآيات
أمعن ترى الإخلاص منبعثاً به
وترى الفضيلة والنهي بالذات
من كان يرجو للمواطن عزها

الأربعة ، وهو يفتتح عرضه بتقديم مصطفى كامل باشا في تقدير عال : « الفيلسوف في السياسة ، العظيم الشأن في كمال الإيمان ، والرفيع المقام في الغيرة الشديدة ، وثبات الجأش ، وقوة العزيمة ، رجل الدنيا ووحيدها على صغر سنه » حسب كناشة الرافعي خ . ع . ك 1198 ص 71-72 .

3 ـ محمد علال الفاسي : « نظرات في تاريخ الصحافة المغربية وتطورها » : جريدة « العلم » : عدد ممتاز بتاريخ 20 رجب 1391/11 سبتمبر 1971 ـ ص 9-10 .

ويروم أن تعفـــى من الآفـــــات

فليقتفـــي أثـــراً لــــه ولينتهـــــي

بنهاه نعــم تشـرف بصفـــــــات [4]

وبالنسبة لوفرة قراء بعض الجرائد المحلية ، نبرز إشارة وردت في جريدة « السعادة » عام 1908/ ، ومن المعروف أن هذه كانت مذبذبة في خطتها ، ومع ذلك تصاعد عدد قرائها بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء ، فارتفع عدد المشتركين فيها إلى 1025 مشتركاً [5] .

ومما يشير لهذه الحقيقة قول مؤلف « مفاكهة ذوي النبل والإجادة » [6] وهو يرد على مدير هذه الصحيفة : « وليعلم مديرها أنه ما كان يحمل الناس على التهافت على دفع الاشتراكات فيها ، والشوق إلى مطالعتها ... » .

وهذا مشهد آخر ، يرسمه ترحيب بعض شعراء الشباب بظهور صحيفتين عربيتين بمدينة طنجة ، وهكذا فإن محمد بن إدريس بو عشرين ، يستقبل صدور جريدة « الصباح » بهذه القطعة ، التي يحيي فيها ـ أيضاً ـ محرر الصحيفة : وديع كرم اللبناني :

ضوء الصبـــاح هو الدليـــل لمن ســـــرى

وبأمنه قد يحمـــــد القـــوم الســــــرى

فـــالليـــل بارح قطـــرنا بمســــــــائـــه

لما تنفس واستنـــــار بــــه الـــــــــورى

إن الجرائــــد في الديــــار فضيـــــــــلة

وأجلها هــــذا الصبــــاح كمـــــــا أرى

---

4 ـ مجموعة من إنتاج محمد بن يحيى الصفلي : شعره وقليل من نثره ، سجلها ـ بخطه ـ في دفتر بخزانة خاصة : ص 5 .

5 ـ زين العابدين الكتاني : « الصحافة المغربية » 1/233 : تعليق .

6 ـ إسمها الكامل : « مفاكهة ذوي النبل والإجادة . حضرة مدير جريدة السعادة » لمحمد عبد الحي الكتاني : المطبعة الحجرية الفاسية 1326 هـ : ص 35 .

إنشـاؤه لنصـائـح ومصـالـح
ستفيـد جملتهـا المدائـن والقـرى

أخبار أقطـار البسيطـة فيـه قـد
وجـدت وكـل الصيد في جوف الفـرا

فهو المسامـر لـلأديب وعونـه
وهو السياسي في الأنـام لمـن درى

أو ديع أنسـت البـلاد وأهلهـا
وأنلتهـا كـرمـا بما فاق القـرا

فاهنـأ بإنشـاء الإدارة وليـدم
مسعاك مـا دام الصبـاح منـوراً

وإلى جانب هذه التهنئة الصادرة من الحاج محمد بو عشرين ، ينبري السيد عبدالله القباج : « الشاعر المطبوع » ، فيحيي ـ بدوره ـ جريدة الصباح ومحررها

إن الصبـاح إذا تبـدى نـوره
بيـن الـورى يغنـي عـن المصبـاح

وكـذا الصبـاح أتـى فأغني النـاس عـن
كل الجرائد وارتـدى بنجـاح

وعلى م لا يغني الـورى ومديـره
من آل أكـرم عالـم جحجـاح ...

هـو معجـز البلغـاء يافعـة الحجـا
لكنـه يصبـو إلى الإصـلاح

شعـراء طنجـة كلهـم قد أنصفـوا
لمقالـه وأتـوه بالأمـداح

منهـم أبـو العبـاس أحمـد حسبنـا
والشـاعر المشهـور بالـدحـداح

أبشـر أيا رب الصبـاح بكـل مـا
ترجـوه مـن خير ومـن أربـاح

فلقـــد أتيـــت بما نحـــب ونرتجـــي
ولقـــد أتيـــت البـــاب بالمفتـــاح[7]

ولما ظهرت جريدة « لسان المغرب » ، حياها محمد بو عشرين المنوه به بقصيدة يقول في مطالعها :

وفدت تنـاضل عـن حقـوق الأعـرب
حسنـاء أفصحهـا « لسـان المغـرب »
تختـال في حلـل المـلاحة والسنـا
وتجـر ذيـلاً فـوق برج الكوكـب
مدنيـة المبنـى عريقـة ثـروة
بدويـة المعنـى تعـد بتغلـب[8]

وإلى هنا : فقد قدم هذا العرض بضعة أمثلة لشيوع قراءة الصحافة بين نخب من المغاربة ، وإضافة لذلك نجد مؤشراً لوجود بعض قراء الجرائد بين الأوساط الشعبية ، وذلك ما نستشفه من قصيدة زجلية وهي تنكث على فرنسا إبان حرب الشاوية ، حيث سيرد نصها عند ملحق للباب 12 رقم 81 ، وفيها يقول الزجال عبد الهادي بناني :

أَشْحـالْ ما خوفْنـا لكـوازْطـي فجـرنان
كـلامْ مردودْ عْليـه أُبِـهْ مارْضِينـا
كلْ جمعاياتي بَجْريدتـوا الخـوان
بْشِي خْبايَرْ شلّا رِيناوْلادْ رينـا

* * *

وننتقل ـ بعد هذا ـ إلى تقديم نماذج أخرى من ملامح هذه اليقظة المغربية الناشئة ، وفي هذا الصدد نسوق المبادرة التالية التي يرويها السيد محمد رشيد رضا :

7 ـ القصيدتان ـ معاً ـ في « إحدى كناشات » أحمد بن محمد النميشي : خ . ع ، ك 351 .

8 ـ جريدة « لسان المغرب » عدد 5 بتاريخ 23 محرم 1325/8 مارس 1907 ص 2-3 : في قصيدة أوردت الجريدة منها 15 بيتاً .

« كان بعض وزراء السلطان العزيز كتبوا إلى صاحب المنار ، يرغبون أن يختار لهم رجلاً مصلحاً يجمع بين العلوم الشرعية ومعرفة السياسة والإدارة ، حتى يستعينوا به على إقناع السلطان بإصلاح البلاد وفق المنهاج الذي تدعوهم إليه مجلة « المنار » المرة بعد المرة ، وقد أطلع هذا أستاذه محمد عبده على العرض المغربي ، فجنح الشيخ الإمام للذهاب إلى المغرب بنفسه ، ولكنه أيقن أن التدخلات الأجنبية تحول دون ذهابه وإقامته هناك ، سيما وجماعة السلطان يطلبون أن يكون الأمر سراً ، وهنا اختار صاحب المنار أن يكلف بهذه المهمة السيد عبد الحميد الزهراوي ، فلم يتيسر إرساله »[9] .

وعن الشعور الوطني في أوساط كبار التجار بفاس يذكر محمد الحجوي :

أن منزل كل تاجر نابه كان منتدي من منتديات الأدب والسياسة ، فتجد فيه جرائد ومجلات الشرق والغرب ، وكل كتاب حديث في الاجتماع أو الاقتصاد أو غيرهما[10] .

وبعد هذه الطبقة من التجار ، نشير إلى ظاهرة انتشار الوعي ـ في بعض الجهات ـ بين طبقات الحرفيين والعامة بصفة واسعة ، وهو ما نستنتجه من مراسلة صادرة من فاس إلى جريدة « لسان المغرب » ، حيث وردت فقرة المراسل في تعبير تطبعه الأنانية ، غير أننا لا نرى بداً من إثباته حتى نقرأ فيه دلالته الواعية التي نستشفها من هذا المساق :

« ... وقد لاح لي أن بعض الجهال الذين لا يعرفون الكوع من البوع ، من مثل مكاري وحمال ومطرب ، وهمجي من البادية القاصية : يحاول أن يخوض في بحر السياسة ، زاعماً أنه ـ بجودة رأيه ووفرة معرفته ـ ينتقد انتقاداً مصيباً ، قائلاً : إن الأمر الفلاني خطأ ، ولو كان كذا لأنتج كذا ، وهكذا نراه يصوب الخطأ ، ويخطيء الصواب ، فلا حول ولا ، وإني أرى هذه العادة آخذة بالتفشي بين طبقات أو طيء العامة ... » .

---

9 ـ محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده » 870/1 .

10 ـ محمد الحجوي : « مختصر العروة الوثقى » ص 19 .

27 ـ مصورة لبعض اجوبة علماء فاس ضداً على ما نشرته عنهم جريدة «كوكب أفريقيا».

وقد نشرت هذه المراسلة بالجريدة المشار لها عند العدد المؤرخ في 6 ربيع الأول 1325 ، الموافق 19 أبريل 1907 ، ومن هذا التاريخ نقفز إلى 6 ذي الحجة 1908/1325 ، وهو التاريخ الذي تحمله رسالة من السلطان العزيز في موضوع الثورة التي قامت ضده بفاس ، حيث تبرز الدور الحاسم الذي كان للحرفيين والباعة في هذه الانتفاضة ، حسب نص هذه الرسالة الذي سيرد بالملحق رقم 62 . تضاف له رسالة في الموضوع ذاته بتاريخ 8 حجة 1325 ، حسب الملحق 63 .

وهذا نموذج أخير في هذا العرض ، وهو يقدم مثالاً من ترصد طبقة المهمتين ، لما ينشر عن المغرب – في الخارج – من أخبار ملفقة ، فيبادر المعنيون بالأمر بالرد على الإشاعة المغرضة وتكذيبها وتسفيه مروجها .

ومن ذلك جريدة « كوكب افريقيا » التي كانت ترتبط بالولاية العامة بالجزائر . فقد نشرت في عددها المؤرخ في 10 ذي القعدة 1907/1325 خبراً مفاده أن السلطان العزيز ، استفتى علماء فاس في الإستعانة بدولة أجنبية على تنظيم البلاد وتهدئتها ، فزعمت الصحيفة القسنطينية أن هؤلاء أجمعوا على افتاء السلطان بجواز هذه الإستعانة .

وهنا وجه بعض أعيان فاس استفساراً لعلمائها ، ليثير انتباههم لما ينشر عنهم ، ويطلب بيان حقيقة الواقع ، فكتب العلماء تكذيباً قاطعاً لما اختلقته جريدة كوكب أفريقيا ، مؤيدين ردهم بالحجج والنصوص ، ودونوا ذلك في شكل أجوبة متتابعة حررها زمرة من فقهاء فاس : كل واحد يكتب جوابه وإمضاءه على حدة ، أولهم المفتي الشيخ العباس بن أحمد التازي ، وبينهم المفتي الشيخ محمد المهدي ابن محمد الوزاني ، الذي نثبت جوابه فيما يلي :

« الحمدلله مخيب آمال المرجفين ، القائل : « فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين ، والرضى عن آله الأطهرين ، وصحابته الأكرمين .

وبعد : فغير خاف على الكبير والصغير ، والغبي الجاهل والنحرير ، أن ما اجترمه صاحب جريدة (كوكب إفريقية) : من نسبته إلى العلماء الإفتاء بجوار الإستعانة

ـ على قتال الرعية ـ بالأجانب ، إنما هو من الافتراء المحض ، والتمويه الكاذب ، قال الشاعر :

لا يكـــذب إلا مـــــن مهانتـــــــــه
أو عـــــادة الســـوء أو مـــــن قلـــة الأدب
فكـــذبـــــة المــــرء عنــــدي أنتـــــن مـــــن
جيفــــة الكــلــــب في جد وفي لعـــــب

فيجب الإعراض عن ترهاته ، وعدم الإصغاء إلى زخارفه وخرافاته ، إذ المسألة من الشهرة بمكان ، مبسوطة في المختصر والشراح يعرفها أصاغر الولدان ، وهي قوله : « وحرم استعانة بمشرك » . أي على الكفار ، فأحرى أن لا تجوز الإستعانة به على المسلمين ، والمراد بالمشرك الكافر أياً كان كما في الزرقاني .

وقد كشف العلماء أعلاه ـ رضي الله عنهم ـ عن أكذوباته ، وفضحوا ما أخفاه من دسائسه وعدواته ، فأتوه بحجج على اختلاقه ، وبنصوص على موضوعاته ، هي لظهره فاقرة ، ولبطنه باقرة ، ولأذنيه واقرة ، ولقفاه ناقرة ، ولساقية عاقرة .

ولما لم يبد لما اختلقه مستند ، ولا ظهر لضلاله وافترائه معتمد ، قلنا فيما كتبوه أعظم كفاية ، إذ التطويل مفض إلى الملل والسئامة ، والله ـ تعالى ـ المنقذ ـ بفضله ـ من الضلالة » .

ويبرز جواب القاضي محمد بن رشيد العراقي أبعاد الحمية الوطنية الإسلامية التي تحلت بها جماهير المؤمنين بفاس وغيرها . وهم يترصدون جواب العلماء عما نشرته عنهم « كوكب إفريقية » ، وهكذا يقول قاضي فاس العليا ضمن جوابه :

« ... ولما وردت جريدة سؤالكم ، وسمعت بها جنود الله وأنصاره وحماة دينه : من الأشراف وقبائل العرب والعجم . والمدن والقرى والسفراء « كذا » :

حملتهم الغيرة الإسلامية ، والحمية الإيمانية ، وتجدد لهم نور الإيمان ، وأشرق عليهم شعاع الإيقان ، وفدوا على العلماء متسلحين ، ولنصرة الدين قائمين ،

ولحزب رسول الله ناصرين .

فمن قائل يقول : سترون ما أصنع عند اللقاء .

ومن قائل يقول : ليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن المنافقين .

ومن قائل يقول : إن العلماء إن خانوا الله ورسوله فيحذرون ويقتلون .

فلما أيقنوا بمحافظتهم على الشريعة والمنهج القويم ، راعته (كذا) نفوسهم ، واطمأنت قلوبهم ... » .

وقد دونت ردود العلماء في هذه النازلة بكراسة مخطوطة كانت في خزانة خاصة بسطات ، حيث ورد ذكر الأعلام المتصدين للرد على هذا الترتيب :

- الشيخ العباس التازي .
- الشيخ أحمد بن الخياط .
- الشيخ عبد السلام الهواري .
- الشيخ عبد الرحمن بن القرشي .
- عالم لم يذكر اسمه .
- الشيخ محمد بن رشيد العراقي .
- الشيخ محمد المهدي بن رشيد العراقي .

فهؤلاء سبعة ، يضاف لهم الشيخ المهدي الوزاني ، وجوابه ضمن ورقة مخطوطة من المكتبة الأحمدية بفاس .

ملحق 62

رسالة من العزيز إلى القائد بمدينة العرائش
تبرز دور الحرفيين والباعة في الثورة الحفيظية بفاس

خديمنا الأرضي : القائد بو سلهام أمجاو وأهل العرائش كافة ، وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فإن الرعاع من دباغة أهل فاس وخرازتها وحاكتها وباعتها : قد صدر منهم طيش أدى إلى شقهم العصا ، والخروج عن طاعة المخزن ، وتغلبهم على ذوي المرؤة والدين من أهل البلد .

وأعلمناكم ليلاً يستفزكم ما صدر من أولائك الرعاع والباعة ، ولتثبتوا على ما أنتم عليه من السمع والطاعة ، فإن ما صدر منهم كسحابةصيف ، عما قريب تقشع ، ونحن ـ بحول الله ـ جادون في علاج أمرهم ، وتقويم أودهم ، إن شاء الله .

والسلام ، في 6 حجة الحرام ، عام 1325 .

من وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق . سنة 1976 : رقم 23 ق . ك : وثائق .

ملحق 63

رسالة من العزيز إلى خليفة القائد بطنجة
تبرز دور الحرفيين في الثورة الحفيظية بفاس

خليفة وصيفنا القائد قدور بن الغازي بطنجة . أمنك الله . وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فإن الرعاع أهل فاس . وهم دباغتها وصباغتها وفحامتها وخرازتها : تغلبوا على أهل فاس وصلحائها وعلمائها ، وشقوا العصا . وخرجوا عن طاعة المخزن جهراً . وبدلوا نعمة الله كفراً .

فاثبتوا على ما أنتم عليه من السمع والطاعة ، ومتابعة الجماعة . ولا يستفزنكم هذا الأمر . فإنه كسحابة صيف ، فإنها عن قريب تقتلع ، ونحن جادون في علاج أمرهم ، وتقويم أودهم : بما لم يكن يخطر لأحد منهم ببال .

والسلام ، في 8 حجة الحرام ، عام 1325 .

من نسخة للرسالة ضمن دفتر في خزانة خاصة .

28 ـ مصورة عرائض فاس ضد سياسة السلطان العزيز

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم [illegible]

[illegible]

1. [illegible]
2. الشريف مولاي اسماعيل [illegible]
3. [illegible]
4. [illegible]
5. [illegible]
6. [illegible]
7. [illegible]
8. [illegible]
9. [illegible]
10. [illegible]
11. [illegible]
12. [illegible]
13. [illegible]
14. [illegible]
15. الشريف سيدي عبد الجليل [illegible]
16. [illegible]
17. [illegible]
18. [illegible]
19. [illegible]
20. [illegible]
21. [illegible]
22. [illegible]
23. [illegible]
24. [illegible]
25. [illegible]
26. [illegible]
27. [illegible]
28. [illegible]
29. [illegible]
30. [illegible]
31. [illegible]
32. [illegible]
33. [illegible]
34. [illegible]
35. [illegible]
36. [illegible]
37. [illegible]
38. [illegible]
39. [illegible]
40. [illegible]
41. [illegible]
42. [illegible]
43. [illegible]
44. [illegible]
45. [illegible]
46. [illegible]
47. [illegible]
48. [illegible]
49. [illegible]
50. [illegible]
51. [illegible]
52. [illegible]
53. [illegible]
54. [illegible]
55. [illegible]
56. [illegible]
57. [illegible]
58. [illegible]
59. [illegible]
60. [illegible]
61. [illegible]
62. [illegible]
63. [illegible]
64. [illegible]
65. [illegible]
66. [illegible]
67. [illegible]
68. [illegible]
69. [illegible]
70. [illegible]
71. [illegible]
72. [illegible]
73. [illegible]
74. [illegible]
75. [illegible]
76. [illegible]
77. [illegible]
78. [illegible]
79. [illegible]
80. [illegible]
81. [illegible]
82. [illegible]
83. [illegible]
84. [illegible]
85. [illegible]
86. [illegible]
87. [illegible]

103	102	101	100	99	98	97	96
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

111	110	109	108	107	106	105	104
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

120	119	118	117	116	115	114	113	112
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

ثم ... والدافر حوله [illegible]

الحمد لله ... [illegible] ... الكلمة ... البركة ... انقطاع ... [illegible] ... الجماعة ... [illegible]

... [illegible] ... يجب له ذلك ... وفي التاريخ [illegible]

[illegible]

الحمد لله بعد ما وقع سؤال من ذكر أعلاه من أهل قاسم ... عقب السؤال أعلاه ... وأعلاه ... عنهم ... أهل قاسم ... [illegible]

... [illegible] ... أعلاه ... [illegible]

الله عليهم ... [illegible] ... أعلاه ... [illegible]

[illegible]

الحمد لله ... [illegible]



(نسخة 1)

الحمد لله منزل الغيث بالتيسير وناشر الرحمة باليمن والنفع ... والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ... وعلى آله وصحبه ...

بعد حمد الله ... [illegible]

[illegible]

الفصل الثالث

مواقف القوى الشعبية
ضدا على التدخلات الأجنبية

بعد الإتفاق الودي سنة 1904 : تصاعدت ـ أكثر فأكثر ـ أزمة استقلال المغرب وتماميته ، فبدأت القوى الشعبية في البلاد توحد صفوفها ، وبرز للميدان نخب من العلماء والأشراف وشيوخ الزوايا ، ومعهم جماعات من التجار والحرفيين ، وثلة من الشباب .

وكانت المآسي التي منيت بها البلاد في هذه الفترة : فرصة حافزة لإعلان جماعات من ذوي الغيرة الوطنية عن مواقفهم ضداً على التدخلات التوسعية ، ولنتأكد من آثار هذه اليقظة نعرض النماذج التالية .

1

علمت النخبة المغربية في فاس باعتزام السفير الفرنسي على تقديم مذكرة المطالب التجديدية ، فظهرت في صفوف العلماء والأشراف ورؤساء الزوايا حركة معادية لسياسة فرنسا ، واجتمع هؤلاء بالسلطان وحذروه من المشاريع الفرنسية ، وحثوه على عدم قبول التدخل أو الإشراف الأجنبي ، وبينوا للعزيز أنهم لا يعترضون على بعض الإصلاحات ، ولكنهم ألحوا على وجوب القيام بها

بالإستعانة بمسلمين شرقيين : أتراك ومصريين ، ممن لهم إلمام بالحضارة الأوربية ...[1].

2

وعندما احتلت الدار البيضاء بعد وجدة : دعا السلطان إلى اجتماع للتداول في قضية الساعة ، فحضر إلى دار المخزن - بفاس الجديد - العلماء والأعيان ، ولم يحدد المصدر المعني أسماء الأعيان الحاضرين ، وذكر أسماء العلماء على هذا الترتيب :

الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني .
الشيخ (عبد الرحمن) ابن القرشي .
القاضي (عبد السلام بن محمد) الهواري .
الشيخ (أحمد بن محمد) ابن الخياط .
الشيخ المهدي (ابن محمد) الوزاني .
الشيخ (محمد) ماني الصنهاجي .
الشيخ العباس (بن أحمد) التازي .

وبعدما افتتح الجلسة رئيس الوزراء ، وقف وزير الخارجية وألقى خطاباً حلل فيه واقع الاحتلال للمدينتين ، وطلب - في الختام - من العلماء إعلان موقف الإسلام من الأزمة .

وهنا قاطعه الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ، وجاهر بالدعوة إلى الجهاد لاستنقاذ البلدتين من الاحتلال ، وأيده في ذلك الفقيه ماني الصنهاجي ، دون أن يعلن بمعارضتهما بقية الحاضرين من العلماء[2] .

---

1 - المسألة المغربية ص 254 .

2 - جريدة « السعادة » 8 رجب 1325/17 غشت 1907 .

مع « الدولة العربية المتحدة » 2/302-303 ، حيث أثبت هذا المصدر فقرة مطولة من بيان وزير الخارجية ، غير أنه أشار للشيخ الكتاني بوصف قاضي القضاة .

وبلغ العمل الوطني ذروته في فترة الدعوة الحفيظية . ويهمنا من هذه الفورة الشعبية أنها فجرت الشعور الوطني بكل من مراكش وفاس . وظهر في العاصمتين اعتراضات علنية ضد السياسة المتبعة . وفي فاس رددت أصداء الانتقادات عرائض عزل العزيز . وهي مذيلة بعشرات التوقيعات من طرف الممثلين لكافة أحياء القاعدة الإدريسية [3] .

وقد نددت هذه الوثائق بالسياسة العزيزية في مختلف تصرفاتها . حتى أفضى الحال إلى ضياع إقليمي توات وفكيك . واحتلال عيون بني مطهر ومدينتي وجدة والبيضاء .

وإلى هذه العرائض برز التنديد بسياسة السلطان وحكومته في أوضاع واكبت هذه الانتفاضة . وظهرت في شكل مؤلفات صغرى . أو قصائد فصيحة وزجلية [4] .

ثم توجت الثورة الشعبية بشروط بيعة السلطان عبد الحفيظ بفاس [5] . وهي التي اقترحها الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني [6] . وتبناها ـ بالموافقة عليها ـ كافة الممثلين للرأي العام الفاسي الموقعين على البيعة .

---

3 ـ هناك كتاب بعنوان « لحظات القلوب ... » . تأليف محمد المأمون بن محمد الفاضل بن محمد الحسني الإدريسي الشنجيطي . نشر منه الجزء الأول في المطبعة الجديدة بفاس 1348 هـ . فتوجد به ص 96ـ107 : نصوص الوثائق الصادرة عن فاس بخلع العزيز . مع إرفاقها بمصورات للنصوص الأصلية .
ومن الجدير بالإشارة أن أصول هذه المصورات توجد في قسم الوثائق بالمكتبة العامة بتطوان : محفظة 1/136 .

4 ـ للمؤلفات الصغرى مسرد عند التعليق الثالث الذي يذيل هذا العرض . بينما تأتي نصوص القصائد ضمن ملحقات الباب 12 .

5 ـ ورد نص هذه البيعة عند محمد التهامي بن عبد القادر السوسي المكناسي في رسالته : « غنية الأنجاد في مسائل الجهاد » . مخطوطة خ . م 12313 : ص 92ـ99 .
ثم عند إبن زيدان في « إتحاف أعلام الناس ... » 1/449ـ453 .

6 ـ عن اقتراح هذه الشروط يرجع إلى محمد الباقر الكتاني : « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » . مطبعة الفجر بالرباط : ص 200ـ201 .

1 – ومن هذه الشروط حسب تعابيرها وترتيب عرضها : رفع ما أضر بالأمة من الشروط الحادثة في الخزيرات . حيث لم توافق الأمة عليها ولا سلمتها ...

2 – استرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية .

3 – إخراج الجيش المحتل من المدينتين التي احتل بهما .

4 – تطهير الرعية من دنس الحمايات .

5 – عدم اتباع إشارة الأجانب في أمور الأمة .

6 – إن دعت الضرورة إلى اتحاد أو تعاضد فليكن مع المسلمين : كئال عثمان وأمثالهم من بقية الممالك الإسلامية المستقلة .

7 – إذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سياسية أو تجارية : فلا ينبرم أمر فيها إلا بعد الصدع به للأمة .

ولا تزال لائحة هذه الشروط طويلة ، غير أن المعروض منها نستخلص منه أن عقد البيعة جاء بمثابة برنامج يتجاوب مع أماني النخبة الوطنية :

فتتشبث الوثيقة بالمحافظة على استقلال البلاد وتماميتها .

ولا تعترف بالشروط التي تمس هذا المبدأ .

وتعتبر الأمة مصدراً للسلطة في السياسة الداخلية والخارجية ، وهي فقرة تشير للمطالبة بالملكية الدستورية .

ورابعاً : ترفض الإستعانة بالأجانب ، وتتوجه – عند الاقتضاء – إلى خبرات الممالك الإسلامية المستقلة ، فتلوح – بهذا – للجامعة الإسلامية .

وسيرد نص هذه البيعة عند الملحق 64 .

* * *

وإلى هنا : نذيل على هذا العرض بالتعاليق التالية :

يصف شاهد عيان واقع اقتراح شروط البيعة الحفيظية هكذا :

« ... ولما حضر الأخ (محمد بن عبد الكبير الكتاني) ـ على كره منه ـ قال :

إنا نبايعه على شروط أملاها :
منها أن ينقض عقد الجزيرة .
وينشيء مجلساً شورياً .
ويتعاقد ويتعاهد مع الدول الإسلامية وخصوصاً تركيا .
ويأتي بمحربين أتراك ومعلمين .
ويقيم الشعائر الإسلامية .
ويولي الأكفاء .

ويرجع الحدود المغربية إلى أصلها : من توات . وكلوم بشار ونحو ذلك .
و. و. إلى آخرها إلى آخرها .

فصاح العامة وكثير من الخاصة : له مؤيدون وناصرون . وأظهر بعض الأعيان تحفظاً كبيراً . يقولون : إن الملوك لا يشترط عليهم . وهذا غلط . وكثر الهرج . فتمت البيعة ـ على ما ذكر ـ مبدئياً .

ومن الغد جاء عند الأخ ـ للدار بفندق اليهودي ـ الكاتب الأكبر في المغرب إذ ذاك . والسياسي المحتك : السيد أحمد ابن المواز . فطلب وألح على الأخ : أن هذه الشروط تدخل في صلب البيعة . ولكن تفرغ في قالب مطالب ... فكان الأمر كما أقترح ...

وكان الذي أملى الشروط ـ في الضريح الإدريسي على لسان مقترحها ـ هو الخطيب القاضي أبو محمد العابد بن أحمد ابن سودة »[7]

---

7 ـ « مذكرات » محمد عبد الحي الكتاني بخطه : خ . م 13096 .

2

عرف المغرب العلوي عدة بيعات مشروطة قبل البيعة الحفيظية وبعدها :

بدءاً من بيعة فاس للسلطان أبي الربيع[8] .

ثم بيعة نفس المدينة وما إليها للسلطان إبراهيم بن اليزيد[9] .

ثم بيعة فاس وتطوان وما إليهما للسلطان سعيد بن اليزيد[10] .

ثم بيعة فاس للسلطان الحسن الأول[11] .

وفي عام 1911/1329 نودي بزين العابدين ـ أخ الحفيظ ـ سلطاناً على مكناس وضاحيتها : بشروط مماثلة للبيعة الحفيظية[12] .

ثم انبعثت هذه الظاهرة مع عودة المغرب إلى الإستقلال ، وكانت المبادرة من المجلس الوطني الاستشاري ، وهو يرجو من المغفور له جلالة الملك محمد الخامس : أن يعقد ولاية العهد لجلالة الملك الحسن الثاني ، فجاء في ملتمسه بهذا الصدد :

« ولما يعتقده المجلس الوطني الاستشاري في شخص صاحب السمو الملكي مولاي الحسن من الحرص على وحدة الأمة واستقلالها ، والمحافظة على دينها وحقوقها ، والسير بها في مواصلة العمل التقدمي الديمقراطي الذي خطت فيه الخطوات الكبرى بفضل توجيهات والده :

فإنه يرفع لجلالة الملك هذا الملتمس ، الذي يضم صوت المجلس الوطني الاستشاري لصوت الحكومة ، راجياً من صاحب الجلالة أن يعقد لسمو الأمير مولاي الحسن ولاية عهد المملكة المغربية . في دائرة السنن الإسلامية . والتقاليد

---

8 ـ « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 379/1 .

9 ـ نص بيعة عند محمد داود : « تاريخ تطوان » 250/3ـ257 . ومنها نسخة مخطوطة ثالثة مجموع خ . م 12458 .

10 ـ نص البيعة في « تاريخ تطوان » 259/3ـ264 .

11 ـ « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 381/1 .

12 ـ « المسألة المغربية » ص 546 .

المولوية ، وعلى ما بويع عليه مولانا الملك : من حماية الدين ، ورعاية مصالح الأمة ، والدفاع عن سيادة الدولة ، وخدمة الصالح العام »[13] .

3

أشار العرض الذي نعلق عليه إلى مؤلفات صغرى في نقد سياسة العزيز . ونوضح ـ هنا ـ أن المعروف من هذه الأوضاع لا يتجاوز ستة :

أ ـ « رسالة في أسباب خلع العزيز ومبايعة أخيه الحفيظ » تأليف محمد بن إبراهيم بن محمد السباعي المراكشي ، المتوفي ـ بها ـ عام 1914/1332 : مخطوطة في نسختين : خاصة ضمن مجموع ص 407 ـ 442 ، والثانية : خ . ع . د 3937 : أول مجموع ، وكلتاهما خاليتان من إسم المؤلف ، ونسبها للسباعي تلميذه أبو الفضل عباس بن إبراهيم المراكشي عند ترجمة أستاذه في « الإعلام ...[14] » .

ب ـ « الدرر اللفظية في المملكة الحفيظية » : مؤلفها غير مذكور ، ويبدو أنه من مكناس ، حيث يهتم بأخبار نشاطها في فترة البيعة الحفيظية ، والرسالة من مخطوطات خ . م 3640 في 55 ص .

ج ـ « رسالة موضوعية » مبتورة الطرفين وخالية من إسم المؤلف الذي قد يكون من فاس ، منها مخطوطة خاصة ضمن مجموع ص 453 ـ 472 .

د ـ ومن رسائل الردود في هذا الإتجاه : « سنان القلم لتنبيه وديع كرم » لمحمد العابد بن أحمد بن الطالب ابن سودة المري الفاسي ، المتوفي ـ بها ـ عام 1940/1359 ، منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية في 26 ص .

هـ ـ « الجيش العرمرم لهزم وديع كرم » : نفس المؤلف والمطبعة .

و ـ « مفاكهة ذوي النبل والإجادة . حضرة مدير جريدة السعادة » لمحمد

13 ـ « الجريدة الرسمية » : الطبعة الخاصة بتداولات المجلس الوطني الاستشاري ، السنة الثانية : عدد 4 بتاريخ 5 ربيع الثاني 1377/29 أكتوبر 1957 ـ ص 48 .

14 ـ المطبعة الملكية 7/204ـ205 .

عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الكتاني الفاسي ، المتوفى عام 1382/1962 : منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية 1326 هـ في 40 ص .

وهذه الرسالة وسابقاتها : جميعها في حجم متوسط .

4

من الجدير بالملاحظة أن بيعة مدينة مراكش للحفيظ كانت خالية ـ في مضمونها ـ من الشروط ، غير أنها اقترنت بالتزامات من السلطان الجديد يتجاوب فيها مع أماني مبايعيه بالجنوب المغربي . وذلك ما تعلنه رسالة كتب بها السلطان الحفيظ إلى الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني بتاريخ 10 رجب 1325/1907 . فترد بها هذه الفقرة .

« ... فانعقد الإجماع من هذه الحاضرة المراكشية وما حولها من البقاع : على تقديمنا وأمانتنا ، والدخول تحت طاعتنا ، للنظر في مصالح المسلمين ، والدفاع عنهم ، وإخراج **العدو من ثغور المسلمين** »[15] .

وانظر عن نص بيعة مراكش الملحق 65 .

15 ـ الرسالة بكاملها وردت في « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » ص 192 ـ 193 .

ملحق 64

وثيقة بيعة فاس للسلطان الحفيظ

« الحمدلله الذي جعل كلمة الحق هي العليا . وأرشد المؤمنين من عباده لإتباع مقتضياتها أمر ونهياً ، وفضل الأمة المحمدية على سائر الملل والأجناس . كما فضل آل بيته الكريم على الناس ، وشرف هذا الوجود بمن يرقيه الله من خيارهم منصب الخلافة ، فيتبع في الشريعة والعدل والسياسة سنة جده ويقتفي في ذلك الكرام أسلافه . تصديقاً لقوله ـ ﷺ ـ ولاية أهل بيتي . أمان لأمتي .

نحمده سبحانه أن تفضل على المسلمين بالهداية لقبلة الرشاد . والتمسك بحبل التوفيق والإسعاد ، والعدول عن مواضع الزيغ والتفريط والعناد .

ونشكره أن هدى خاصة الأمة وعامتها لتقليد من يوفي بالعهود الشرعية ، ويقوم بحفظ الدين ومصالح الرعية .

ونشهد أن لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له الذي يوتي الحكمة من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الشفيع في أمته يوم يتميز القاسطون من المقسطين . والحافظون للأمانة من المفرطين . ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين اجتهدوا في كشف غياهب الضلال . وكانوا يميلون مع الحق حيث مال ، ولا يحابون من يتساهل في أحكام الشريعة بحال .

أما بعد : فإنه لما أراد الله تعالى أن يزيح ليل الجهالة عن عباده ، وأن يجدد الدين بمن يطلعه شمساً في أرضه وبلاده ، ليعود عز الإسلام لشبابه ، ويبقى استناد الإمارة العلية إلى سنته وكتابه ، وتعلقها من الشرع بأسبابه :

تدارك سبحانه الوجود ، وأعز العالم الموجود ، واستطارت الأنوار المضيئة للأغوار والنجود ، بمبايعة من يعيد الله به شمس الخلافة إلى برج شرفها ، ويرد به نقطة العدل والحلم إلى مركزها ، ويحيي به أثر الخلفاء الراشدين ، ومكارم الأسلاف الكرام المهتدين .

وهو من حاز من الأوصاف الكاملة غايتها . وبلغ من المزايا الجسيمة نهايتها . فاكتسى العلم لباساً . والشجاعة أتراساً . واتخذ العلم أساساً . والحلم شعاراً . والكرم دثاراً . والدين قواماً . والسياسة الشرعية نظاماً : مولانا أمير المؤمنين . إبن مولانا أمير المؤمنين . ابن مولانا أمير المؤمنين . الذي جعله الله خير آية ناسخة . وأثبت له في الكمالات قدماً راسخة . نخبة الخلافة العلوية . وجوهرة عقد المملكة الإسلامية . المتفاءل باسمه . في حفظ الإسلام ورسمه . أبو المعالي مولانا عبد الحفيظ . بن مولانا الإمام المقدس بالله سيدنا الحسن . إبن ساداتنا الملوك الكرام . المقدسين في دار السلام . لما ألقى الله له في قلوب الخلائق من الحب الجميل . والاعتقاد الذي هو بنصرة الدين كفيل .

فحبذا من أمام تهتز لذكره أعطاف المنابر . وتتقلد من شريف دعوته بأبهى من نفيس الجواهر . وتستضيء البلاد بإكليل شرفه الزاهر . وتسكن العباد تحت ظله المؤيد الوافر . أبقى الله أيامه . بقاء يستصحب النصر دوامه . وخلد له ولأعقابه هذا الأمر الكريم إلى يوم القيامة .

فانتدب من وقفت بهم مطية التوفيق . على حضرة الإخلاص والتصديق . وأخذت بهم أزمة السعادة إلى حيث الفوز برضى الله ورسوله حقيق : من جميع أهل فاس الإدريسية . لا زالت مصونة محمية . وسائر أشرافهم ورماتهم وعلمائهم وقضاتهم وكبرائهم ونقبائهم ومرابطيهم وصلحائهم وأعيانهم . وخاصتهم وعامتهم . وكذلك أهل فاس الجديد . لشمول التوفيق لهم والتسديد :

على تقليد الجميع بيعة مولانا أمير المؤمنين المذكور . المختص بالسعد الباهر واللواء المنصور . بيعة تؤسس على تقوى من الله ورضوان . ويشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمان . فبايعوه كلهم على الأمن والأمانة . والعفاف والديانة . والعدل الذي يشيد للمجد أركانه . مبايعة شائعة على عقدها الكريم بحكم الوفاق . وعموم الاتفاق . والمواثيق الشديدة الوثاق . وبجميع الأيمان . الصادقة الإيمان . أعطوا بها صفقة أيديهم . ورفع العقيرة بها مناديهم . وندبوا إليها سائر القبائل التي بنواحيهم . عارفين أن يد الله فوق أيديهم .

وأمضاها الكل المجموعي والجميعي على السمع والطاعة . والإنتظام في سلك الجماعة . إمضاء يدينون به في الجهر والسر . والعسر واليسر . والتزموها رغبة منهم وطوعاً . واستوعبوا شروطها أصلاً وفرعاً . وجنساً ونوعاً . خالصة صادقة . وعدة من الله بالخير لهم سابقة . وسعادة بالحسنى لاحقة . أبرموا عقدها . وأحكموا عهدها . وعرضوا عليها أفراداً وأزواجاً . وزمراً وأفواجاً . وناداهم داعي السعادة إعلاناً . لقوله تعالى « فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » .

وكيف لا وهو المتصف بالكفاية الشرعية التي بينت في كتب الفقه : بأن يكون مهتدياً إلى مصالح الأمور وضبطها . ذا نجدة في تجهيز الجيوش وسد الثغور . وذا رأي مصيب في النظر للمسلمين . لا تروعه هوادة النفس عن التنكيل لمستوجبي الحدود .

فقد جعله الله زمام الأمور ونظام الحقوق . والقطب الذي عليه مدار الدنيا . وهو حمى الله في بلاده ، وظله الممدود على عباده . به يمتنع حريمهم . وينصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويأمن خائفهم . قال تعالى : « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف » الآية . وقال أبو هريرة رضي الله عنه لما نزلت آية أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم : قد أمرنا بطاعة الأيمة ، وطاعتهم من طاعة الله ، وفي الحديث عن مولانا علي كرم الله وجهه : إمام عادل ، خير من مطر وابل ، وفي الحديث : السلطان ظل الله في الأرض ورمحه . وفي الحديث : من أجل سلطان الله أجله الله ، وفي الحديث : المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمان ، وفي الحديث أن الله ليـزع بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن ، وسئل سهل أي الناس خير ؟ فقال : السلطان ، لأن لله في كل يوم نظرتين : نظرة إلى سلامة أموال الناس ، ونظرة إلى سلامة أبكارهم ، فيطلع في صحيفة ، فيغفر له ذنوبه ، وفي السراج : ليس فوق السلطان العادل منزلة إلا نبي مرسل ، أو ملك مقرب ، وقالت الحكماء : أسوس الناس برعيته من قاد أبدانها بقلوبها ، وقلوبها بخواطرها ، وخواطرها بأسبابها .

ولا غرو أن مولانا أمير المؤمنين ، الذي انتظمت بيعته في أعناق المسلمين ،

أجل من صدقت فيه ظنونهم ونياتهم . وتوجهت إليه آمالهم وأمنياتهم . ومدت له الرعية أزمتها . وقدمت إليه الوفود أعنتها .

راجين من شريف همته . وكريم عنايته : أن يلبسهم رداء نعمته . ويتزلهم ظل كرامته . ويعمهم بسيرة معدلته . ويشملهم بالحلم والفضل والرحمة المكتملة .

ويسعى جهده في رفع ما أضربهم من الشروط الحادثة في الخزيرات . حيث لم توافق الأمة عليها ولا سلمتها . ولا رضيت بأمانة من كان يباشرها . ولا علم لها بتسليم شيء منها .

وأن يعمل وسعه في استرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية .

وأن يباشر إخراج الجنس المحتل من المدينتين اللتين احتل بهما . ويزين صحيفته الطاهرة بحسنة استخلاصهما .

وأن يستخير الله في تطهير رعيته من دنس الحمايات .

والتنزيه من إتباع إشارة الأجانب في أمور الأمة . لمحاشاةهمته الشريفة عن كل ما يخل بالحرمة .

وإن دعت الضرورة إلى اتحاد أو تعاضد . فليكن مع إخواننا المسلمين : كآل عثمان . وأمثالهم من بقية الممالك الإسلامية المستقلة .

وإذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية : فلا يبرم أمر منها إلا بعد الصدع به للأمة . كما كان يفعله سيدنا المقدس الحافظ للذمة . حتى يقع الرضى منها بما لا يقدح في دينها ولا في عوائدها . ولا في استقلال سلطانها .

وأن يوجه ـ أيده الله ـ وجهته الشريفة لإتخاذ وسائل الإستعداد . للمدافعة عن البلاد والعباد . لأنها أهم ما تصرف فيه الدخائر والجبايات . وأوجب ما يقدم في البدايات والنهايات .

وأن يقر بفضله العيون والنفوس . برفع ضرر المكوس .

ويحقق رجاء خدامه وكافة رعاياه : بالذب عن حرماتهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم . وصيانة دينهم وحياطة حقوقهم .

وتجديد معالم الإسلام وشعائره : بزيادة نشر العلم وتقويم الوظائف والمساجد . وإجراء الأحباس على عملها القديم .

وانتخاب أهل الصلاح والمرؤة والورع للمناصب الدينية .

وكف العمال عن الدخول في الخطط الشرعية .

وترك ما أحدث من الجمع المستلزم لاستبداد الرؤساء بتنفيذ مراداتهم في القضايا والأغراض ، لما تحقق ــ والحمدلله ــ من كمال أوصاف مولانا الإمام . واعتماد المسلمين على كفايته في الأمر الخاص والعام ، فهو ــ أيده الله ــ العضب الكافي ، ورأيه العلاج الشافي .

ومما يقتضيه حسن سيرته وكمال وفائه : جميل الصنع بشريف القرابة وتقريب الصالحين ، واعتبار مقادير الأشراف وأهل العلم والدين . وإقرار ذوي الحرمة على ما عهد لهم من المبرات والاحترام ، وظهائر الملوك الكرام . وإبعاد الطالحين . وإخساء المفترين والواشين ، ومعاملة المؤمنين ، بما تعودوه منه ومن أسلافه المقدسين : من إيثار العفو والحلم والرفق والأناة ، وتجديد مآثر الخير في حالة العز والثبات .

وحسن الظن بسيدنا ــ أيده الله ــ حمل أهل مملكته الشريفة ، المتيمنين بكريم بيعته المنيفة ، على أن صدعوا لجلالته بما أثرت فيهم مضرته ، عالمين أنهم لا يكشف ما بهم إلا عناية مولانا المنصور وهمته .

ومستسلمين ــ مع ذلك ــ إلى الله بالقلوب الخاشعة ، ومبتهلين بالأدعية النافعة : أن يعرفهم الله خير هذا العقد الكريم بدءاً وختاماً ، ويمنحهم بركته التي تصحبهم حالاً ودواماً ، لا رب غيره ، ولا خير إلا خيره .

أشهدوا على أنفسهم بما فيه عنهم عموماً ، والواضعون أشكالهم ــ عقبه ــ خصوصاً ، وهم عارفون قدره وبأكمله .

وفي فاتح ذي الحجة الحرام ، عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف .

ــ « إتحاف أعلام الناس » 1/449ــ453 .

ــ « غنية الأنجاد . في مسائل الجهاد » تأليف محمد التهامي السوسي الباعفيلي ثم المكناسي . مخطوط خ . م 12313 : ص 92ــ99 .

ملحق 65

وثيقة بيعة مراكش للسلطان الحفيظ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله .

الحمد لله رب العباد ، وملهم الرشاد ، والمنعم بالإسعاف إلى طريق الإسعاد ، فهو مالك الملك يوتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء . يعز من يشاء ويذل من يشاء . وهو الولي النصير الذي نلقي إلى التوكل عليه مقاليد الاعتماد ، ونمد إلى إنجاده وإمداده أيدي الاعتداد ، ونرفع إليه أكف الاستمداد ، ونخلص لوجهه الكريم عمل الجهاد ، فنعرف عوارف الفضل المزداد ، ونظفر بالنعيم العاجل في الدنيا والنعيم الأجل في الآخرة يوم يقوم الإشهاد ، ونتفيأ ظلال الجنة تحت أوراق السيوف الحداد .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسوله النبي الهاد ، رسول الملحمة المؤيد بالملائكة الشداد ، وهو نبي الرحمة ذو اللواء المعقود ، والحوض المورود ، والشفاعة يوم التناد ، والرضى عن أصحابه أكرم الخلق بين الرائح والغاد ، الذين هم أنصاره وحزبه الكرماء الأنجاد ، دعائم الدين من بعده وهداة العباد ، الذين ظاهروه ونصروا دينه وأرغموا أنوف أهل الجحد والإلحاد .

فنسأل الله ببركته وبركتهم ينال الإسلام بهذه البيعة الآتي ذكرها أقصاً الأمل وغاية المراد ، وفي مرضاته نصل أسباب السعادة والإسعاد ، فبجاه الجميع والنبي الشفيع أن يكون هذا الاتفاق على هذا النصر مستصحب العز للإسلام في الإصدار والإيراد ، حتى يصير دين الإسلام رفيع العماد ، والمنصور ــ المتفق على نصره ــ منصور العساكر والأجناد ، مستمداً حسن النصر من مولاه رب العباد .

أما بعد : فقد جاء القرآن العظيم ــ المنزل على نبينا الكريم ــ بوجوب رعي المصالح ودفع المضار ، ودفع المضار مقدم على جلب المسار ، باتفاق العلماء أئمة الذين ذوي الأنظار ، وهو « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ، وجميع ما جاء به القرآن وجل ما خلق الله لمصالح العباد ، بشاهدة

« هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » : أي انتفاعاً واعتباراً ، ولذا أوجب علينا في الأمور العامة والخاصة رعى المصالح ودفع المفاسد .

ولذلك وجب على المسلمين نصب الإمام وهي الإمامة الكبرى ، التي هي رئاسة في الدين والدنيا عامة لشخص واحد ، وقال الأمدي : « الحق أنها خلافة لرسول الله ـ ﷺ ـ في إقامة الشرع وحفظ الملة ، توجب اتباعه على كافة المسلمين ما وافق الحق ، فمن أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، بنص القرآن والحديث » .

وقد نص أئمتنا أن طاعته لا تكون طاعة له ولله ولرسوله حتى تكون في الظاهر والباطن سواء ، وهذا إذا وافق الشرع مع توفر شروط الخلافة فيه ، ولذا قال عمر : « أطيعوني ما وافقت الحق » ، ومن لم يوافقه فلا طاعة له ، ولصحة الإمامة شروط صحة يلزم من عدمها العدم : العدالة ، والعلم ، وسلامة الحواس والأعضاء ، وصحة الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح ، والشجاعة والنجدة المؤديان إلى حماية بيضة الإسلام وجهاد العدو ، وأن يكون قرشياً ، إذ الخلافة فيهم ما أقاموا شعائر الإسلام ، ومن اختلت فيه الشروط فلا تنعقد له الولاية ، وإن دخلها وجب عزله ، ونصوص هذا من مفاد الكتاب وحديث رسول الله : معلومة عند الكل ، لا يدخلها خلاف ولا إرتياب .

وحيث شرط سيد الوجود ـ الذي نزل عليه الكتاب ـ في صحتها إقامة الدين ، ورعي مصالح المسلمين ، وذلك كله تخلف حتى أفضى الأمر إلى موالاة أعداء الله ورسوله الكافرين ، والله يقول في محكم كتابه : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » ، ويقول : « لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة » ، إلى غير ذلك من صريح الذكر الحكيم ، وهذا منه قليل من كثير ، ونقطة من غدير .

ونبذت سروط الكتاب والسنة وضاعت ، وفسدت مصالح الدين وعموم مصالح الأمة من عدم معرفة متولي الإمامة ، وإسناده أمور الإسلام وأمور الدين إلى جمع جهلة ، حتى بلغ سيل العرم الزبا ، وحزام الهم الظبا .

ولا يد للمدافعة تمتد ، ولا نهضة للممانعة تشتد .

ومن أجال في الواقع في أركان الشريعة من الإنهدام ، وغاية اختلال النظام . والمواظبة على هدم أركان الشريعة . واستحسان إبدالها بأضدادها من قوانين الكفرة القبيحة الشنيعة .

كيف ومن ذلك ما علم بالضرورة أن الصلاة والزكاة شقيقتان قرينتان . وهما للدين بمنزلة الرأس من الجسد ، وهما قواعد الدين وأساسه المعتمد . ومن فرق بينهما كفر بالكتاب والسنة وخرق الإجماع ، بدون خلاف ولا نزاع . وحيث توافق المتولون على نبذ الزكاة لفظاً ومعنى وحكماً ، وبدلوا ذلك بقانون الكفرة من ضوابطهم وتسميتهم المشتهرة ، أليس هذا من سلوكهم الكفر الصراح ، الذي السكوت عنه لا يحل ولا يباح .

وقد أفضى السكوت عنه وعن اختلال نظام الشريعة كلها . وعن محبة موالاة أهل الكفر ، وأعطائهم أزمة الإسلام يلعبون بها كيف شاؤا ، حتى اتسع هذا الخرق الواقع ، الذي ليس لخرقة من راقع . وطال انتظار الفرج ، ولم يزدد الأمر إلا شدة الضيق والحرج .

بل أفضى إلى متسع من التثابر على نهب أموال الناس ، وسفك دمائهم ليلاً ونهاراً ، وقطع سبلهم . وحصل من علاج ذلك الإياس ، والأمر أشد من ذلك كما اشتهر – في كل الآفاق – عند جميع الناس ، وذلك كله كالشمس شهرة عند من أسند إليهم التدبير . وأيقنوا بإفضائه في نهج الشرع إلى التدمير . فلا يمكن أحداً منهم إنكاره ، لأن إنكار المشاهد مكابرة ، والمثابرة على الباطل مدابرة . وهل تخفي السماء على بصير ، وهل بالشمس طالعة خفاء .

فعند ذلك انتبه هؤلاء المسلمون من الغفلة . وفتحوا عين الانتباه واليقظة ، سيما حيث بدأ انتثار سلك عقدهم من الوسط . وصار السكوت عنه من أقبح وجوه الغلط . فيا للمسلمين من تسليم مدينة وجدة للكفار بلا صلح ولا عنوة . بل مجاناً ، ويا للمسلمين من أقبح وجوه الاستيلاء على ثغر الدار البيضاء . واستيصال من عمرها من مسلم رجالاً ونساء .

ولما اشتد تحسر المسلمين على جميع ما ذكر ، ومشاهدة زيادة ما اشتهر : ماج بعضهم في بعض حيث صارت قلوب الناس من ذلك في اضطراب وارتجاج ، لكون الواقع ربما عميت على المجتهد فيه الأدلة التي يحصل بها على المذهب الاحتجاج .

فاحتاجوا إلى نصب إمام يكون حاز الشرف بطرفيه ، والتحف بمطرفيه . تكون حلل المجد لباسه ، وأنوار العلم اقتباسه ، وزاحمت مفاخره بالمناكب الكواكب ، وازدانت بمرآة النوادي والمواكب ، يكون للدين لساناً . ولا يعتمد إلا خلالاً حساناً ، فحصل بعد الشدة الفرج ، وشم الناس من طيب السلامة أطيب أرج ، حيث اتفق رأيهم على أن نصبوا للإمامة العظمى من قصرت ألسن البلغاء عن علاه ، وزانت صدور الدواوين علاه ، من إذا عدت المفاخر ، فله منها الأول والآخر : سيدنا ومولانا عبد الحفيظ ، شبل الملوك العظام ، من أجل وأشرف ملوك الإسلام ، نجل سيدنا ومولانا الحسن ، بن مولانا وسيدنا محمد ، بن سيدنا ومولانا عبد الرحمان ، بن مولانا هشام ، قدس الله أرواحهم في دار السلام .

ملوك وأبناء الملوك وسادة
تفلق عنها بيضة الطائر الصقر
متى تلق منهم ناشئاً في شبابه
تجده على آثار والده يجري

وهو ـ نصره الله ـ إسم طابق مسماه ، ولفظ وافق معناه .

فاتفقت كلمة الإسلام على النداء والإعلان بنصره ، وإفشائه ونشره ، وانعقدت كلمتهم على ذلك في سائر هذا القطر من باديته وحضره ، لما رأوه من توفر الشروط المتقدمة فيه ، حتى أنشد لسان حالهم فيه :

وما كلفوك الأمر إلا لعلمهم
قيامك بالأمر الذي أنت كافله

فاجتمعت لذلك جموعهم : علماؤهم وأشرافهم وأعيانهم ومن هو دون ذلك ، على تسجيل بيعته وعقد ما هنالك ، مع التصريح بخلع أخيه مولاي عبد

العزيز الذي كان قبله ، لكونه مع أهل ديوانه أفسدوا جميع ما تولوا إذ ليسوا أهله .

أبقاه الله ـ تعالى ـ عالي القدر ، قرير العين منشرح الصدر ، ولا زال حديث فخره سائراً سير الشمس والبدر ، وجعلنا الله بآياته معتبرين ، وعلى طاعة الله ورسوله وأولى الأمر مصطبرين ، فلا يجهل الموجب الذي أوجب خلع أخيه ، وألزم الناس له هو توليته ، إلا من لا يفرق بين الجوهر والعرض ، والصحة البينة والمرض ، والدر والحصا ، والحسام والعصا ، ولم يتدبر عاقبة هذا الأمر ، ولم يفرق بين التمر والجمر .

فنسئل الله ـ سبحانه ـ أن يهب له أفضل عوائده ، ويجعل مصائب أعدائه من فوائده ، ويمكن حسامه من رقاب المشغبين ، ويبقيه وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويصل له تأييداً وتأبيداً ، ويمهد له الأيام حتى تكون الأحرار لعبيده عبيداً ، ويمد على الدنيا بساط سعده ، ويهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ...

6 شعبان الأبرك عام 1325 .

من نسخة منها في خزانة خاصة .

الفصل الرابع

ـ مباديء الوطنية المغربية الناشئة .
ـ زمرة من أسماء الوطنيين الأولين .

تبينا من الفصل الأخير أن ميثاق بيعة فاس للحفيظ : جاء بمثابة برنامج يتجاوب مع أماني النخبة الوطنية ، ثم استخلصنا منه أربعة مباديء رئيسية :

ـ المحافظة على استقلال البلاد وتماميتها .
ـ عدم الاعتراف بالشروط التي تمس هذا المبدأ .
ـ الأمة هي مصدر السلطة .
ـ رفض الاستعانة بالأجانب .

وقد صارت هذه المبادي منطلقاً للعمل الوطني بمغرب أوائل القرن العشرين ومع مر الزمن بدأت هذه الحركة تنتظم في تجمعات صغرى سرية ، تتأثر ـ قليلاً ـ بأصداء النهضة الوطنية المشرقية ، غير أنها لم يكن لها برنامج سياسي ، ولا تنظيم حزبي ، وكان هدفها هو إيقاظ الشعور الـوطني لتوعيته بالمباديء الأربعة ، مضافاً لها توجيهات العلماء ، وكانت تهدف إلى النقد الذاتي لواقع المسلمين ، وذلك ما نقرأه في بعض مؤلفات هذه الطبقة ، حيث سيكون تحليلها هو موضوع الباب التالي .

ومن جهة أخرى فإن الشيخ عبد الكبير بن محمد الكتاني بعد احتلال وجدة

والبيضاء : نادى بمشروع للخلاص عن طريق مؤتمر وطني يتفق على :

إتخاذ مجلس للشورى .

بذل سائر الإمكانيات في سبيل الظفر بالأعتدة الحربية الحديثة .

دعوة المواطنين لبيع ما في دورهم من الكماليات الأجنبية ، حتى تشتري بثمنها الأعتدة الحربية التي يتطلبها سير الحركة التحريرية .

مقاطعة البضائع الأجنبية[1] .

وهكذا يبرز لميدان الوطنية المغربية الحديثة شيوخ العلماء ، ومعهم طبقات من القاعدة الشعبية ، وفئات من الشباب ، يؤلف بينهم جميعاً الشعور بواجب الدفاع عن البلاد ، والعمل لتقدمها .

ومن الجدير بالذكر أن هذا الشعور المغربي الحديث : كان يتسم بالطابع الإسلامي ، فالوطنية آنذاك عنوان للجهاد ـ بالقلم أو السلاح ـ ضد المطامع الأجنبية ، ومن أجل العمل لرقي البلاد ، وهي ظاهرة استمرت في مبادرات التحركات الشعبية بالمغرب حتى أوائل الثلاثينيات .

* * *

وإلى هنا نعود إلى حديث النخبة الوطنية ، فنشير إلى ما توصلت إليه من أسماء العاملين بها ، ونذكر في البداية إسم عالمين :

محمد بن عبد الكبير الكتاني ،

ومحمد ماني الصنهاجي .

ومعهما نشير إلى القائد عبدالله بن سعيد السلوي [illegible] دار النيابة بطنجة .

ثم الحاج علي بن أحمد بن عبد القادر زنيبر السلوي[2] .

---

1 ـ « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » ص 222 ، نقلاً عن رسالة للمنوه به بعنوان « طلب الأعمال التي توجب رضا الله ثم رضا رسوله » ، وهي ضمن مخطوطات خ . م 13000 .

2 ـ يتبين النشاط الوطني للأربعة من مبادراتهم الواعية ، حسب عروض سابقة أو لاحقة .

وعن أعضاء التجمعات الوطنية السرية : يروي القاضي عبد الحفيظ الفاسي أن جماعة من المتنورين أسسوا بفاس تشكيلة سرية باسم « جمعية الترقي » ، كان فيها إلى جانب صاحب الاستجواب : السادة :

محمد عبد الحي الكتاني .
والعباس الكردودي .
والمهدي بن الطالب الفاسي .
وعبد العزيز لحلو قائد تاونات من بعد .
والحسن الصقلي .
إلى جماعة من العوام .

مع تأكيد صاحب الاستجواب أن الجمعية ساهمت في إعداد الدستور المغربي المنشور في جريدة « لسان المغرب » .

ذلك ما أفضى به إلى الشيخ عبد الحفيظ الفاسي في داره بحي مارسا بالرباط ، خلال عام 1374/1955 .

ومن جهة أخرى يذكر الأستاذ علال الفاسي الجمعية وأعضاءها هكذا : « ... وكل ما نعلمه أن هنالك جماعة من الشباب الناهض من بينهم :

السيد المهدي بن الطالب الفاسي .
والسيد سعيد الفاسي .
والسيد عبد الحفيظ الفاسي .
والسيد أحمد الزبدي .

كانوا يقومون على جمعية سرية لتنوير أذهان المغاربة ومقاومة الاحتلال الأجنبي ، وأن جماعة منهم ومن غيرهم كانت تتحرك أقلامها بالكتابة في الصحف الحرة التي أنشئت بطنجة ، وفي جريدة الحاضرة التي كانت لسان الوطنيين التونسيين ... »[3] .

---

3 ـ « الحركات الإستقلالية في المغرب العربي » : نشر عبد السلام جسوس بطنجة ص 97 .

ويذكر نفس المصدر في مكان آخر وهو يتحدث عن صحيفة المؤيد المصرية :

« كان السيد عبد الحفيظ الفاسي .
والسيد مراد الأديب الإسلامي اللبناني المستوطن في المغرب .
والشيخ محمد الكتاني :

من المراسلين لهذه الصحيفة ، والمواظبين على قراءتها والدعوة لما تتضمنه من آراء وأفكار »[4] .

وعن الشيخ محمد الكتاني وثلاثة من علماء فاس نشرت جريدة « السعادة »[5] الخبر التالي : « كتب إلينا أحد تلاميذة الكتاني بفاس يسألنا عما إذا كان يوجد في مكتبة « السعادة » نظام الدستور التركي ، وأسر إلينا على أن :

سيادة الشيخ .
ومولاي عبد الحي .
وابن سودة .
والوزاني .
والتازي .

يستغلون ـ ليلاً ونهاراً ـ في تحرير ضوابط الدستور ... » .

والغالب أن الألقاب العائلية الثلاثة : تعني العلماء الأشياخ العابد بن سودة ، والمهدي الوزاني ، والعباس التازي .

* * *

ونذيل ـ هنا ـ بالإشارة إلى ثلاث مبادرات ينتدب لها أفراد من النخبة الوطنية .

---

4 ـ محمد علال الفاسي : « نظرات في تاريخ الصحافة المغربية وتطورها » : جريدة العلم : عدد ممتاز بتاريخ 20 رجب 1391/11 سبتمبر 1971ـ ص 9 .

5 ـ عدد 207 بتاريخ 6 رجب 1326/4 جويه 1908 .

1

إنطلاقاً من تعليق عقب به مكاتب مجلة « المنار »[6] بفاس على مطالب السفير الفرنسي طاياندي ، وهكذا يقول المراسل :

« ... ومما يصح أن يذكر أن السفير الفرنسوي لم يذكر شيئاً عن نشر المعارف وفتح المدارس في مذكرته ، بل يظهر أنه يقاوم المعارف . فقد عملنا **أن بعض الأعيان والأغنياء** ـ هنا ـ عزموا على **فتح مدرسة حربية وأخرى طبية** . بشرط أن يكون التدريس فيهما باللغة العربية ، ولما استأذنوا أولي الشأن في المسألة . وبلغت مسامع السفير الفرنسوي : استشاط غضباً ، وأقام النكير . واعترض اعتراضاً شديداً على فتح المدارس ، ولا إصلاح بدونها » .

2

دعا الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ـ في فترة البيعة الحفيظية ـ إلى عقد مؤتمر وحدوي يضم مجموعة كبرى من سكان الأطلس المتوسط وما إليه . فوفد إلى مكناس أعيان قبائل مجاط وبني مطير وجروان وزمور وزعير ، وانتظم جمعهم في مسجد عودة بتاريخ 12 صفر 1326/1908 ، بحضور باشا المدينة الحاج بنعيسى بن حم السرغيني ثم البخاري ، فخطب فيهم الشيخ الكتاني . وحضهم على نسيان الخصومات بينهم . وندبهم إلى جمع كلمتهم . حتى يكونوا على أهبة الإستعداد للدفاع عن الوطن ضد المد الأجنبي . وعن معطيات هذا المؤتمر تقول الرسالة التي تشرح آفاق المبادرة :

« ... وتمكنت منهم الغيرة الإيمانية ، وتكاملت فيهم الأخوة الإسلامية . وصاروا ـ من الحين ـ إخواناً ، وعلى نصرة الدين أعواناً . وانعقدت عزائمهم على ذلك ، وحمدوا الله ـ تعالى ـ الذي استخلصهم من الوقوع في شبكة الهالك . وراحوا ـ بعد الفاتحة ـ على أنه إن لم يعقد صلح من العدو مع مولانا المنصور بالله :

---

6 ـ المجلد 8 ص 159 .

فهم أول قائم ـ بخيلهم ورجلهم ، وأولادهم ونسائهم ، وأموالهم ومتمولهم ـ لإعلاء كلمة الله ، فعند ذلك حصلت بهم الأمنية ، وصلحت فيهم النية ... » 7 .

وسيرد نص الرسالة ـ كاملاً ـ عند الملحق رقم 66 .

3

وهذا نشيد وطني كان معروفاً في هذه الفترة ، ليدل على نوع انتظام لحركة النخبة المغربية ، وقد أنشده الشيخ عبد الحفيظ الفاسي لصديقه الغيور السيد أحمد الزبدي الرباطي . وقد يكون من نظم القاضي الفاسي ، وهذا سياقه :

اعلمـوا أبنـاء شعبـي ... أننا في عصـر زاهـر
فارفضوا الأغـراض كلا ... وانبذوهـا في مقـابر
وانهضـوا حزمـاً وعـزماً ... مـن خمـول متكـاثـر
وأفيقـوا مـن رقـاد ... ليس فيـه مـن تبـاشر
واحفظـوا استقـلال غرب ... بعلـوم وعساكـر
واطلبـوا العـلم بجـد ... فزمـان الجهـل غابـر

---

7 ـ أشار لهذا اللقاء مصدران معاصران للحدث ، الأول : جريدة « لسان المغرب » بالعدد 31 ، الصادر يوم الجمعة 1 ربيع الأول 1326/3 أفريل 1908 ، فجاء في الصفحة الثانية منه : « إنعقد الجمع بمكناس يوم الأحد بدلاً من يوم السبت ، فاجتمع ـ في ذلك اليوم في جامع القصبة ـ رؤساء قبائل زمور ومجاط وجروان وبنو مطير وزعير ، وحضر معهم سيادة الشيخ الكتاني ، والشريف سيدي محمد الأمراني ، والباشا إبن عيسى حاكم مكناس ، فأول شيء فعلوه أنهم عقدوا الإخاء والاتحاد بين القبائل المذكورة ، تاركين جميع ما كان بينهم من الحقوق والدماء ، تامينا للطرق ، وحفظاً للنظام ، ثم تعاهدوا على أن من خرج عن الدين والجادة واستبدل الإيمان بالكفر : فليس هو منهم في شيء ... » .

أما المصدر الثاني : فهو القاضي الشيخ أحمد سكيرج ، وهو يدون ارتساماته عن سفره من فاس إلى مكناس ، وينزل بها ضيفاً على صديقه الشيخ عبد الرحمن إبن زيدان ، ولذلك يسمى موضوعه بـ « الرحلة الزيدانية » ، حيث توجد مصورة منها ـ على الشريط ـ في الخزانة العامة رقم 1030 .

ويهمنا من هذا المصدر : أنه يذكر اتصاله بالشيخ الكتاني ليلة عيد المولد النبوي : 12 ربيع الأول 1326/ 1908 ، فيتحدث عنه بهذه الفقرة : « ... وكانت إقامته بمكناس الزيتون ، لإتمام النصر للحضرة الحفيظية » ذا جد واجتهاد في ذلك ، يحض القبائل على الجهاد ، وحفظ جميع المسالك مما عسى أن يقع من التعدي والفساد ، في الأرض والبلاد » .

وارفعـــوا للعلـــم قـــدراً	لكم المجـــــد يسايـــــر
وارفعـوا للجيـش قـدراً	فهـــو للشعـــب مـــؤازر
واسلكـــوا فيـــه بنيكـــم	فبهـــذا الـــرب آمـــر
وأعـــدوا مـــا استطعتـــم	قول حـــق متـــواتـــر
واعملـــوا كيمـــا تفوزوا	بعـــد تطهـــير السرائـــر
واصـــدقـــوا قـــولاً وفعلاً	وانهـجـوا نهـج الأكابـر
واقبلـــوا نصـــح أخيكـــم	فهـــو للعـــرفـــان نـــاصـــر [8]

* * *

وكما رأينا في بعض العروض : فقد استمر نشاط هذه الحركة إلى صدر الدولة الحفيظة ، دون أن تعرف ـ بالضبط ـ فترة وقوفها ، غير أنه من المتوقع أن يبدأ حماسها في الفتور مع تصاعد الضغط الأجنبي ، إلى أن طويت صفحتها ـ مؤقتاً ـ مع سياسة الحماية ، حيث اشتدت وطأة الرقابة على التحركات السياسية ، اشتدادها على المؤلفين في تاريخ المغرب ، وقد حاول محمد السليماني نشر كتابه « اللسان المعرب ... » في عهد الحماية ، بعد ما كان ألفه أواخر عصر الإستقلال . فاحتاج ـ رعياً للظروف ـ أن يعيد مراجعته ، وذلك ما لوح له في افتتاحية الكتاب قائلاً :

« بيد أني تكلمت حسب الإمكان ، في غالب وقائع هذا الزمان ، وتقلبات الأوان ، لأن الظروف تحجر التصريح ، بما يثير التبريح ، اللهم إلا التلميح بالرمز إلى المقاصد ، بما يعقله العالمون بمقتضيات العوائد ، وتحاشياً عما يوقع في المحذور ، أو يوغر الصدور ، حتى لا يجد أهل الوشايات ، ما يحدثونه في جانبنا من الهنات »[9] .

وقد كان هذا الواقع من أهم الأسباب لضياع أخبار هذه الحركة الوطنية الناشئة .

---

8 ـ « خطوات وخطرات » للقاضي عبد الحفيظ الفاسي ، وهو اسم رحلته التي سجل بها ارتساماته عن زيارته لبعض مدن المغرب الساحلية عام 1328/1910 ، فيوجد بعضها بخط المؤلف : خ . ع ، د 4401 أول مجموع ، حيث يرد النشيد ص 37ـ38 .

9 ـ « اللسان المعرب ... » مطبعة الأمنية بالرباط : ص 3 .

كما كان الحافز للنخبة المغربية إلى التوقف ـ مؤقتاً ـ عن العمل الوطني ، على أن أفراداً من هؤلاء ساقتهم ظروفهم إلى مهادنة الوضع الجديد ، فصار ذكرهم ـ في عروض سابقة ـ إنما يشير لتسجيل الواقع التاريخي في فترة معينة . وإلى الله ـ سبحانه ـ عاقبة الأمور .

ملحق 66

رسالة الشيخ الكتاني ، في وصف وقائع المؤتمر العربي الأمازيغي بمكناس

الحمدلله وحده ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

من محمد بن الشيخ عبد الكبير الكتاني .

إلى الأخ في الله ، المحبوب من أجله ، إبن عمتنا ،
الفقيه الحسيب ، العلامة العدل الرضي الخطيب :
سيدي عبد الحفيظ الفاسي ، وفقك الله ورعاك .
وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله

وبعد : فغير خاف عنك أن موجب نهضتنا من طرفكم السعيد الميمون ، إلى حضرة مكناسة الزيتون : هو ما ثبت لدينا من إضطراب وتفاقم قبائل حوزها ، حيث تشوفت أطماعهم ، ومالت أهواؤهم ، إلى ما استخذلهم به أهل الغي من الأموال ، واستنفروهم به مما عقدته يد العناية الربانية لإستقامة الأحوال ، وأزعجنا الأمر إلى تدارك استصلاحه ، إنتهازاً للفرصة في نجاحه .

فلما حللنا ـ والحمد لله ـ بالمدينة المشار إليها حلول يمن وأمان : استدعينا من بالقبائل المذكورة من الوجوه والأعيان ، لنقدهم من حبائل الغرور ، وردعهم عما أريد بسببهم من ، وتنبيههم من سنة الغفلة ، وحضهم ـ في الدين ـ على كمال الوصلة .

فأتوا يطوون ـ بالليل والنهار ـ سبلاً فجاجاً ، بقلوب مملوة حبوراً وابتهاجاً ، ولم يتخلف منهم أحد ولله حمدي وثنائي وشكري ، لا عربي ولا مجاطي ولا مطيري ولا جرواني ولا زموري ولا زعري .

فاتخذنا بهم الجمع ـ يوم التاريخ ـ مع باشا البلد في مسجد المخزن المعروف بجامع القصبة ، لما أنه أوسع مساجد الوطن لاكتساب هذه القربة ، ويقظناهم

من نومهم ، واسترجعناهم عن قصدهم ، وآخينا بينهم أخوة لا تنحل ـ بحول الله ـ عراها في يسرهم وعسرهم ، بعدما حذرناهم من سوء عاقبة انقلاب أمرهم .

كما آخينا بينهم ـ أيضاً ـ وبين الباشا المذكور ، بما تم به للجمع الفرج والسرور .

وأخذنا عليهم ـ إذ ذاك ـ العهود والمواثيق ، أن لا يعود أحد منهم لذلك الفريق ، وإن عاد إليه ولو به أخ شقيق ، فمحله ومتاعه أولى بالحريق .

وتمكنت منهم الغيرة الإيمانية ، وتكاملت فيهم الأخوة الإسلامية ، وصاروا ـ من الحين ـ إخواناً ، وعلى نصرة الدين أعواناً ، وانعقدت عزائمهم على ذلك ، وحمدوا الله ـ تعالى ـ الذي استخلصهم من الوقوع في شبكة الهالك ، وراحوا ـ بعد الفاتحة ـ على أنه إن لم يعقد صلح ـ من العدو ـ مع مولانا المنصور بالله ، فهم أول قائم ـ بخيلهم ورجلهم ، وأولادهم ونسائهم ، وأموالهم ومتمولهم ـ لإعلاء كلمة الله ، فعند ذلك حصلت بهم الأمنية ، وصلحت فيهم النية .

والله ـ تبارك وتعالى ـ يكفينا وإياهم هم الأعداء ، وبقينا ـ جميعاً ـ من كل المكاره والأسواء ، ويسكن روعة الإسلام ، ويتمم النعمة بعموم بيعة مولانا الإمام ، بجاه خير الأنام ، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام ، آمين .

وأما قبيلة بني حسن والشراردة وغيرهما . فقد بلغنا بعد الكتب إليهم بمثل المكتوب به لغيرهم : أنهم عازمون على التوجه لهناك ـ يوم السبت الفارط ـ بالبيعة السعيدة ، وعقد الكلمة على وفق ما عقدناه ، فنسأل الله ـ تعالى ـ أن يكونوا قد وصلوا ، وبحبل ناحيتكم ـ المبروكة ـ اتصلوا ، وأدوا ما عليهم ، إغتناماً لمزيد رضي الله ورسوله ، اللهم آمين ...

12 صفر الخير عام 1326 .

من مجموعة إجازات ومراسلات القاضي عبد الحفيظ الفاسي .

والرسالة بسخط وإنشاء العالم المكناسي أبي علي الحسن بن اليزيد العلوي المحمدي .

الباب الثامن
دور العلماء في التوعية

الفصل الأول

الدعوة للرجوع إلى السلفية

تبينا عند تقديم الفصل الأول من الباب السابع : أن النهضة الإصلاحية الحديثة بدأت في المشرق بالدعوة للرجوع إلى السلفية الأولى .

وهي ظاهرة واكبت يقظة المغرب الحديث من وقت مبكر ، وكان رائدها الأول هو الحاج محمد بن المدني كنون شيخ القرويين في عصره ، وفي مراكش نشير إلى الشيخ الحاج علي- بن سليمان الدمنتي ، ومن طنجة الشيخ عبدالله بن إدريس السنوسي ، وفي مكناس : الشيخ المفضل بن الهادي ابن عزوز ...

على تفاوت هؤلاء في اتجاهاتهم الإصلاحية ، مع استقلالهم - نسبياً - عن السلفية المشرقية ، مما جعل لهذه الدعوة المغربية الأولى طابعاً مميزاً ، غير أنها جاءت تتزامن مع المرحلة الأولى من هذه الدراسة ، وذلك ما يطرح إلحاق هذا الموضوع بالجزء الأول من مظاهر يقظة المغرب الحديث .

* * *

1 - وقد امتدت هذه الظاهرة إلى الفترة التي نعرضها ، بدءاً من شيخ طريقة صوفية حديثة : هو محمد بن عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني الفاسي ،

المستشهد عام 1909/1327[1] ، جاء في ترجمته بـ « المظاهر السامية » :

« ... همته الكبرى في ترقي الإسلام وإصلاحه مما أحاط به ، يهتم ـ كثيراً ـ بحالة المغرب وجهله وتأخره ، ولا حديث له إلا في ذلك ...

يهتم ـ كثيراً ـ بمحادثات أروبا واتفاقاتها ومقاصدها نحو الإسلام .
يتكدر لتفرقات تركيا وكثرة الأحزاب بها .
ويجهل أمم المغرب الفظيع أكثر وأكثر ...

كم سعى في تعليم أمم البربر وهدايتهم ، وكان يوفد إلى كل جهة وفداً لتعليم الدين وآدابه » .

ويقول عنه في « معجم الشيوخ »[2] : « صدر من صدور عصره ، عالم متبحر ، حافظ من حفاظ الحديث ، بصير بمعانيه وفقهه ، متمكن في علم التفسير والأصلين والكلام ، متبحر في التصوف ، غواص على دقائقه ... مثابر على نشر العلم ، ذءوب على تقريره وتدريسه ، لا يخلو وقت من أوقاته من الخوض في مسائله .

حر الفكر والضمير ، يجاهر بأفكاره ومبادئه في مؤلفاته ودروسه ، مقتدر على إقامة الحجة وإقناع الخصم والإستيلاء على أفكاره ، بما أوتي من قوة العارضة ، والقدرة على البيان ، والبراعة في الاستدلال ، وفصاحة اللسان ، وثبات الجنان .

لم يبلغ أحد من أهل عصره ـ بعد الشيخ ماء العينين ـ مبلغه في إقبال الخلق وبعد الصيت وشهرة الذكر في المشرق والمغرب » .

وإلى هذا : كان الشيخ الكتاني عاملاً على إحياء السنة ، ونصرة مذهب أهل الحديث ، وقد ألف في الجهر بالبسملة في الصلاة ، وفي القبض بها ، وفي رفع اليدين فيها بالمواطن الثلاثة . وكان يدعو لدراسة التفسير والحديث ، ويبدي كبير

---

1 ـ له ترجمة موسعة هي موضوع « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » ، تأليف ابنه الشيخ محمد الباقر ، مطبعة الفجر بالرباط سنة 1962 ، وكان هذا المصدر قد أفادت منه العروض المقدمة عن مبادرات المصلح الكتاني .

2 ـ تأليف الشيخ عبد الحفيظ الفاسي الفهري ، المطبعة الجديدة بفاس 1/45 .

إعجابه بأفراد من علماء الإسلام في معارفهم ومؤلفاتهم ، فيشيد بعالم الأندلس بقي بن مخلد ، وتبهره كثرة مؤلفاته .

ولما وصلت إلى المغرب الطبعة الأولى من تفسير « روح المعاني » للألوسي و« نيل الأوطار » للشوكاني : أقام ـ بهذه المناسبة ـ مأدبة دعى إليها بعض علماء فاس ، إبلاغاً في التنويه بالكتابين والإعلان عنهما ، وهو يسجل إعجابه بالمؤلفين ـ البغدادي واليمني ـ في هذه الفقرة :

« وقد ورد علينا تفسير من قبل بغداد إسمه « روح المعاني » ، واسم مؤلفه محمود الألوسي البغدادي : في تسعة أجزاء ، ما ساعدني القلم والإملاء الروحي إلا أن أسميه عالم المشرقين والمغربين ، لا المغرب ولا المشرق ، ولا المشرقين ولا المغربين ، ولو شئت أن أقول عالم المشارق والمغارب لصدقني من مارسه وخالطه وكانت له ممارسة كبيرة ـ قبل ـ بمجموع التفاسير الموجودة والخفية ، فهناك ربما يشهد بمثل ما شهدت ، وإن وقعت له غفلات فسبحان من لا يغفل ، ولو ادعى الاجتهاد لما نازعته فيه ، لوجود مخايله وعلاماته فيه .

وكذا شرح منتقي الأخبار لابن تيمية ، للحافظ المتقن المتبحر : محمد بن علي الشوكاني الصنعاني اليمني ، سماه « نيل الأوطار » في ثمان مجلدات ، لو أدعاه لسلم له أيضاً ، كما يعلم بمراجعته ، مع يد بيضاء في العلوم ، وذهن وقاد ، وقلب يقظان ، وهمة عليا .

وهذان الإمامان الجليلان مما يضن وجودهما آخر الزمان . والألوسي والألوسي ، فلله النوع الإنساني حيث كان هو منه .. » .

* * *

وفي إتجاه آخر يثير المصلح الكتاني مأساة نبذ بعض المواطنين للعادات الإسلامية ، واستبدالها بالتقاليد الأجنبية ، بما في ذلك إهمالهم للمصنوعات الوطنية ، وتهافتهم على البضائع المستوردة :

« فإنا لله على ضعف إيماننا ، حتى تركنا الشعائر الإسلامية ، وأقمنا الوظائف

الرومية . فكيف لا يغلبون علينا وقد هجرنا سنن نبينا . وعمرنا أوقاتنا بسننهم وآلاتهم وبضائعهم وزخارفهم ومحدثاتهم التي تشغل القلوب والأبصار .. وتقسي قلوبنا ، وتزهدنا في الحرف الإسلامية التي يتمعش بها المساكين والدراويش الذين غلب عليهم طيب الأكلة ...

وللمترجم فقرة مطولة ضد الاحتماء بالأجانب حيث يختتمها قائلاً : « وعلى كل فالاحتماء بهم ومصادقتهم واتخاذهم أصدقاء : جرحة في الدين » .

وسوى هذه النماذج من النقد الذاتي ، فإن المنوه به ينزعج لما تنشره صحافة أوربا من الشبه والمطاعن ضد الإسلام ، ويندب علماء المسلمين للتصدي إلى الرد عليها حسب هذا التوجيه :

« وكان ينبغي لعلماء الملة لما رأوا هذه الجرائد العجمية انتشرت : أن يفهموا أن ظهورها حرب بالأقلام ـ في الحقيقة ـ لأهل الملة ، فكان ينبغي لهم أن يضعوا تأليفاً ولو أن تشترك فيه جمعية دينية ، ويكلف كل واحد بتحرير كتاب فيه ـ وينسب الكتاب لجميعهم ـ في أسرار الشريعة المطهرة ، وبيان مواقع نجومها المقسم بها في قوله سبحانه : « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » ، ويطبعون هذا التأليف ـ مجاناً ـ لله ولرسوله ، وشكراً للأمانة ، وحفظاً للإيمان في قلوب الأمة ، ورعياً للوطن ، ومقابلة للحرب بالسلم ، وإدحاضاً للأباطيل ، وعرقلة لمساعيها بالحجج الدافعة ، ويطبعوا منه الآلاف من النسخ ، ويفرقوه ـ في الدنيا ـ لله .

ولو وقع مثل هذا لحدثت أمور في العالم : خيرية وسماوية ، ولكن إهمال القرائح وعقمها : أنتج نتائج وخيمة لا تحمد ... » .

ومع هذا الموقف وأشباهه ضد تهجمات الأجانب ، كان المترجم يستحسن أن نقتبس من حضارة الغرب ما نحن في حاجة إليه من مزاياها ، ولنستمع إليه يشيد يشيد بفوائد الحرية وما إليها في رسالة المواخاة :

« وقد علمتم ما وصل إليه الأجانب ـ اليوم ـ من النفوذ في العالم ، فإنما

وصلوا لذلك بأمور ، ومنها الحرية التي عبر عنها الشرع الكريم بالقسط والعدل والنصح وعدم المحاباة ، والقيام في كل موطن وما يقتضيه ، ومعرفة كل منصب وما يطلبه ، وعدم إهمال بعضهم بعضاً ، ومعرفتهم بحق من ظهر فيه أدنى نبوغ وتيقظ ، وعدم إهماله حقه ، وعدم رفضه ، بخلاف غيرهم » .

وقد جاء في هذه الفقرة التنويه بتقدير غيرنا للنابغين بينهم . فيقارن الشيخ الكتاني هذه الظاهرة بواقعنا ويقول :

« إن من أسباب انحطاط الأمة الإسلامية في كل صقع : إهمال من نبغ فيهم : كاتباً أو شاعراً أو مشيراً ، أو صانعا يحسن صنعة التجبيص أو البناء أو الأواني أو الثياب ، أو صاحب صوت حسن ، أو ينحاش إليه الخلق : يرمونه رمية واحدة ، عن قوس واحد ، ولم يكن صدر الإسلام كذلك » .

* * *

وستكون هذه الفقرة آخر التوجيهات التي يطرحها هذا العرض كنماذج للعديد سواها ، مما يتناثر في كتاب « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » .

ومن هذه التوجيهات يتبين أن المنوه به يعتبر داعية للسلفية الأولى ، كمصلح إسلامي بالمغرب ، وعلى مستوى العالم الإسلامي .

أما مواقفه السياسية فلها مكان آخر في هذه الدراسة : بين عروض الأبواب الخامس والسابع والثامن .

* * * *

2 ـ بعد هذا انتقل إلى الإسم الثاني في إتجاه السلفية بالفترة ذاتها : الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الحسني الفاسي المتوفي ـ بها ـ عام 1345/ 1927[3] ، وهو معدود من أعلام المغرب ومحدثيه الكبار ، وتجاوزت شهرته إلى كثير من جهات العالم الإسلامي ، وبالخصوص المناطق التي هاجر إليها بالحجاز والشام ،

3 ـ ترجمته ومصادرها ومراجعها بالتقديم الذي كتبه حفيده الشيخ المنتصر الكتاني « للرسالة المستطرقة ... » الطبعة الثالثة نشر دار الفكر بدمشق .

حيث كان داعية للرجوع إلى الإسلام أينما حل وارتحل .

وبين مؤلفاته الكثيرة والمتعددة الأوضاع . كتب للسلطان العزيز ـ في أخريات دولته ـ نصيحة مطولة شرحت أسباب ضعف المسلمين أمام قوة أوربا ، حتى استولت هذه على معظم أقطار العالم الإسلامي . وبذلك جاءت هذه الرسالة تهدف إلى النقد الذاتي لواقع عموم المسلمين ، مع عرض الحلول التي يستردون بها عزتهم وهيبتهم .

والنصيحة المنوه بها وإن كانت موجهة للمؤمنين في جميع الآفاق : فهي تتوجه إلى المغرب بالدرجة الأولى ، غير أن المؤلف استغل التعميم لإفساح ميدان القول أمامه ، فيجهر بنقد الجميع دون أن يبدو أنه يشير إلى جهة معينة . وهو ـ في نفس الأمر ـ كثيراً ما يقصد إلى الاعتراض على واقع المغرب بالخصوص ، فجاءت « النصيحة » بذلك في منهجية حقق بها المؤلف هدفه .

نشرت « نصيحة أهل الإسلام ... » بالمطبعة الفاسية الحجرية من عام 1326هـ ، في 115 صفحة من الحجم المتوسط .

وجاءت تشتمل على مقدمة وأحد عشر مبحثاً وخاتمة .

فالمقدمة تشرح مكانة النصح في الإسلام ، وتبرز وظيفة العلماء في هذا الميدان ، ثم تتخلص إلى التذكير بواقع المسلمين إزاء غارات أوروبا في نداء صارخ يوجهه المؤلف لعموم المؤمنين :

« وإنه ـ يا أمة سيدنا محمد ﷺ ـ قد نزل بنا من أعداء الله ـ تعالى ـ وأعداء رسوله ـ ﷺ ـ وأعدائنا : ما هو غير خاف عليكم ، بل معلوم ـ بالتواتر والعيان ـ لديكم ، فإنهم ـ دمرهم الله ـ قاموا على ساق الجد والإجتهاد ، في أخذ الأهبة والإستعداد ، وقصدوا بلاد المسلمين في كل جهة ، وانتحوا نحوها على كل وجهة ، لا يرون فرصة في الإسلام إلا انتهزوها ، ولا شاردة فيه إلا أخذوها واقتنصوها ، ولا حكومة ضعيفة إسلامية ـ ليس لها حام ـ إلا محوها وضبطوها ،

ولا حيلة أو خديعة تضر بالمسلمين وتوهن قواهم إلا أجروها وفعلوها ، ولا طائفة من جهلة المؤمنين أمكنهم إدخالها في التنصر إلا نصروها وكفروها ، ولا طريقاً تنتهي إلى معادن الثروة ومنابع الغنى إلا سلكوها ، لا يقفون في ذلك عند حد ، ولا ينتهون فيه إلى عد .

حتى إن الأمة الإسلامية التي كانت متركبة من نحو ثلاثمائة مليون نفس تركيباً ، لم يبق منها ـ الآن ـ على حال الحرية والإستقلال إلا نحو من الثلث تقريباً ،

والباقون قد ألجأهم اشتغالهم بما يوهن قواهم ، وإتباعهم لحال نفوسهم وهواهم ، أو مجرد ضعف دينهم ، وقلة إيمانهم ويقينهم . إلى تجرع كاسات الذل والهوان والصغار ، بالدخول تحت أسر أعداء الله الكفار » .

وهنا ينتهي المطاف بالمؤلف إلى المغرب ، فيعلن الحقيقة المرة ، ويفضح مؤامرة الاستعمار ضد البلاد ، ثم يستنهض نخوة المغاربة للدفاع عن شرفهم :

« وقد كان هذا المغرب الأقصا قبل هذا الآوان ، في عزة عظيمة وسطوة كبيرة وقوة منعة ورفعة سلطان ، والآن : قد وجهوا وجه التوجيهات بسياستهم الكفرية إليه ، وقصدوا نحوه من كل جهة وخيموا عليه ، طامعين في الأنفس والبلاد ، قاصدين الإستيلاء على ما فيه من الأموال والأهل والأولاد ، عامدين إلى إظهار الخمر والخنزير والصليب ، والتحكم في الشريف والمشروف والأمير والمأمور والبعيد والقريب ، عازمين على إطفاء نور الإسلام ، واستيصال أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ويابي الله ذلك ورسوله والمؤمنون ، (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) ، (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

كيف وأهل الإسلام ـ والحمدلله ـ ببلادنا وغيرها : لا يحصون كثرة وعدداً ، ونور الإسلام في قلوبهم يربو أبداً ، والأموال والخيول والأسلحة متيسرة ، والقوة حاصلة وليست متعذرة ، فكيف معها نتحمل الذل والهوان ، ونخضع لعبدة الصلبان ، أو نجعل لهم السبيل إلينا ، ونرضى بظهور كلمتهم وبولايتهم

علينا ، كلا ـ والله ـ لا يرضى بهذا ذو همة دنية ، فضلاً عن أرباب الهمم العلية .... » .

* * *

حتى إذا فرغ من المقدمة يأخذ في تشخيص أهم مظاهر الإنحلال الذي خيم على العالم الإسلامي فمهد للغلبة والإستعمار .

والمؤلف يصنف هذه المظاهر في أحد عشر مبحثاً ، فيبدأ كل مبحث بتحديد هدفه في فقرة واضحة ، ثم يعقب ـ في نفس طويل ـ بمستندات الموضوع من الكتاب والسنة وأقوال العلماء ، مع تحليل ذلك ـ أحياناً ـ بنداءات وصرخات توجه ـ تارة ـ إلى العموم ، ومرة إلى الحكام أو النخبة من المؤمنين .

وقد استهلت النصيحة عرضها كالتالي : « المبحث الأول ... إختلاف كلمة أهل الإسلام ، وعدم حصول الألفة بينهم والإلتئام ، وتنازعهم وتنافرهم وتخاذلهم وتناثرهم ، وتفرق جماعتهم ، وتناكر قلوبهم وأفئدتهم ، وإعراض بعضهم عن بعض ، وعدم رجوع بعضهم إلى بعض حتى في إقامة الدين ، ومحاربة من أمر الله بمحاربته من المعتدين ، وحتى إن المؤمن الكامل منهم لا يكاد يجد له على نصرة الدين وإقامة شعائره ظهيراً ولا معيناً ، وإنما يجد من يخذله فيه خذلاناً مبيناً » .

وبعد ما أفاض في تقرير هذه النقطة ، عقب بتبرٍ يزدوْر الاستعمار في بث أسباب الخلاف بين المؤمنين والكيد لهم ، وقال : « ومن تصفح التواريخ والأخبار ، وسبر أحوال الأمم السالفة بعين الإعتبار ، علم أن جميع الملل والأقوام ، في الجاهلية والإسلام ، ما نالت السعادة والعزة والشرف وانتصرت على أعدائها إلا بالائتلاف والإتفاق ، ولا باءت بالذل والهوان وأهلكتها صروف الدهر وذهبت عنها ريح النصر إلا بالشقاق والافتراق ، والميل إلى الفساد والنفاق .

وعلم ـ أيضاً ـ أن النصارى ـ دمرهم الله ـ لم يدركوا في المسلمين ثأراً ، ولم يدفعوا عن أنفسهم عاراً ، ولم يخربوا من البلاد الإسلامية منازل وديارا ، ولم يستولوا عليها بلاداً جامعة وأمصاراً : إلا بعد تحريكهم بين المسلمين أسباب

الخلاف . واجتهادهم في حصول التفرقة بين المؤمنين والاختلاف .

وأنه مهما كانت كلمتهم مؤتلفة ، وأهواؤهم لا مفترقة ولا مختلفة ، فلا سبيل لأحد من أهل الملل عليهم . ولا يطمع في توصيل شيء من المكايد إليهم .

وقد دل الإستقصاء لأحوالهم ، والنظر إلى ما يصدر من أفعالهم : على أنه لا أمل لهم ـ قبحهم الله ـ إلا في التمرس بين الإسلام والمسلمين ، وإعمال الحيلة على المؤمنين ، وإضمار المكيدة للموحدين ، واستبطان الخديعة للمجاهدين ، ويظهرون ـ مع ذلك ـ أنهم ساعون للإسلام في العاقبة الحسنى ، وأنهم منطوون لأهله على المقصد الأسنى ، وأنهم مهتمون بمراعاة أمورهم ، وناظرون ـ بعين المصلحة ـ لخاصتهم وجمهورهم ، وتبا لعقول تقبل منهم هذا المحال ، وتصدق هذا الكذب بوجه أو حال ، كيف وهم ممن يتدين بتخريب الإسلام ، ويعتقد القربة العظيمة في إبادة أهله على الدوام .

ووالله ثم والله : ما هم ساعون إلا في إذهاب أنوار الإيمان وإطفائها ، وملتمسون إلا الحيلة في هلاك الأوطان وابتغائها ، ولا يرجى منهم من الخير مثقال ذرة ، ولا ينال من أحد منهم ـ أبداً ـ مبرة ، وإنما ينال منهم الوبال الشديد وعظيم المضرة ، وما لا يحصى من المغارم الثقيلة والأنكاد الطويلة والمعرة .... » .

* * *

وإلى هنا تنتهي هذه الفقرة المطولة حيث فضحت نوايا الاستعمار ضد الإسلام ، وبعد هذا يتابع المؤلف تحليل النقطة الأولى ، فيثير لوناً آخر من مكايد الغرب في تفتيت وحدة المؤمنين :

« ومن عادة العدو اللعين ، في كل وقت وحين : أنه إذا أراد التوصل إلى بلد أو قبيل ، ولم يجد إليه السبيل ، يأتي بالأموال الكثيرة الجسيمة ، ويفرقها على الرؤساء من أهله وأهل الشوكة العظيمة ، فإذا قبلوها انطفأت بها قوتهم ، وزالت حدتهم ، وركنوا ـ بقلوبهم ـ إليه ، وثبطوا غيرهم ممن يريد أن يأخذ على يديه ، بل ربما دلوه على عورات المسلمين ، وبينوا له الطريق الموصلة إلى استئصال

الموحدين ، فيجد عدو الله بذلك السبيل ، وينتهز الفرصة التي لم يجد إليها قبل من سبيل ... » .

وننتقل ـ الآن ـ إلى النقطة الثانية من النصيحة ، وهي تندد بظاهرة ترك المسلمين للاستعداد ، بما يعين على مدافعة الأعداء ، بينما يستحدث هؤلاء من الأسلحة ما ينتهزون به الفرصة على الإسلام ، مع أن المسلمين أحق بأن يكونوا هم المتفوقين في هذا الميدان .

ومن صرخات المؤلف في هذا الموضوع : « ... ونحن ـ أيتها الأمة ـ في هذه الأزمان ، في كثير من البلاد والثغور والأقاليم : قد استحوذ علينا الشيطان الرجيم ، فأصمنا وأعمانا ، وأضلنا عن طريق الهدى وأغوانا ، فتركنا ما هو الواجب علينا من أخذ الأهبة والاستعداد ، والقيام في ذلك على ساق الجد والاجتهاد ، حتى زالت هيبتنا من قلوب العدا ، واستعدوا ـ هم ـ وجعلوا يهددوننا بالمجيء إلينا في اليوم وغداً ، وطمعوا في أخذنا من غير سلاح ، والإستيلاء علينا جداً بلا مزاح .

بل قد استولوا على كثير من البلاد ، واستعملوا عليها بمجرد الحيلة بلا قتال ولا جهاد ، ومع ذلك فلم يشعر منا شاعر ، ولا تزحزح واحد منا عما هو عليه من تعاطي أسباب الشر الظاهر ... » .

* * *

النقطة الثالثة : ترك شعيرة الجهاد ، كأنه صار شرعاً منسوخاً منقوضاً . ولذلك فقد المسلمون ما كانوا فيه من عزة ، وأصبحوا فقراء غب ما كانوا أغنياء ، ومتحاربين إثر ما كانوا على قتال الأعداء متعاونين ، ومفترقين بعدما كانوا مجتمعين .

والمؤلف يرد هذه الظاهرة إلى جملة من الأسباب ، بينها الإنهماك في شهوات الدنيا على حساب نسيان التلبية لنداء الجهاد ، وهكذا يقول « ... فإن محبة الدنيا والإنهماك فيها من أعظم أسباب الوبال ، بل هو الأصل في كل ما عرض من الفتور في الدين والإنحلال ... » .

ومرة أخرى يشير إلى أثر الدعة والراحة في القعود عن الجهاد حسب هذه الفقرة : « ... وما وقع لكثير من أهل الأقطار ، من قبل عدوهم حتى صار يقطع لهم البحار ، ويتبعهم في الفيافي والقفار ، والمسلمون ـ أمامه ـ كأولاد الجراد ـ هذا يتقدم أمام الآخر ـ سالكين نهج الفرار : إلا من طول المهادنة في تلك الأوطان . وعدم ممارسة القتال وشدة الامتحان ، فسكنوا إلى الراحة ، واشتغلوا بالتكسب وأمور الزراعة ، وصار عدوهم يتحيل عليهم بأدنى التحيلات ، ويظهر لهم المحبة والصداقة والمصافاة ، إلى أن انتهز فيهم فرصته فأتى عليهم ، ووجه وجه النكال إليهم ، فندموا حيث لاينفع الندم ، وما بالعهد من قدم » .

* * *

النقطة الرابعة : إسناد أمور الدين من جهاد وغيره إلى غير أهلها ، وتفويضها إلى من لا خبرة له بفرعها وأصلها ... وفي هذا الإتجاه يقول المؤلف : « ... وقد سرى هذا الداء في جميع الأقطار ، وعم شؤمه النواحي كلها والأمصار ، وصارت المناصب الشرعية كلها بالتوارث والتجالد والحمية ، لا بالإستحقاق والأهلية ... » .

* * *

النقطة الخامسة : وردت في نصيحة أهل الإسلام هكذا : « المبحث الخامس : مصافات الكفار ، وإتخاذهم أصدقاءوأولياء دون المؤمنين الأبرار ، ومودتهم والركون إليهم ، والتعويل في أمور المسلمين عليهم ... » .

ويتابع المؤلف هذا العرض إلى أن يقول : « وقد شاع في هذه الأعصار ، في كثير من الأقطار ، توليتهم على المؤمنين ، وإعلاؤهم بالتحكم في رقاب المسلمين ، من غير مبالات بما يحصل للمسلمين في ذلك من الذل والهوان ، ولا بما يلحقهم به من الإذاية البليغة والنقصان ... » .

* * *

النقطة السادسة : تقليد العادات الأجنبية ، والأخذ بقوانينهم الوضعية ، والإستحسان لأرائهم المضلة ...

النقطة السابعة : إلحاق الضرر بالمسلمين ، والتسبب لهم في الإذاية الكبيرة عن طريق التسلط عليهم بالجور والظلم والإفساد .

* * *

النقطة الثامنة : إشتغالنا ـ حسب تعبير المؤلف ـ باللهو والطرب . والهزء والباطل ، وإنفاقنا للأموال العظيمة في انتخاب المناكح والمراكب والمشارب والمـأكل . وتشييدنا للأبنية والدور . وإعلاؤنا للغرف والمساكن والقصور ...

وما كان سبب ابتلاء من ابتلي بغلبة الكفار عليهم ، والإستيلاء على بلادهم كأهل الأندلس وغيرهم ، إلا اشتغالهم بمثل هذا ، فلم يشعروا إلا وهم في أسر عدوهم ، مستولياً عليهم وعلى معاقلهم ...

* * *

النقطة التاسعة : إعراض المسلمين عن العمل بالكتاب والسنة . واستبدال هذا الطريق القويم بإتباع العوائد الردية ، والأهواء الباطلة . جهلاً بشـؤم ذلك . وما يتبعه من البلايا والمحن والمهالك .

* * *

النقطة العاشرة : التجاهر بالمنكرات ، مع ما يجر ذلك من عظيم الآفات .

* * *

النقطة الحادية عشرة : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وبين ملاحظات المؤلف في هذا المبحث يأتي التعليق التالي : « ومن العجب العجيب ، أنه كما قل من يأمر وينهي قل من يسمع ويجيب ، حتى لا تكاد تجد من يقبل النصح ويرجع عن هواه ، أو يلتفت إلى من يدله على ما فيه رشده وهداه ، بل اتبع الناس آراءهم وأهواءهم . وجعلوا كلام النصحاء وراءهم . متصاممين عن سماع الموعظة والتذكرة . متماوتين عند تذكيرهم بما يعود عليهم نفعه في الدار الآخرة ... » .

* * *

وبهذه النقطة الحادية عشرة . ينتهي موضوع مباحث « نصيحة أهل الإسلام » . لتأتي ـ بعدها ـ خاتمة الرسالة ، فتذكر ببعض مباحث « النصيحة » . وتعود للحث على إحياء شعيرة الجهاد ، لإنقاذ الدين والبلاد .

ومن جهة أخرى تحدد الرسالة الأصناف الذين تتوجه إليهم دعوة « النصيحة » بالدرجة الأولى .

وقد استهل المؤلف الموضوع الأول من الخاتمة كما يلي : « ... فهذه هي أسباب هلاكنا أيتها الأمة الإسلامية : على سبيل الإجمال ، في الحال والماضي والاستقبال ، فلنشمر عن ساعد الجد في تركها ، ولنقم على ساق الاجتهاد في قطعها ، ولنتبع سبيل المؤمنين ، والسلف الصالح أجمعين :

بترك موالات أعداء الدين .
والتأهب لجهاد الكفرة المعتدين ، بعد جهادنا لنفوسنا .
ورد المظالم إلى إخواننا .
وأمرنا بما أمر به مالكنا ، ونهينا عما عنه نهي سيدنا وخالقنا .

إن أردنا السلامة والنجاة ، والعصمة في الحياة وبعد الممات ، وإلا فقد عرضنا نفوسنا لسخط الله ، وحلت بنا ـ إن لم يتجاوز عنا ـ عقوبة الله ...

وبالله عليكم معاشر الإسلام وخصوصاً الأمراء والولاة ، ومن له بالدين عتناء وإكثرات : كيف الحياة مع العقارب والحيات ، ومن يجهر بالشرك والتثليث وأنواع الكفر والضلالات ، أم كيف تشرق علينا شموس الإسلام ، إذا علتها من كل جانب سحائب الجهل والغواية والظلام .

فلنفق من سكراتنا ، ولنستيقظ من منام غفلاتنا ، ولنستعن بالله في تحصين بلادنا وساحتنا ، وحياطة ديننا وملتنا ، ولنبادر عليل الإسلام قبل أن يموت ، ولنتدارك من الدين ما عسى أن يفوت ... » .

ومما جاء في الموضوع الثاني من هذه الخاتمة ، قول المؤلف عن الأيمة : « وبالجملة فمعظم المقصود من نصب الإيمة : إقامة الدين ، وجهاد أعداء الله ،

وتنفيذ أحكامه ، وكف أيدي المعتدين والظالمين ، وتأمين السبل والبلاد ، والقيام بسنن خير العباد .

فمن كان منهم ناهضاً بهذه الأمور ونحوها حصل به مقصود الإمامة ، وانتفع الناس بولايته غاية النفع ديناً ودنيا ، وحصل له على ذلك الأجر التام ، والرضى الكبير من الله تعالى ، ومن رسوله ﷺ ... » .

* * *

وأخيراً : تأتي في نهاية « نصيحة أهل الإسلام » هذه الفقرة : « وقد كتبت هذه النصيحة قاصداً بها جميع أهل الأفاق ، من كل المسلمين على الإطلاق ، وخصوصاً أهل مغربي ، لكونهم جوار مكسبي . وأنا أعلم أن الوقت ـ ولا بد ـ غير مساعد ولا راض ، وأن الزمان زمن الإمارات المؤذنة بالإنقراض ، ولكن رجوت النفع بها ولو لبعض الناس ، ممن أراد الله تطهيرهم من الأرجاس ، ولم آيس من حصوله للجم الغفير ، أو القطر الكبير ، وربنا على كل شيء قدير .

وقصدت ـ أيضاً ـ إظهار العلم والخروج من الكتمان ، وإبداء عدم الرضى بما حل في الزمان ، والأداء لبعض ما يجب من الإنكار ، والتغيير والإنذار ، على حسب الطاقة والإمكان ، وهل يلام إذا أدى بعض ما عليه الإنسان ؟ » .

* * *

وقد تبع ظهور « نصيحة أهل الإسلام » صدى طيب في الأوساط المغربية ، فقام بشرحها المحدث المغربي الشهير : الشيخ محمد المدني ابن الحسني الحسني الرباطي في مؤلف مطول يحمل اسم « منح المنيحة في شرح النصيحة » ، ابتدأه في 15 محرم عام 1327 هـ ، وأتمه في صفر 1328 هـ ، وتم تخريجه وتحريره عام 1330 هـ ، فجاء في أربع مجلدات تشتمل على 110 كراسة معتادة ، وقد أطلع عليه كثيراً من أصدقائه ، وأشياخه الذين قرظه منهم أبو حامد البطاوري بقصيدة من أبيات 25 مصدرة بكلمة .

ومن جهة أخرى : كان المجاهد المغربي الكبير : الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ومعه قادة الحرب الريفية ، يجعلون من هذه « النصيحة » دليلهم الذي يسيرون على هديه في كفاحهم ضد الاستعمار .

ومرة أخرى : صارت المصدر المهم للتوجيهات التي كان فقهاء الأطلس المتوسط : يؤلفونها في غمرة كفاح الأطلسيين ضد الاحتلال .

الفصل الثاني

الدعوة إلى الجهاد

3 ـ والمعني بالأمر مؤلفان يناديان بالجهاد ، كحل حاسم ضداً على المد الاستعماري ، فنشير ـ أولاً ـ إلى رسالة موضوعية من تأليف محمد التهامي بن عبد القادر السوسي الباعقبلي ثم المكناسي ، المتوفي ـ بها ـ عام 1336/1918[1] .

وكان معدوداً من علماء العاصمة الإسماعيلية ، أستاذاً في التدريس للعلوم والقراءات . كما كان شيخا للسلطان عبد الحفيظ . ورسالته تحمل إسم « غنية الإنجاد في مسائل الجهاد » . فرغ من جمعها يوم الأربعاء سادس ربيع الثاني عام 1326 هـ ، فجاءت في 81 ورقة من الحجم الصغير ، ومنها مخطوطة خ . م 12313 .

ويصنفها المؤلف في مقدمة وأربعة أبواب وتتمة وتكميلات :

المقدمة : في الترغيب في الجهاد .
الباب الأول : في نصب أمير جيش الجهاد وما يجب له أو عليه .
الباب الثاني : في أحكام الجهاد .
الباب الثالث : في القتال وما يتعلق به .
الباب الرابع : في المغانم وأحكامها .

1 ـ ترجمته عند ابن زيدان في « إتحاف أعلام الناس » 2/107-110 .

وبعد تذييلات يقفي بالتتمة في أربعة فصول :

الفصل الأول : في المسابقة والرمي .
الفصل الثاني : في فضل الخيل والنفقة عليها ، وربطها في سبيل الله تعالى .
الفصل الثالث : في فضل الرباط وعمل المجاهد .
الفصل الرابع : في فضل النفقة في سبيل الله ، وذم البخل في الجهاد ، وما جاء من الوعيد في ذلك .
الخاتمة : في مدح الشجاعة وذم الجبن وحقيقتهما ، وذكر بعض شجعان السلف .

وبعد هذا تذيل « غنية الإنجاد » . بتقريظ لشاعر مغربي لم يذكر إسمه ، في قصيدة يقول فيها .

شاهد أخا الإنجاد والإرشاد
بدراً تكامل في سما الإسعاد
واثمد جفون العين منك وسرحن
طرف الكرا في غنيتي ومراد
وأنظر إلى ألفاظ طرس رصعت
بفوائد قد أنبأت بجهاد
فكأنها ملك تعاظم ملكه
خضعت إليه حواضر وبواد
أو أنها عذراء فوق منصة
أخذت بأفئدة الورى وفؤاد
أو جوهر قد نظمت أفراده
في عسجد يرضاه كل عباد
لم لا . وممليها التهامي من سما
فوق السماك بفهمه الوقاد ....

لله دره من فقيه ناصر
من صار للأعداء بالمرصاد
ظنوا الجهاد تعذرت أسبابه
وتمشدقوا بأقاول الإفساد
زعموا بها الإرشاد وهي كما ترى
بطريق أهل الشرع سوء فساد
إن قلت كفوا عن أكاذيب وهت
وخذوا التقى عدوك في الحساد
أو قلت قال الله قال رسوله
قالوا نعم . لكن بحال جماد
وإذا دعاهم للخرافة كاذب
قالوا أجدت بأكمل استعداد
تعساً لقوم الكفر غايتهم لظى
نزاعة الأمعاء والأكباد
أو ما دروا أن الشريعة أسست
بقواعد الإجماع دون فساد ...

* * *

4 ـ ننتقل ـ الآن ـ إلى الرسالة الثانية في موضوع الجهاد . وهي من تأليف الشيخ محمد بن إدريس بن محمد القادري الحسني الفاسي نزيل مدينة الجديدة ، والمتوفي ـ بها ـ عام 1350/1941[2] .

وقد كان معدوداً من نخبة أعلام فاس في عصره . وبالخصوص في مادة الحديث الذي دون فيه مؤلفات . يأتي في طليعتها « شرح بعض سنن الترمذي » . ويهمنا ـ هنا ـ أن المنوه به كتب في الدعوة إلى الجهاد عدة رسائل :

ـ عنوان السعادة في فضل موت الشهادة .

---

2 ـ ترجمته عند أحمد بن الصديق في فهرسه : « البحر العميق ... » سالف الذكر عند الباب الثالث : 1/133ـ144 .

ـ سبيل الهداية إلى فضل تعلم وتعليم الرماية .
ـ سبيل الرشاد ، لمن يريد الفوز يوم التناد .

ولما جاء هذا مطولاً اختصره باسم : « سبيل المحسنين . إلى فضل الجهاد في سبيل رب العالمين » .

وهذا هو المطبوع من هذه الموضوعات الجهادية ، حيث نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية من عام 1326 هـ ، في 40 صفحة من الحجم المتوسط .

ونذكر ـ أولاً ـ أن مؤلفه كتبه ـ كأصله ـ للرد على الذين تجاهلوا فرضية الجهاد على المغاربة ، بعدما ضاعت أجزاء واسعة من أطراف البلاد ، واحتلت وجدة والدار البيضاء .

وهكذا جاءت رسالة « سبيل المحسنين ... » تشتمل على مقدمة ومقصدين وخاتمة .

المقصد الأول : بيان أن الجهاد بالنسبة لواقع المغرب آنذاك دائر بين فرض الكفاية أو العينية .

الثاني : في عرض شواهد موضوعية : من آيات قرآنية كريمة ، وآحاديث نبوية شريفة يبلغ تعدادها خمسين حديثاً .

الخاتمة : في ذكر مسائل أخرى تتعلق بالجهاد في عشرة فروع .

وهذا ما يهمنا من مقدمة الكتاب : « ... إنه لما نشبت أظفار القساوة الوقت ، ونادى الكتاب والسنة على المتسمي بالعالم والمتعلم ـ الغافلين والمتغافلين ـ بالمقت .

وذلك عندما ضعضعت الأركان ركناً فركناً ، ووجد الكفار على هدم الدين عيناً وعوناً ، وحلوا وسط هذا القطر المغربي بعدما أحاطوا منه بالأطراف ، حلول اللئام ـ إذا غلبوا ـ بالأشراف ، وانتزعوا من أيدي المسلمين بلاداً كثيرة ، ذوات نعم شهيرة ، متسعة الأكناف ، تتفلت ـ أسفاً عليها ـ الأرواح ، وتفني دونها الأشباح ، ومدوا أيديهم في المسلمين بالقتل وسفك الدما ، ونزلوا فيها نزولاً حربياً

حتماً : بالمدافع وأنواع القوة والعدد ما ضاق عنه متسع الفضا ، مما تتفطر لبعضه قلوب أهل الإيمان غيظاً .

وصار بعض من لا يخاف الله يقول في المحافل : إن الجهاد في هذا الوقت حرام ، من غير خوف من الله ولا احتشام .

وبعض آخر يقول : إنه لا يتعين حتى يحل بقرب البلاد ، من غير خوف من عقوبة رب العباد .

وبعض آخر يقول : إن حلوله وسط البلاد ليس فجئاً ، بعدما ملئوه بالمدافع والمقاتلة ملئاً ...

جمعت تقييداً متسعاً في الجهاد ، وسميته « سبيل الرشاد » ، فيه نحو عشر كراسات ، ثم اختصرت منه هذا التقييد ... » .

* * *

وإلى هنا ينتهي مدخل « سبيل المحسنين .. » ، ليأتي ـ بعده ـ المقصدان والخاتمة ، حيث تبينا ـ سلفاً ـ موضوعاتها ، ونشير ـ الآن ـ إلى قصيدة في تقريظ هذه الرسالة من جهة أحد الأدباء من علماء فاس آنذاك : محمد بن عبد الكبير بن محمد الطالب ابن الحاج ، السلمي المرداسي ثم الفاسي ، المتوفي ـ بها ـ عام 1378 هـ ، وهذه مقتبسات من القصيدة :

... وأرى سبيل المحسنين رحابها
قد عمرت بنفائس الأعمار
ما الحسن والإحسان إلا أن ترى
في دين أحمد ناشر الأثار
يا معشر الإسلام دونكم الوغى
تلك الحياة ومنية الأخيار
ضفوا الصفوف إلى العدو ولا تروا
قواهم فالله ذو الأقدار ...

الفصل الثالث

مواقف إزاء قضايا جدت في الاقتصاد المغربي

5 ـ مُحمد بن مُحمد بن مصطفى المشرقي الحسني الفاسي ، المتوفي ـ بها ـ عام 1337/1919 .

فنشير إلى فقرة له يبرز فيها الفارق بين الآداءات في كل من الزكاة والترتيب ، ليستنتج عدم مشروعية ضريبة الترتيب ، وهكذا يقول[1] : .

« ... إذ الشريعة إنما أوجبت الزكاة ـ فقط ـ على من تم له نصابها : من الدراهم والماشية وغير ذلك من الحب والزيت ، ومن لم يتم له النصاب فلا يجب عليه شيء .

والترتيب موجب على من له شاة واحدة ـ مثلاً ـ أن يؤدي عليها . والكثير من الناس لا يجب عليه شيء من جانب الشريعة ، فيكون أكثر الناس مظلومين ، بل كلهم حتى من تم له النصاب :

فإذا كان للرجل ـ مثلاً ـ أربعون شاة يجب عليه في الترتيب أربعون سبع أواق ، وفي الشريعة شاة واحدة ، فقد يتساوى الثمن والشاة ، أو يزيد القدر الواجب أو ينقص

1 ـ « الحلل البهية » .

بقريب ، ومن هناك وهو مظلوم فيما زاد له إلى مائة وعشرين ، إذ الواجب فيها شاة واحدة ، ويجب عليه في الترتيب ستة ريال ، وهكذا .

وكذلك صاحب الفرس والبغل والحمار ، وصاحب البقر فيما دون الثلاثين . وأشجار ثمار المصيف وغير ذلك مما لا زكاة فيه من الحبوب : فهؤلاء كلهم مظلومون ، ولا يخلو من هذا أحد ، فتعين ظلم الرعية ...

... ولا يخفى على أهل العلم ما أوجبه الشرع على المسلمين ، مما يعمر به بيت مالهم : من الزكاة والفيء والركاز وإرث من لا عاصب له .

وفي جامع المعيار عن ابن منظور ما نصه : إن الأصل أن لا يطالب المسلمون بمغارم غير واجبة بالشرع ، وإنما يطالبون بالزكاة وما أوجبه القرآن والسنة كالفيء والركاز وإرث من يرثه بيت المال ، فإذا عجز بيت المال عن أرزاق الجند وما يحتاج إليه من الآلات الحربية وعدة : فيوزع على الناس ما يحتاج إليه من ذلك ، وعند ذلك يقال : يخرج هذا الحكم ويستنبط من قوله تعالى : « قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً » الآية ، لكن لا يجوز هذا إلا بشروط .... » .

6 ـ أحمد بن المأمون البُلغيثي الحسني الفاسي ، المتوفي ـ بها ـ عام 1348/ 1929[2] .

وكان بين مؤلفاته واجد يحمل إسم « بيان الخسارة ، في بضاعة من يحط من مقام التجارة »[3] ، فيثير ـ في خاتمته ـ موقف التشريع الإسلامي من الأنظمة الإقتصادية الحديثة التي وصلت للمغرب ، وشاعت بين أوساط التجار المغاربة . ومنها :

ـ التعامل بـ « أوراق القبض »
ـ التعامل بالشيكات البنكية .

2 ـ له ترجمة موسعة تتصدر تأليفه « تشنيف الأسماع » . من عمل إبنه أديب عصره : عبد الملك البلغيثي : ص 1ـ52 .

3 ـ مصور على الشريط خ . ع 1233 عن مبيضة مؤلفه ، حيث فرغ منها يوم 8 شعبان 1325/ «1907» : 121 لوحة عدا لوحتي الفهرس .

ـ التأمين على البضائع الموجهة للجهات .
ـ ضمانة النقود المبعوث بها عن طريق البريد .
ـ التعامل بالأوراق النقدية الفرنسية أو الإنكليزية ، وكانت ـ إذ ذاك ـ حديثة الرواج بالمغرب .
ـ التجارة مع الأجانب داخل المغرب أو إلى أوربا .

وقد كان المؤلف واقعياً في الحكم على بعض هذه النوازل مهما وجد لذلك مسلكاً ، حتى إنه يذيل على بعض الأحكام بهذه الفقرة : « ... وذلك أولى من تحريج الناس ، إذ تمشيتهم على الضعيف ـ فيما جرى به عرفهم وتعذر أو تعسر رجوعهم عنه ـ أولى ، كما هو مقرر في مظانه » .

* * *

غير أن المؤلف لا يرى مبرراً لإحتماء التجار بالأجانب لصيانة أموالهم . فيستهل بحث هذه النقطة قائلاً : « ومما صار ـ أيضاً ـ شعاراً لجل أعيان التجار : إحتماؤهم ـ لحفظ دنياهم ـ بالكفار الفجار ، بل صار بعضهم بالإحتماء المذكور يستطيل ويظلم ، ويستضعف ولاة المسلمين والجانب الشريعة يحقر ويهضم ، وكثر السؤال عن حكم هذا الإحتماء . وهل يجوز لحياطة الأموال من أهل الظلم والعداء ؟ فأردت أن أذكر ـ هنا ـ على سبيل التقريب والاختصار ما في ذلك... »[4] .

4 ـ هذه النقطة والمباحث قبلها : استوعبت ـ من الخاتمة ـ من لوحة 93 إلى لوحة 117 .

الباب التاسع

مشروعان دستوريان

ظهر في هذه الفترة وقريباً منها ثلاثة مشاريع دستورية ، وكان أولها هو الذي اقترحه مواطن من سلا : الحاج علي زنيبر .

بينما كان الثاني من وضع وافد سوري أقام بفاس طويلاً : الشيخ عبد الكريم مراد .

أما الثالث : فلا يزال واضعه أو واضعوه غير معروفين بالضبط ، وقد تأخر ظهوره إلى أوائل العهد الحفيظي ، مما يطرح أن لا تتناوله ـ الآن ـ هذه الدراسة ، حيث تقف عند نهاية أيام العاهل العزيز .

وسنستنتج من تعدد الاقتراحات الدستورية : مدى طموح الوطنية المغربية ـ في مطالع القرن العشرين ـ للملكية الدستورية ، كحل وحيد لأزمات البلاد ، وهو المبدأ الذي لوحت له وثيقة البيعة الحفيظية بهذه الفقرة : « وإذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب ـ في أمور سلمية أو تجارية ـ فلا يبرم أمر منها إلا بعد الصدع به للأمة ... » .

1 ـ مشروع الدستور السلوي :

ونهتم ـ هنا ـ بالمشروعين الأولين بدءاً من مذكرة الحاج على زنيبر ، واسمه كاملاً : علي بن أحمد بن عبد القادر زنيبر « اللطام » الأندلسي : من النخبة الوطنية بسلا .

وفي هذه المدينة كان مولده حوالي عام 1260/1844 . وذهب مع والديه ـ وهو صغير ـ إلى الديار المقدسة قصد المجاورة ، وبعد وفاتهما حمل إلى سلا مسقط رأسه وعمره ـ إذ ذاك ـ نحو سبعة أعوام . ولا يعرف شيء ـ إطلاقاً ـ عن حياته بالمغرب إلى عام 1282 هـ ، حيث كان ـ في هذا التاريخ ـ يشتغل بالتجارة في مدينة فاس .

وفي العقد الرابع من عمره توجه إلى مصر عام 1296/78 ـ 1879 . فيشتغل بالتجارة في الإسكندرية أو في مدينة طنطا . وامتدت إقامته بمصر فترة طويلة عايش خلالها حرب عرابي باشا وساهم فيها ، كما عاين معطيات اليقظة المصرية . وردد أصداءها في أشعاره .

وبعد أربعة وعشرين عاماً يعود إلى المغرب ، أثر حجته عام 1321/1904[1] . فكانت إقامته ـ المديدة ـ ببلد الكنانة تركت ملامحها في تكييف ثقافة المترجم . كما صار لها أثر واضح في تعرفه على الأوضاع السياسية المعاصرة .

حتى إذا آب إلى المغرب واجهته ثورة الجيلاني الزرهوني وهي في أوج اشتعالها . ثم اقتراح المشاريع الفرنسية . فؤتمر الجزيرة وما تلاه من تطورات خطيرة .

ويتجاوب الحاج علي زنيبر مع هذه الأحداث . فيقصد الأشعار الوطنية . وهو موضوع سنعود له في مكان آخر من هذه العروض . وإلى ذلك يدون مذكرة سياسية ضداً على مقررات مؤتمر الجزيرة ، حيث لا تزال مخطوطة في نسختين : إحداهما : مبتورة الآخر ، ولها مصورة على الشريط خ . ع 520 : في 20 لوحة ، ويحمل عنوانها تاريخ ربيع الثاني 1324/ «1906» ، أما النسخة الثانية فهي تامة : في الخزانة الصبيحية بسلا ، وقم 557 : في 20 ص .

وسوى هذا : تحتفظ الخزانة الصبيحية بمجموعة مهمة من مراسلاته . بينها رسائل حافلة بأخبار النشاط الوطني في فاس ، حيث أقام بها المترجم عشرة

---

1 ـ مصدر هذه المعلومات عن الحاج علي زنيبر : من مشروع لترجمته سجله ابن اخته الأستاذ المرحوم الحاج بو بكر الصبيحي . حيث أطلعني عليه سنة 1962 ، وإليه يرجع الفضل في إشاعة إسم المترجم ونشاطه الإصلاحي .

أعوام . وما عاد منها حتى اشتد به المرض ، فنقل إلى بلدته سلا ليتوفى بها يوم وصوله : 1914/1332 ، مخلفاً وراءه تراثاً وطنياً تتصدره مذكرته الدستورية .

* * *

وتحمل هذه المذكرة إسم « حفظ الإستقلال . ولفظ سيطرة الاحتلال » ، فيصنفها واضعها في ثلاث نقط رئيسية :

- تحليل مدلول كلمة الإستقلال .
- تحليل مفهوم الاحتلال .
- لائحة الإصلاحات المقترحة .

وبمناسبة تفسير كلمة الإستقلال ، يقارن المؤلف بين مدلولها وواقع الأمة المغربية ، ليستنتج أن المغرب رغماً عن مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء : لا يزال - قانونياً - في حالة استقلال : داخلياً وخارجياً ، براً وبحراً ، ولتدعيم هذا الإستقلال ، يستلفت الكاتب نظر العاهل العزيز إلى التريث في المصادقة علي لائحة المؤتمر ، ويقترح تأليف لجنة تنتخب من عيون متنوري الأمة ، لتقوم بفحص لائحة الإصلاحات التي انبثقت عن مؤتمر الجزيرة ، حتى إذا أنهت الجمعية المغربية فحوصها ، وأعلنت عن رأيها في تلك المقررات ، يأتي دور المصادقة الملكية على ما يستحسن العمل بمقتضاه .

* * *

وينتقل الكاتب - بعد هذا - إلى تحليل مفهوم كلمة الإحتلال ، فينادي بلزوم اتخاذ كل الوسائل للقضاء علي مقدمات الإحتلال ، مع العمل لإنتهاج سياسة قويمة إزاء الرعية ، والتيقظ للأخذ بالاحتياطات للكوارث الطارئة .

ولتأكيد هذه التوصية : يعقب المؤلف هكذا : « ... وليست القوة إلا في جانب قوم رضعوا ألبان معارف التحوطات الدفاعية ، والتجارب الهجومية : بفطام النفوس عن حب الذات ، وترك الملذات .. » .

إلى أن يقول أثناء كلام : « وليس في ذكر ما صارت إليه حالة الجزائر وتونس وغيرهما من البلدان أدنى تعزية للنفس ، أو فائدة يتمتع بها الحر إذا لم يقم بالواجب» .

* * *

وبعد هذا تأتي النقطة الثالثة من المشروع ، وهي تعرض لائحة الإصلاحات المقترحة في واحد وثلاثين فصلاً ، حيث جاءت كرد فعل وطني في موازاة مقررات مؤتمر الجزيرة ، فتناولت المذكرة إقتراح النظام النيابي ، وشعارات الدولة ، وأنظمة الحكومة .

ومن الطبيعي أن يهتم الفصل الأول بتشكيل مجلس الأمة ، وهكذا تقترح اللائحة انتخاب لجنة من عيون متنوري الأمة تحت رئاسة أفضلهم ، ليضطلعوا بإتخاذ الوسائل الإصلاحية ، وتعميم أصلحها في كل مرافق الدولة براً وبحراً ، جلباً للأمن والراحة ، وذرءاً لكل فساد .

ويعد هذا الفصل الأول : تهتم المذكرة بمظاهر وحدة الأمة في الزي واللغة . وفي أنظمة الأمن القومي ، وهي تقدم هذه الشعارات ضمن فصول ثلاثة هكذا :

إلزام كل مستخدم في مصالح الحكومة كلها ـ بعد استيفاء الشروط ـ بعدم خروجه عن الزي الوطني الذي يتقرر اتباعه ، ما دام في مأموريته المقررة له .

إستعمال اللسان العربي ـ نطقاً وكتابة ـ في جميع دواوين الحكومة براً وبحراً ، إدخال بعض اللغات الأجنبية لضرورة الوقت ، بشرط عدم انفرادها بشيء يخرجها عن سلطة الإجراءات العربية العمومية .

توحيد نظام البوليس وما كان في مصافه تحت الزي الوطني ، والراية الحمراء ، دون رجوع في المخابرات المتعلقة بالتعليم وكافة الإجراءات لغير الحكومة المحلية .

وهنا تنتقل المذكرة إلى مقترحات فعالية الحكومة الوطنية واستقلالها حسب أربعة فصول كالتالي :

تمارس الحكومة المغربية حقها الطبيعي في منح أي امتياز لفرد أو أفراد أو رفض ذلك ، دون أن تتعرض لضغط أية جهة .

وجوب سريان الأحكام المحلية علي كل المغاربة ومن في حكمهم . دون التفات لشريف أو وضيع أو تبعية لأية دولة أجنبية .

تمتنع الدول الموقعة علي عقد الجزيرة عن التدخل لحماية من يسعى في الإخلال

بالراحة والأمن ، ويخضع سلوكه لمقتضيات نظام الحكومة المغربية ، ولو كان من أعظم تابع لأية دولة أجنبية .

الحكومة المغربية هي ـ وحدها ـ صاحبة السلطة التنفيذية : إدارية أو قضائية ، داخلية أو خارجية ، ملكية أو جهادية ، برية أو بحرية ، خيرية عمومية أو خصوصية ، والحكومة هي التي تراقب موظفيها دون تغيير أدنى نظام .

فهذه أربع مواد عن فعالية الحكومة الوطنية واستقلالها ، وستأتي بعدها مسؤوليات الحكومة إزاء الوضع الجديد ، الناتج عن مقررات الجزيرة الخضراء ، وفي هذا الصدد تقدم المذكرة المقترحات التالية :

وجوب المساواة في الجبايات والضرائب ، وإتخاذ كل الوسائل لتعميم مقتضياتها دون استثناء فرد على الإطلاق .

رفض كل تدخل في الشؤون العامة لغير صالح الحكومة ، مع لزوم خضوع الأجانب لقوانين حكومة البلاد .

منع كل استبداد يقضي بعدم تمتع الراعي والرعية بثمرة وسائل العدل في كل حال .

اختيار الموظفين المتصفين بالنزاهة والأمانة ، واستعمالهم في كل المصالح بحسب الاستحقاق .

القضاء على اسباب الفتن الداخلية ، والعمل لاستئصال كل خائن ثائر .

إعلان العفو العام ، ومنح الأمن ، حتى تنتبه القبائل من غفلتها ، وتجتمع كلمة الأمة على ما يعود على الجامعة القومية بالرفاهية والعز والجاه .

مراقبة الحدود مراقبة صارمة ، لمنع التهريب من المغرب أو إليه ، ولا يدخل للبلاد شيء ولا يخرج دون تصريح من رئيس عموم حامية الحدود ، مع اعتبار تعريف المسؤولين ـ شهرياً ـ بالنتائج .

يجب تحصيل مبلغ من المال بطريق الاكتتاب الوطني ، برسم إنشاء بنك

باسم الحكومة ، يتولى جميع مصالحها الإدارية والقضائية ، وإن اقتضى الحال استخدام الأجانب فيه ، يكون ذلك مؤقتاً ، وتحت الزي والحكم الوطني .

لا مجال في المغرب للحريات التي تقضي على المروءة ، وتفضي إلى ما لا تحمد عقباه .

لا يسوغ منح أي انتفاع ، أو إعطاء أي امتياز ، دون أن يكون للوطن والأمة ثلثا أرباحه على الأقل ، مع تحديد مدة الانتفاع أو الامتياز .

كل إصلاح يقترح عن حسن نية ، ويراه مقترحه لازماً . يكون على الحكومة أن تعتني بتنفيذه وإجراء العمل به .

لا تخضع الحكومة لفرض أية رقابة على دخول الأسلحة الحربية وتوابعها اللازمة للدفاع عن مصالح الوطن .

يجب دفع أقساط السلف الأجنبي في آجالها المحددة ، ولا يعقد قرض جديد إلا بعد البحث اللازم .

تمنع أية رقابة أجنبية على إجراءات الحكومة في كل الأحوال .

يجب اتخاذ المبادرات الإصلاحية بالمغرب وتعميمها ، ولكن تدريجياً بحسب الزمان والمكان .

نبذ الآنفة والتباغض والتحاسد ، واستعمال أسباب الألفة والإتحاد في عموم المصالح الحكومية .

انتخاب لجنة من أعيان الأمة لتحرير « مدونة » تسجل بها حقوق الحكومة والأمة وفق المذهب المالكي .

وجوب المحافظة على مصالح الدول ، بمقدار محافظتهم على وحدة واستقلال المملكة المغربية ، مع تجنبهم اقتراح ما يثني عزيمة الرعية عن الثقة بحكومتها ومليكها .

إتخاذ التدابير الناجحة لإدخال المعارف الحديثة للبلاد ، على مستويات الدفاع والصناعة والفلاحة والتجارة ، مما يزيد الأمة تقدماً بكل نشاط .

يجب استنباط تنظيمات تقي المملكة من المطامع الأجنبية ، وتحول دون بسط نفوذ أي كان على ربوع الوطن .

وجوب اتخاذ حلف ودي مع الدولة التي يراها المنصف خير كفء للمعاضدة ، وأقوى ساعد في المساعدة .

انتخاب مفتش عام من خيرة الرجال دربة وتحنكاً بعموم المصالح ، ليمكنه استنباط الإيرادات التي تقوم بمصالح الحكومة ، مع ضبط الميزانية السنوية التي ينقطع بموجبها الغش والرشوة .

وجوب إدخال الإصلاح في مصالح الحكومة ذاتها ، ليمكن تخصيص كل إدارة بما يليق لها .

* * *

تلك خلاصة مذكرة « حفظ الاستقـلال ولفظ سيطرة الاحتلال » ، حيث يختمها واضعها بهذه الفقرة : « فإذا عضد المشروع كان الواجب على رجال الحكومة اتخاذ أحسن التدابير ، لتكوين حكومة منهم قادرة على دفع الطواريء ، وجلب المنافع ، ووقاية الأوطان ، وردع كل من يريده بسوء من انس وجان » .

وسيرد النص الكامل لهذا المشروع عند الملحق رقم 67

2 ـ مشروع دستور الشيخ عبد الكريم مراد :

على خلاف مذكرة الحاج علي زنيبر : فإن هذا المشروع الثاني معروف ، وقد نشر بمبادرة الأستاذ الرئيس محمد علال الفاسي ، غير أنه جاء خالياً من ذكر واضعه ، بما أن المخطوطة التي نشر عنها الأستاذ المنوه به لم يرد بها إسم صاحب المذكرة ، ولحسن الحظ ظهر ـ أواسط سنة 1402/1982 ـ نسخة ثانية من الوثيقة ذاتها : في حوزة كتبي من فاس ، وهي مذيلة بإمضاء مؤلفها ـ بخطه الشرقي ـ هكذا :

قاله العبد الفقير ، خادم العلم الشريف ،
بالحرم الشريف ، النبوي المنيف :
عبد الكريم مراد الطرابلسي المدني ،
عفى الله عنه ، امين .

وبهذا الإمضاء تنحل مشكلة واضع المشروع ، ويتبين أنه شخصية معروفة ، وهو العالم السوري : الشيخ عبد الكريم مراد ، الوافد العقيم بفاس من عام 1324/ 1906 - 1907 ، حيث سبق التعريف به خلال الباب السابع .

وباستثناء فقرة الإمضاء : فإن هذه النسخة الجديدة مكتوبة بخط مغربي فاسي ، في 21 ص من حجم متوسط ، مع ملاحظة بعض من المخالفات بينها وبين النص المنشور .

ولنتبين هذه المخالفات : سنعتمد - في النص الملحق بهذا العرض - صيغة النسخة المخطوطة .

غير أننا لا نهتم - هنا - بتحليل هذا المشروع ، ونجتزي بالتقديم الذي صدره به ناشره المشار له ، بعنوان « حفريات عن الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية » ، مطبعة الرسالة بالرباط : 50 ص تقديماً ونصاً وفهرساً : في حجم صغير .

وكما أشير له وشيكا : فإن النص الكامل للمشروع سيرد في ملحق على حدة ، حيث يحمل رقم 68 .

وشكراً جزيلاً للكتبي النشيط السيد مصطفى البيضاوي الذي أمدني بالنسخة المنوه بها من هذا المشروع الدستوري .

30 - مصورة افتتاحية المشروع الدستوري بالملحق 67

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله المستحق [illegible] ... والصلاة والسلام على [illegible] ... سيدنا ومولانا محمد المختص بالبرهان [illegible] ... وعلى آله وأصحابه الذين [illegible] ... الدين ... [illegible] ... أمر ... [illegible] ... وإن من الواجب ... [illegible] ... الاستقلال ... [illegible]

الاستقلال

بحوث الاستقلال [illegible] الاحتلال

[illegible]

ربيع 2 سنة 1324

[illegible]

ملحق 67

المشروع الدستوري الذي اقترحه الحاج علي زنيبر

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

الحمدلله المستقل سلطانه بالأولية الأخرية ، الظاهرية الباطنية ، والصلاة والسلام على خير مصلح عزيز ، سيدنا ومولانا محمد المختص بالفرقان العزيز ، وآله وأصحابه الذين بذلوا النفس والنفيس في وحدة استقلال الدين ، وكل مؤيد دعوة الانخراط بسلك الراشدين المهتدين ، آمين .

وبعد فإن من الواجب على كل ذي بصيرة من الأمة المراكشية ، تدبر معنى هذه النبذة التي سماها محررها ـ علي زنبير السلاوي ، ستر عيبه ـ « حفظ الاستقلال . ولفظ سيطرة الاحتلال » ، ليعلم حد الاستقلال والاحتلال ، والله المسئول في الإعانة والإخلاص ، والقبول بعز وعدم عائق في البدء والخلاص ، آمين .

ـ الإستقلال ـ

كلمة لا يمكن صرف معناها في الوضع السياسي لغير ما يعطيه مطلق حرية التمتع فيما يترجم بها عليه ، وإلا انحراف الموضوع الذي وضعت لأجله ، وانصرف النظر العقلي إلى جهة ما يعطيه ذلك الإنحراف ، ليمكن جنى ثمرة مطلق التمتع من معنى مبناه ، هرباً من التسلسل الذي لا تسترسل وراءه قط همم فطاحل الساسة من كل أمة .

وعليه فاستقلال دولة مراكش ـ داخلياً وخارجياً براً وبحراً ـ غير منازع فيه ، باعتراف الدول أجمع من قديم الأزمان ، ولذلك جعله مندوبوا الدول العظام الأساس الذي تنبني عليه قاعدة أبحاثهم الإصلاحية ، بالمؤتمر المنعقد فيما بين شهري يناير ومارس سنة 1906 ميلادية ، إجابة لدعوة العزيز الاختيارية ، للنظر في استنباط أصلح ما يمكن إدخاله من إصلاحات ملائمة لعادة عنصر برهن على حفظ

كرامة النزيل بأهليته الغريزية ، وناموس شرف حرية استقلاله النزيه ، لولا نفث النزوع الطبيعي الذي حركه نفس الدخيل .

وبما تقرر يعلم حد الإستقلال الذي حصر مندوبو الدول بالمؤتمر المذكور وجهة قصدهم فيه ، وتأييداً لما رمزناه به اعترافهم الإجماعي بكونه الأساس الذي يقضي على جميعهم بعدم التطرف والخروج عن مضمون معناه ، كما يقضي عليهم باتخاذ الوسائل للمحافظة على سلامة كيانه الذي من لوازمه ثبوت حرية مطلق التمتع المزدوج : بين الراعي والرعية ، ومن هو في حكم التبعية ، بدون أدنى ضاغط خارجي ، لوثوق عوامل الإرتباط الجامع بين أفراد الوطنية : من شريف ووضيع ونزيل تحت الراية الحمراء ، الدالة على وحدة الإستقلال الذي هو الأصل ، إذ البحث في الوسائل الإصلاحية مهما تنوعت لا تخرج عن الفرع ، والفرع دواماً تابع للأصل ، والتطرف مهما كان في المسائل الفرعية خصوصاً المؤثر بأدنى شيء على كيان الأصل الاستقلالي : خروج عن الحد الموضوع له . حكمة بالغة في قانون العدل المبين ، ومن يبتغ غير المحافظة على سلامة مملكة مراكش بعد الاعتراف الإجماعي السابق إيضاحه : فلا عدوان إلا على الظالمين .

فعلى من يهمه حفظ استقلال مملكة المغرب الأقصى من عدوان الإستبداد ، الذي هو ضرب من الإحتلال بدون حق في كل قوة واستعداد ، أن يبرهن للعالم بماله من قوة سعد الساعد ، وسطوة خلوص طوية المساعد ، لحكومة جلالة مولانا المنصور بالله : بالتنبيه اللازم لدرس لائحة الإصلاحات بواسطة لجنة تنتخب من أعيان متنوري الأمة بأمر مولوي عزيز ، قبل التوقيع الملوكي عليها ، حذراً مما لا ينطبق على الأصل ، ويمكن تعديله بما لا يعوق التمتع بفوائد الإصلاح ، لأن غض عين أعيان الأمة عما فيه أدنى مانع من نيل سعادة مطلق التمتع بالإستقلال : فقد حياة الشعور الوطني ، الذي لولاه ما ارتقت أمة في معارج التمدن والعمران ، إذ لا يوجد لأدنى دولة مسيحية اعترف باستقلالها ما يعوق رعاياها أو حكومتها من مطلق التمتع المزدوج بينهما بأدنى ضاغط ، أو شبه سيطرة خارجية من قوى أو ضعيف ، لأن الحي لا يرضى بأدنى ما يقضي على أمته بالموت ، وأي موت أشبه باعطاء سيف الذود عن حياض الإستقلال ، بعد إعطاء صك التأمين على سلامته لراعي حماه ، لمن

ينتهز الفرص لنزعه من يده بما لا يصوره عقل النزيه ، إذ لا صالح لجميع الدول العظام في هدم صرح بناه أعظم مهندس غير جاهل أسباب الإصلاح اللائق به .

فالتنبيه على مثل هذه المباحث الجوهرية الأصلية ، لا يعد تطرفاً أو خروجاً عما أجمع دعاة الإصلاح على استحسانه ، للعلم بما ترمي إليه غاية كل نزيه ، أدناها عدم هضم حق يشهد التاريخ بثبوته ولو لضعيف .

ويؤخذ مما تقرر أن لا صالح لأمة مستقلة فيما يمس كرامة استقلالها جوهرياً كان أو عرضياً ، ومن المحال أن ترضى أعظم الدول بموت أمة مستقلة لا رغبة لها في الإصلاح إلا في دوام تمتعها بحياة نعيم التمدن الإصلاحي .

وتنبيه الخبير على وجوب درس لائحة الإصلاح العام ، للوقوف على أسرار مبناها ، وتطبيق مركب أساليبها على بيان بديع معناها وأسناها ، لا يمس كرامة الواضع لها ، ولا مما يمكن تصوره من وجود جنوح للعوائد القديمة التي يرى المتمتع بثمرتها عدم صلاحية كل إصلاح يقضي على صالحه بالصعق والدك ، بل القصد الوحيد الذب عن حياض الاستقلال الوطني ـ المؤيد من كافة الدول العظام ـ من مس أدنى حق يخرجه عن الحد الموضوع له كما وضع لمثله ، ويكفي الجميع لاستلفات نظرهم ما رسم بهذه النبذة الوجيزة مما عليه أدنى دولة مسيحية بالنسبة لعددها وموقعها الجغرافي بين مواقع الدول العظام ، وحسبنا تمتع دولة سويسرة الجليلة ودولة اليونان والرومان والبلغار والسرب ومن دونهم في العدد والعدد .

* * *

وعلى ذلك فالعبد ـ على لسان حال أمته وأهل وطنه ومن في حكم التبعية والذين يقدرون نعمة الإستقلال المعبر عنه بإعلاء كلمة الله ـ يستلفت أنظار جلالة المولى العزيز المنصور بالله حزبه وجنده وحكومة ملكه وسلطانه الأعظم ، إلى حالة ما يمكن بموجبها تأخير التوقيع الملوكي على صورة لائحة الإصلاح ، التي لا بد أن تكون حررت بالقلم العربي وفصيح لسانه ، ووقع عليها كل مندوب حصر بمؤتمر الجزيرة الخضراء نيابة عن دولته الفخمية ، حتى يفصح فحص مجموع بنود موادها بسلامتها من الحشو الذي هو أضر من التعقيد ، ولا فصاحة فحص الا بإثبات رفعة

رفع المبتدأ والخبر حكماً وتقديراً ، لأن الحركة بحسب العوامل أمر مشهود إثباته . وليس في نسخ عامل متعد خيره فائدة . أو إدخال ما ليس بوجوده إلا تعقيد كلم الإصلاح لدى كل منصف ، أحرى محرر جملة التمتع من غوائل الإحتلال .

ومتى قبل الإلتماس وصدر الأمر الشريف بالتحري والبحث في الأصل والفرع بما لا يخرج عن كمال الإعتدال ، واستخراج نتيجة إصلاحية لا تمس شرف الإستقلال ، أو تتطرف عن نهج التمتع بفوائده ، التي لا يمكن تمتع غريب بها إلا بما يتمتع الغريب به في الممالك المستقلة ، لزم القيام بالوجوه الممكنة والمعنية على تعميم الأمن والراحة ، والضرب على يد كل موقد نار الفتن ، والتحفز من أي دخيل يرمي إلى ما فيه قيد بعد إطلاق ، ولا قيد إلا في استبداد ، ولا إطلاق إلا باستعداد ، ولا قائل بعدم وجود من يطلق الأول ويقيد الثاني بأمة عرفت بالذود عن حياض استقلال الغريب ، والتمتع بفوائد الألفة مع البعيد والقريب .

فهل من مسعف لإنتخاب لجنة من أحرار الأمة وأرباب الفكر والقريحة ، لبسط متعلقات الإصلاحات العمومية براً وبحراً أمامها ، لتبدي رأيها في محصلها ، حتى إذا أحيط العلم الشريف بمضمونه ، أشر على ما يجب إثباته والعمل بمقتضاه والله ولي التوفيق ، وهو القوي العزيز .

ـ الاحتلال ـ

كلمة ينصرف مضمونها ـ في الأمور السياسية ـ إلى وجود قوة غريبة بجهة كانت تتمتع بحرية الإستقلال ، بصرف النظر عن متعلقاته ، أوجدته ظروف الأحوال بطريق شرعي أولا ، فلذلك كان مكروهاً عند قوم دون آخرين ، ولا فرق في المرارة بين ثمرة الإحتلال الأجنبي ، وثمرة الإحتلال الوطني ، لأن الأول يقضي على سلطة القابض على زمام حكم الجهة ، وربما نفع مبدئياً التابع لها ، والثاني يقضي على حرية تمتع التابع بفوائد الوطن حتى يلحقه بالموتى ، وربما دام تمتع القابض على الزمام إلى أن يجرف سيل القوة كل العوالي ، ومع أن كلا التسلط في الحالتين ضربة قاضية على القوة الإستقلالية الوطنية الحرة ، يرى العاقل في ذلك تفاصيل يقضي

مجموعها عليه بالإنتباه للبحث في الحالة التي تكونت منها قوة كل منهما .

فإن كانت قوة الإحتلال الأجنبي راجعة إلى الرابطة القومية الجامعة ، فالأمة الوطنية تنظر من الأكثر قوة لخير سعادة الدارين ، وأضمن لانتعاشها وانتشالها من وهدة الخمول الذي ما وراءه إلا الموت ، والأخذ بيدها لسلوك سبيل التقدم في معالم الإرتقاء بين الأمم ، للتمسك بأذيال رب الساعد المتين .

وإن كانت أجنبية الجنس والجامعة ، فإما أن تكون من الأمم التي درست علوم الأخلاق ، واتصفت بالحكمة والرزانة والدهاء والقوة والجاه في البر والبحر ، وعدم التسلط لغير صالح منازع في وجوب بقائه على الحياد والمسالمة لكل مسالم ، حفظاً لحقوق التمدن الذي هو عدم مس كرامة حق عزيز الملك المستقل المسالم ولو كان ضعيفاً ، خصوصاً إذا أيدت الحوادث عدم تصديها وتعديها على حقوق الضعيف ، وإما أن تكون من الأمم التي تفتقر ــ دواماً ــ لإصلاح حال يمكنها بوجبه تبلغ أعلى مما هي عليه ، لأدلة تشهد بعدم تمكن قدم قوتها بميادين السياسة ، وظهور بعض خفة من طليعة التقدم ، بالتسلط ــ ولو لأدنى عارض ــ على من دونها من الأمم ، مع وجوب أحقية استدراكها الفوائت الفرضية ، وهما ــ معاً ــ اليد العاملة على هدم أركان الوطنية القومية الجامعة بحسب الأخلاق والدهاء .

فضرر قوتي الإحتلال الأجنبي الجنس والجامعة : يثقل على الحر حمله ، مع ثبوت ازدياد الإصلاح والتقدم في العمران بالنسبة لقوتي الأمتين السابق الإيضاح بخصوص كل منهما في جنب ضرر قوة الإحتلال الوطني ، الذي ــ دواماً ــ يقول بتأييد الرابطة القومية الجامعة لأمة الوطن ، تحت راية الملك المعزز جند معنى تلك الرابطة القومية الجامعة ، المعبر عنها ــ عند الأمة المراكشية ومن على مذهبها ــ بإعلاء كلمة الله ، إلا أن العاقل يرى مع وجود الفرق البين وخفة حمل قوة ضرر الإحتلال الوطني ، إزدياد أسباب التقهقر الملي والوطني معاً ، المستمر استمرار زمن اليقظة على ليل الإغماء بالسكران ، والوقوف أو السكوت على هذه الحالة التي قيل في الشمل بالجامع بها : « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » : أمام قوة يقظة الأمم الأجنبية الجنس والجامع ، مع عدم تمتع عموم أمة

الوطن بفوائده وخيراته ، وبما أوجبته الرابطة الوطنية الجامعة القومية ، وإحالتهم على تعبير كلم التخرصات الوهمية التي لا بد أن يظهر للعيان مضمونها العائد بالنوم والخسران ، الذي اضمحلت بموجبه أعظم ممالك العمران . موت النفس التي قيل في محييها : « ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » .

فيلزم ـ والحالة هذه ـ التدارك قبل فوات الفرصة والدخول في خبر كان . الأمر الذي لأجله يتحرى البصير ، ويرفع صوته بوجوب إتخاذ كل الوسائل لهدم صروح أي احتلال لإتحاد السلطة ، ورغب في انتهاج الصراط الأقوم : صراط الذين أنعم عليهم بالتوفيق ، لإتخاذ الرفيق قبل الطريق ، والله المسؤول في كل حال

وقفة اعتبار

لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد ، والمراد بالقلب العقل النوراني المطلق .

أعلم ـ رحم الله جميعنا بما رحم به أهل الإنصاف ـ أنه لا ينبغي لعاقل أن يتحسر على ما فات مهما كانت الأهوال تتلون بالتعرفات ، إلا أن يصور أحوال الأزمنة الثلاث : الماضي والمستقبل والحال ، ويمكنه استدراك ما فيه تقصير بما يعطيه الميل الطبيعي الفطري ، من النفوذ الإصلاحي الجاذب بقوة الروح الذي هو من أمر الله ، فلا يجد وسعاً عن عدم القيام بما صور له الإعتراف بالتقصير .

إذ لا شك أن العاقل يرى ـ دواماً ـ كل آخرة خيراً من الأولى ، ولو بلغ منتهى الكمالات الخالية من الشوائب الوقتية ، ويعلم من نفسه قوة ما هو عليه الأمر الذي بموجبه يدرج إسمه في سجل أمة لا بد أن يكون لها نسبة من ضعف أو قوة ، غير أنه يلزم بزيادة التحري عما يصوره الوهم ، فإن كان من جانب التحذير الذي بموجبه تحمد العواقب كان الوقت كله سعادة ، لشروق سعد طالعه ، وإن كان من جانب التغرير المستدام الذي لا يرى معه أدنى فائدة ، فتلك الطامة الكبرى التي ما وراءها إلا قيام ساعة الإنقلاب ، عن انكشاف السراب ، وظهور عاقبة الخراب ، فالوهم التحذيري مبناه التبصر في العواقب ، والأخذ بالأحوط مما عسى أن يأتي

زمان الاحتياج إليه . فيجد العاقل وقت تزلزل الأرض الأمن والراحة بالفتن والأهوال . ما يدفع به قوة الكوارث ، وجذوة كل حادث . وصاحب هذا الحال عاملاً بمضمون قوله تعالى : « خذوا حذركم » ، وما ذلك إلا لإتباع قوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » . حذراً من وقوع ما بينه قوله : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » .

فعلم أن عدم التحذر موجب لعدم الإستعداد الواجب التحلي به ، وعدم التحلي بأتقى الوقايات الوقتية التي هي من موجبات الدفاع عن النفس والمال والجاه والعز والملك . مظهر خفايا الضعف المستكن للعدو ، الذي لا يزال آخذاً بأسباب الترقي في معارج الاستظهار بالقوة التي ربما تمكنه ـ يوماً ـ من بسط نفوذه القهري على دوائر الضعيف مهما كانت جنسيته .

وليست القوة إلا في جانب قوم رضعوا لبان معارف التحوطات الدفاعية ، والتجاريب الهجومية ، بفطام النفوس عن حب الذات ، وترك الملذات ، الأمر الذي لا يمكن الحصول عليه إلا بالصبر الممدوح صاحبه بقوله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين » ، وليس المراد بسياق هذه الآية الشريفة لأجل التعرض لما يعطيه ظاهر اللفظ ، فيظن من لا يدري أساليب التشويق للأخذ بقوله تعالى : « إدفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » : أن القصد وجود دفع الأمة لمقاومة الكوارث الكثيرة بالشيء القليل ، بل القصد تنبيه الهمم العالية إلى نتيجة أحسن طرق الجد والإجتهاد ، ونبذ دواعي الكسل والإستبداد ، واستلفات نظر أهل الحمية في الدين إلى فائدة الصبر والأخذ بالأحسنية في كل شيء ، مما يمكن التوقي به من كل داهم ،

فيمكن تغلب من كانت هذه حالته على من هو في ظاهر الأمر أكثر منه عدداً ، وأعظم عزة وجاهاً ، ويكفي المستبصر الراغب في الحصول على نتائج المعرفة والصبر ، ظهور أمة اليابان على أمة الصين ظهور القاهر المنتصر ، حالة كون الأولى لا تبلغ عشر الثانية في العدد ، ولولا وقوف الدول لقضت عليها بما تدخلها تحت نفوذها ، وتعزيز أمة اليابان مجدهم السالف الذكر بسحق قوة دولة الروسيا

في أقصى المشارق براً وبحراً في مدة قليلة بالنسبة للقوتين . وما ذلك إلا لوجود القوة الدفاعية ، والهمم العالية المنفطمة على مرارة الصبر .

فالذي يؤخذ مما تقدم أن الوهم التحذيري مبناه وجود التيقظ والاعتراف بالتقصير ، والشوق إلى محاسن التفاني في الاستحصال على الكمالات بحسب الزمان والمكان ، لا التطوح في بيداء الفتن بغير دليل ولا وقاية من حدوث ما لا تحمد عقباه .

وأما الوهم التغريري فنتائجه كثيرة ، ولكن كلها في صالح العدو . ومصائب قوم عند قوم فوائد ، ويكتفي العاقل بالحاضر عن تصور الغائب ، أو بما يعلمه من التاريخ عن حالة جزيرة الأندلس ، وما ذلك إلا بعكس ما عليه أصحاب الوهم التحذيري ، وليس في ذكر ما صارت إليه حالة الجزائر وتونس وغيرهما من البلدان أدنى تعزية للنفس ، أو فائدة يتمتع بها الحر إذا لم يقم بالواجب . وكيف يخفى على البصير حال الإنقلاب السريع بشاسع تلك الممالك . ولسان حالها يقول :

سعدت قوم وقوم شقيت

أليس هذا كله من روح انتباه وفائدة تربية الحر في صباه . والتعلق بالمحال . والتقاعد عن أسباب الرقي في الإقامة والإرتحال ، الذي هو سم الضعف النسبي . ولا لزوم للتطوح النظري في عواقب الأحوال العديدة المتقلبة ــ دواماً ــ بين سعادة وشقاء ، لأن ذلك مما يخرج عن حد الإفادة بأدنى إشارة ، والأمر لله من قبل ومن بعد ، « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، وحسبنا الله وكفى بالله وكيلاً .

ــ تنبيه ــ

مما لا يمكن التغافل عنه أو قبول استعمال غيره فيما إذا لم يسعف محرره بمضمون وغائبه لعارض : إثبات ما يأتي :

أولاً

إنتخاب لجنة من أعيان متنوري الأمة تحت رئاسة أفضلهم ، لإتخاذ الوسائل

الإصلاحية ، وتعميم أصلحها في كل مصالح الحكومة براً وبحراً ، جلباً للأمن والراحة ، وذرءاً لكل فساد .

ثانياً

إلزام كل مستخدم في مصالح الحكومة كلها بعد استيفاء الشروط : بعدم خروجه عن الزي الوطني الذي يتقرر أتباعه ، ما دام في مأموريته المقررة له .

ثالثاً

إستعمال اللسان العربي ـ نطقاً وكتابة ـ في جميع دواوين الحكومة براً وبحراً ، مع إدخال كم لغة أجنبية لضرورة الوقت ، بشرط عدم إنفرادها بشيء يخرجها عن سلطة الإجراءات العربية العمومية .

رابعاً

توحيد نظام البوليس وما كان في مصافه تحت الزي الوطني والراية الحمراء ، بدون رجوع في المخابرات المتعلقة بالتعليم وكافة الإجراءات لغير الحكومة المحلية .

خامساً

عدم إرتباط الحكومة بأي قيد في قبول إعطاء أي امتياز لفرد أو أفراد أو رفض كل طلب : بدون احتياج لإقامة دليل . أو يسمع القول لغريب أو قريب فيما إذا تطلب الوقوف على السبب .

سادساً

وجوب سريان الأحكام المحلية على كل من بالقطر أو من في حكمه ، بدون التفات لشريف أو وضيع ، أو ثبوت التبعية لأي دولة أجنبية .

سابعاً

عدم تعرض الدول الموقع نوابها على وحدة استقلال مملكة المغرب الأقصى إلى من يسعى في منع كل ما يخل بالراحة والأمن ، وإتباع نظام الحكومة المحلية ولو من أعظم تابع لهم .

ثامناً

حصر السلطة التنفيذية ـ إدارية أو قضائية داخلية أو خارجية ملكية أو جهادية برية أو بحرية خيرية عمومية أو خصوصية ـ في الحكومة المحلية وفي اسمها ، ومراقبة رجالها على كل مصلحة بدون تغيير أدنى نظام .

تاسعاً

وجوب المساوات في الجبايات والضرائب اللازم إتخاذ كل الوسائل لتعميم مضمونها على كل من بالقطر بدون استثناء فرد على الإطلاق .

عاشراً

رفض كل تداخل في الشؤون العمومية لغير صالح الحكومة براً وبحراً ، بشرط رضوخ الداخل لقوانين حكومة البلاد .

حادي عشر

منع كل استبداد يقضي بعدم تمتع الراعي والرعية بثمرة وسائل العدل في كل حال .

الثاني عشر

إستخدام كل نزيه أمين في كل المصالح بحسب الاستحقاق .

الثالث عشر

البحث في الاستحصال على تسكين الفتن الداخلية وقطع دابر كل خائن ثائر .

الرابع عشر

نشر العقو العام ، وإعطاء الأمن لإنتباه القبائل والعشائر من سبات الجهل . وتوجيه عنايتهم لما يعود على الجامعة القومية بالرفاهية والعز والجاه .

الخامس عشر

بذل ما في الوسع لصيانة الحدود كلها من دخول أو خروج بدون تصريح من قومندان عموم حامية الحدود ، وإطلاع أرباب الأمر والنهي ـ شهرياً ـ على ذلك .

السادس عشر

وجوب تحصيل قدر من المال بطريق التنافس الملي الوطني لتأسيس بنك باسم الحكومة ، يتولى عموم صالحها في كافة مصالحها الإدارية والقضائية ، ولو أدى الحال إلى استخدام الأجانب فيه تحت الزي والحكم الوطني مؤقتاً .

السابع عشر

عدم قبول إدخال أي حرية تقضي على المرؤة بظهور ما لا تحمد عقباه .

الثامن عشر

عدم بيع أي انتقاع أو إعطاء امتياز به بدون ما يكون للوطن والأمة ثلثاه على الأقل ، لمدة معلومة في الكل .

التاسع عشر

كل إصلاح يراه المنصف واجباً يعتني بتنفيذ إجراء العمل به .

العشرون

عدم قبول منع الحكومة من إدخال السلاح وتوابعه الكافية بحسب الزمان والمكان للدفاع عن مصالحها . إلا بإطلاع نواب الدول على القدر اللازم .

الحادي والعشرون

وجوب دفع أقساط السلفة في أوقاتها ، وعدم استقراض شيء إلا بعد البحث اللازم .

الثاني والعشرون

منع أي مراقبة أجنبية على إجراءات حكومتنا العزيزية في كل حال .

الثالث والعشرون

وجوب إتخاذ المباديء الإصلاحية وتعميمها في القطر تدريجياً ، بحسب الزمان والمكان .

الرابع والعشرون

ترك الأنفة والتباغض والتحاسد ، وإتخاذ أسباب الإلفة والإتحاد في عموم المصالح العزيزية .

الخامس والعشرون

إنتخاب لجنة من أعيان الأمة لتحرير « جامع » تحفظ به حقوق الحكومة

والأمة ومن في حكمها ، غير خارج عن فحوى المذهب .

السادس والعشرون

وجوب المحافظة عن مصالح الدول قدر محافظتهم على مصالح وحدة استقلال مملكة المغرب الأقصى ، بدون إدخال ما يثني عزيمة الرعية عن الثقة برجال الحكومة وعزيزها .

السابع والعشرون

اتخاذ التدابير اللازمة لإدخال فنون المعارف العصرية : من جهادية وغيرها ، وأنواع الصنائع الحديثة ، والفلاحة ، وما يزيد الأمة تقدماً في الأمور التجارية والاقتصادية بكل نشاط .

الثامن والعشرون

وجوب إشباط[1] ما يقي المملكة من طمع أي كان ، ومنع بسط نفوذه عليها ، والوقوف على حقيقة الحال ، في كل حال .

التاسع والعشرون

وجوب اتخاذ حليف ودي ، يراه المنصف خير كفء للمعاضدة ، وأقوى الساعد في المساعدة .

الثلاثون

إنتخاب مفتش عام من خيرة الرجال دربه وتحنكاً بعموم المصالح ، ليمكنه

---

1 ـ هكذا ، وكأنه يعني إستنباط .

إشباط الإيرادات التي تقوم بمصالح الحكومة ، وضبط الميزانية السنوية التي ينقطع بموجبها الغش والرشى ، وتنصلح الأحوال بدون إكراه .

الحادي والثلاثون

وجوب إدخال الإصلاح في نفس مصالح الحكومة . ليمكن تخصيص كل إدارة بما يليق لها ، فإذا عضد المشروع كان الواجب على رجال الحكومة إتخاذ أحسن التدابير لتكوين حكومة منهم قادرة على دفع الطواريء وجلب المنافع ووقاية الأوطان ، وردع كل من يريده بسوء من أنس وجان ، والحمدلله .

ملحق 68

المشروع الدستوري الذي اقترحه الشيخ عبد الكريم مراد

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

الحمد لله الذي شرع الشرائع وجعل العدل قاعدة الأحكام ، والإتحاد أساس السياسة بين الأنام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى ما فيه صلاح أمر المعاش والمعاد ، الذي أمرنا بالتعاون على البر والتقوى ، وحثنا على الأخوة والتناصر لما فيها من حسن المنقلب وسلامة العقبى ، وعلى آله وأصحابه الذين اتقنوا سياسة العباد ، بكمال السياسة وحسن التدبير والحزم والسداد .

* * *

أما بعد : فلما تشرفت بالأقطار المغربية وتطلعت على أحوال أهلها : سرني ما رأيته منهم من اتحاد الجنس والتمسك بالدين وحب السلطان نصره الله تعالى ، فهذه صفات محمودة أصل لكل ترقي .

وبسبب توفر هذه الصفات في أفراد دولة اليابان ، مع اقتفائهم إثر شريعتنا المطهرة : من التعاون وحب الوطن وحفظه بالمال والنفس والتحرز من الأعداء وأخذهم الحكمة ممن كان : فاز وأعلى ملوك زمانهم .

وعلى ذلك يمكن لحكومة المغرب أن تبلغ ما بلغته اليابان بأقرب وقت ، إذا اقتفت أثر اليابان بالإجتهاد ونفع العامة وأخذ العلوم الصناعية والوقتية الموافقة للأحكام الشرعية من أوربا ، على الأخص في اقتفاء آثارهم في تنوير أفكار الرعية في حثهم على إختراع الأمور النافعة ، ومكافأة من يبرز شيئاً من ذلك ، لأن الذي يعلم أسرار الشريعة الإسلامية وما احتوت عليه من الحث على نشر العدالة والمشورة في الأمور وتعلم المعارف اللازمة للوقت والدين بكل شيء تستغني به المسلمون عن الأجانب .

* * *

إذ الحكومة لا تكون شريفة ومهابة في العالم ومحافظة على استقلالها ما دامت محتاجة لجلب سلاحها وأدوات حربها ولباس رعيتها وما يلزمهم من الخارج ، ولا تأمن غوائل أطماع جيرانها من الملوك ، ما لم يجتهد في إبلاغ قوة عسكريتها واستعداداتها على الأقل مساواة جيرانها ، قال الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدوالله وعدوكم » . وقال تعالى : « ود الذين كفروا لوتغفلون عن اسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

فالمطلوب الاستحصال على كل ما يرهب العدو ، ولا إرهاب لهم في هذا الوقت ما لم يكن الأمراء والرؤساء يقدمون مصالح العامة على مصالحهم الذاتية ، إذ لا قوام لعزهم إلا بعز أفرادهم ، ويكون سعيهم بكل شيء يعلي شأن الحكومة في فتح المدارس لتعليم العلوم الدينية والوقتية والصناعية والزراعية ، ويبرزوا في قلوبهم حب الإجتهاد في الإختراع في المواد الحربية والصناعية ، حتى تفوق مخترعاتهم مخترعات جيرانهم ، فقد اجمعت علماء الدين على افتراض تعليم المسلمين الحرف المهمة مما لا يستقيم صلاح الناس إلا بها على طريق فرض الكفاية ، فإن تركها الكل أثم الكل .

* * *

ولا ينكر ما كان عليه اليابان قبل ثلاثين سنة من الإنحطاط وتفرق الكلمة ، بسبب الإستبداد وهجوم ملوك أوربا على مملكة اليابان . وطلبوا منها إجراء الإصلاح الوقتي من سلطانها ، حتى استأجروا مدخول الجمارك بثمن زائد عما كانت تحصله اليابان على جملة سنين ، لأجل إدخال التمدن الأورباوي : من نشر السكك الحديدية والديبش ، وغير ذلك من تشكيل البوليس ، فصار لأوربا نفوذ وكلمة في مملكتهم ، فعند ذلك تيقظوا لما لأوربا من الطمع في إستملاك بلادهم بطريق سياسي . فجمعوا كلمتهم ، ورجع سلطانهم عن الحكم المطلق إلى المشورة ، فأسس مجلس نواب الأمة ، وانتخب له أعضاء من كل بلد وشعب في المملكة : واحداً من أفضلهم ، بشرط أن يكون بلغ الخامسة والعشرين من العمر ، وعنده أملاك يدفع عنها للحكومة خمسة عشريناً على الأقل في العام ، والين عبارة عن ريال فرنساوي ، فبلغ أعضاء

هذا المجلس ثلاثمائة ، وشكل مجلساً أعلا منه سمي بمجلس الأعيان ، يحتوي على ثلاثمائة عضو وثمانية وعشرين عضواً ، منهم إثنا عشر من أبناء الأسرة المالكة الراشدين ، والسائر من الأمراء والشرفاء وممن امتاز بأمر خطير وخدموا الدولة مدة عشرين عاماً ، فشرعوا في تحسين مملكتهم ، وعملوا قانوناً للحكومة فنفذ على الحاكم والمحكوم ، ثم أرسلوا البعثات من أولادهم إلى بلاد أوربا لتعليم العلوم اللازمة : من الحربية والهندسية والصنائع ، على الأخص صنعة المكحلة والمدفع والكهرباء ، وصنعة الدبيش والدانميت ، وعمل السكك الحديدية والسفن الحربية والطربيل وضده ، وشرعوا في فتح المدارس الإبتدائية والثانوية والعالية لأجل تعليم ذلك ، حتى بلغت الآن في مملكة اليابان إلى أربعين ألف مدرسة ، فلما استكملوا المعرفة في مدة عشرين سنة أوقفوا الامتيازات الأورباوية ، وغلبوا دولة الصين ، وطردوا دولة المسكوف من كوريا ومنشورياً ، وصاروا بالدرجة العليا بين الملوك ، حتى دولة انكلترا والمانيا أرسلتا تلاميذ إلى مدارس اليابان ، لكي يتعلموا منهم إختراعاتهم التي اظهروها وقت المحاربة .

* * *

ولما ظهرت هذه الفضائل لليابان بواسطة الجد ونشر المعارف والعدالة : اقتفت حكومة إيران العجم إثر اليابان ، وشرعوا في تشكيل مجلس نيابي لتحرير قانون لبلادهم من الشرع الشريف : باختيار قول واحد في المسائل التي فيها اختلاف بين العلماء ، حتى يرتفع تلاعب الحكام في الأقوال المختلفة ، مع تقرير أعمال الوزراء والمأمورين ، وضبط مدخول الحكومة ومصروفها ، وتقرير الأموال المطلوبة من الرعية على الأراضي والأموال بما يوافق الشريعة الغراء ، والسعي وراء تقدم الصناعة الوطنية والمعارف الدينية والوقتية ، وإخراج المعادن ، وغير ذلك مما يؤول تقدمه للدولة والرعية ، على الأخص مراقبة أعمال العمال ، ومحاكمتهم عند ظهور أدنى تعدي مما يخالف ما سنه لهم مجلس الملة ، وما يقرره من عمل يحرر في كتاب مخصوص بعبارة سهلة يفهمها العالم والجاهل ، ليكون دستوراً ومرجعاً في العمل ، ثم يطبع وينشر لجميع الرعية ، بعد نشر كل مسألة تصير المحاورة بها في الجريدة الرسمية الخاصة لهذا المقصد ، حتى تكون الأحكام معروفة عند جميع

الرعية . فينتفي التعدي من المستخدمين ، وبذلك ينتشر العدل على جميع أفراد الرعية ، وقد مدحهم جميع العقلاء ، وأطنبت جميع جرائد الدنيا بمدح سلطانهم : المرحوم مظفر الدين شاه . وخلفه الموجود الآن : السلطان محمد علي شاه : على ما ينتج من حسن تقدمهم وحفظ استقلال بلادهم ما أدهش دول أوربا من هذا الانتباه

* * *

ثم اطلعت على ما تم عليه مؤتمر الجزيرة من عمل البوليس والبنك وغيره ، وأن عموم الرعية نافرة من هذا التداخل . خوفاً من رسوخ قدمي المباشرين من الضباط الفرنساوية والإسبانيولية إذا صفى لهم الوقت ، لأنهم بدعوى الإصلاح يلزمون الحكومة على الاستدانة لإجرائه ، فيؤول أمرهم على مراقبة واردات المخزن ومنصرفاته ، وبذلك من الخطر ما لا يخفى على متبصر ، كما حصل للمرحوم الخديوي إسماعيل باشا وما آل إليه أمر مصر .

وجميع رعية سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ يرغبون إدخال الإصلاح بطريق شرعي بنظر رجال المخزن ، أما المحافظة على المعاهدات الأجنبية وقرارات المؤتمر فواجبة التنفيذ في هذا الوقت ، ولكن بطريقة ترضي الرعية ، وتقنع الأجانب ، وتوافق الشريعة الغراء ، مع السعي وراء سد باب الإحتياج إلى الأستدانة منهم ، لنسلم من زيادة مداخلاتهم في شؤوننا كما هو دأبهم ، وبذلك نرجو الظفر والمعونة من الله تعالى ، لقوله تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، وقوله : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، فإذا من الله علينا بإدخال الإصلاح على هذا النمط : نتوصل ـ بعد ذلك بحول الله وقوته ـ على لغو كثير من مطالبهم ما دمنا على الاستقامة إن شاء الله تعالى ، ولما كان الواجب على كل مسلم أن يبذل جهده ويضحي بماله ونفسه في نصرة أبناء دينه ، ولو ببث ما يتكفل بحل هذه المسألة على الوجه المذكور ، ليكون بها المخرج إن شاء الله تعالى :

تجاسرت بتقديم ما فتح الله علي ـ ببركة النبي ﷺ ـ في هذه المادة : إلى أعتاب السلطان المعظم ، والملك المفخم ، صاحب الآراء السديدة ، والهمم العلية ، وخلاصة السلالة النبوية والإشراف العلوية . الراجي من الله النصر والتعزيز حضرة

مولاي السلطان سيدنا عبد العزيز ، مع علمي بأن ذلك لا يخفى عليه ، لما له من سعة الأفكار الصائبة ، رجاء أن توافق ما يخالج ضميره الطاهر ، فتحيي البلاد بعدله . وتتنور أفكار رعيته ، وبذلك يرجع رونق الإسلام ، وتحيي شريعة جده عليه السلام .

مقدمة

إننا نحتاج إلى حفظ استقلالنا واستغنائنا عن الأجانب بالسعي إلى ثلاثة أمور .

الأول : تشكيل مجلس الملة الذي يحل جميع المسائل بما يرضى الله تعالى والرعية ويقنع الأجانب ، لأن الأجانب عندهم مجلس الأمة مقدس ومعمول به في داخلية البلاد ، إذا كان مؤسساً على أصول مضبوطة مقبولة ، كما هو عليه العمل في بلادهم ، غير أن أصول مواد قوانينهم موافقة العقول عليها ، مع ما يوافق البلادبحسب التجربة ، وأما أصول مواد قوانيننا تكون على وفق ما أتت به الشريعة المطهرة ، كما هو جار عليه العمل في مجلس أمة دولة الإيران ، فإذا وفق الله سيدنا نصره الله إلى إجراء هذا العمل المبرور : يحرر المخزن الشريف إلى معتمدي الدول في طنجة ما معناه : لما كان جل أهل المغرب لا يفقهون المصلحة المرتبة على تنظيم البوليس وغيره من الإصلاحات ، ومقصودنا نشر العدالة في أفراد الرعية : أمرنا بتشكيل مجلس الأمة ، وطلبنا النواب من كل ولد وقبيلة لاجل إقناعهم ، وتحرير قانون للحكومة بما يوافق طبيعة البلاد بمعرفتهم ، فنطلب منكم أن ترسلوا لنا قانون البوليس والبنك لأجل فحصه بمجلس الملة ، وتحوير بعض مواده التي لا توافق طبيعة البلاد إلى ما يوافق ، لينشر التمدن في بلادنا حسب رغبتكم ، وبذلك تحسن المواصلات ، ويزول التعدي من الجهال .

والثاني : الشروع في تشكيل عسكر جرار على وجه منتظم ، من دون تكليف المخزن بمصروف أفراده مدة الإقامة ، حتى نتمكن من توقف مداخلة الأجانب في بلادنا .

والثالث : يلزم لنا وجود مال داخلي يتيسر به إجراء ما تطلبه أوربا من الإصلاح :

مثل الدبيش وغيره ، لأنه لا يتم عز المملوك إلا بالشريعة ، ولا قوام للشريعة إلا بالملك ، ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا مال إلا بالعمارة ، ولا عمارة إلا بالعدل ، ولا عدل إلا بإصلاح العمال ، ولا تصلح العمال إلا باستقامة الوزراء ، ورأس الكل تفقد الملك أحوال رعيته بنفسه .

بيان كيفية تشكيل مجلس الأمة وأصول أعماله
والفوائد التي تنتج عنه

مجلس الأمة هو مجلس الشورة الذي أمر الله به نبيه ﷺ بقوله : « وشاورهم في الأمر » ، وقد مدح الله تعالى سلفنا الصالح بقوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » .

وأما أصول أعماله تقريباً : أحد عشر مادة ، ويصير الزيادة والنقص في هذه المواد حسبما يقتضيه الوقت ، وما تتفق عليه آراء الأعضاء ويستحسنه سيدنا نصره الله تعالى .

الأولى : يطلب من كل قبيلة وبلد أن ينتخبوا عنهم واحداً يكون نائباً عنهم في كل ما يقرره ويرضاه في مجلس الأمة لمدة خمس سنوات ، ثم ينتخب غيره ، بشرط أن يكون متصفاً بخمسة أمور :

الأول : أن يكون سنه ما بين الثلاثين والستين .
الثاني : أن يكون يحسن الكتابة والأعمال الأربعة في الحساب ، وهم الجمع والطرح والضرب والتقسيم .
الثالث : أن يكون قد قرأ متن خليل ويفهم معناه .
الرابع : أن يكون عنده واردات من أملاكه تكفيه مصروف سنته .
الخامس : أن لا يكون قد حكم عليه في دعوة .

ومنهم ينتخب رئيساً عليهم .

* * *

ثم يشكل مجلساً أعلى تحت رياسة أمير المؤمنين أعزه الله ، وعشرين عضواً : منهم خمسة من أبناء الأسرة المالكة الراشدين ، وخمسة ممن امتازوا بأمر خطير بخدمتهم للدولة ، والباقي ينتخب من مجلس الملة .

المادة الثانية : جميع المسائل تعرض على مجلس الأمة ، وبعد قراءتها جهراً يسأل من أقلهم إلى أكبرهم رتبة عن رأيه في تلك المسألة ، فإن اختلفوا يعمل برأي الأكثر ، ويكون استناد الأعضاء عند اختلاف رأيهم على ما يفهمونه من الكتاب والسنة ومصلحة البلاد ، ويجب على كل فرد أن ينتصر لما يتفق عليه مجلس الأمة ولو بغلبة الرأي ، ولا يجوز لمن كان مخالفاً لرأي الأكثر أن ينتصر لرأيه ، بل يكون منتصراً لما تم عليه رأي الأكثر ، وبعد تنقيحها في هذا المجلس ترفع لمجلس الأعيان ، وبعد تنقيحها فيه يصدر أمر سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ بالعمل بها .

الثالثة : مجلس الأمة يقــرر الأحكام على قول واحد . مع حفظ معاهدات الأجانب ، وتقرير خدمة الوزراء والعمال ، مع ترتيب مؤونتهم ، وتقرير الأموال التي تطلب من الرعية ، وكيفية تحصليها حسب الشريعة الإسلامية ، ولا يجوز العفو عن أحد من الرعية عن ذلك ، لأنه حق من حقوق الله تعالى ليصرف في مصارفه ، وتقرير المصارف اللازمة للحكومة ، وتنظيم قانون تعليم الرعية الحركات العسكرية ، ومراقبة أعمال العمال ، ومحاكمة الرعية مع العمال ، ومحاكمة العمال فيما بينهم ، ومحاسبة الأمناء ، وتقرير كل عمل يلزم عمله في الحكومة .

* * *

المادة الرابعة : أول عمل يبدأ به انتخاب أربعة من أفاضل العلماء الذين سبق لهم خدمة في القضاء ، وكانوا متصفين بالإستقامة ، مع أربعة أخر يكونون بالغاية القصوى من العلم . بشرط أن يكونوا عالمين بأحوال الوقت . ويكلفون بتأليف كتاب مقتصر فيه على قول واحد من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه : بعبارة سهلة يفهمها العالم والجاهل ، كما فعلت الدولة العثمانية : كتاب مجلة الأحكام العدلية . وبعد إتمامه يعرض بمجلس الملة ، ثم على المجلس الأعلى ، وبعد الإتفاق

على مواده ولو بغلبة الرأي : يصدر أمر سيدنا نصره الله تعالى بالعمل فيه لدى جميع القضاة .

الخامسة : تحفظ معـاهدات الأجانب في مجلس الأمـة . وعلى موجبها وتحويرها يعمل ذيلاً لكتاب الأحكام ، ثم بأمر سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ بالعمل به .

السادسة : لا يجوز للقضـاة أن يحكموا بخلاف كتـاب الأحكام وذيلـه الذي صدره لهم مجلس الأمة . وإذا طرأت عليهم مسألة لم تكن موجودة في ذلك الكتاب يستفهمون عنها من مجلس الملة ، وتلحق في كتاب الأحكام .

* * *

المادة السابعة : للمحكوم عليه أن يستأنف دعواه في مجلس الأمة . ويكون طلب استئنافه عبارة عن الشكاية على القاضي بكونه تعدى في حكمه ، فحينئذ ينظر في أصل الدعوى التي حكم فيها ، ومطابقة حكمه على كتاب الأحكام ، فإن ظهر أن القاضي كان معتدياً في حكمه يطرد من وظيفته . ولا يوظف بعد ذلك أبداً ، بعد تقرير ما يلزم عليه من الجزاء ، حتى يصير مثالاً لغيره من الحكام ، وإلا فيحبس ذلك المستأنف من سنة إلى خمس سنوات ، حتى لا يتعدى أحد من الرعية على الحكام ، وكذلك يجري في كل قضية ترفع من الرعية على مطلق عامل : سواء كان وزيراً أو قائداً أو أميناً أو غير ذلك .

المادة الثامنة : بعد الإطلاع عن قانون بوليس الدول . على الأخص قانون بوليس الدولة العلية العثمانية ومصر وتونس ودولة الإيران : يشكل قانوناً له بما يوافق الشرع ومصلحة البلاد ، ثم تفتح مدرسة يعلم فيها شبان الطلبة هذا القانون والفنون التي تلزم البوليس : من الخط والحساب والجغرافيا وحقوق الدول ومعاهداتها ، وبعد أداء امتحانهم يستخدمون فيه ، حتى يكونوا على بصيرة في الحكم والسير ، على الأخص إذا كان الضباط من افرانسا واسبانيا حسب معاهدة الجزيرة ، وإلا فيكونوا آلة في أيديهم يديرونهم كيف شاءوا .

المادة التاسعة : دعاوى البوليس تستأنف في مجلس الملة ، كما تقدم في المادة السابعة .

المادة العاشرة : إذا لزم إنشاء شيء أو إحداث فبريكة أو فتح مدارس لتعليم أولاد الأمة ولم يكن مالاً زائداً من الوارد لأجل القيام به : يصير المشورة بذلك في مجلس الملة : إما أن يعمل من إعانة تطلب من الرعية ، أو تشوف الرعية بعمل جمعية خيرية من تراث الرعية ، يقومون بإدارتها بعد تحوير قانونها في مجلس الملة والمجلس الأعلى ، وإصدار أمر سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ بذلك ، مع مراقبة الحكومة على حركاتهم .

* * *

الحادية عشر : يجب لغو جميع الأموال التي تؤخذ من الرعية خلاف ما قررته الشريعة الإسلامية ، كمثل المكوس والهدية والسخرة ، ولغو إلزام القبائل بضيافة ما يمر عليهم من العسكر أو أحد رجال المخزن ، نعم : إذا لزم لأحد من هؤلاء شيء يشتروه له بالثمن .

وأما المعشرات في ديوانات المراسي : فمطلوب أخذها سياسة وشرعاً ، ولا يظن أن في ترك ذلك يصير نقصاً في واردات الحكومة ، بل عندئذ تتيقن الرعية نوايا سيدنا نصره الله ـ تعالى ـ في إحياء الشريعة المطهرة ، فتتحد الكلمة على محبته ، وتفديه بمالها وروحها ، وتؤدي حقوق الله الواجبة عليها للمخزن بالتمام .

* * *

وأما الفوائد التي تنتج بتشكيل مجلس الملة :

أولاً : نشر عدالة جلالة السلطان ـ نصره الله تعالى ـ على جميع الرعية ، وينتفي الظلم عنهم ، فيتحصل سيدنا نصره الله ـ تعالى ـ على رضاء الله تعالى ، ويكتب في حسناته ما وعدنا النبي ﷺ بقوله : « عدل ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة ، وبقوله ﷺ : « من سنن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » ، وبذلك يصير سيدنا أعزه الله تعالى أفضل ولي في هذا الوقت ، فيمده الله ـ تعالى ـ بإمداداته الظاهرة والباطنة بقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، وتتفق الرعية على محبته والتفاني في

صدق خدمته ورضائهم في كل ما يأمرهم به .

الفائدة الثانية : تصير همة المأمورين ، في إبراز ما ينفع الدولة وعموم الرعية . ولو يصرفوا على هذه البغية جميعما يملكونه ، لأنهم بذلك يكافئون من طرف السلطان ـ نصره الله تعالى ـ بأقامات العالية ، ومن الرعية بالحرمة . وتنعدم منهم حب جلب المنافع لأنفسهم فقط ، للمراقبة عليهم . وحصول الجزاء عليهم من السلطان نصره الله تعالى . ومن الرعية بالبغض والكراهة .

الفائدة الثالثة : تكثر واردات الحكومة للقواعد التي يجريها مجلس الملة في ضبطها : أولاً بانتخاب تولية الكفء المستحق . ثانياً : لتقرير ما يستلمه من الرعية . ثالثاً : لا يستلم شيئاً حتى يعطي للمستلم منه وصلاً ، وأما الحالة الحاضرة : ثلثي واردات الحكومة ضائع ، لأننا نرى القائد والأمين بعدما يتولى ببرهة جزئية يبني القصور العظيمة ، ويملك الأراضي الجسيمة ، بعدما دفع على تحصيل وظيفته ما لا عظيماً ، فبالطبع كان ذلك كله من مال الحكومة ، اختلسه بسبب ما ذفع للذي كان واسطة في ولايته .

الفائدة الرابعة : لما تنتشر هذه الفضائل عن سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ ترجع جميع القبائل الخارجة عن طاعته . وتنقاد لأوامره . ويقبضون على جميع من خرج عن طاعته ، لأن الملة الإسلامية تخضع غاية الخضوع للشريعة المطهرة .

الفائدة الخامسة : جميع المسلمين المجاورين لمملكة سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ يكونون عوناً له عند اللزوم ، لأن الطبيعة والعدالة تجذبهم . وبذلك تخشى الحكومة المجاورة لمملكته من معاداته ، وحينئذ نسلم من مداخلتهم .

الفائدة السادسة : تتسع دائرة الصنائع في مملكة سيدنا نصره الله تعالى . وتعمر الأراضي ، فتكثر واردات الحكومة يوماً فيوم . وغير ذلك من الفوائد التي لا تحصى ، وبذلك تزداد هيبة سيدنا نصره الله ، وتخشى صولته ملوك الأرض .

بيان المشروع الثاني في كيفية تشكيل عسكر جرار على وجه منتظم من دون تكليف المخزن بمصروف أفراده مدة الإقامة

من المعلوم أن الملة الإسلامية لا تنقاد غاية الإنقياد إلا للمواد الشرعية . فكما أن الجهاد في سبيل الله تعالى والاستعداد له فرض على كل مسلم . كذلك الموصل له وهو تعليم حركاته وسكناته ، فيصير تعليم الرعية عموماً على كل من بلغ سنه عشرون عاماً إلى أربعين عاماً : كل نوم ساعتين . وعلى ذلك يصدر أمر سيدنا نصره الله ـ تعالى ـ بغلق جميع الحوانيت كل يوم من الساعة الثالثة بعد الظهر . ثم تخرج كل حومة بحدتها للتعليم : في كل بلدة وقرية وقبيلة تحت قيادة القواد الخارجين من المدرسة المعدة لذلك ، حتى نستغني عن الضباط الإنكليزية والفرنساوية . لأن حالتهم في الصداقة مع المسلمين كصداقة قصير مع الزباء ، مع أننا في أول الأمر نخدمهم في تعليم الحركة العسكرية والعلوم الحربية للطلبة الذين نؤهلهم ليكونوا ضباطاً ، فيتيسر لسيدنا نصره الله تعالى مليون من العساكر من دون مصروف مدة التعليم والإقامة ، وأما وقت لزوم تسفيرهم للمدافعة عن أوطانهم أو تربية أحد الخارجين عن الطاعة : يقوم المخزن بتقديم الطعام لهم ، مع إعطاء لكل واحد منهم أربعة ريال مصروفاً لعيالهم في الشهر ، ويلتزم كل واحد بثمن المكحلة والكسوة العسكرية التي يلبسها حالة التعليم ، وكل عشرة يتكلفون بثمن قبة ، والذي يتعسر عليه دفع ذلك فوراً على الأخص أصحاب الحرف : يصير تقسيط ذلك عليهم بنظر قائدهم ، وأما الفقراء : فينظمون ضمن العساكر الخيالية والطبجية الذي يتكفل المخزن بتنظيمه وتربيته والقيام بمصارفه ، وأما القواد ـ اللازمة إلى هذا العسكر ـ فيصير ترتيب معاش كاف لهم ، وكما أنهم يقومون بتعليم العساكر وترتيبها : يقومون ـ أيضاً ـ بحفظ المدينة والطرقات ، ويقومون بأشغال الحكومة كما نوضحه ، مثلاً يمكن ـ على هذا الترتيب المذكور ـ أن يخرج من مدينة فاس 32 ألف عسكري . يحتاج لهم ألف قائد . فأولاً يجمع من شبان الطلبة من كل حومة 1075 ، ويصير تعليمهم على غاية الانتظام بواسطة الحرابة . وبعد تعليمهم تعطى لهم الوظائف حسب اقتدارهم واستحقاقهم ، ويصير ترقيهم بحسب الدرجة ،

يعني لا يمكن أن يصير أحد منهم باشا قبل أن يتولى خليفة قائد المائة . ثم قائد المائة ، ثم خليفة قائد الرحى . وهكذا حتى تمر عليه جميع الخدمات . وإني قد شاهدت ـ البرنس عبد القادر أفندي إبن مولانا السلطان عبد الحميد : قائد مائة ـ يمشي مع العساكر من دون تمييز بينه وبين قواد المائة الأخرين ؛ وإن قائد الرحى والقائم مقام يمشيان أمامه . وأما ما يلزم لهم من المؤونة في كل يوم :

ريال		عدد	يومية ضابط	المحكوم
15	فريق باشا	1	15	32 000
20	لوا باشا	2	10	16 000
28	أمير الاى	4	07	08 000
20	كاتب الاى	4	05	00 000
40	قائم مقام	8	05	04000
96	قائد الرحى	32	03	01 000
64	خليفة قائد الرحى	32	00	00 000
64	كاتب ألف	32	02	00 000
480	قائد مائة	320	01	00 100
640	خليفة قائد المائة	640	01	00 050
1467		1075		

فهذه ألف وأربع مائة وسبعة وستون ريالاً يومي . حصل بهم انتظام اثنين وثلاثين ألف عسكري . وإن قوادهم البالغين ألفاً وخمسة وسبعين : كما أنهم يعلمون العساكر المذكورة : يعمل لهم قانوناً في مجلس الملة بحركات خدمتهم في حفظ البلاد وجباية أموال الحكومة وغير ذلك . لأنه يلزم لكل حومة ستة منهم ، يخدم كل واحد في النهار أربع ساعات ، وفي الليل كذلك ، لحفظ الحومة والحوانيت التي بحو إليها : ومراقبة نظافتها وما يحصل بها ، ويقبضوا على كل من

يمر عليهم في الليل من أهل الشبه ، مع كتابة كل شيء يشاهدوه مخالفاً إلى رئيسه قائد الرحى ، وهو إلى العامل ، والعامل : : إلى سيدنا نصره الله . وبذلك لا تخفى على جلالته شاذة ولا فاذة من أحوال الرعية ، لأنه في كل خمس حومات يعمل محلاً لجلوس قائد الرحى وخليفته وكاتبه ، لأجل مراقبة الأعمال المذكورة ، وفصل الدعاوى الصغيرة ، وأما الدعاوى الكبيرة ترفع إلى عامل المدينة ، وهم مسئولون عن كل شيء يحدث في الحومة ، وهكذا : يلزم لكل باب من أبواب البلدة ستة منهم على حسب الترتيب المذكور .

* * *

فإن قيل إن الحكومة لا تأمن تصليح الرعية خوفاً من اتفاقهم . فنقول : لا خوف من هذا الوهم ما دامت العدالة سائرة في البلاد حسبما قرره مجلس الملة ، وأحكامه معمول بها على الرئيس والمرؤوس من دون تمييز ، كما كان عليه النبي ﷺ وخلفائه الكرام ، فيصير الكل طائعين خاضعين لجلالة السلطان نصره الله تعالى ، على الأخص عند إعفاء الرعية من كل رسم مخالف للشريعة المطهرة ، فتضحي بلاد سيدنا ـ نصره الله تعالى ـ خالية من الفتن ، لأن جميعها لا تحدث إلا بدعوى التعدي على الأحكام الشرعية ، وعدم الإنصاف في الرعية ، مع أننا لو حسبنا الواردات التي تجمع مخالفة للأحكام الشرعية ، والمصارف التي تصرف على تعليم العساكر اللازم تعليمها مع تسليحها : لوجد الربح للمخزن ، مع أن جل مصروف الدول هو مصروف العساكر ، مع أن الحكومة حينئذ تجتهد في ترتيب عساكر الطوبجية والخيالة وانتظامها ، والقيام باطعامهم ، وعمل قشلة لسكناهم ، مع تربية دوابهم ، كما هو جار عند الدول والدولة العلية العثمانية ، فبهذا الترتيب تحفظ البلاد ، ويعم الأمن ، ونسلم من اعتراضات الأجانب ، مع هيبتهم لجلالة سيدنا نصره الله تعالى .

المشروع الثالث في كيفية وجود مال داخلي يتيسر فيه
إجراء ما تطلبـــه أوربا من الإصــلاح في بلاد سيدنا
نصره الله تعالى . مع موافقة ذلك للأحكام الشرعية .
ومع الحصول على إغناء الفقراء بالمملكة الشريفة

يشكل مجلس يسمى بمجلس الإسلام أو الأحباس في العاصمة . محتوياً على خمسة من العلماء : الأول : رئيس المجلس . ويسمى بشيخ العلماء . والثاني : نقيب على الأشراف ، والثالث : ناظر الأحباس . والرابع شيخ الفقراء . والخامس أمين . ولكل واحد من هؤلاء عدلان يقومان بالكتابة . فهذا المجلس يؤسس أعمال الأحباس والإجتهاد في عمارتها . وضبط وارداتها ومتصرفاتها وفضلتها في المملكة الشريفة ، وفي كل سنة يرفع هذا المجلس حساب جميع الأحباس إلى مجلس الملة للنظر فيه . وهكذا إلى الأعلى . ثم إلى سيدنا نصره الله تعالى . وإن هذا المجلس يتداول مع مجلس الملة بما يلزم إجراءه بفضلة واردات الأحباس في كل شيء يلزم للملة والدولة ، مقدماً بذلك الأهم فالأهم تحت متابعة خمسين قاعدة موافقة للشريعة المطهرة ، فإذا كان مثلاً يحتاج إلى عمل الدبيش بعد ربط الشروط اللازمة بين هذا المجلس ومجلس الملة في هذا العمل : يلحق هذا العمل لناظر مسجد القرويين مثلاً ، فيقوم المسجد المذكور بهذا العمل من فضلة وارداته . ويستدين جميع فضلات المساجد لتتميم هذا العمل . وبعد إتمامه تضاف واردات هذا العمل إلى واردات مسجد القرويين ، ثم يقوم بما استدانه من فضلة وارداته إلى المساجد ، ومثل ذلك يلحق عمل تنوير الكهرباء مثلاً لمسجد آخر ، وهكذا يجري العمل في كل شيء تحتاجه الملة والدولة : من سكك حديد وتشييد معامل للصنائع : مثل فبريكات وغيرها ، ولا يستبعد حصول ذلك ، لأنه يوجد في دولة المغرب أكثر من خمسة آلاف ما بين مسجد وزاوية ومدرسة ، وكل واحد مما ذكر يحصل به فضلة على الأقل خمسون ريالاً ، فيكون المجتمع في السنة فضلة الجميع 250.000 ريال ، وبالطبع تزيد أضعافاً مضاعفة عند الإجتهاد بتعمير محلات الأحباس وضبط أوقافها وحفظ وارداتها ، لأنه يعمل في كل بلد ولدى كل قائد أو قائدين مجلس فرع لهاا المجلس الكبير على نمطه ، يقوم بمراقبة ما لديه من أوقاف المساجد وغيرها ،

والإجتهاد في تعميرها . وزيادة ثروتها . ومحاسبة نظارها . مع مراقبة أعمالهم . ثم يرفع بتفصيل ما لديه إلى المجلس الكبير . كما يأتي شرحه في القواعد . وكل مسجد أو فعل خيري يجعل له هيئة مستقلة للنظر إلى أوقاف ذلك المسجد أو الفعل الخيري . حسب شرط واقفه : من البداءة بتعميره وتعمير أوقافه والسعي وراء تحسينها . مع النظر إلى الأوقاف الآئلة إليه : من تعميرها وحصر مستحقيها . وترفع هذه الهيئة حسابها في كل شهر مفصلاً إلى فرع مجلس الأحباس . كما يأتي شرحه في القواعد . فإذا جرى العمل على هذا الوجه المذكور تتحسن واردات الأحباس . فتكثر الفضلة . فيزداد في أملاكه . فتزيد ثروة . فتكون ذخيرة عند احتياج المدافعة عن الأوطان . وهذا مجلس أوقاف مصر متوفر لديه أكثر من عشرين مليوناً جني لما ضبطت وارداته ومتصرفاته . وسيدنا نصره الله إذا استحسن أن يجرب سنة في ضبط أحباس مدينة فاس على هذا النمط المذكور : يظهر له نتيجة ما حررنا . ولدينا ــ والحمد لله ــ تدابير شرعية غير هذا في إجراء الإصلاح الذي تطلبه أوروبا من دون احتياج إلى الإستدانة منهم ولا ضرر على الرعية . وأما قولنا إغناء الفقراء : فيعلم من القاعدة الثانية والأربعين الآتي ذكرها . ولعمري إنها لخطة يلزم الإنتباه إليها . أولاً : لشدة اعتناء الله تعـالى بهذه المسألة أباح للعامل على الصدقات وعلى الفقراء بإلزامهم عدم الطلب عند وجود القوت الضروري : أخذ نفقته من مال الصدقات وإن كان غنيا .

وثانياً : مجاراة للأجانب . فإنك لا تجد عندهم فقيراً يطلب في الأسواق . حتى اليهود الذين هم ذمة لسيدنا نصره الله تعالى مؤسسين قواعد لفقرائهم كما هو مشاهد . أفيليق بالمسلمين أن يتركوا هذه المسألة مع وجود واردات كافيات للفقراء . مستولية عليها أيادي الظلمة . ويكون المسلمون بهمة أقل من همة اليهود . لا والله . وخصوصاً في زمن سيدنا نصره الله تعالى . الساعي في ترقي أحوال المسلمين . أيده الله بروح منه .

بيان قواعد أساس هذه الأعمال :

الأولى : يصير تشكيل مجلس في كل بلدة ولدى كل قائد أو قواد من عمال

القبائل : يحتوي على خمسة من العلماء : الأول : رئيسهم ويسمى بشيخ العلماء . والثاني : نقيب للأشراف ، والثالث : مأمور على الأحباس . والرابع : شيخ للفقراء ، والخامس : أمين ، ولكل واحد من هؤلاء عدلان يقومان بالكتابة .

الثانية : تتعين أيام الإجتماع في الجمعة ووقتها . للبحث عن تعلقات الأوقاف : من تحسينها وعمارتها ومراجعة حسابها . وعمن يلزم توظيفه فيه وفي متفرعاته . (راجع القاعدة الثالثة) .

الثالثة : لا يتوظف في هذا المجلس ولا في متفرعاته من وظيفة الإمامة والخطباء وتولية المساجد وغيرها إلا أن يكون من العلماء . وعنده الشهادة باقتداره .

الرابعة : يتعين معاش كافي لكل مستخدم في هذا المجلس ومتفرعاته حسب استعداد وظيفته ، لأجل أن يصير المستخدم مكتفياً ومنقطعاً على خدمته .

الخامسة : لا يعزل المتوظف في هذا المجلس ومتفرعاته إلا بخيانة أو إهمال لوظيفته .

السادسة : يلزم المستخدم أن يباشر وظيفته بنفسه ، ولا يجوز له أن يوكل إلا إذا طرأ عليه عذر شرعي مع الاستيذان ، وإلا يعد مهملاً في وظيفته .

السابعة : من أهمل وظيفته ثلاثة أيام يعزل عزلاً موبداً .

الثامنة : كل من يدعي على مأمور من هذا المجلس ومتفرعاته من خيانة أو إهمال لوظيفته يلزم إلزاماً جبرياً على إثبات ما ادعاه ، (راجع القاعدة السابعة) ، وإلا يحبس ذلك المفتري إلى ثلاث سنين .

التاسعة : من قبل خدمة ولم يحسن الإدارة في مصروفه من معاشه وإرداته فإنه يعزل عزلاً مؤبداً .

العاشرة : يلزم على كل مستخدم أن يحرر حساب نفسه من داخل وخارج وباق ، ويرفعه إلى رئيسه .

الحادية عشر : يلزم أن يوجد في هذا المجلس أربعة قيود : القيد الأول

قيد السجلات بأن يسجل فيه جميع الوقفيات . والقيد الثاني يحرر فيه حساب كل مسجد وفعل خيري من وارداته ومنصرفاته المقررة وغير المقررة والفضلة التي بقيت ، وحساب كل وقف آيل إلى ذلك بحذائه مبيناً فيه وارداته ومنصرفاته المقررة وغير المقررة وعدد مستحقيه ، والقيد الثالث يبين فيه إسم كل مستخدم في هذا المجلس ومتفرعاته ، مع بيان ثروته وترجمة حاله وحسابه . القيد الرابع قيد الدعاوى (راجع القاعدة الثامنة) .

الثانية عشر : تلتزم العدول بعد كتابة الوقفية أن يسجله في المجلس وفي هيئة الفعل الخيري الآئل إليه هذا الوقف . وبعد ذلك يسلمه لصاحبه . وكذلك الوصية .

الثالثة عشر : إذا أقيمت دعوى على وقف يلزم ناظر فعل الخيري الآئل إليه هذا الوقف أن يذهب مع متولي الوقف المدعي عليه لمشاهدته الدعوى والحكم ، ورفعه ذلك إلى المجلس ، وكذلك إذا ادعى متولي وقف على أحد .

الرابعة عشر : يلتزم المجلس في كل سنة أن يحرر دفتراً مبيناً فيه واردات كل مجلس أو فعل خيري ومنصرفاته المقررة أو غير المقررة وفضلته ، وبحذائه واردات الأوقاف الآئلة إليه ، ومنصرفاته المقررة وغير المقررة ، وعدد مستحقيه ، وحسابات المستخدمين فيه وفي متفرعاته ، ويرفع ذلك إلى مجلس الإسلام .

القواعد المتعلقة في كل مسجد أو فعل خيري

الخامسة عشر : يصير لكل مسجد أو فعل خيري هيئة متركبة من الخطيب والمدرس وهما الكاتبان ، وناظر المسجد أو الفعل الخيري .

السادسة عشر : يلزم لكل هيئة ثلاثة قيود : القيد الأول قيد السجلات : يسجل فيه وقفية المسجد أو الفعل الخيري ووقفية الأوقاف الآئل إليه . والثاني : يحرر فيه حسابات ذلك من داخل ومنصرف ، والثالث : يحرر فيه حسابات الأوقاف الآئلة إليه .

السابعة عشر : يلزم في كل شهر التصديق من الهيئة على دفتر الحساب ورفعه

إلى مدير الأوقاف للتصديق عليه ، وفي كل سنة ترفع الهيئة إلى المجلس دفتراً مبيناً فيه وارداته ومنصرفاته المقررة وغير المقررة . وفضلته والدين الذي عليه وحسابات الأوقاف الآئلة إليه : من وارداته ومنصرفاته ، وعدد المستحقين فيه ، وحسابات المستخدمين في ذلك الفعل الخيري والآئل إليه .

الثامنة عشر : إذا لزم للمسجد أو الفعل الخيري عمارة أوقافها ولم توجد غلة تفي بذلك : يرفع ذلك للمجلس للاستدانة له من فضله مسجد آخر . ثم ترجع إليه عند توفر الغلة .

القواعد المتعلقة بالأوقات

19 : يلزم كل متولي وقفاً أن يرفع شرط الواقف إلى المجلس وإلى هيئة الفعل الخيري الآئل إليه ذلك الوقف لتسجيله فيهما . (راجع القاعدة التاسعة . والحادية عشر . والسادسة عشر) .

العشرون : من لم يرفع شرط واقفه يعد غاصباً ومهملاً ؛ ويلتزم في محاسبته من يوم استيلائه على الوقف ، مع تضمينه كل ما خرب فيه بسبب إهماله شرط واقفه من عدم بداءته بعمارة الوقف ، (راجع القاعدة السابعة) .

21 : يلزم مراعاة شروط الواقف .

الإثنين والعشرون : لا يجوز لناظر الوقف أن يصرف شيئاً للمستحقين والوقف محتاج للعمارة . وإلا يعد غاصباً ومهملاً (راجع القاعدة السابعة . والعشرين) .

الثالثة والعشرون : إذا خرب الوقف ولم توجد غلة تفي بتعميرها يستدان له من هيئة الفعل الخيري الذي يؤول إليه ذلك الوقف ، ويؤخر الصرف إلى المستحقين حتى يسدد دينه .

24 ـ يلزم ناظر الوقف أن يشرع في عمارة الوقف إذا حدث به شيء ، وإلا يعد خائناً ومهملاً .

الخامسة والعشرون : يلتزم الساكن في أماكن الوقف إذا حدث فيها شيء يوجب

العمارة أو التصليح أن يعلم الناظر .

السادسة والعشرون : يلزم الناظر في كل سنة أن يرفع دفتراً إلى هيئة الفعل الخيري الذي يؤول إليه ذلك الوقف ، مبيناً فيه واردات وقفه ومنصرفاته وتعيين مستحقيه .

القواعد المتعلقة بشيخ العلماء

27 : شيخ العلماء هو ناظر على أوقاف العلماء والمدارس ومواضع التدريس .

28 - يجري في أوقاف العلماء والأشراف وأوقاف الحرمين الشريفين وأوقاف الفقراء ما يجري في أوقاف المساجد .

29 : يلزم شيخ العلماء أن يحرر أربعة دفاتر : الأول : يحرر فيه أسماء العلماء الموجودين في بلدته ومحلات اشتغالهم ، الثاني : يحرر فيه المدارس المعدة إلى الطلبة والمخصصات لها ، وما تكفي تلك المخصصات من الطلبة ، ويحرر مواضع التدريس التي لم توجد لها مخصصة لطلبتها ، والثالث : يحرر فيه أسماء الطلبة وتعيينه في المدارس وموضع التدريس ، والرابع : في درجة الطلبة التي يرفعونها المعلمون شهرياً .

الثلاثون : تتعين مدرسة من المدارس التي لطلبتها مخصصات : لقراءات الفنون العسكرية بها ، بعد استحضار الكتب المؤلفة في الفنون الحربية وترجمتها باللسان العربي ، على الأخص الكتب التي تقرأ في مصر بالمدارس العسكرية .

31 : لا يقيد في دفتر العلماء من لم يكن حائزاً على مرتبة التدريس ، ويكون مشتغلاً بالإفادة .

32 : تنقسم المدارس ومواضع التدريس إلى قسمين : إما أن يكون لطلبته مخصصاً أم لا ، ويتعين لكلا القسمين قراءة كتب مخصوصة ، ويصير نقل الطالب حسب استعداده إلى تلك المدارس .

33 : يقدم الفقراء في المدارس وموضع التدريس التي لطلبتها مخصصة .

أربعة وثلاثون : يلزم على مدرس المدارس وموضع التدريس أن يمتحن طلبته في كل شهر ، ويعطي الطلبة نمرة حسب استعدادهم ، ويرفع بذلك لشيخ العلماء .

الخمسة والثلاثون : في كل سنة يجري امتحان المدارس ومواضع التدريس بحضور المجلس والأعيان ، وبحسب استعداد الطلبة يصير نقله إلى مدرسة أعلى ، فإذا تم طلبه في المدرسة النهائية يعطي شهادة في بلوغ درجة التدريس ، وحينئذ يجوز استخدامه في المجلس ومتفرعاته .

36 : ينتخب ممن حاز على رتبة التدريس للدخول في المدرسة التي خصصت لقراءة الفنون العسكرية .

السابعة والثلاثون : بعد استيفاء قراءة الفنون الحربية وأدائه الامتحان بذلك : يتعين خليفة قائد المائة ، وبعد ذلك يترقى حسب استعداده .

القواعد المتعلقة بنقيب الأشراف

38 : هو ناظر على أوقاف الأشراف . (راجع القاعدة الخامسة عشر . والثامنة والعشرين) .

39 : يلزم نقيب الأشراف أن يحرر دفتراً في أسماء الأشراف الموجودين في بلدته .

الأربعون : لا يقيه في دفتر الأشراف إلا من ثبت نسبه من جهة أبائه ثبوتاً حقيقياً ، مع متابعة جميع طرائق التحري .

القواعد المتعلقة بمأمور الأوقاف

41 : هو ناظر عام على جميع الأوقاف . وناظر خاص على أوقاف

الحرمين الشريفيين . (راجع القاعدة الخامسة عشر والثامنة والعشرين) .

القواعد المتعلقة بشيخ الفقراء

42 : هو ناظر على أوقاف الفقراء والزوايا والمارستان . وعلى الأوقاف الموقوفة على عابر السبيل والغزوة ، وعلى تعمير الجسور ، وعلى الأسبلة ، وعلى الربيعة الموجودة في مقابر الأولياء رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، (راجع القاعدة الثامنة والعشرين) .

الثالثة والأربعون : يلزم أن يجري حساب كل واحد مما ذكر في القاعدة الثانية والأربعين على حدتها .

الرابعة والأربعون : يلزم أن يحرر دفتراً مبيناً فيه جميع الزوايا والمدارس ، ومواضع التدريس التي لطلبتها مخصصات ومخصصاتها ، وما يكفي من الفقراء . والمارستان وما يسع من المرضى .

الخامسة والأربعون : يلزم أن يعاين الفقراء ويقسمهم على ثلاثة أقسام : عاجز عن الأشغال مرة واحدة لكبره أو لتعطيل في أعضائه ، والثاني : عاجز بسبب مرض فيه ، والثالث : القادر على الأشغال ، وبموجب ذلك يحرر دفتراً مع بيان أسمائهم وأعمارهم وقابليتهم للصنائع .

السادسة والأربعون : أما القسم الأول فيصير وضعه في المحلات التي بها تعيينات دائمة ، والقسم الثاني يصير وضعه في المارستان مدة مرضه ، والثالث والثالث يشغل جبراً بنظر شيخ الفقراء .

47 : القادر على الأشغال إذا لم يحصل شغلاً يصرف عليه في اليوم الذي لم يحصل فيه شغل ، بشرط أن يكون غير ممتنع عن أي شغل يوضع فيه .

الثامنة والأربعون : أول ما يصرف على الفقراء من مال الصدقة والوصية من المحلات التي بها تعيينات دائماً ، ثم من واردات أوقافهم ، ثم من ربيعة الأولياء رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم من كان قابلاً للتعليم يوضع في المدارس ومواضع

التدريس التي لطلبتها تعييناً ، فإن لم يف ذلك فيصير حينئذ التدبير بجمع ما يكفيهم من الأغنياء .

التاسعة والأربعون : يقدر المصروف الضروري الكافي لكل يوم للعاجز عن الأشغال والقادر الذي لم يحصل شغلاً ، مع إعطاء كل واحد منهم كسوتان : كسوة للصيف والأخرى للبرد ، ويلحق بذلك القادر الذي لم يبق عنده فضلة لأجل كسوته من أجرة أشغاله في تلك السنة .

الخمسون : إذا كان على إنسان كفارة يمين أو غيرها أو عنده صدقة : فليخبر بذلك شيخ الفقراء وعن قدرها ، وهو يخصص لن من يتناول ذلك ، وكذلك يخصص فقراء يتناولون مرتبتهم من الوصي الذي عنده وصية إلى الفقراء إلى نفاذها ، والفقير الذي يتناول مصروفه مما ذكر لا يعطي له من صندوق شيخ الفقراء مدة تناوله من ذلك .

خاتمة

اللازم على كل عاقل أن لا يتهاون بقبول النصيحة وإن كانت ممن لا يعبأ به . بل يقدرها حق قدرها ، ويتدبرها حق تدبرها ، على الأخص إذا كانت موافقة للوقت وللشريعة الغراء ، لقوله ﷺ الحكمة ضالة المؤمن ، يلتقطها حيث وجدها .

نسأله تعالى أن يبصرنا في عيوبنا ، ويرزقنا إصلاح أحوالنا ، ويلهمنا رشدنا . ويجمع كلمتنا ، بحكمة أمير المؤمنين ، وحامي حمى الدين ، وابن سيد المرسلين .

اللهم أيده بما أيدت به رسلك وأنبياءك وخلفاءك ، وأملأ بدعوته أرضك ، وبدعائه سماءك ، واجعل عليك توكله واعتماده ، وفي سبيلك جهاده واجتهاده .

اللهم وأصلح الرعية والرعاة ، ومن هم بالمعروف آمرون وفي الخير سعاة ، وعم والدينا وأشياخنا ومن أحسن إلينا برحمة منك وغفران ، واجعل النبي ﷺ شفيعاً لنا حتى ندخل مع السابقين فرادس الجنان ، وصلى الله على سيد المرسلين ،

وآله وصحبه أجمعين ، آمين . يا رب العالمين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قاله العبد الفقير ، خادم العلم الشريف ، بالحرم الشريف ، النبوي المنيف : عبد الكريم مراد ، الطرابلسي المدني . عفا الله عنه ، آمين .

31 - مصورة خاتمة المشروع الدستوري بالملحق 68

21

مرتبتهم من الوصف الذي عندي وصفته التي العقلاء الذين يخافون منا والتقصير
الذي بيناه له محروم منه مما ذكر لا يخفى لدى حضرة سيدي العقلاء منا
بنا ولذلك خالفة اللازم على كل عاقل أن لا ينبهوا بقبول
النصيحة وكل خائف ممن لا يعبأ به بل معذرة حتى فرقنا وتبين من هو
حتى تتربى على الأصل وإن كان متربيه للنوعيت وللشريعة الغراء
لقوله صلى الله عليه وسلم الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها
نسأله تعالى أن ينصرنا في غيرنا ويرزقنا الصلاح أحسن الناس ويلهمنا
رشدنا ويجمع كلمتنا بجمعه أمير المؤمنين وعلى محيي الدين وابن سيد المرسلين
اللهم أثر بالأثر يا بدر سلك والأنبياء والخلفاء وأقطاب بعون تم
أرضنا ويرعى أبد السماء لكم واجعل علينا توكله واعتماده في سبيله
جهاده واجتهاده. اللهم ولي الرعية والرعاة ومن هم بالغرض
في أمره وفي الخير سلاحه ومعيو الدنيا والشيا غنا ومن حسن الكنانة
منه وغيره واجعل النبي صلى الله عليه وسلم شفيعنا الناصح لنا على
مع الخطابة بغير مراد من الجنان. وصلى الله على سيد المرسلين وآله وصحبه
أجمعين آمين يا رب العالمين
ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم

قاله [illegible] الفقير
خادم العلم الشريف
بالحرم الشريف النبوي المنيف
عبد الكريم مراد الطرابلسي
[illegible]
عفي عنه
آمين

الباب العاشر

نماذج من مساهمة الشعر في التوجيه الإصلاحي

كما أشير له سلفاً : فإن الحاج علي زنيبر يستخدم الشعر ـ إلى جانب مذكرته الدستورية ـ في توجيهاته الإصلاحية ، وذلك ما يتناثر خلال ديوانيه الإثنين :

فيسمي الأول بـ « روح الأشواق ، على روح العشاق » ، ولا يعرف ـ الآن ـ إلا من خلال إشارة الشاعر له في افتتاحية ديوانه الذي اختاره من روح الأشواق .

وتحمل هذه المختارات إسم « منتخبات المشتاق . من أرج روح الأشواق » ، ولها مصورة على الشريط : خ . ع 1093 في 70 لوحة ، مع نسخة مخطوطة في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا .

فتتوزع بين منوعات الديوان الثاني : قصائد وطنيات ، يتجاوب فيها شاعرنا مع الأحداث المغربية ، فيندد ويتألم ، ويطرح الحلول ، في أسلوب يتسم بالغيرة القومية ، والحمية الإسلامية ، مع استخدام الرفق في مخاطباته ، والواقعية في مقترحاته ، وعند الاقتضاء يلجأ إلى التلميحات الهادفة بدلاً من التصريح .

وقد وردت القصائد المعنية في ديوان المنتخبات حسب هذا الترتيب :

1 ـ فكانت الأولى ضداً على ثورة الجيلاني الزرهوني ، فلذلك جاء عنوانها : « استنهاض همم العشائر . لقطع دابر الغادر الثائر » .
لوحة 48 ـ 52 من مصورة الديوان : 83 بيتاً على روي الراء من بحر الطويل .

2 ـ « درر عقد النصيحة بسلك الإبريز . لنحور حور جنة معارف مولاي عبد العزيز » : نصيحة موشحة على هامش احتلال بعض المواقع بالحدود الشرقية ،

نظمها يوم 5 ربيع الأول 1323 هـ .

لوحة 53 ــ 56 : 77 بيتاً .

3 ــ « تدبير الساسة : لإكسير السياسة » : في التنديد بجدوى المشاريع الفونسية المقترحة عام 1322/1904 .

لوحة 57 ــ 61 : 88 بيتاً على روي التاء من بحر الطويل ، ومنها مقتبسات عند الملحق رقم 69 .

4 ــ وبالديوان ــ أيضاً ــ قصيدتان وطنيتان : إحداهما بعنوان : « إنارة الأذهان .بشموس العرفان » .

لوحة 61 ــ 62 : 34 بيتاً على روي الفاء من بحر الوافر .

5 ــ والأخرى : « نور فتح البصائر ، وفتح نور الضمائر » .

لوحة 62 ــ 65 : 57 بيتاً على روي الحاء من الكامل .

* * *

6 ــ فهي خمس قصائد موضوعية بديوان « منتخبات المشتاق ... » ، تضاف لها قصيدة تنتقد مقررات مؤتمر الجزيرة . ولهذا كان عنوانها : « مصباح الفلاح لمراجعة لائحة الإصلاح » .

وقد وردت بذيل مذكرة « حفظ الاستقلال ... » سابقة الذكر ، مخطوطة الخزانة العلمية الصبيحية بسلا ص 21 ــ 26 : 99 بيتاً على روي الراء من الطويل .

ومن هذه القصيدة مختارات هي موضوع الملحق رقم 70 .

7 ــ وهذه قصيدة سابعة للحاج علي زنيبر ، ولا يعرف منها سوى عنوانها : « إتحاف القراء بنتائج الجزيرة الخضراء » ، حسب إشارة بالمصدر الأخير ص 26 .

* * *

8 ــ نلحق ــ مرة أخرى ــ موشحة نظمها الشاعر السلوي بعد القضاء على ثورة الجيلاني الزرهوني : أيام السلطان الحفيظ عام 1327 هـ .

منها مصورة « خاصة » عن مخطوطة فقيد التاريخ المغربي المرحوم عبد السلام إبن سودة : في أربع لوحات تشتمل على 77 بيتاً ، ومنها ـ أيضاً ـ نسختان معروضتان في المكتبة الصبيحية بسلا .

ملحق 69

مختارات من قصيدة « تدبير الساسة لإكسير السياسة » نظم الحاج علي زنبير

تدبـــر عزيـــز الملـــك مطلـــب جـــارة
ودبـــر عـــزيز السبـــك صُلـــب المبـــرة

إلى أن يقول :

ومن ذا الذي يرضـــى الدخيـــل يسرْ بـــه
ولا وصلة الأرحام تقصي بعلـــــــــة
وفي السرب مـــن يبـــدي الســـداد برأيـــه
ويسري بعـــير العـــرب من غـــير جـــذوة
ومن لـــم يكـــن في السرب خير عشـــيرة
فغير أمين في انتهـــاج الأدلـــــــــة
لذا منـــع الأحبـــار كل وظيفـــــــة
لغير خبـــير طبـــق حكـــم الأيمـــــة
فكيف وليســـت للدخيـــل علاقـــــــة
فيعطـــى زمام القـــوم من خير ملـــــة

ثم يوجه الخطاب لأعضاء مجلس الأعيان الذين اضطلعوا بدراسة المطالب الفرنسية :

على أنـــه يهـــدي سنا بـــرق خاطـــــر
لوفد العزيز الشهم أهـــل تحيـــــة
عساهم يـــرون الحـــق من قبلـــة السنـــا
فيجـــلى لديهـــم كل منهـــم نهجـــــة
وينحـــون بالإعـــراب عن كل معجـــم
بدا من مبادي الجمع يقضي بوصمـــــة

لأنهم مجلى حقيقة رشد من
أتى باقتراح خوف تمزيق وحدة

فكونوا كما أني أحرر قصد ما
تراه هداة العرب من حي قدوة

وما من علي القدر ألا يرى الذي
أبان حكيم العرب بين الأجلة :

كتنظيم بوليس : فمن حي عامر
على نسق الإصلاح في كل دولة

وحفظ حدود الجار بعد رجوع ما
أغار عليه الحب من كل قطعة

وما خص بالتهريب من كل ساحل
وحد : فلِلْمتبوع عس الأعنة

وما قيل في حد الجزائر يقتضي
له حكم فرع الأصل بعد الروية

وإنشاء بنك لاعتماد حكومة
لدا دولة المولى يبقى لأوبة

وتقرير أحكام لإدارة كلها
تدار بعرب الحي حزما بعفة

وما يقتضيه البحث في الجمع بين ما
يسن من التعديل سن الجباية

على كل من في القطر من غير فارق
وإلا فلا إصلاح قط بفرقة

وما روعي الإصلاح إلا إذا اقضى
بتعديل تعشير المراسي بهمة

ولا بحث إلا في مصالح قطرنا
ولا يحسن الإصلاح إلا بنجدة

وإدخال ما فيه التمدن طبق ما
يوافق شرع العرب خير وسيلة
وما تم فيه البحث يلزم عرضه
على السدة العلياء خوف الوقيعة
وأولى بذي العرفان في الجمع حصر ما
يدار من الأبحاث بالعربية
ولا بحث إلا بالكتابة رقمه
وإلا فما في البحث نفع بشرعة
وكل اقتصاد مس حقاً بشرعنا
فغير مراد في الأمور المهمة .

ديوان « منتخبات الاشواق ... » فيلم خ . ع : 1093 .

ملحق 70

مختارات من قصيدة « مصباح الفلاح لمراجعة لائحة الإصلاح »
نظم الحاج علي زنبير

عزيزي ومن بالبحث يسري بما أسري
ويجتاز في الإصلاح قيد ذوي أسري

وعين عيون الحق في كل طلعة
وعز دليل العرب في الندر والسير

أعد نظراً فيما تقرر عرضه
على السدة العلياء من ساسة العصر

وقل ما ترى فالحق مرمى ذوي الهدى
وراية أهل الحي في الطي والنشر

إلى أن يقول عن الغاية من المؤتمر :

وإن أساس الجمع تحقيق وحدة
لقطر له استقلال ملك بلا نكر

وكل انتحال فرع أصل بها النهي
وما القوس في الإصلاح يعطي بلا وتر

ولا ثروة في ثورة الجمع غنية
ولا الجمر ـ في التطبيق ـ نوع من التمر

ولا بحث في الإصلاح إلا بشرعة
من العدل لاستيصال جرثومة الجور

وما الجور إلا هضم حق مسالم
له دعوة الإصلاح في السبر للغور

وهل جاء مندوبوا الملوك لغير ما
يقي المغرب الأقصا من الغدر والمكر

وهل في اقــتراح الجمــع غير وسيلـــة
يصان بها ملك العزيز من القهـــــر

وما القهــر إلا أن يحاط بذي القضـــا
ويقضي على ذي السيــف بالنبو والكســر

فما هــي أسرار الدخيــل بغير مـــا
تعـــزبـــه الأوطـــان في الــبر والبحـــر

وما العــز إلا أن يكـــون عزيزنــــا
هو الأمر الناهـــي بمصلحـــة القطـــر

وبعد هذا يندد الشاعر بمقررات المؤتمر ، ويرى فيها نذر احتلال واختلال ، إلى أن يقول :

أخا السلم : إن العـــدل يقضي على النهـــي
بتعزيز ما يرضي العـــزيـــز بلا جـــبر

ومـــا مـــن بصير لا يقلـــب طرفــــه
بلائحـــة الإصلاح مستكملـــة الطـــور

وما هي أنواع التـــدرع للـــوغـــى
إذا كان مبنـــى السد ناراً بـــلا قطـــر

تـــرون ومـــا منكـــم يقـــول بمـــرة
مبادي احتـــلال في حـــلي من البهـــر

وهـــل في احتـــلال غـــير سيطـــرة القضا
بكـــل انتحـــال يا دعاة الهـــوى العـــذري

وما المنـــع من إنشـــاء بنك بإسمنـــا
إذا كان من قســـم الوجـــوب بلا قســـر

ولـــو أن كـــل القائمـــين بنفعـــه
من الشهب لكن تستمد من البـــدر

وما البـــدر إلا المستضيء بشمس مـــن
له وحـــدة السيـــار من فلـــك الســر

وما السر في بنـــك يديـــره غيرنـــــا
ويقضي على المجمـــوع منا بما يُجـــري
وليس لنا إلا إتبـــاع ذوي القضـــــا
بمجلس «لا هي» في اختلاف على النـــزر
أتحمـــل أثقـــال التقاضي لغـيرنـــــا
ونربـــي كنـــوز الغير من حصص الوفـــر
أهذه أنـــوار التمـــدن في الـــورى؟
وهـــل كان نـــور السلم في اللـــذع كالجمر؟
نحاط ببوليس من الغـــرب مثـــل مـــا
يحاط القطابين الكواسر والصقـــــر
فلو قيـــل للإصـــلاح: جيء بضـــابط
غريـــب: فقَولي تحت ألويـــة النصـــر
وما النصـــر إلا بإنتشـــار مصـــارف
تجيز انتظام الضبط من ضيعـــة المصـــر
وتحـــت شـــروط لو أخِـــل بـــواحـــد
لجيء بمن يرضي العـــزيـــز عـــلى الفـــور
يدرِّب بالتعليـــم مهمـــا تنوعـــت
مبادي النظـــام: العربَ في الفـــر والكـــر
وليس لـــه بين الأجـــانب وصلـــة
تجيز له كشـــف التدرب للغـــير
لأن اطـــلاع الغـــرب عن منعـة الحمى
إباحـــة ممنـــوع ووصمـــة ذي القـــدر
وحكـــم جواز الضبط للغـــرب أن تـــرى
بكل انتظام تحت حكـــم ذوي الـــوكـــر

وكل اصطـــلاح في المصالـــح كلهـــا
على غير زي الحي زرع عـــلى صخـــر

وكـــل امتيـــاز لا يقـــرر نفعـــــه
لقطر عزيـــز فهو ضرب مـــن الخسر ...

- القصيدة واردة بذيل مذكرة « حفظ الاستقلال ... » مخطوطة الخزانة العلمية الصبيحية بسلا . رقم 7

الباب الحدي عشر
البدايات الأولى لظهور الطباعة العربية المركبة على الحروف

لن يتناول هذا العرض المطبعة الحجرية ، وهو موضوع تناوله الجزء الأول من الدراسة[1] التي نذيل عليها ، والقصد ـ هنا ـ إلى المطبعة المركبة على الحروف .

وقد وصلت إلى المغرب ـ أواسط القرن 19 ـ مع الحملة الإسبانية سنة 1276/1860 ، فاستخدمها ـ في تطوان ـ قادة الحملة لطبع صحافتهم المحلية باللغة الإسبانية .

وأول مطبعة دخلت طنجة كانت عام 1287/1870 ، حيث زودت بها جريدة الإتحاد الإسرائيلي » : (عين طنجة) ، الصادرة بالفرنسية .

وتعتبر سنة 1302/1884 : هي موعد ظهور المطبعة التي تنشر بها جريدة « الأيام المغربية » بالإنكليزية ، وكان بها قسم مجهز بالحروف العربية ، وفيه طبعت أول جريدة عربية مغربية : « المغرب » عام 1306/1889 .

ويبدو أن هذا القسم كان مجهزاً تجهيزاً مناسباً ، فتعلن جريدة « المغرب » بالعدد 11 : أنها قادرة على طبع ما يطلب منها بأسعار متهاودة ، وعلى أتم ما يكون من الضبط والإتقان .

وتضيف : أنها مستعدة لمراعاة الإصطلاح المغربي في تنقيط حرف القاف بواحدة من أعلا ، والفاء من أسفل .

ومن السنوات الأولى من القرن 20 : بدأت الطباعة العربية السلكية تشيع

---

1 ـ « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 1/ 257-315

في العاصمة الدبلوماسية ، فيرد في جريدة « السعادة » بعدد 12 مارس 1906 :

« والسعادة تطبع في طنجة في المطبعة المغربية بزقاق تطوان .
وعند السيد محمد ولد عبد العزيز في السياغين .
وفي مطبعة شلون بن حيون بزقاق مصطفى .
وعند بونارديل في حومة القاضي .
وعند إسرائيل حومة امفيشاط » .

وقد كانت « المطبعة المغربية » المشار لها أول هذه الفقرة : اشتهرت ـ أكثر ـ في طنجة ، فتطبع بها جريدة « الصباح » ثم « مجلة الصباح » .

وبها ـ أيضاً ـ نشر « عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء : في نصيه العربي والفرنسي سنة 1907 ، مما يشير إلى أن « المطبعة المغربية » كانت مجهزة بالحروف العربية واللاتينية .

مطبعة لسان المغرب بطنجة :

وقد كانت المطابع الأولى بطنجة : في ملك بعض الأجانب والإسرائليين ، وأول مطبعة في ملكية عربية بالمدينة ذاتها : هي مطبعة جريدة « لسان المغرب » ، حيث صدر أول عدد منها 24 ذي الحجة 1324/8 فبراير 1907 .

صاحبا المطبعة : هما الأخوان فرج الله نمور المدير السياسي للجريدة ، وأرتور نمور رئيس تحريرها ، وقد استحضرا للمطبعة المواد اللازمة لاستكمال تجهيزها : من المطبعة الكاتوليكية في بيروت .

ولا يعرف ـ الآن ـ من منشوراتها سوى « لسان العرب » . مع ملحق بعنوان « دفاع لسان المغرب عن حقوق جلالة السلطان عبد العزيز ... » . حيث صدر بتاريخ 25 جمادي الثانية 1326/26 يوليوز 1908 . وقد أعلنت بالعدد الأول استعداد مطبعتها لنشر كتب علمية وسواها .

ثم كان مصيرها أن اشتراها السلطان الحفيظ أواسط عام 1327/1909 ، وأمر بتوجيهها إلى مدينة مراكش حيث تفككت أجزاؤها .

32 - الصفحة الأولى من احد المنشورات في مطبعة احمد

هـــــذا شرح الشيخ الامام، العالم

العلامة الهمام، ابي عبد الله سيدي محمد

ابن محمد المامون الحفصي المراكشي

على صغري الشيخ السنوسي

رحمهما الله ورضي عنهما

آمين

طبع على نفقة المطبعة

١٣٢٤

ســـنــــة

مطبعة احمد يمني

بفـاس

مطبعة أحمد يمنى[2] بفاس :

وتعتبر أول مطبعة عربية سلكية دخلت لفاس ، وظهرت مطبوعاتها الأولى عام 1324/1907 ، مما يرجح أنها تأسست في هذه السنة ، ثم استمرت منشوراتها تظهر إلى عام 1326/ 1908 . حسب اللائحة التالية بالنسبة لما وقفت عليه .

1 - « ثمار المزهر » ، وهو ترجيز مختصر لكتاب « المزهر » للسيوطي ، من نظم الشيخ ماء العينين الشميجيطي : عام 1324-116 ص ، وقد يكون أول منشورات هذه المطبعة .

2 - « مورد الشارعين في قراءة المرشد المعين » للشيخ عبد الصمد كنون : عام 1324-111 ص .

3 - « المرافق على الموافق » ، للشيخ ماء العينين : شرح فيه نظمه لكتاب الموافقات للشاطبي : عام 1324-565 ص .

4 - ولنفس المؤلف « منظومات رجزية في التصوف » : عام 1324 .

5 - « شرح العقيدة السنوسية الصغرى » للشيخ محمد الحفصي : عام 1324-68 ص .

6 - « معيار الاختيار ... » تأليف لسان الدين ابن الخطيب : عام 1325-54 ص .

7 - « السر الحقي الامتناني ... » للشيخ محمد عبد الحي الكتاني : عام 1325-287 ص .

8 - « منتخب التصوف ... » للشيخ ماء العينين : 1325 .

9 - ختمة المقدمة الأجرومية للشيخ محمد بن عبد القادر ابن سودة : عام 1326-24 ص .

---

2 - لا تزال ترجمته غير معروفة . وورد ذكره باسم « الدكتور أحمد يمنى أفندي » : في مجلة « المقتبس » ج 10 من المجلد الثاني : شوال 1325/ نوفبر 1907- ص 547 .

وفي آخر هذه السنة إشترى السلطان الحفيظ هذه المطبعة[3]. ووظف صاحبها للعمل بها، وصار مقرها داخل دار المكينة في فاس الجديد، فطبعت فيها الأعداد التي ظهرت من جريدة «الفجر»، وعنها ـ أيضاً ـ صدرت جملة من المنشورات العلمية باسم «المطبعة المولوية».

وبعد عام 1912 أضيفت لبلدية فاس باسم «المطبعة البلدية»، واستمرت بمقرها الأول، وفيها كانت تطبع جريدة «أخبار تلغرافية»، كما نشر بها بعض «المؤلفات العلمية».

وبعد ذلك اشترتها ـ من البلدية ـ شركة فاسية، ثم انتقلت ـ عام 1350 ـ إلى ملكية الشريف عبد العزيز بو طالب، وهي التي كانت بفاس في حي الطالعة رقم 14 باسم «المطبعة الجديدة».

وإلى هنا ينتهي عرض ظهور المطبعة السلكية بالمغرب الحديث، إستناداً إلى بعض الاستجوابات والتحريات لجملة من المنشورات بهذه المطبعة، فضلاً عن الاقتباس من المصادر التالية.

1 ـ جريدة «المغرب» الصادرة في طنجة: 1306/1889: العدد 11.

2 ـ مجلة الصباح الصادرة بطنجة.

3 ـ «الصحف والصحفيون بطنجة في القرن التاسع عشر» للاستاذ ج. ل. مييج: مجلة «هسبريس» سنة 1954 ص 191 ـ 228.

4 ـ «الصحافة المغربية» للأستاذ زين العابدين الكتاني، مطبعة فضالة: ج 1.

5 ـ «نظرات في تاريخ الصحافة المغربية وتطورها»، للأستاذ علال الفاسي: جريدة «العلم»: عدد ممتاز بتاريخ 20 رجب 1391/11 سبتمبر 1971.

---

3 ـ جريدة «السعادة»: عدد 243، بتاريخ الثلاثاء 28 ذي القعدة 1426/22 ديسمبر 1908 ـ ص 3.

6 ـ وللأستاذ الإسباني كارسيا فيكراس كتاب « صحافة تطوان وافريقيا » ، ط . تطوان 1949 .

ملاحظة :

كان من مؤشرات تطور المغرب خلال هذه الفترة : ظهور صحف عربية جديدة ، وهو موضوع يعكف على دراسته الأستاذ الباحث الشيخ زين العابدين الكتاني ، فنشر الجزء الأول من كتابه « الصحافة المغربية » ، ويعد ـ الآن ـ لإصدار الجزء الثاني .

فلذلك نتجاوز هذه النقطة ، ونحيل على الكتاب المنوه به ، كما نشير إلى الفصل الثاني من الباب السادس من دراستنا هذه : بعنوان « ظهور لسان المغرب كأول جريدة عربية ناطقة بلسان الدولة » .

الباب الثاني عشر

المقاومة المسلحة في الشاوية وتافيلالت

الفصل الأول
وقائع المقاومة

مقدمة :

عرفت هذه المرحلة احتلالاً فرنسياً سافرا لعدة جهات مغربية ، بدءا من وجدة ، إلى الشاوية ، إلى مناطق أخرى بالمغرب الشرقي وتافيلالت .

وقد وقع احتلال وجدة عند صبيحة الجمعة 14 صفر 1325/ « 29 مارس 1907» ، بجيش ـ كامل التجهيز ـ قوامه نحو خمسة آلاف من المشاة وألفين من الفرسان ، حسب الملحق رقم 71 .

وفي الشاوية : بدأت البارجة الفرنسية « جاليلي » تقصف الدار البيضاء بالقنابل فجر يوم الإثنين 25 جمادي الآخرة 1325/5 غشت 1907 ، ثم امتد الإحتلال ـ خارج المدينة ـ إلى قبائل الشاوية عبر مراكز مديونة فابن رشيد فسطات ، وحيناً كان هذا الزحف قد اجتاز نهر أم الربيع غرباً ، فاحتلت الجنود الفرنسية مدينة أزمور في طريقها إلى مدينة مراكش .

وفي المغرب الشرقي وتافيلالت أخذت جيوش نفس الدولة تتعدى الحدود بهذه المنطقة ابتداء من أواسط عام 1906/1324 ، ثم احتلت مركز « المنقوب » عام 1325/1907 ، وبعد ذلك جبل بني يزناسن في ذي القعدة 1325/1907 .

* * *

ونسجل هنا أن هذه الاعتداءات قابلها المغاربة بأعنف مقاومة ، خصوصاً

في الشاوية وتافيلالت ، وهو ما نحاول تبريزه فيما يلي :

أولاً : في الشاوية :

ففي الشاوية : إجتمعت قبائلها على مقاومة التسرب . ويذكر من رؤوسائهم أسماء الأحمر بن منصور ، وعمرو الغنيمي ، ومحمد بن الطيب البوعزاوي : كل في ناحية ، كما يأتي في طليعة فرق الشاوية قبيلة المذاكرة ، وتحت قيادة رشيدة : قاموا - جميعاً - بحروب طاحنة ضداً على المحتلين ، حيث ابتدأت في 5 غشت 1907/ « 25 جمادي الآخرة 1325» ، واستمرت يوماً فيوماً حتى استقر الأمر للحفيظ .

ومن بين الوقائع التي كان للشاوية فيها ذكر وأي ذكر : معارك 8 ، 10 ، 11 غشت 1907 ، ثم معارك 14 ، 18 ، 21 غشت ، ثم معركة 3 سمتنبر 1907 ، وموقعة 14 يناير 1908 .

ولتقييم هذا الكفاح الوطني شجاعة وبراعة حربية . نسوق - هنا - طائفة من الاعترافات التي سجلها الخصوم عن صدق دفاع المغاربة عن منطقة الشاوية . إنطلاقاً من مراسلة لمكاتب جريدة « الماتان » بالبيضاء ، حيث يقدر أعداد المجاهدين بـ 5.000 مغربي مرابطين على أبواب هذه المدينة ، ويضيف قائلاً :

« ... وأنه لمن الخطاء العظيم أن نستهين بقوة المغاربة ، ونزعم أنهم لا يقوون على ملافاتنا ، وأن معركة واحدة تفصل بيننا وبينهم ، إذ القوم ذوو بأس كبير . وعناد شديد ، وشجاعة فائقة ، ولديهم ذخائر وأسلحة من الطراز الأخير ... » .

وبعد جريدة الماتان ، نشير إلى جريدة « الطان » الباريسية . وقد قابل مراسلها الخصوصي الجنرال درود قائد جيش الإحتلال ، وسأله عن التأثير الذي شعر به حين رؤية المقاومين المغاربة .

فأجابه الجنرال : إني لم أرهم إلا عن كثب ، وقد ظهر لي أنهم يستخفون بالموت كل الاستخفاف ، ويستقبلون النيران بكل جرأة وإقدام . ولقد حدثت

معركة 14 غشت ، فتحصن منهم 340 في منزل حقير ، فمشيت إليهم في ثلاث أورط من الجنود ، وقذفتهم بقنابل الملنيت فخسروا خسائر عظيمة كما تعرف . وانتشر من دخان القنابل روائح قتالة ، ومع ذلك رأيتهم لما تبدد الدخان ، فإذا بهم لا يزالون يطلقون الرصاص .

وعن معركة 18 غشت : « الإثنين 9 رجب » نشرت جريدة اللواء المصرية وصفاً مطولاً في عدد 2426 ، بتاريخ يوم الثلاثاء ، 18 رجب 1325/27 غشت 1907 ، حيث استقته من جريدة « الطان » الباريسية ، ونقتطف من ذلك ما يلي :

« حملت المغاربة على المراكز الفرنسوية في الساعة السابعة ونصف من صباح هذا اليوم ، وأحاطوا بها على شكل نصف دائرة ، وأخذوا يطلقون الرصاص على المراكز الأمامية وحينئذ دوت أصوات المدافع من الطراد « جلوار » ، فأيقظت المدينة النائمة . وزلزلت ما بقي منها من المنازل . وعقبها دوي أخف من دويها . وهو دوي المدافع الجبلية ، وبقي الفرنسوية فترة من الزمن مدافعين غير مهاجمين ، والعرب تغمرهم من كل جانب غير مكترثين بقنابل البوارج ، حتى كانت المسافة التي تفصلهم عن صفوف الفرنسويين لا تزيد عن سبعمائة متر...

وبينما جرت المناوشات من هذا القبيل بين قبيلة وأخرى من المغاربة والفرنسيين والجزائريين : إذ الأرض امتلأت عرباً من الذين كانوا كامنين خلف التلول والأشجار والصخور والجبال ، وحملوا على صفوف الفرنسويين بجرأة وإقدام ، حتى لم يبق بينهم وبين هؤلاء غير مسافة قصيرة جداً ، وهم لا يبالون بما كانت تقذفه المدافع من أفواهها ، فوقع الإضطراب في صفوف الفرنسويين ، ونشبت معركة هائلة بين الفرنسويين ، أظهر فيها المغاربة شجاعة نادرة ، وجرأة غريبة ، واستخفافاً بالموت إلى آخر درجات الاستخفاف...

ثم لاح غبار من خلف تل صغير . فحسبه الفرنسويون غباراً مثاراً من أقدام نجده جاءت إلى المغاربة ، فأصدر الجنرال درود أمره باطلاق المدافع على هذا الغبار ، فأطلقوها بكثرة وسرعة ، فهدموا التل الصغير ...

---

1 ـ جريدة « اللواء » المصرية . عدد 2423 : السبت 15 رجب 1325/24 غشت 1907 . والنقل هنا عن نسخة من المقال . حسب التوضيح عند ص 279 .

وتقول جريدة « الطان » التي ننقل عنها هذه التفاصيل : إن المغاربة استحقوا الإعجاب العام بمهارتهم في إطلاق الرصاص ، وثباتهم في مواقف القتال ، وقد هزمت الخيالة الفرنسوية إلى حدود المدينة تقريباً ، وهناك وجدوا بعض الحدائق الخربة فاعتصموا بها . وتواروا خلف حجراتها . وفي أثناء ذلك كان الفرسان المغاربة يظهرون ـ حيناً بعد حين ـ فوق الأكام ، فيطلقون الرصاص ثم يتواروا (كذا) ، وكانت الجنود الفرنسوية والجزائرية يوالون إطلاق الرصاص بشدة ، ولكن لم يكن أمامهم غير نفر قليل من فرسان المغاربة .

وكان يتولى القيادة العامة على المغاربة : رجل ظهر ـ من حسن قيادته للجنود وتفننه في التدبير ـ أنه على جانب عظيم من العلوم بالفنون الحربية ... » .

وهنا نقف بهذه المقتطفات من جريدة « اللواء » ، بعدما حذفت منها تفاصيل كثيرة عن تدخلات الجنود الجزائريين في المعركة .

ونلتقي ـ الآن ـ مع عدد آخر من الجريدة ذاتها ، وهو الذي يحمل رقم 2428 بتاريخ الخميس 30 رجب 1325 ، وقد جاء فيه :

« فلقت خواطر الفرنسويين ، وتبين في الوقائع التي حدثت بين جنودهم وبين المغاربة في ضواحي الدار البيضاء : أن رماتهم لا يحسنون تسديد الرماية ، وأن المغاربة أرشد منهم رمياً ، وأخف حركة ، وأنه لولا الجنود الجزائرية والبوارج الحربية لظهر المغاربة عليهم حتماً ...

ثم تنقل نفس الجريدة عن شخصية فرنسية قولها : « وهذه معركة 21 غشت لم يلق فيها من القنابل أقل من 260 قنبلة ، ومع ذلك لم ننتصر نصراً كبيراً ، ولم تؤثر القنابل شيئاً خطيراً ، على ما تعرف من النفقات الكثيرة التي نتكبدها في كل قنبلة نطلقها :

فإن ثمن القنبلة التي نطلق من مدفع عياره 605 مليمترات : يبلغ 5333 فرنكاً .
وثمنها من المدفع الذي عياره 274 مليمتراً : 2420 فرنكاً .
ومن المدفع الذي عياره 164 : 480 فرنكاً » .

وهذه شهادة من كليمنسو رئيس وزراء فرنسا : في حديث له مع مراسل

جريدة « الإيكودي باري » يقول فيه : « إني لا أخفي عنك أن المغاربة أظهروا شجاعة نادرة ، وتفنناً غريباً في أساليب القتال ، ولولا شدة حذر الجنرال درود وترقبه حركاتهم بكل إمعان ، وسهر الجنود ليل نهار : لاشتدت جرأتهم علينا . ولزادوا متاعبنا .

هذا : ولا أخبار جديدة أخبرك بها ، لولا أن القوم طلبوا من الجنرال درود هدنة للمفاوضة في عقد الصلح ، ولا أظنهم قبلوا ذلك لجلد فارقهم ، وشجاعة تركتهم ، لأنهم في المعركة الأخيرة التي حدثت يوم 3 الجاري : « شتنبر » ، كانوا أكثر منهم عزماً في المعارك الأولى ، بقي أن في الأمر حيلة ، وأظنهم يقصدون بها الراحة قليلاً ، حتى ينظموا صفوفهم وتأتيهم النجدات[2] » .

وإلى هذه الشهادة وما تقدمها من اعترافات : نبرز الانتصار العظيم الذي حققه المجاهدون في موقعة « أكْرَارَ » يوم 10 حجة 1325/ « 14 يناير 1908 » ، فإن فريقاً من مديونة وابن رشيد اتصلوا بقيادة المعتدين في الدار البيضاء ، وأظهروا موالاتهم للحكام الجدد . حتى استدرجوا منهم جيشاً جراراً توغل إلى مدبونة ، فابن رشيد ، ثم قصد سطات ، والهدف هو احتلال مراكش ، غير أن المغامرين وهم في الطريق إلى سطات : اعترضهم ـ بالمكان المعروف باسم اكْرَارَ ـ رايات المسلمين وخيولهم ، في جموع غفيرة لم تلبث أن أحدقت بالجيوش المغيرة ، ونشبت معركة حامية دامت سائر يوم عيد الأضحى : من الصباح إلى الغروب ، ثم أسفرت عن هزيمة ساحقة للمعتدين ، حسب التفاصيل بالملحق 72[3] .

ونختم هذا العرض عن بطولات المكافحين في الشاوية ، بتسجيل مبادرة شجاعة ومومنة إلى حد كبير ، قام بها أحد الرؤساء المرموقين ، في معركة شبت بناحية مدينة سطات ، فإنه بمجرد ما ترأى جيش الإحتلال الزاحف : للقائد المصوبر الزمراني ، شد حيازمه ، وصار يحرض الناس ويصيح فيهم : الجهاد الجهاد ،

---

2 ـ نفس « الجريدة » ، عدد 2429 : السبت 22 رجب 1325/31 غشت 1907 .

3 ـ من الجدير بالملاحظة أن مضمون الوارد بالملحق : تؤيده رواية القصيدة الزجلية : « الدرر البهية . في مدح رجال الشاوية » ، حيث سيرد نصها عند الملحق 81 .

الجنة فتحت أبوابها ، وهو يخوض في الميادين مستبسلاً مستقتلاً . والقنابر تتساقط أمامه وخلفه ، وهو لا يزيد إلا ثباتاً وقوة ، وركضاً على فرسه يميناً وقداماً ، طالباً الشهادة ، عازماً أن لا يتأخر ولا يرجع بأي وجه كان ، وهكذا استمر حتى أصابته قنبرة ذهبت بنصفه الأعلى ، رحمه الله رحمة واحعة[4] .

ثانياً : في تافيلالت :

وستكون هذه البطولة النادرة خاتمة.ما أ تمكن العثور عليه ـ الآن ـ من روائع النضال ضد الاحتلال بالشاوية ، ليأتي ـ بعد ذلك ـ عرض ملامح الكفاح المسلح بتافيلالت .

وكما رأينا في صدر هذا العرض ، فقد بدأ التحرش الفرنسي بالحدود المغربية في هذه المنطقة من أواسط عام 1906/1324 ، حيث بدأ تعاهد القبائل الصحراوية على الدفاع ضد المعتدين حسب الملحقين رقم 73 ، 74 .

وفي عام 1907/1325 ـ كما علمنا سلفاً ـ احتل الجيش الفرنسي مركز « المنقوب » ، وهو لا يبعد عن مدينة بو ذنيب إلا بـ 138ك . م ، فأثار هذا الاعتداء حمية أحد ذوي الغيرة الإسلامية من العلماء الملتزمين ، وهو مولاي أحمد بن الحسن السبعي ، الشريف السعروشني ، فقام يحرص على الجهاد بخطبه ومواعظه ، ويصرخ بذلك في القبائل الأمازيغية : من إخوانه آيتسغروشن ، مع آيت يزدك ، وآيت مرغاد ، وآيت خباش ، وآيت عطه ، وآيت يوسي ، وبعض قبائل الصحراء : كأولاد جرير ، وأولاد الناصر ، وبعض ذوي منيع .

وذأب العالم السغروشني على دعوته للجهاد ، حتى التأمت عليه جموع غفيرة تقدر بزهاء خمسين ألف مقاتل ، فكان اجتماعهم الأول في مركز « بوذنيب » ، ثم تقدموا إلى « عين الشعير » ، ولما تكامل انتظامهم عدداً وعدداً تحركوا نحو « المنكوب » حيث الجيش الفرنسي ، فصبحوه وحمي وطيس المعركة ، وتقدموا

---

4 ـ « كِفاء العنبر ... » تأليف مؤرخ الأطلس المتوسط : أحمد بن قاسم المنصوري ، فيلم خ . ع 946 : لوحة 154/1 .

نحو المعسكر مهاجمين ، وجل المجاهدين رجالة ، وفيهم قليل من الخيل . ورئيسهم مولاي أحمد السبعي ـ على بغلة قصيرة . وهو أيضاً قصير ـ يصيح فيهم : « دونكم . دونكم ، أبواب الجنة مفتوحة » ، فإذا سمع هدير المدفعية تقعقع ينادي : « هذه زكاريم أبواب الجنة تفتح لكم » ، وهكذا أخذوا يتقدمون حتى احتلوا مركز « المنكوب » ، وتصدع شمل العدو في اليوم الأول .

وحسب المصدر[5] الذي نستقي منه خبر هذه المعارك : فإن المجاهدين اكتفوا باحتلال « المنكوب » ، ولم يتتبعوا العدو لمطاردته إلى خارج الحدود . وبذلك تركوا له الفرصة لإعادته الكرة ، فقد أعاد تنظيم قواته . ونصب المدافع على المرتفعات والمنعرجات ، وبعد يومين أو ثلاثة من خروجه من « المنكوب » . شن جيش الإحتلال على المجاهدين حملة شعراء ، وصب عليهم وابلاً من القنابر التي حصدتهم حصداً ، فانسجب الباقون منهم ـ بقيد الحياة ـ إلى بو ذنيب حيث خيموا بها ، وتسامع الناس بمصير هذه المعركة في أنحاء المغرب ، فقامت غيرة دينية في جميع القبائل الأمازيغية والصحراوية ، وقام بعض كبار الأشراف والأعيان ـ بدورهم ـ يجمعون الجموع ، وينادون للجهاد .

فتوافد إلى مدينة بوذنيب قبائل كثيرة ، حيث اجتمعوا برؤساء القبائل وقوادها والأشراف وغيرهم ، ولكن الرئاسة الكبرى لمولاي أحمد السبعي الذي كان له الفضل الأول في مناهضة العدو ، ولكونه أعلم من هناك ، إلى تواضع ونكران ذات وإظهار مسكنة ، في أوصاف أخرى ملك بها مشاعر الناس .

وفي بوذنيب مكث المجاهدون ـ أياماً وربما شهوراً ـ يتبادلون ـ خلالها ـ الرأي لاختيار مركز منيع يناجزون منه العدو ، ويكونون ـ إلى حد ـ في مأمن من التعرض لإصابات قنابر جيش الإحتلال ، فقد دلتهم التجربة الأولى على خطر المدافع على العزل منها .

وبينما هم كذلك إذ علموا بهجوم العدو عليهم في اليوم التالي . فأغدت طائفة منهم

---

5 ـ هو « كفاء العنبر » : المصورة المشار لها في التعليق الأخير .

السير بسحر ، وخرجوا على أطراف بوذنيب ، فإذا هم وجهاً مع الجيش المهاجم ، فالتحموا معه قتالاً ـ كراً وفراً ـ حتى سمعت أصوات المدافع مدوية في جموع المسلمين المعسكرين ببوذنيب .

فتسارعوا للمعركة ، واشتد القتال ، وكثرت الطلقات المدفعية ، والقنابر منها تحصد الناس حصداً . والعلامة مولاي أحمد السبعي ـ على بغلته ـ يصيح في الناس . ويحرض على الثبات ، ويرغبهم في الشهادة : غير هياب ولاوجل ، فيلح عليه أعيان القبائل بالتحيز وعدم المغامرة ، فيابى إلا الأمام .

واستمر القتال من السحر بليل إلى الغروب من غده ، وكان يوماً شديداً ، والزمان زمان صيف ، وصحراء بوذنيب حارة ، والماء نزر أو معدوم في بعض الأماكن ، فتلف الناس بهذا ، وبصمودهم في وجه العدو ، والقتلى تتساقط من قدام وخلف ويمين وشمال ، ولا أحد تحدثه نفسه بالفرار ، إستماتة في سبيل الله .

ولما انفصلت المعركة بالليل ، بات الناس في شدة : من جوع وعطش ودفن الموتى وضماد الجروح ، مما شغلهم عن التجهير للقاء العدو ، حتى أخذ لهم ـ من الغد ـ جادة الطريق نحو مدينة بوذنيب ، فلم يشعروا به إلا وقد أحدق بأسوارها .

فكانت المقاومة على أشدها مما تجاوز حد الاستماتة ، وصار المجاهدون يتساقطون ـ من جراء طلقات المدافع ـ في أطراف المدينة وداخلها وعلى أسوارها ، فتطير أشلاؤهم ، وتتفتت أمعاؤهم ، وتطوح القنابر برؤوسهم ، وهم ثابتون ، لا يسمع منهم إلا كلمات :

لا إلّه إلا الله . محمد رسول الله .
اللهم صل عليك يا رسول الله .

يقولونها بأصوات مرتفعة ، ويتداخلون مع المحتلين في كل ركن ومنعرج من المدينة فيصطدمون بالمجاهدين ، « يقاتلون فيقتلون وعدا عليه حقاً في التورية والإنجيل والقرآن ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » ، الآية 112 من سورة التوبة .

هذا كان حظ المجاهدين ، أما الجيش الفرنسي فقد احتل مدينة « بوذنيب » ، ثم تقدم إلى كْرامة » و« زكّارة » وما إليهما .

وقد استغرقت هذه المحاولة الجهادية أزيد من عام ونصف . وهي وإن لم تأت بنتيجة إيجابية في مقاومة المستعمر ، فقد هيأت الجو من آخرين ، وبعثت فيهم شعوراً استفاد منه المكافحون الآتون بعدهم ، كمحمد وحم ، وموحى وسعيد ، وسيدي علي أمهاوش . وأتباعهم . وكذلك آل الشيخ ماء العينين في سوس .

* * *

ومن الجدير بالذكر أن نهاية المقاومة في هذه الظروف بكل من تافيلالت والشاوية : جاءت امتثالاً لأمر السلطان عبد الحفيظ . فقد كاتب هذه القبائل وأمثالها أن يكفوا عن التدخل في هذه المبادرات الدفاعية ، وهذا مثال مما كتبه للمولى الحبيب ابن المعطي العلوي من أشراف ناحية الأطلس بعد افتتاحيات الرسالة السلطانية :

« إبن عمنا الأرضي ، الشريف : مولاي الحبيب بن المعطي لوطاطي ، وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد وصل كتابك المنطوي على الكتاب الذي كتبه لك عمنا الأرضي : مولاي رشيد ، معلماً فيه بأنك أنت ومن هو على شاكلتك من قبائل الصلاح المجاورين لك : ملتزمون السمع والطاعة ، والإمتثال لأوامرنا الشريفة قولاً وفعلاً ، وأنكم واقفون في تسكين القبائل الذين يريدون أن يسعوا في الأرض فساداً : بالتشويش على الدولة الحادثة في ناحية الصحراء ، إلى آخره ، وصار بالبال .

أما اجتماعكم على طاعتنا فليس لكم فيه إلا تمام الخير لأنفسكم ولبلادكم . أصلحكم الله وسددكم .

وأما تشوف أولائك القبائل لمن ذكر ، فلقد جربوا ورجعوا منهزمين ، وتركوا الناس الذين توجهوا لهم لإعانتهم في أسوإ حال .

وعليه فلتدم على ما أنت عليه من الاستمساك بالسمع والطاعة ، وتسكين روجان القبائل .

ونحن جادون في مباشرة الأمور مع الدولة المذكورة بما أوجبه الله علينا من النصيحة لرعيتنا السعيدة ، ساهرون على مصالحها ومنافعها بما يسفر صبحه عن وجه العلاج والنجاح ، بحول الله .

أصلحك الله ووفقك ، والسلام ، في 6 ربيع 2 . 1327 .

* * *

بعد هذه الرسالة إنتظر المجاهدون ما يسفر عنه صبح محاولة السلطان . غير أن الظروف أسفرت عن عقد الحماية بتاريخ 10 ربيع الثاني 1330/30 مارس 1912 .

عند هذا عاد زعماء المقاومة إلى استنهاض الناس ، ومن جملتهم مولاي أحمد السبعي ، غير أنه لم ير فائدة كبيرة في جهاده بالصحراء ، وكان الاحتلال قد وصل لناحية قبيلة آيت سغروشن حوز فاس ، فشمر الذيل وتوجه إلى هذه القبيلة وآيت يوسي وما إليهما ، واستأنف المقاومة هناك ، وهذا موضوع له مكان آخر في دراسة مقبلة ، إذا مد الله ـ سبحانه ـ في العمر ، وتوفرت المستندات ، غير أنه سيأتي ـ بين ملحقات هذا العرض ـ واحد عن ترجمة المجاهد السبعي ، وهو الذي يحمل رقم 75 .

ملحق 71

رسالة تصف واقع احتلال وجدة
بعث بها عامل المدينة أحمد بن محمد بن
كروم الجبوري البخاري إلى أخيه قاسم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

حفظ الله بمنه أخينا الطالب الأعز : السيد قاسم بن محمد بن كروم الجبوري ، أمنك الله ، سلام عليك ورحمة الله ، بوجود سيدنا نصره الله .

وبعد : فاعلم أخي أن صبيحة يوم تاريخه الجمعة : اندفقت الجنود الأفرنساوية علينا بقدر لا حد له ، نحو خمسون مائة من العسكر ، وعشرون مائة من الخيل ، بآلة الحرب والمدافع ، ودخلوا وجدة ، وحيث كلمناهم ذكروا بأن لهم على المخزن دعوة في شأن أفرانساوي قتل بمركوشة .

وهم ـ الآن ـ تمكنوا في المدينة ، وضاقت بنا الأرجاء ...

ولا ناصر إلا الله .

وهذا عن قلق ، وعلى الأخوة ، والسلام ، في 14 صفر عام 1325 .

أحمد بن كروم أمنه الله

في خزانة خاصة .

ملحق 72

ملخص رسالة تصف الانتصار الذي أحرزه المجاهدون في موقعة أكْرارَ بالشاوية ، على أخطاء لغوية ونحوية تخللت التلخيص ، حيث لم يكن بد من إثبات ذلك على علاته :

الحمد لله وحده .

مضمن كتاب ورد من الفقيه القاضي : سيدي محمد بن عبد الواحد الدويري بالجديدة :

ولتعلم أن عدو الدين : كان ـ فيما سلف من الشهور ـ ينزل من البابورات بالدار البيضاء ، فيستعد به على المسلمين : من مدفع وكور وقرطاس وعسكر ، ثم إن أهل مديونة وأولاد أحريز إتفقوا معه على الخروج والزحف للمسلمين ، وأظهروا له أنهم من إيالته ، وفرضوا له أربعمائة من النوق ليحمل عليها ما يحتاج من المؤنة والكسور . فأمن لأجل ذلك ، وخرج في مائة ألف وأربع وعشرين ألفاً . وترك في مديونة عدداً ، وجاز لقصبة ابن رشيد وترك بها ثلاثة آلاف .

ونهض قرب الفجر منها بقصد سطات ، والمسلمون كانوا إتفقوا عليه قبل ، وعينوا من يذهب ، وتواعدوا جميع الشاوية عليه بصبيحة يوم العيد ، فبينما هم جادين في السير . وقابلوا محلاً يقال له « أكْرَارَ » : إذ ذاك داروا فيه . وقالوا له يا جِلّنار : قد يتمت أولادنا فينا ، فقال لهم : وكيف ذلك ؟ فقالوا له : أنظر لعلامات المسلمين وخيولهم ، والآن ـ لا محالة ـ نموت جميعاً ، فقال لهم : إرجعوا بنا للدار البيضاء ، ثم في الحين طار بالخزانة من يطير ، فأخبره بجنود لا قبل لهم بها من المسلمين .

فلم يك غير بعيداً أن سارع من معه في قتاله ، وأحدقت به جميع المسلمين

من الصباح إلى الغروب وهم في قتاله ، فكان ـ أولاً ـ يضرب ، ثم طلّع بنديرة الغلب وأنزل السلاح ، وصاروا يقتلونه بالبارد .

واتفق حضور محلة الكلاوي ومحلة ولد السيد عيسى بن عمر العبدي مع أهل الشاوية ، وقتلوهم عن آخرهم ، ثم ذهبوا لقصبة ابن رشيد فنزلت المحلة عليها ودارت بها ، فأطلع لهم بنديرة الغلب أيضاً ، وأنزل لهم السلاح ، وطلب منهم الأمان ، فحازوا منه السلاح وتركوهم ماسورين ، وصاروا يلعبون على كل ربع من أرباع القصبة المذكورة بالخيل .

فلما سمع عدو الدين بالدار البيضاء تحقيق أخذهم : وجه لهم من يرغب ويطلب تسريح من بالقصبة المذكورة للدار البيضاء ويعطي ثلاثة ملاين ، ويخرج من الدار البيضاء ، فلم يسمعوا له كلام ، ولا زالوا عندهم في حكم الثقاف ، وقدرهم ثلاثة آلاف .

وقد صيروا الإعلام للمولى عبد الحفيظ بقرب واد أم الربيع : جاوز مشرع الشعير نحو أولاد فريج .

ومديونة كل من فيها محصور بالمسلمين .

وأيضاً : المسلمون من الشاوية جعلوا محلتين من جهة أفضالة ، ريت ما وجه العدو محلة أو محلتين لتذهب لطريق الرباط : يكون لها بالمرصاد ، فلم يجدوا شيئاً .

ولتسأل عما وجدوا : ما ينيف على مائة وخمسين حملاً من الكور .

وما ينيف على المائتين من صناديق القرطاس .

والكراريس : عدداً كثيراً لم يذكروا لنا عددهم .

والمدافع : يقولون ستون مدفعاً : منها ما هو عمل السمطة ، ومنها ما هو عمل الكور الكبير والمتوسط .

ومؤنة الأكل عديدة .

وما لا له بال .

لأنه خرج بقصد وصوله لمراكش الحمراء فدمره الله .

والحمد لله على هذا الفرج العظيم ، بهزم عدو الدين ، ونصر راية المسلمين ، وأعلمناك لتكون على بال ، مما يخالف هذا المقال ، والسلام ، 16 حجة عام 1325 .

في خزانة خاصة .

ملحق 73

رسالة من العزيز إلى قبائل آيت عطة : آيت خباش . وآيت مناصف . وفيها الإشارة إلى تعاقد بعض القبائل بتافيلالت على الدفاع ضداً على اختراق حكام الجزائر للحدود

خدامنا الأنجاد : قبيلة آيت عطة : آيت خباش . وآيت مناصف كافة . نخص منهم الأشياخ والأعيان ، وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فقد كنا أصدرنا مكاتيبنا الشريفة لكم ولغيركم من خدامنا : قبائل الصحراء بتافلالت وما والاها : بالإعلام بما نحن عليه من الإهتمام بمصالح هذه الإيالة السعيدة . ودرءنا عنها ما علمتم وما لم تعلموه من مضار عديدة . حرصاً على حياطتها . وتحصين حرماتها . وقياماً بواجب ما طوقنا الله به من رعايتها . خصوصاً فيما يرجع لأحوال الناحية المجاورة للإيالة الجزائرية .

ولا زلنا على ذلك القصد الصالح ، وربط العزائم فيه على كل سعي ناجح ، إبتغاء مرضاة الله ، وأداء لما استرعانا فيكم المولى جل علاه ، سالكين في ذلك مسالك الاحتياطات المحمودة العواقب ، ملاحظين فيه الأساليب السياسية الكفيلة لكم ـ إن شاء الله ـ باقتطاف ثمار الرغائب .

إلى أن بلغ علمنا الشريف ما خامر عقول بعضكم في هذه الأيام ، من تشويش بعض الأفكار التي لا إطلاع لها على ما نستفرغه في الدفاع عن حوزة الإسلام ، حتى نشأ عن ذلك تعاهد بعض القبائل الصحراوية على الخوض فيما يثير نيران الفتن والترويع مع الإيالة الشرقية ، ويتسبب عنه سريان المتاعب في أنحاء حقوقكم المرعية .

مع أنه لا داعي ـ في الحقيقة ـ لذلك ، وحتى إن تخيل لكم من بعض القبائل المجاورين ما يشوش أفكاركم ، فإن الحقوق محفوظة . والحدود بعين الرعاية ملحوظة .

ولا زلنا مجتهدين في تمهيد ما يزيل كل إشكال ، وتحمدون ـ بحول الله ـ عاقبته في الحال والمآل ، وعما قريب ترون ـ إن شاء الله ـ آثار ما قررناه ، ويطمئن بالكم بما تحمدون عقباه .

وعليه فنأمركم بالتعاضد على السكينة والإطمئنان ، وإخماد من يروج إيقاد نيران التهور والعدوان ، وإلغاء الآراء التي تجر إلى الوقوع في الندامة والخذلان . وإبقاء معاملتكم مع القبائل المجاورين على حالها ، حتى تشاهدوا ما نصدره ـ إن شاء الله ـ في حياطة حوزتكم . وتحصين حدودكم . فإنا لا نفوتكم ولا نسلمكم بحول الله .

أصلحكم الله ورضي عنكم ، وبارك لكم في دينكم وأولادكم وأموالكم ، والسلام .

في 10 رجب الفرد الحرام ، عام 1324 .

محفوظات قسم الوثائق : خ . م .

ملحق 74

رسالة من العزيز إلى الطريس
في موضوع الرسالة قبلها

قد وردت على حضرتنا الشريفة مكاتيب عديدة من قبائل الصحراء : بتشكيهم من خروج الإيالة الشرقية عن الحدادة بناحية وادي كَير ، وحصول الروع لتلك القبائل ، حتى اجتمع رأيهم على المدافعة عن بلادهم ، وتواطئوا على ذلك .

فأصدرنا أوامرنا الشريفة لعمنا مولاي رشيد ولقبائل الصحراء : بما يردهم عما صمموا عليه من المقابلة ، ويسلك بهم سبيل السكينة ، وحل ما تعاقدوا عليه بينهم ، ولزوم بلادهم ، وإبقاء المعاملة جارية بينهم وبين جوارهم .

ونأمرك بمباشرة الكلام في ذلك مع باشدور الفرنصيص ، وتقرر له ما أصدرنا بأوامرنا الشريفة للقبائل ، حرصاً على ما لنا من الاهتمام بدوام الهناء والراحة بين الإيالتين المتجاورتين ، وأن جنابنا الشريف يؤمل منهم إيصال الإعانة على ذلك من قبل دلتهم : بما يحمل حكامهم على الكف عن كل ما يؤثر روعاً بين الإيالتين بتلك الناحية ...

والسلام ، في 12 رجب عام 1324 .

كناش مكاتب الطابع الشريف : خ . ع . د 1695 : ورقة 19 ب .

ملحق 75

ترجمة المجاهد السبعي

أحمد بن محمد بن الحسن السبعي بسكون الباء : نسبة إلى جده الشيخ محمد السبع الحسني الإدريسي ، دفين دويرة السبع في إقليم الرشيدية عند دائرة الريش .

على أن ولادة المترجم كانت بصفرو في تاريخ غير محدد ، وبفاس كانت نشأته ، وبها تلقى العلوم مدة من نحو نصف قرن ، حتى أخذ منها بنصيب موفور ، وكان بين أساتذته الأشياخ الأعلام : أحمد المرنيسي ، ومحمد بن عبد الرحمان الحجرتي ، وأحمد بناني كلا .

ومن عام 1281 هـ اتصل بمربيه في الطريقة الدرقاوية : الشيخ محمد العربي ابن محمد الهاشمي الحسني العلوي المدغري ، وكان انقطع إليه في زاويته بقصر چاوز مدة طويلة . وقد تمتد هذه الفترة إلى وفاة شيخه . حيث انتقل ـ بعدها ـ إلى قصر دويرة السبع واستوطنه . على حين أفاد من ملازمة أستاذه تضلعاً في المعارف والأذواق الصوفية .

غير أن الطابع البارز في حياة المترجم هو استماتته في الجهاد والدعوة إليه ، وهي غيرة تأدت إليه من سيرة مربيه محمد العربي المدغري ، وهو الذي ضرب الرقم القياسي في الدعوة إلى الجهاد آواخر القرن 19 م .

* * *

وقد تبينا من العرض الذي نذيل عليه بهذا الملحق : نماذج مشرقة من غيرة المجاهد السبعي . ونتبين ـ الآن ـ أنه إلى ذلك كان رياناً من العلوم الإسلامية والعربية . متفوقاً في المعارف الصوفية ، وذلك ما تترجمه المؤلفات التي دونها في شتى الموضوعات ، ومنها :

1 ـ شرح أرجوزة تحفة الحكام لابن عاصم .

2 ـ نظم قسم العبادات من المختصر الخليلي .

3 ــ إصلاح ألفية ابن مالك .

4 ــ شرح عليه .

5 ــ رحلة عن حجته عام 1890/1310 : من مخطوطات خ . ع . ك . 2908.

6 ــ « الدرر السنية ، في أصل السلالة العمرانية : السغروشنية والسبعية » ، وهو الوحيد المنشور من آثاره : في المطبعة العصرية بفاس : 23 ص من الحجم المتوسط .

7 ــ فهرس مشايخه .

8 ــ ديوان شعره .

9 ــ شرح أرجوزة من نظمه في بعض الأحداث التاريخية : مخطوطة في سفر صغير .

10 ــ « أنس اللبيب ، ببعض عجائب الحبيب » ، قال عنه : إنه جامع لعجائب وغرائب ، ونوادر وفوائد : مخطوط في جزء صغير .

11 ــ ومن مؤلفاته في التصوف والإرشاد : نصيحة إسلامية مرجزة باسم : « قصيدة الله الصمد » .

12 ــ شرحها : « فتح الله المعتمد في تبيين معاني قصيدة الله الصمد » : مخطوط في سفر .

13 ــ « الفجر الساطع ، وبروق السيف القاطع » ، وضعه للرد على مؤلف ــ لم يذكر اسمه ــ كتب أوراقاً في الطعن على شيخه محمد العربي المضغري سابق الذكر ، وبأمره ألفه المترجم ، حيث أطال النفس في دحض كل واحد من الانتقادات بالأوراق المشار لها ، فجاء الكتاب في 106 ورقة من الحجم المتوسط . حسب مخطوطة خ . ع . د 3353 : ثالثة مجموع .

14 ــ « منح الفضل الإلهي » : في الرد على عالم فجيج أحمد بن عاشور لما وقع في الطريقة الدرقاوية .

15 ـ رسالة في مباحثات بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني .

16 ـ رسالة في الرد على عبدالله بن مراح المغلي الجريري : مخطوطة في جزء صغير .

17 ـ « رسالة الفرج ، إلى من كان من أهل الدين في ضيق وحرج » : مخطوطة في جزء صغير .

18 ـ « رسالة في التعريف بمقام الشيخ عند الصوفية » : مخطوطة في جزء صغير .

وستكون هذه الرسالة آخر المذكور من مؤلفات المترجم ، غير أن ما وقفت عليه منها هو الذي أشرت إلى وضعيته : مخطوطاً أو مطبوعاً ، وباقيها جاءت الإشارة له عند الذين تناولوا ذكره .

* * *

وأخيراً : كانت وفاة المجاهد السبعي عام 1336/ . حيث دفن عند قصر آيت الرامي في آيت حلي من قبيلة آيت يوسي ، وما أجدر مشهده بالإلتفات إليه .

مصادر الترجمة :

ـ « كفاء العنبر ... » تأليف القاضي أحمد بن قاسم المنصوري : فيلم خ . ع 946 .
ـ مقيدات بخط الشيخين محمد عبد الحي الكتاني وعبد الرحمن إبن زيدان .
ـ مؤلفات المترجم التي وقفت عليها .

الفصل الثاني

دور الأدب في مساوقة أزمة المناطق المحتلة

إلى جانب المقاومة المسلحة ، كان الأدب ـ بدوره ـ يساوق الأزمة المغربية ، فيحرض المجاهدين ، ويشد أزرهم ، ويشيد ببطولاتهم : في قصائد من الفصيح أو الزجل .

غير أن هذه الأثار الأدبية ، منها ما هو برسم البكاء على مأساة وجدة ، ومنها ما يتناول موقعة الشاوية ، فيصف معاركها ، وينوه ببطولاتها ، بينما تهتم قصيدة بشأن الدفاع عن سائر الجهات المحتلة ، يضاف لذلك رسالة للمجاهدين بالشاوية ، وأخرى إلى قبيلة زعير .

* * *

أولاً : شعر الزجل :

والمعني بالأمر ثلاث قصائد : الأولى : تحمل عنوان « دخول وجدة » ، وهي من نظم الشاعر الشعبي الشريف : هاشم بن بو بكر السعداني الفاسي ، حيث أتمها في رمضان من عام 1325/1807 ، فجاءت تشتمل على 21 قسماً : كل قسم من خمسة أبيات مزدوجة ، مع تقدمة كل قسم بما يعرف باسم « لعروبي » ، وهو ـ هنا ـ يتركب من أربعة أشطار ، مع إضافة شطر خامس يسمى « بالردمة » ،

هذا فضلاً عن مدخل القصيدة في خمسة أبيات مزدوجة ، وعن اللازمة التي تلي المدخل ، ثم تتكرر عند خاتمة كل قسم ، وهي التي تحمل عنوان « الحربة » .

والقصيد تستهدف التشهير بالمحتل وأعوانه ، والمناداة بالدعوة إلى الجهاد ، وإثارة نخوة المعنيين بالدعوة ، مع التنديد بالمسئولين الذين أهملوا واجب الدفاع عن البلاد . ثم بسط الأمال في جمع الكلمة . لإسترداد هيبة المغرب . واسترجاع أجزائه المغتصبة .

وقد نشرت « هذه الزجلية » ـ في فترة نظمها ـ بالمطبعة الحجرية الفاسية في 12 ص من الحجم المتوسط .

* * *

وهي تفتتح بمدخل يلمح إلى موضوعها هكذا :

يا لمُوجـودْ فْدِيقْ مْحانْ كلْ شــــدّا
يا لْمُغِيتْ إِلّي نَدَا فْضِيقْ لَنْكــــادْ
يا لْباقِي فضلَـكْ طُـولْ الدوامْ لَبْـــدا
يا مْفرَّجْ لكْـروبْ القَطْـعَ لَا كْبـــادْ
يا سْنِيـدْ الّا لُوبِيـنْ لعْبـادْ سَنْـدا
يا مْدَبّـرْ حـالْ الّا لُوخْيِبرْ لَسْـدادْ
فرَّجْ عْلِينـا من غْلْـبْ الْلأمْ لعْـدا
وأيّدْ الْيَسْلامْ ولَهْمُ العـزْ بَحْهـاد
القْلُـوبْ ضْعـافْ واكساتْهُـم بَـرْدَا
ولا نْظرَنَا مهمـومْ بْعَـزْدِيـنْ لَجْداد

وهنا تأتي اللازمة للقصيدة :

يا لْيَسْـلامْ بْكِـوْعْلَى دْخُـولْ وجْـدَا
دُونْ حرْبْ غْنَمْهَـا لَعْدُو وْنَـالْ لَمرَادْ

* * *

وبعد هذا تتخلص القصيدة الزجلية إلى إيقاظ الشعور ، وإثارة الحمية المغربية :

كِيفْ يرضَى بالذّلْ إلّي اللهْ عــزُّ
بْعزّدِينْ اليَسلامْ على الدّيانْ معْزوزْ
موتْ لغْنَيَا فنْهارْ الْـلقَى وبْــرازْ
خِيرْ مـنْ عِيشُ الذّلْ فكُلْ خِيرْ مَبرُوزْ
الْتّنالْهَلْ لفضَلْ خِيرْ ما يْكَنْـزُ
كـلْ منْ ماتْ عْلى عَزّْ تْناهْ مبروزْ

* * *

وينتقل الشاعر الشعبي إلى تذكير مخاطبيه بأن الأعمار محدودة ، والأشياء مقدرة تقديراً :

ما يْمُوتْ فالْوَرَى مخلوقْ دونْ لَجال
ليكونْ فوْسَطْ الغَصّابْ . ما يْوَصْلُ
ومنْ مَكْمَلْ محْسُبْ لو كانْ كسبْ مْوَالْ
ما يْنَفعُ الّادَغْيَ يْمَدْ رَجْلُ
كِيفْ يمنَعْ مَن مكتوبْ وكِيف يْنْضَالْ
من حْكَامْ الرّب عِليه لَقلامْ سَجْلُ
كل ما رادْ الله عْلى الوَرَى تْوَدّا
ولازَمْ اللُّطفْ يْفَاجِ هَمْ دِيقْ لَنْكادْ
كِيفْ معلومْ الرَّخْفَ بعْدْ كلْ شَدّا
باشْ يذْكَرْ اللهْ فكُلْ دِيقْ وارْغَادْ

* * *

ولا ترى القصيدة الشعبية حلًّا لهذه المعضلة إلا بالجهاد . فتنادي بالدعوة إليه . وتبرز بعض مزاياه .

ما بْقَى إلّا العزْ أيا جْميعْ اليَسْلامْ
شمْرُ لَلْجهادْ تْعمْكُم كلْ حُزْمَ
كلْ من ماتْ على عزْ لَسْلامْ يُرحَم
تَبْعَاهْ الحُوْر تْخَطْفُ فكلّ صَدْمَ
منْ كمّلْ مَحْسُبْ والْقَى كْيُوش لْحِمامْ
عاشْ عِيشْ الأَبْدَ فْطِيبْ كُلْ نَعْمَ
ومَنْ بْقَى يتْبَخْتَرْ فالْعَزْ بِينْ لَعْدَا
واسمْ مكتوبْ فْرَقَ لَبْدورْ لَسْعادْ
ما بْحالْ كْمِيدْ العَديانْ وَدَّ شْهَادَا
ولا بْحالْ مْرامْ لَغْدُوْ دِيقْ وانْكادْ

* * *

والشاعر السعداني يلح على جمع كلمة المغرب في هذه المعركة الوطنية، ويجعل ذلك موضوع « عروبي » يقول فيه :

لَوْ كانْ الغرْبْ مجموعْ الْكلْمَ
يدْهِي بَدْوَهْيُ الزَرْقَا جمْعْ الرُّومْ
لَكانْ تْهلَكْ منْ دْعَ منْ قَسْما
أوِيحْ إلّي طْغَى وجالَسْماهْ يْحُومْ
عِليهْ يْصيحْ لغْرابْ وصوْتْ البُومْ

* * *

وهنا تعقب القصيدة ، فترجى قيام حاكم قوي يعيد للمغرب عزته وهيبته :

يا لْموْلَى أيَّدْ هذا لَسْلامْ بَهْمَامْ
هَمْتُ مضْرُفَ فالعَزْ مَجَدْ فْخِيمْ
يرْتْقَي بِهْ الغرْبْ فْعَزْ كلّ تَنظامْ
يَنْذْكَرْ ما بينْ الدوّلْ راسَخْ عْظِيمْ

بِهْ تفخَرْ لَسْلامْ عْلى كلْ ظَلَّامْ
وكلْ كفَرْ يبقَى محقُورْ نكَدْ دْميمْ

بِهْ يخصَبْ هذا الْوقْتْ فلَهْنَ وْرَغْدَ
وبِيهْ تركَنْ للْجُودْ كْشوطْ كلّ تَمرادْ

صارَمْ الحقْ يمهد كل حي مهْداً
وْلَا يخْلِّي خرَجْ لحدودْ ساطْ فبْلادْ

أنظر النص الكامل للقصيدة عند الملحق رقم 80 .

* * *

والآن ننتقل إلى تحليل قصيدتين زجليتين بمناسبة معركة الشاوية : إحداهما لعبد الهادي بناني الفاسي ، نظمها صدر دولة السلطان عبد الحفيظ ، والثانية من شعر محمد القندوسي .

وتحمل الأولى اسم « الدرر البهية في مدح رجال الشاوية » . حيث تنتظم من ثلاثة عشر قسماً . في كل قسم خمسة أبيات مزدوجة . مع تقدمة كل واحد بما يعرف باسم « لعروبي » ، ويتركب هنا ـ من ثلاثة أبيات في ستة أشطار مع إضافة شطر سابع ، هذا فضلاً عن مدخل القصيدة في خمسة أبيات مزدوجة ، وفضلاً عن اللازمة التي تلي المدخل ، ثم تتكرر عند خاتمة كل قسم ، وهي التي تحمل عنوان « الحربة » .

* * *

والقصيدة تتخلص ـ بعد مدخلها ـ إلى ذكر سبب حرب الشاوية ، ثم تصف بدء المعركة ومراحلها اليومية ، وترصد انتصارات المغاربة وهزائم المعتدين ، وخسائرهم في الأرواح والعتاد ، كما تشير لتهديدات صحافة الاحتلال التي لم يتأثر المجاهدون بتخويفاتها .

وبعد هذا تستطرد القصيدة مأساة احتلال وجدة ، فتستنهض همم المعنيين بالأمر للجهاد في سبيل استردادها ، وللمقارنة يبرز الشاعر روائع من بطولات رجالات الشاوية في مقارعة المحتلين ، والقصيدة منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية في ثمان صفحات من الحجم المتوسط : دون تاريخ .

والآن : تقدم نماذج من « الدرر البهية في مدح رجال الشاوية » ، انطلاقاً من مدخلها الذي جاء هكذا :

الحمْدْ لَلْغانِي من لَا ينَظرُوهْ لَبْصـــارْ
حمْدْ لِيسْ يْنَتْهَــي يا صــاحِ فْلَغْبــارَا
ودْنَا بَالْهــادِي طَـهَ شْرِيـقْ لَنْـــوار
إيمَــامْ لَـوْجْــودْ المــاحِي ، بَازَغْ المْنَــارَا
الصــلاةْ عِليــهْ مَــنْ اللهْ لِيــلْ ونْهــارْ
والرْضَـى عنْ آلُو وأهْــلُ هــلْ الطّهــارَا
والصْحابْ الوَدْبَــا لَمْطَهْرِيــنْ تَطْهَــارْ
مَـنْ فْـنا وْالكفّــارْ سْيَاتَـلْ الغْـــزَارَا
بالجْهــادْ اشْتَغْـلُ ومْضَوْ فيهْ لَغْمــارْ
سَرْتْ نَمْــدَحْ فيهُـمْ ونْقُــولْ بْـالَجْهارَا

وهنا تأتي اللازمة للقصيدة :

يا هَــلْ الشاوِّيا صُولُــوا بْعَـزْ وسْـــرارْ
بْالَجْهــادْ فْلَجْحــودْ خْنَازَرْ النّصــارَا

* * *

وبعد هذا يأخذ الشاعر في أقسام القصيدة ، بدءاً من السبب الظاهري لنشوب المعركة ، فيقول في العروبي الأول :

سبّــتْ هذا الْفتَانْ فالضّيْ ادِيجُـــــورْ
بِها ناسْ العْقُــولْ لَفْضَــالْ نْخَبّـــرْ
نَاضْ الكافَــرْ بْالعْـزَمْ يصنَــعْ بابُـــورْ
بْعِيــنْ عْلَـى المُونْ ويْنَقّـلْ لَحْجَــرْ
حطّ السّكّا وسارْ يخدَمْ ظُلْـمْ أجُــورْ
حتّــى فَــاتْ الحَــدُودْ وطْغَــى وتَجَبّــرْ
قامْ عِليــهْ الهْــراجْ وتْفَلّسْ وخْسَـــرْ

وتنجح مكيدة العدو ، فتنشب الحرب مع المجاهدين يومياً :

أبْدَا يْحَارَبْ لَحْرامِي : كلْ يُومْ قْتَالْ
لِينْ مارَدْ الرَّاسْ فْسَاعْتُ يْوَلِّي
غَرْبتْ شْموسُو مَنْ بعْد الطْلُوعْ ونْضَالْ
طاحَتْ سْوَارُوا وبْقَى فْالفَضْا مْتَلِّي
كُلْ يُوم يْجِيبْ مْحَلّا هْبِيلْ لَهْبَالْ
جَاحْ وبْقَى فَهْمُومْ مْحَايْنُوا مْقَلِّي...

ثم تذكر القصيدة تسرب المحتلين - في جيش ضخم - إلى مراكز مديونة فابن رشيد فسطات في اتجاه مراكش ، ويبرز الشاعر ما قاساه العدو من مقاومة المجاهدين ومكيدتهم .

اجْتَمْعَتْ الرُّومْ قالُوا نْكَثْرْ العَدَادْ
جْمَعْ قاوِي ما يَتْنَهَّى ولا يْلُوا حَدْ
نْحَوزْ قَصْبَتْ مدْيُونَا يْطيبْ لَمْرادْ
عادْ لَحْكامْ نْقولُوا فِيدْنَا تْسَكْدْ
جاوْ بَالْحِيلاتْ ادخْلُو لْهَا الفُسَّادْ
حَوْزُوها واصْبَحْ أوطانْهَا مْنَكَّدْ
زادْ فالْحِينْ القصْبَتْ بنْ رشيد بَطَّارْ
خَفْ مَن رَمْشَتْ عيْنْ أُخَفْ مَنْ عْمَارَا
جاوْ بْعض الشاويا يْنْصْحُ الغدّارْ
خَرّجُوهْ بْحِيلاتْ آلا نْوَى الكَارَا..
خرْجُوا بِهْ اللّْيمْ فالْحِينْ اللّمْحَجْ
ونْوَى يمْشِي سْرِيعْ قاصَدْ مراكشْ
جهزْ مُوَنا وْجابْ كلْ أمَّا يّحْتَجْ
وتَرْن جَا عْلَى الَمْحَايَنْ كَيْفَتْشْ
أوْصَلْ لوْ عارْبِينْ لَخْنَادَقْ فالفَجْ
دارَتْ بِهْ لَبْطالْ وتْفَافَا وذْهَشْ

وبَقــى بِينَتْهُــمْ تالَــفْ كِيفْ الوحَــش ...
دَرْمُــوا زادُوا للسّطَــاتْ يالْحُضّـــــارْ
بعدْ ما قاستْهــم مَن قبلْهـــا خْســـــارا

وتنتقل القصيدة إلى التهكم بإرجافات الصحافة المشايعة لجيش الاحتلال :

اشْحــالْ ما خوفْنا لَكْـــوازْطِي فْجرْنَــانْ
كـــلامْ مردودْ عِليــهْ أبِــهْ مارْضِينَــــا
كــلْ جمْعَا يأتِي بجْريدتُــوا الخَـــوّانْ
بْشِي خْبايَــرْ شَلّا رِينَــا وْلّا دْرِينَــــا
كلّهــا مَن موبِقــاتْ الدّنْــى الشيطــــان
ولْـدْ يَبليسْ فْعــالُوا خَايْبَــا وْشِينَــا ...

وينوه الشاعر ببطولات المجاهدين في الشاوية ويقول :

شُفْ لفْضـــالْ الشاويا هــلْ النّجَــــــادْ
اشْحــالْ هذا مَــن شْهَر مْقابْـلين للـــرُّوم
شُــفْ لَفضـــالْ الشاويـــــا فَـالـزْيا دَا
عانْهُمْ بَفضـــلُ ربّ الـــوْرَى القيُّـــومْ
شوف لفضـــال الشاويا فْخَــرْقْ عـــــادَا
كـــلّ هَـــزْ بَـرْ مَنْهُم يُومْ اللّطامْ محزُومْ
أَشْ من لارَا لَبْطالْ وقْــتْ لَقتــــــالْ
امجــرْدَا مَن لَكساوِي غِيـرْ فالسَّروال
عْلى الخْيولْ المَعْتَبْرَا يالْفاهَمْ رْجــــال
بالزْرايَـمْ وسْيوفْ حْــدادْ والسَبَـــايــلْ
الاسْيـــادْ وْجُـــوهْ الجنّـــا شْمُوس لنْجَــال
امْثِيــلْ هاذُوا تفْخَرْ بِهُــم القَبْــايَــلْ
جاهْــدوا فالكْــافَــرْ وسْقَـوْ لِهْ لَمْــرَارْ
رَوْحُــوهْ مْيَسَّرْ في حومَــتْ الشْقَـــارَا

وإلى هذه الأبيات يضيف الشاعر جملة أبيات أخرى في تمجيد الشاوية ورجالها الأبطال ، ليأتي ـ بعد ذلك ـ القسم الختامي من القصيدة ، فتنتهي ـ مع ذلك ـ هذه النماذج من « الدرر البهية في مدح رجال الشاوية » .

وسيرد النص الكامل للقصيدة عند الملحق 81 .

* * *

والآن يصل بنا المطاف إلى الزجلية الثالثة . وهي التي نظمها الشيخ محمد القندوسي بمناسبة موقعة الشاوية ، غير أن هذه القصيدة لم يسر ناظمها على منهجية عبد الهادي بناني ، فجاء مدخلها يستوعب أكثر من ثلث المنظومة ، حتى إذا تخلص الشاعر للموضوع كان جل ذلك في التوسلات ، ثم استعراض القبائل والمدن المغربية ، حيث الشجعان والأبطال متوافرة ، وهو يقول في مطلعها :

بسم الله دوام صولْتِي . والقيوم نصر حجتي . بكمال البرهان ∴

له الحمد وغايت الشكر ∴ عن ملت سيد العجم والعرباني .

صلى الله على من غزا فلكفار — وطرد لعدا بالسيف الطعان

اصلا مكمولاً بلا حصر — وعلى آل مع لصحاب العرفاني

* * *

اخْذُ عن طه ومن أخَذْ عنهم — لا زالوا يجاهدُ في جميع البلدان

يبقو إلى غابر الدهر — رغم على أنف الاشراك الخَزْيانِي

* * *

وعدنا الكريم بالنصر والصولا — والعز ولعنايا في كل زمان

ونهزم برضاه من كفر — لويأتي جيشهم عَدّا بْحَرْ كَانِي

* * *

بعنايت طه وجاه آل — واصحاب السرقاطبا في ساير لوطان

شرق وغرب بحوْرها وبر — بهم نسعاك يا شفيع العصياني

يا رسول الله غثنـــا وانصرنـــا ينـاصر لِسْلام فيوم اميــــــــدان
بــك ولــك العــز والنصـــــر أنت ركني وبك نهزم عديــــاني

وبعد هذا يستمر القندوسي في مدخل القصيدة ، لينتقل ـ بعد ذلك ـ إلى توسلات في نفس طويل ، ثم يقول عن حرب الشاوية :

بشرى لنـــا يهـــل السعـــــادا جـــاد علينـــا العالم السِّرْ معَ لْيَعْلانْ
شفـــع فينـــا سيـــد البـــــشر وحْرَصْنا بالإخـــلاص والسبع مثاني

* * *

انصرنـــا لغـــني بخـــرق عــــادا فالشاويا خيولناكَنْ أُســـودْ تْبَانْ
شُفْ العَين كْفا عْلى لخْبَـــر هذا سر لكريـــم من لألوثـــاني ...

* * *

قولوا للـــي راد عيننــــــــــــا كيف يدير فيوم حربنا مَن بِينِ الشبان
وكهـــول وشيّـــاب كالمطــــــر اقبايلْنـــا الصايلا عـــلى لقْرانِـــي

* * *

تحكهـــم فســـاعـــت لغـــزار تمثيـــل أُســود ضارْيَ ويـلّا عقْبان
موجـــود بجميـــع مـــن أدسـر حجابَ الله عنهم مـــن لعياني ...

القصيدة ـ بكاملها ـ مخطوطة في خزانة خاصة .

* * *

ثانياً : الشعر الفصيح :

نذيل على الأدب الزجلي بقصيدتين من الفصيح : الأولى : يتحسر فيها ناظمها ـ المجهول الإسم ـ على احتلال وجدة ، وبندد بواقع المعنيين بالدفاع ، وهي من بحر البسيط على روي الباء ، وضاعت بعض أجزاء من بيتيها الأخيرين ، وبقي منها ـ تاماً ـ أحد عشر بيتاً يأتي تقديمها عند الملحق 76 .

الثانية : قصيدة شاعر سوس : الطاهر : بن محمد الإيفراني . صاغها في

بحر الطويل على روي الدال . ومدح بها أستاذه العلامة الكبير أحمد بن عبد الرحمن الجيشتيمي عام 1325/08– 1909 .

غير أنه ـ في معظمها ـ يناشده في تحريض الناس على الجهاد ضد المعتدين على الصحراء والشاوية وجهات أخرى ، وخلال ذلك يشيد بالمجاهدين الأولين ، ليقارن أمجادهم بحاضر القاعدين الذين يعايشون العدوان على أرض الإسلام ، وهذا القسم من القصيدة هو موضوع الملحق رقم 77 .

* * *

ثالثاً : رسالتان موضوعيتان :

ويتعلق الأمر بخطابين من الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني : الأول كتب به للمجاهدين بالشاوية ، يهنيهم بأمجادهم البطولية في الدفاع عن البلاد ، ليتخلص إلى ذكر أخلاق المجاهدين وهم في ميدان المعركة ...

الثاني إلى قبيلة زعير : يحذرهم من مغبة السماح لجيش الإحتلال بعبور أرضهم ، مع توجيهات موضوعية ، حيث سيرد نصها مع سابقتها عند الملحقين رقم 78 ، 79 .

ملحق 76

القصيدة الفصيحة في الرثاء لأزمة وجدة

وجْدٌ تَسعَّرَ في الأحْشاءِ والْتَهَبَا
مُذْ قِيلَ رُكْنٌ مِنَ الإسلامِ قَدْ ذهَبَا
آهٍ على وجْدَةٍ قَدْ أُسْلِمَتْ جَزَعاً
مِنْ غَيْرِ سيْفٍ ولا قتْلٍ ولَا حرَبَا
آهٍ علَى أُسُدِ الإسلامِ قَدْ فشِلَتْ
واسْتُنْصِرَتْ مِنْ بُغاةِ الرُّومِ وَاعجَبَا
قَدْ أصبحَ الدينُ ينعَى كلَّ ناحِيَةٍ
وآخِذُ الثَّارِ في لهو وقَدْ لَعِبَا
تَنَافَسَ الناسُ في عُلْوِ البناءِ وفي
مئاكِلِ وبِنَا الإسلامِ قَدْ خرِبا

دأبُ اليَهودِ : على ذُلٍّ ومسْكنَةٍ
قَدْأصبَحُوامُلْزَمينَالهُونَوالغلَبَا

ما عيْشُكُمْ وظَلامُ الكُفْرِ عمَّكُمُ
النَوْمُ غشَّاكُمُ أمْ جُنْنُكُمْ غلَبَا ؟
إن لَّمْ تَخُوضُوا غِمارَ الموْتِ دونَكُمُ
لِباسَ زوْجاتِكُمْ والتَزِمُوا الحُجُبا
عَهْدِي بِأسْدِ الشَّرَى في الغرْب شاعِرَةٌ
لَمْ يلْقَهَا بَطَلٌ إلّا عَدا هرَبا
شُمُّ الأنوفِ يهابُ اللّيْثُ صَوْلَتَهُمْ
أَبَتْ نُفُوسُهُمُ أنْ تَشْتَكِي اللَّغَبَا
ما إن لّهُمْ راحةٌ إلّا بِقَرْعِ عِدَا
وهَيِّنٌ عنْدَهُمْ أن يَضْرِبُوا الرّقَبَا..

الخزانة الكنونية بطنجة

ملحق 77

في التحريض على الجهاد ضد المعتدين ،
وذلك هو معظم قصيدة مطولة لشاعر سوس : الطاهر الإيفراني :
يمدح بها أستاذه المنوه به سلفاً ،
ثم يناديه قائلاً :

فيا بدر أفق الديـــن يا ليث غابه ... ويا غوث ملهوف ويا خير منجـــد

تدارك ذماء الدين واسمـع صريخــه ... وشمر إلى نصر الهـــدى وتجـلد[1]

فقد انشب الكفــر المداهــن نابه ... ومد إلى سرح الهدى كف مفسد[2]

وكاد بأنـــواع المكايـــد أهلـــه ... وصار ينادي : (خامري وتلبدي)[3]

أسر احتساء في ارتغـاء وما لـــه ... سوى الدين من مرمى يرام ومقصد[4]

وقد بلغ السيل الزبى بظهـــوره ... وإن لم يداو العر بالكي يزدد[5]

فقد طبق الصحراء بالنحس شؤمه ... وأعدى نواحي التل بالخبث الردى[6]

وجاش على هذي السواحـــل كلها ... ببحرسفين بالقوارب مزبـــــد[7]

وغص بـــه الديـــن الحنيفي فاكتسى ... لما يشتكي من بثـــه ثوب مكمـــد

---

1 ـ الذماء كسحاب : بقية من الحياة بعد نفاذ المقاتل لا تلبث أن تنقضي . والصريخ : المستغيث .

2 ـ المداهن : المخادع المخاتل . والسرح : الماشية .

3 ـ (خامري أم عامر) مثل ، وتزعم العرب أن الضبع تخدع به فيكرر لها حتى تهدأ فتوخذ . ومعنى خامري : ألزمي مكانك ، وتلبدي عطف تفسير عليه من تلبدة الطائر إذا جثم ولصق بالأرض .

4 ـ أسر : أخفى . والاحتساء الشرب ، والارتغاء : ،إزالة الرغوة من اللبن ومعنى المثل أنه يتظاهر بإزالة الرغوة ولكنه في الواقع يشرب اللبن الخالص ويضرب لمن يتظاهر بالهين ويفعل الأعظم .

5 ـ الزبى ؛ جمع زبية وهي حفرة تهيأ للأسد في الأمكنة العالية ؛ يضرب لمن تجاوز الحد ، والعر : الجرب .

6 ـ التل في اللغة الأرض المرتفعة قليلاً عما حولها . والمراد هنا (سوس) في لسان أهل الصحراء .

7 ـ السفين : جمع سفينة .

شجاه الأسى من فقد حر يهمه … فكاك ذماه من يد المتمرد[1]

يقود إليه كل أصيد قارم … للحم العدا مخشوشن متمعدد[2]

يجاهد في الله العظيم عدوه … بإقدام ليث في الكريهة محرد[3]

يشب لظى الهيجا بقلب مشيع … وكف بصير بالطعان معود[4]

وإطراق ثعبان وكيد ثعالة … وتصميم فهد في جَرَاءةِ فرهد[5]

ويختال ما بين الصفوف كأنه … عروس تهادى بين خود وخرد[6]

على كل طرف سابح ومطهم … قوي القرى عبل كصرح ممرد[7]

ببيض سيوف أو بسمر مدافع … مزلزلة إن يبرق السيف ترعد[8]

يلاعب أطراف الرماح كأنه … صبي مع الولدان بالجوز مستد[9]

يخال مجال الحرب وجه صحيفة … تسطرها خيل اللقا بالتطرد[10]

فينقط مدفاع ويشكل صارم … ويكتب رمح الخط خط مجود[11]

فأين مساعير الوغي وفوارس اللـ … ـقا ومصابيح العجاج المعقد[12]

وأين الالى صوت الصريخ إليهم … ألذ واشهى من سلافة صرخد[13]

وأين الالى قد الجسوم عليهم … هباء إذا ما العرض غير مقدد

---

1 ـ شجاه : أحزنه . والأسى : الحزن . وذماه : ذماؤه . فهو الذماء قصره ضرورة : وهو بقية الروح .

2 ـ الأصيد : المائل العنق تكبراً . والقِرم إلى اللحم : مشتهية . والمخشوشن : متعود الخشونة . والمتمعدد : المتخلق بأخلاق قبيلة معد في الخشونة .

3 ـ المحرد كمنبر : المغضب .

4 ـ جريء .

5 ـ ثعالة : الثعلب .

6 ـ الخود بفتح الدال وجمعها خود بضم الخاء ، والمفرد جمع خريدة : المرأة الحية .

7 ـ القري : الظهر . والعبل : الضخم .

8 ـ تزلزل الأرض إذا أطلقت .

9 ـ استدي الصبي بالجوز : لعب به .

10 ـ التطرد : المطاردة .

11 ـ رمح الخط : إضافة إلى بلاد الخط . وهي معروفة بإتقان صنع الرماح . وخط مجود مفعول يكتب .

12 ـ مسعر الحرب بكسر الميم : موقدها بشجاعته .

13 ـ الصريخ : المستغيث ، والسلافة : الخمر ، وصرخد بلا لام : بلد بالشام تنسب لها الخمر .

فما لهـــم نامـــوا عن الدين وارتضوا ... بدون حياة في هوان معبـــــــد[1]
وما لهم لم يثـــاروه وقـــد هـــوى ... به الكفر مطلول الدمـــاء ولم يد[2]
لقـــد حـــق للإســـلام اذ مات أهله ... وخلوه أن يدعو بويـــل مردد
فقـــدس أرواح بهـــم عـــز ركنـــه ... ونام إلى جانب المهـــدى الموسد[3]
وأخصـــب مرعاه وأشكـــر ضرعه ... وعاش بهم في خفض عيش مرغد[4]
بأسيافهم صال الهـــدى فتعززت ... جوانبـــه بالنصر في كـــل مشهـــد
تـــروح وتغـــدو كل يوم بشـــارة ... عليه بفتـــح أو بملـــك مجـــدد
إلى أن عـــلا في الشرق والغـــرب كعبه ... وحل حلـــول الشمس في كـــل معهد
وكرت جيوش الصبح منه ففر إذ ... بدا كل جيش من دجا الكفر أسود
وأهلـــك حزب الله حزب عـــدوه ... وطهرت الأرجـــاء من كل ملحـــد
أولئـــك قد باعوا الإلـــه نفوسهم ... فلم يستقيلوا بالنعيـــم المؤبـــد[5]
هم الصحب والاتباع من بعدهم ومن ... حذا حذوهم من كل هـــاد ومرشد[6]
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابـــوا لحرب أو لإنجـــاز موعد
وهم هجروا الأوطان والأهل فاغتدوا ... لقتل عدو الله في كـــل مرصـــد
وهـــم جاهدوا في الله حق جهـــاده ... وهم نصروا ديـــن النبي محمـــد
عليه صـــلاة الله ثم عليهـــــم ... كما هب شمأل على الزهر النـــدي
فلما مضوا نحو الجنـــان ليجتنوا ... جناهم وعند الصبح من يسر يحمد[7]
أتى بعـــدهم من لا يغار عـــلى ذما ... ردين ولا يرثى له أن يبـــدد[8]

1 ـ بدون حياة فيه إضافة الصفة إلى الموصوف أي الحياة الدون ومعناها الوضيعة . ومعبد بصيغة اسم الفاعل صفة لهوان : أي الهوان الذي يجعل صاحبه عبداً لغيره .

2 ـ ثأر القتيل وبالقتيل : طالب بدمه ؛ والمطلول الدم : الذي لم يثأر له ولم يده : لم يؤد ديته .

3 ـ المهدي : بتخفيف همزة المهديء . والموسد : الجاعل للوسادة .

4 ـ أشكر الضرع امتلأ لبنا فهو شكران .

5 ـ يشير إلى قول الله تعالى (أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) الآية .

6 ـ حذا حذوه : اتخذه مثالاً وقدوة .

7 ـ تلميح إلى المثل المعروف : (عند الصباح يحمد القوم السري) أي ثمرة التعب تظهر بعد انتهائه يضرب تحريضاً على الصبر للمشاق .

8 ـ الذمار بالكسر : ما يلزم الإنسان حفظه ورعايته .

جهادهم في رم دنياهم ومـــا … لهم همة في جبر دين مقصـــد[1]

إذا سمعوا لغواً أصاخوا وإن دعـوا … لدين الهدى صدوا صدود المعـرد[1]

… كأن لم يكن فيهم عديد ولم يكـن

… لهم جلد يسطو على كل أيـــد[2]

كأن لم يدقـوا بينهـم عطـر منشم … ولم يرتدوا منه بثوب مجســـد[3]

ولم يرضعـوا من أمهم أم قشعم … لبان دم إن يمـر يشخب ويزبـد[4]

ولم تغذهم بالشرى حتى كأنـــه … أحب إليهـــم من سلافـــة صرخد[5]

بلى مارسوا الحرب العوان وضرسوا … بها كلهم ما بين كهل وأمـــرد[6]

وما برحت حرب البسوس عليهم … مدى الدهـــر لم تخمـد ولم تتهمد[7]

كأنهـم من عكفهم حـول نارها … يحشونها في كل غـور وانجـد[8]

مجوس عكوف جول بيت لظاهم … يحفونها من راكعين وسجـــد

ولكنهـم ضلـوا عن القصد غفلة … وجهـلاً بنهـج الرشـد لا عن تعمد

فلـو نبهـوا لاستيقظـوا وتبصروا … فمن تقيـد نحو الفوز لا بد ينقد

فقـم يا لسان الدين وادع إلى سبيـ … ـل ربك بالحكـم الصريح المؤيد

وناد عباد الله مستصرخاً وسـر … بسيرتـك المثلى تعـن وتسـدد

وقص لهـم ما في الجهـاد وما روى … رواة الحديث الغض من كـل مسند

---

1 ـ المقصد بصيغة اسم المفعول مضعفاً ! المكسر .

1 ـ المعرد بصيغة اسم الفاعل : المنجرف عن مثل الحرب كالهارب .

2 ـ الأيد : القوى .

3 ـ يقال أنه كانت بمكة امرأة تسمى منشم بفتح الميم وكسر الشين : عطارة في مكة . وكالوا إذا أرادوا القتال وتطيبوا بطيبها كثرت القتلى فصاروا يتشاءمون بعطرها حتى ضربوا المثل (دقوا بينهم عطر منشم) لشؤمها .

4 ـ المرادم بأم قشعم هنا الحرب . ومرى الضرع يمريه إذا دلكه بيده ليدر لبنه ، وشخب اللبن سال .

5 ـ الشرى : الحنظل ، وصرخد : بلد بالشام تنسب إليها الخمر الجيدة .

6 ـ الحرب العوان : هي التي تكرر القتال فيها وهي أشد الحروب . شبهوا بالمرأة العوان التي ناصفت سنها فتكون بذلك على خبرة . يقال ضرسه الدهر أو الخطوب أو الحرب إذا اشتد عليه .

7 ـ حرب البسوس : هي الحرب العربية العظيمة التي طالت بينهم طولاً جعلها مضرب الامثال .

8 ـ حش النار : أوقدها . والغور المكان المنخفض . والأنجد جمع نجد : المكان المرتفع .

وعدهـــم بإحدى الحسنيين مبشراً   فأما بنصر أو بأكرم مقعـــــد
فأنـــت الإمام المقتـــدي بفعالـــه   وأنت الذي يرجـــى لهـــم مُهَدّد
فقد وقع الإسلام من خوفه على   بقايا بنيه في مقيم ومقعـــــد[1]
فصار ينـــادي مستغيثـــاً بأهلـــه   ألا مـــن لعـــان في وثـــاق مقيد
ومثلـــك إن يسمـــع شكيـــة مثله   يغثـــه ويشكُـــه ويسل ويسعـــد

---

1 ـ يقال وقع فلان في المقيم المعقد : أي في الهم الذي لا يدع راحة ولا استقرار .
« المعسول » 6/ 111ـ115 .

ملحق 78

رسالة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني إلى المجاهدين بالشاوية

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صلى وسلم وبارك على أشجع خلق الله ، وأثبتهم قلباً ، وأخوفهم على دين الله أن يضيع ، وعلى آله عدد الألطاف الجاريات ...

لتهنأ قبائل الشاوية في مقابلتهم العدو : بما أعد الله ـ سبحانه ـ لها ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ورباطِها في مقابلة العدو ، ومحاصرتها له ، خوف أن ينتشر في أطراف المغرب ، ودفاعها على أوطانها وحرمها ومالها وأولادها ، الذين يودون أن تكفروا فتكونون سواء .

وقال تعالى : ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين .

فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين .

ولو لم يكن في فعلكم إلا أنكم أحييتم فريضة الرباط في سبيل الله : لكان لكم الثناء الحسن ، والذكر الجميل ، والمحمدة والفخر ، ولسان صدق في الأخرين ، فكيف وأحييتم فريضة الجهاد ، الذي لا يقوم الدين إلا بها ، وما صلح أمر أول الأمة إلا به ، فلا يصلح آخرها إلا به .

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : موقف ساعة في سبيل الله ، خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود .

وأخرج البيهقي عن سيدنا أبي أمامة أن مولانا رسول الله صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم وعلى آله قال : إن صلاة المرابط عند الله ـ تعالى ـ خمسمائة صلاة ، ونفقة الدينار والدرهم منه : أفضل من سبعمائة دينار ينفقه في غيره .

وأخرج أبو الشيخ في الثواب ، عن سيدنا أنس رفعه : الصلاة بأرض الرباط بألف ألف صلاة ، إلى آخره .

وأخرج الإمام أحمد ـ بسند جيد ـ عن أبي الدرداء يرفع الحديث : من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام : أجزأت عنه رباط سنة ، يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .

وقد تعجب الخلائق من صبركم وثباتكم ، وقالوا : إنما كان هذا الصبر على عهد الصحابة الكرام ، وتحقق الناس زيادة المدد المحمدي وفيوضه ، وعنايته ببيضة أمته ، وحفظه لهم ، ورعايته لهم على ما كانوا عليه من عمل ، وإن أساءوا وفرطوا وعصوا ، ووقع لهم الفتور في الأوامر والنواهي .

ولكن : وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم .

وربك الغفور ذو الرحمة .

غافر الذنب وقابل التوب .

وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات .

فاجتهدوا في الأذان ولو مائة مؤذن في جيش المسلمين ، وقراءة أحزاب القران كذلك ، وبترتيب أقوام يذكرون اللطيف الكبير كل يوم ، وآخرون يذكرونه كل ليلة ، والحسبلة يترتب لها أقوام آخرون يذكرونها على عدد اللطيف الكبير .

الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ، إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم ، وخافون إن كنتم مؤمنين .

والصلوات الخمس في أوقاتها ـ مع الجماعة ـ ولو في حالة القتال ، فتعلموا صلاة المسابقة ، المشار إليها بقول الله العظيم : وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة : فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا بأسلحتهم ، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم .

وقال : إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون .

وإذا هجمتم فلتصيحوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، حسبنا الله ونعم الوكيل .
فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم .
واستودعكم الله الذي لا تضيع لديه الودائع ، والسلام .

من الخزانة العابدية الكتانية بسلا . ووردت فقرات من هذه الرسالة في « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » ص 189–190 .

ملحق 79

رسالة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني إلى قبيلة أزعير

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

من محمد بن الشيخ عبد الكبير الكتاني .

إلى كافة المسلمين ، إخواننا في الملة والدين : قبيلة أزعير : أمزارعة ، وكفيان ، خصوصاً أهل النفوس الكبار ، السادات الأحرار ، أعيان القبيلة وشرفاؤها . الذين لا يرضون ببيع ذرة من إسلامهم بملء الأرض ذهباً .

سلام عليكم ورحمة الله ـ تعالى ـ وبركاته ، بوجود ظل الله .

أما بعد : فقد بلغنا وأن لفرانصيص أرسل لقبيلتكم أناساً يذكرون لكم وأن لفرانصيص يريد المرور بالقبيلة ، وليس له غرض بكم ، ويوصيكم أن لا تنهبوه ولا تضربوه ، بل تتركونه يمر كيف شاء .

وهذا الأمر أمر هائل . وخديعة بينة واضحة : في التولية على القبيلة . ونهب زرعها وضرعها . ونزوله بالمحل الذي يرضاه منها . وفي ليلة واحدة يبني أبراجاً تحار العقول فيها . ويملؤها مدافع وبارودا حتى تصير ناراً ...

فالواجب على المؤمن ـ كامل الإسلام ـ قتل أولائل الناس الذين جاؤا بهذه الخديعة . التي فيها سلب السلاح والمال لهذه القبيلة من حيث لا تشعر . وهو جهاد أكبر ، ولا يراعى الإسلام فيهم مزارك ولا عار ، إذ لا حرمة لهم ، فدمهم هدر ، وماهم حلال ، لأنهم يسعون في تبديل نعم الله كفراً . لا سيما النعمة الكبرى التي هي الدين .

وكيف تؤمن غوائل العدو الكافر ، ومولانا يقول : « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم » . وقال جل من قائل : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة . واعلموا أن الله مع المتقين » ، وقال جل وعلا : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى

يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » ، وقال سبحانه : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

كيف نؤمن بعهدهم معنا ولا نقاتلوهم . ونتركهم يمرون علينا لإخواننا المسلمين . فمن رضي بذلك فقد سعى في سرعة غضب الله ورسوله عليه وعلى ذريته ، وفي خراب خيمته وقبيلته ، وإن مات مات ذليلاً ، وإن عاش عاش حقيراً ، و« المرء مع من أحب » ، نسأل الله العافية .

والمؤكد عليكم به ـ ولا بد ـ أن تذهب جماعة من كبراء القبيلة : كل فرقة من القبيلة تعطي من ينوب عنها : إلى جماعة لحلاليف ، وتعقدون معهم الأخوة في الإسلام ، وعدم التعدي على السادات الأبطال السعداء الأحباء المرضيين : أولياء الله لمداكرة وأولاد محمد ، فإن امتنعوا فلا بد من نهي المنكر المنكر فيهم وفي من يعينهم على ذلك : من غير تراخ ، ويكون ذلك شرفاً لكم دنيا وأخرى . ولا يقدر الكافر إذا سمع ذلك أن يتعدى إليكم ، قال تعالى : « ولينصرن الله من ينصره » ، وقال تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

والسلامة لكم ولذرياتكم في الدنيا والآخرة : تقديم أمرنا ونصيحتنا ، إذ هما بأمر الله ونصيحته : على ما يقوله لكم غيرنا ـ من أهل الخداع والمكر ـ في صور النصح وقوالب الطمع ، وفي الصدر الأول من الإسلام : كان الناس يعذبون بالإحراق بالنار ليرجعوا عن دينهم فلم يفعلوا ، وكذلك كانوا يقرضون قبل ذلك ـ أيضاً ـ بالمقاريض على دينهم فلم يتركوه .

ورضي الله عن السادات الأبرار لمداكرة وأولاد ـ محمد : فهم كهؤلاء ، ولا غرابة ، فقد قال مولانا : « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » .

ومما نوصي به ولد قلبنا ، المحب الفاني ، البركة الشجاع النوراني ، ولي الله تعالى : سيدي محمد النور لمباركي الملقب بسيدي حماني : أن يطوف بهذه الرسالة على جميع من له الكلمة المسموعة بقبيلة أزعير ، حتى لا يجلس أحد ولا يتأخر عن الجهاد في العدو الكافر إذا عزم على الخروج من طرفكم .

أعانكم الله وقواكم ، وأعطاكم شجاعة الصحابة الأبطال . وأخرج ـ سبحانه ـ الدنيا من قلوبكم ، وجعل همكم الآخرة ، وما يحبه الله والرسول صلوات الله عليه . وجمعنا معكم ـ في قريب ـ على حالة ترضي الله والرسول والمؤمنين . آمين . ولا بد : « فإن قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين » . والسلام .

من الخزانة الباقرية الكتانية بسلا .

ملحق 80

قصيدة دخول وجدة للسعداني

القسم الأول

يا لموجـــود فديقْ محان كــل شدّا ... يا لمغيث الّي نَدا فديقْ لنْكـــادْ

يا لباقي فضلَـــك طول الدوام لبْـدا ... يا مفرج لكروب القَـطْعَ للكْـبَادْ

يا سنِيدْ الّا لُوبينْ الْعْبادْ سَنْـــدَا ... يا مدبر حال الّا لُو خْبِيرْ لَسْـداد

فرج علينـــا من غلـــب الْأَمْ لعْدا ... وأيد الْيَسْـــلامْ ولَـهْمُ العــز بجهاد

القلوب ضعافْ وأكسانهـــم برْدا ... ولا نظرنا مهمومْ بْعَـــزْ دين لجْـداد

اللازمة

يا لْيَسلامْ بْكِيوْ عْلى دْخُولْ وجدَا ... دون حرْبْ غْنَـمْها لعدُوْ نالْ لَمْرادْ

عروبي :

رابُو لَصْوارْ وانْـدْخَلْ رْصَامْ العَز ... وكْسَى تُوب الْهْوانْ فيها كُلْ عْزيز

وارضَ بالذل كل مَن ضارِي يبهَز ... وكْسَرْ نفْسُ وعاد مثل الضّأن قْزِيزْ

وقْفَات الذل سَرْها غِير التحزِيزْ

القسم الثاني

كيف يرضى بالذل الّي الله عــزُّ ... بعز دين الاسلام على الدْيانْ معزوز

موت لعنيا فنهار الْقَـى وبَــرْ زْ ... خير من عيش الذل فكل خير مبروز

التنالَـهْل لفضل خير ما يكنْـــزُ ... كل من مات على عز تْناهْ مـــبروز

مابْقاتْ فْعَيْشْ الدنيـا لْيُـــومْ لـدّا ... عند من ديــنُ ويْمــانُ فقلْبْ لَفْـئَـادْ

مصرفين الوقت فْعَسّىْ لْيُوم غدّا ... يغيب نجم النحْسْ ويَنْبَ هلال لَسْعاد

اللازمة

يا ليسلام بكيو على دخول وجدا　　دون حرب غنمها لعدو نال لَمراد

عروبي :

يَمْتَى وحْنـا قْفَتْنَا تصبر للذل　　على حب لَبْقَا فالْفْنَا بعد يْطول
ما هِي دار لمقام منْ جَاكَيَرْ حَل　　شُفْ لْقوْمان سَيْرِين كْفْول كْفْول
وحْنَا فتْبَعْهُم فالقَطْر الموصول

القسم الثالث

ما يموت فالورى مخلوقْ دون لَجالْ　　لَيْكون فوسْط الغَصاب ما يوصْلُ
ومَن مَكمَل محسُبْ لو كان كسَبْ مْوال　　ما ينفعُ الَّا دَغْيَ يْمَدْ رجْـلُ
كيف يمنع من مكتوب وكِفْ ينضَال　　منْ حْكَامْ الرَّبْ عليه القْلَام سَجْلْ
كل ما راد الله على الـورى تْوَدَّا　　ولَزَمْ اللطفْ يْفاج همْ دِيقْ لَنْكادْ
كيفْ معلوم الرخْفَ بعدْ كلْ شدّا　　بَاشْ يذكر الله فْكلْ ديقْ ورْغَادْ

اللازمة

ياليسلام بكيو عـلى دخول وجـدا　　دون حرب غنمهـا العدوْ نال لمراد

عروبي :

اطغ لعدوْ هذا فضْلْ كبْـيرْ　　هادي بقعَ سْجَاتْ من غِير مْكَرْرَ
كم من أرضين حَزْتْها من غـير هدير　　دخلتْ تحت الحكَام بخْلَيَقْ كثْرا
وقوى عزم يْجُزْ لقْطارْ فمَرَّ

القسم الثالث

جار وتجبر وبلغ منتهى فْجُـرُ　　ولا بقلُويْـلَا كسْرى فخلْفْ كسرَى
عليه لَسْلَامْ إليّ فحكُمْتُ يْدُور　　ايْشتْتُ شملُ فمدُنُ وكلْ سحْـرا
تسير منزل لَلْيُوم البَهْيَ قْصُرُ　　عليه الغْرابْ يصيح بَالخْلَا والْعَرا

جا الأرْضْ الدار البيضا بكُلْ وكْدَا   وقال جيتْ نْأدّبْ بَمْرَهْفِ الفساد
ولا نْوَ يصدق من حرب ليوت فَسْدَا   يبدْدٌ شملُ ويحقْرُه بَين العبــاد

اللازمة

باليسلام بكو على دخول وجــدا   دون حرب غنمها لعـد ونال لمراد

عروبي :

غَـرٌّ جهْلُ وْرادْ يطمعْ فالمغـــريب   ولا شاف لْجهتُ الطَّلَعْ كيَغْربْ
عول ونوا وقال ظن ليس يخيب   ولعب بعقول غَفْلَ عن حُكم الرب
ورمى يدٌ فْسَاطْ ونْتَنْ وعقرب

القسم الرابع

كيف ينج من جابين السموم يلعب   بالزفيرْ اذَ بَانْ يْبَيْدُ شْبَــابُ
باد وتبدد شمل فالَوْرَى ونَسْلَبْ   كل طاغ منهم تْيَتْمُ حبــابُ
بعد شلا نَقْهَرْ سهْمْ الدنَى وانغلَبْ   وقتْ عزٌ نَتْهَى ومضى وْفَ حسابُ
كل من يَشْرَهْ لَبَـدٌ يصيدْ نَكْدَا   وكل طاغ يهلكْ بقَلْ شِي فالعْنَــاد
شُفْ لَنَمْرودْ الطاغِ شْحالْ سَدَا   أهلَاكْ مَن بَعُضَ وبْقَى حديثْ ينْعَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجــدا   دون حرب غنمها العـد ونــال لمراد

عروبي :

اطغ فرعُون غَرْقُ ربٍّ فالْيَمْ   ما فكٌّ مَن عْدَا زَرْدُ وخْسَــامُ
لفلاكْ الدٌّور كتْعَلّ وتَّيَّــمْ   اطّلَـعْ كَيْحُفْ مَن بَعْد تْمَامُ
والهابَـطْ لغْنَاهْ يَعلَى فمقـامُ

القسم الخامس

ما بقي الّا العَز أيا جميعْ الاسلام   شمْرُ لِلجهـاد تعمكم حُــرْمَ

كل من مات على عز لَسلام يُرحم　　تبعاهْ الحُورْ تخَطْفُ فكُل صَدْمَ
من كمَلْ مَحسُبُ وألْقَى كْيُوسُ لَحْمامْ　　عاش عيْشْ الأبد فطِيبْ كل نَعْمَ
ومن بقي يتْبَخْتَر فالعزْ بيْنْ لعْدَا　　واسمُ مكتوبْ فْرَقْ البْدور لَسعادْ
ما بْحال كْمِيْد العديان وَدْ شَهْدا　　ولا بْحال مْرَامْ العدُو دِيقْ وانْكادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجـــدا　　دون حرب غنمها العـد ونال لمراد

عروبي :

لله الحمد بعد ظلْمتْ غَسْقْ الليل　　بان شْريق الضيَا طْلُعْ على لطْلالْ
وبْشَرْ بالعَزْ كلْ من كان فْتَدلِيلْ　　وطْلَعْ فالْجَوْ صُلْتُ بعد التَفْوَالْ
وكْسارْ الّي طْغَ من سْيَتَلْ ولشْبَالْ

القسم السادس

وَيْحْ لعْدُ أما يلقَى فحرْب لبْطال　　يشوفْ بغْيانْ شلّا كان لِيهْ فالْبَالْ
يطيع لَلْجزْيَ ويْسَلّمْ كانَ يَنْقَالْ　　أو يْدخُل فَحْديثْ الّي مْضَى فلْجْيَال
شتّتُ ربٌ وتْبَهْدَلْ بين لَقْبَالْ　　مَنْ قْبيلَ قطَعْتْ سَهْرُ بْحَرْبْ لَقْتالْ
بعْدْ نحمَى بالغِير وْجَبْ كل عدًّا　　بْقَى طعامْ للوْحُوش على قْطارْ لوْ هاد
شْحالْ مَن ألَفْ جابْ حْسَبْهم عدًّا　　ولا ظْفَرْ بَمْزِيَ قَلْ الجْنَاسْ فعْنَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجـــدا　　دون حرب غنمها العدو نال لمراد

عروبي :

من بعد طْغَ وجار لعْدُوَ تْقَوّا　　نَشْوَ فَمْغَزَلْ لْيوتْ الثّويَـــا

نَكْسَرْ بَنْدُ وْطاحْ وتمزّقْ وَطْوَا   ولْقَتْ مْحالْ صُلْتُ كلْ بْلِيَا
نسقَوْ كْيُوسْ مَلْيَا من لَمْنِيَا

القسم السابع

عليه سطت العربْ من بعد هاج واقْوَ   كَبْرَنَ كانتْ عن جُعْها طْوِيَا
كل من عرّشْ مَنهم فلْقْطَرْ وعْوَ   عليهْ تنزَلْ بضْفَارْ لْصُلْتُ بْرِيَا
لُيْتُوبْ ويْحْسَبْ هذا البرُوزْ هَفْوَ   ما بْقَتْ للعْدِيمْ لْدُلْتُ مْزِيَا
جارْ وظلَمْ وكْتَرْ من مَنْزلُ تْعَدّا   وحبْ يحكُم فَسْيَدُ قَلْ كلْ فَسَادْ
راحْ مكسورْ وصادفْ فلَوْجُودْ خَمْدَا   وعادْ فَخْبَرْ كانْ ينذْكَرْ فَاتْ بَغْدَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا   دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

حرّبْ جَندُ وقال هذا جيش كْبير   نمْلَكْ به الرقابْ ونحَوْز لَقْطَارْ
زوّكْ ورْغَ وَدَعْ تمثِيلْ الخنزير   صادُهْ انْمُرْكَسْمُ ذاتُ باظْفَارْ
وبْقَ كُرْعَى عْلَى عْضَاهْ تحُومْ طْيَارْ

القسم الثامن

ما سْغَ لتْوارَخْ ولا قْرَى فْلَجْفَارْ   كلْ من جا للغرب تْغَرْبُ صْغَارُ
جا للمصيدَ ولْقَى كِيف سَارْ لَلفارْ   عْلَى تْبيعْ اللّحْسَ يتْمَزّقْ سْيَارُ
ضْرَغَمْ الغرب شْريفَ ما تْرِيدْ كفارْ   من طمعْ فوْطَنْهُم يجَيْحُ قْرارُ
شحَالْ مَنْ قَصْوَرْ فَمْ غارُ مْعاهْ فَهْدَ   كَيْصَيّدْ منْ جَا مغرورْ لِيهْ صيَادْ
من دُخْلْ لَعْرِينُ نَمْحَ وصادْ فَقْدَا   ولا خْبَرْ عن حالُ وْما لقاهْ يُوجَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا   دون حرب غنمها لعد ونال لمراد

عروبي :

غرُّوه وطمعوه يرضع كلْ ضْغَاسْ　　وجوهْ كْبارْ برْزِينْ بعَقْل خسيس
ايمانْ قلوبْهم ما رسخَتْ بلْسَاسْ　　يوم الحَزّ كبيرهمْ تلقاهْ خْنـيـسْ
فاتْ بَفعلْهُم لمطرّد يبليس

القسم التاسع

كيْغَرّ بعْمايَمْ برْزِين فالــــرّاسْ　　لُو رْقَا وْالزّنّارْ يزُولْ كــلْ تلبِيس
معاندين فالْبْنِي ونْواعْ كل تَلبَاسْ　　رَيْهُمْ علِيهُم ايْعُودْ نَكَدْ نْحِيسْ
رْضا وْبالذّل لَمْبَخْسِين بينْ لَجْناسْ　　تبْعِين الشّهْوَ ونْسَاوْ يومْ لَغْبِيــس
على مْرادْ النفسْ يأَدّيوْ كلْ وَعْدا　　بايْعِينْ رْقاب ليسلامْ صَيْلْ لجْحَادْ
أفعالْهُمْ مْن اللهْ أتزِيدْهُم بَعْــدَا　　سَرْهُمْ الموتْ فْجِيفَ مْتِيل شــدّادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجــدا　　دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

ادمَرْهم الكـريم خدَّ عِينْ الدين　　لا خِيرْ فْمَرْ وْليس يعْبَ بَيْمَانْ
حكْمُ بعْقُلْهُم ونْسَا وْالْمُبِيـــن　　دارُ لَعْدُ صديق والمومَن خـــانْ
وْكْذَا وَلْهِيبْ طالعين فدُخَـان

القسم العاشر

كل من برّزْ صَيلْ الذلْ بين لَعْيَانْ　　كِيفْ من شيّدْ برجْ على فْضَاهْ مبْنِي
ما يْبَرْزُ للحرْب يَلّا فْيُومْ هَمَان　　يْشَبْهُوه فْخَشْبَ من عَرقْهُمْ لَدْنِي
ما يحبُّ يلّاصِيلْ العرابْ ينْهان　　قُوْم باءْ بالذّل مْن القديمْ لَغْنِى
سَرْهُم بْسِيف ليسلام غِرْغَرْدَا　　جنسْ لخْدِيعَ قصدْ يْمَانْهم لَنْقَاد

هْبِيلْ من يعمَلْ جلْ خْيارْهمعَمْدَا قومْ مغضوبَ سالْ الحقْ وقتْ لَطْراد

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

لعجول اذا رعو حبلْ العلّفـــــاتْ فجْزاهم الزْبَاط فيه يْنَسْجَــرُ
توْتِيقْ زْباطْهُم امْن للأفـــاتْ والطاغ مَنْهُـمْ نَادَ كُـــــــزّارْ
يقطع لِهْ لَحبالْ يَمْحَ أَثَــرُ

القسم الحادي عشر

يا لجليل أهلكْ وأدْمَر كل طُغاتْ من ترقّا وصِيلْ سلَفهْـم محقُـورْ
راضْيَنْ الحكْرَ صِيلْ الرّدَالْ لَمقَاتْ لا سْرَاخْ الْحَزّ ولا يْسَكْدُ شُــورْ
عيشهُم خْسَرَ وبْرِزْهُـم أفـــاتْ جاهْهُـمْ يوَغّل قلْبْ لَحْرارْ وصْدُورْ
ما سْعَدتْ بهم اهل التْنَى فْبَلْـدَا ولا جْتَمْعُ عن رَيْ صلاحْ كِيفْ نَعتَادْ
مرصدين على غَرْدْ مْرَدْهُم رَصْدَا ولا يْصَدْقُ فَنْصَحَ للْقْرابْ وبْعَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

كان لعرابْ كيغُصُ فَالتدبـــير عْلى عزْ اَلسْلام والفَعل المشكور
ترفعْ قدرْ الْشْرَافْ وتْزَدْر لَحْقير من لا يلقَي نطَالْ لُو يعلَــى محقور
والغَفَلْ فالزْمانْ عْلى الْعدا مغرُورْ

القسم الثاني عشر

وشْمَنْ عقَلْ يا مَنْ فالْعْدَ الفْجار بعدْما هلكْهم المَجْدِين فَشْرُورْ

جادّين الكفرَ طالْبيــنْ لَلتّــارْ ما يعملُ فتْرَ طولْ لعــوامْ وشْهــورْ
كل عَرْبِ غنموهْ يْجَرْعُــوهْ لمْرَارْ عنْدهُم الوَقَعْ بَسْلَفْهُم مسْطــورْ
لْكُلْ وقْعَ سْرَتْ فَقْلوبْهم نَكْدَا من بْطالَ الصَّحْبَ حيدْرَي ومَقْدَادْ
طالبين لْتشْتيتْ جمْعهم لَفْــدا شْحالْ قَطعَتْ فَرْقَابْ سلْفْهم لَسْيَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

أغفلنا عنهم ونُجَبْرْ لكـــلاب وأبدْوا بْكيدْهُم يرْعَوْ الْوَجْـبَ
فتحُ لَمْسَرَبْ لَخْدِعَ كَمْ مَنْ بابْ وعْمَاهم ربْنا وطَاحُ فالْخَشْـبَ
ونْقَهْرُ فالْقْتالْ وارضَوْ الغَلبَ

القسم الثالث عشر

غرْهُمْ الحالْ وْبَرْزُ لْقَاوْ لَعْذَابْ مَن بْطالْ الغربْ فحرْبْ الوْغَى نْعَطْبُ
نابْهُم المسْعُورْ يزُولْ دونْ كْلّابْ حْوالْهُمْ فالْقتالْ من الدْهَى نْقَلْبُ
الْفْنَى تَلّفهم على عْدادْ لحسابْ من خْرجْ لْمِدَنْ أهلَ التْنَى تْغَضْبُ
ومنْ بقَى تَاتيهْ لْوَبَ مْتِيلْ رَعْدَا على قطارْ تفنِي من لّا يمُوتْ فَطْرَادْ
بْسُوطْ فيهْ الصّرصَارْ يْجَيْحُ فْلَكْدا يلْتْقَي مالْتْقا وْالقوم مَن دْعَى عَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

يا رب يا كْريمْ يا نِعْمَ الفَـرَاجْ غرّقْ وجْلِي مْرَاكْبُ فَغْمُوقْ اللَّجْ
تَهْنَ منْ الأرضْ وينَقْطَعْ لهْرَاجْ وتْعودْ فرْقْيَ لَنسْلَامْ وْتَطْهَـجْ
ويطهّرْها الله مَن لَعْدُ لَسْمَجْ

القسم الرابع عشر

يْغِيبْ ظُلْمْ الكُفْرْ ونورْ لَسْلامْ يسْرَجْ   وجندْ بَنْو لصْفَرْ يبْقَى ذْليلْ مَحتَاجْ
كِيفْ بَنْو يَسْرِي يبقَى دْنِي مْوَلَّجْ   دلّت اللّقَطَ ما فيها هْمامْ بَالتّاجْ
قال حبْ يْمَدّنْ لَقْطارْ باشْ تَطْهَجْ   وْلا تْنَبّهْ يستَرْ عَيبُ ذْليلْ لْهماجْ
كلْ صُلحْ يظَنّْ عَندْ لَسْلامْ فَسْدَا   كِيفْ يَرشَدْ مَن لا رب هْداهْ لَرْشَادْ
ما نْحَلْ بْصارُ ولا لْحَقْ نَهْدَا   فالضّلَلْ عَيَمْ معْمِي طْمِيسْ لَفْئَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا   دون حرب غنمها لعد ونال لمراد

عروبي :

حْرامْ عْلِيهْ غرْبْنَا يَتْمَلّكْ بِهْ   أوْ يْنَالْ لَمْرَام الْعْدِيمْ السّاهِي
رادْ المْوْلى يْفَلْسُ ويْبَهْدَلْ بِيهْ   ويْسيرْ عْلى الدْوامْ لَلناسْ مْلاهِي
وبْلاهْ فْغرْبْنا بَلْبْلَى ودْوَاهِي

القسم الخامس عشر

عَادْ مَزَالْ يْشُفْ قْتالْ ما نْوى بِهْ   مَن بْطالْ كْمِينْ فَوْطَانْ منْ عْفَاها
مَن شْرابْ الحَنظَلْ صَرْفْ لَكْواب تَسْقِيهْ   غَرْ قَومُ لَعْدِيمْ وْدُلْتُ فْنَهَا
سارْ بِين الدّوالْ مْثَالْ تَنْضْرَبْ بِيهْ   لاح نفسُ فَجْمارْ مْتَكْبَ لْضَهَا
عليهْ تَزْنَدْ نِرانْ الحرْبْ كلْ زَنْدَا   يْسِيرْ فيها جَنْدُ مسْحُوقْ طَيرْ رْمَادْ
غاصْ فالوِيلْ وْلا يلقَي لْكُلْ نَقْدَا   وْسارْ مكسوبْ خْديمْ حْقِيرْ قَلْ لوْ غَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا   دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

لو كانْ الغربْ كانْ مجموعْ الكَلْمَ   يدهِي بَدْ وَهْيُ الزرْقَا جمْعْ الرُّوم

لكِنْ تَهْلكْ مَنْ دْعَ مَنٌ قَسْـمَ أَوِيحْ إِلٍّ طْغَى وْجَالَسْماهْ يْحُومْ
عْلِيهْ يْصيّحْ لغْرابْ وْصوْتْ البُومْ

القسم السادس عشر

يا لمولَى أيّدْ هذا لَسْلامْ بَهْمَامْ هَمْتُ مَصْرْفَ فالْعَزْ مَجَدْ فْخِيمْ
يَرتْقي بهْ الغرْب فْعَزْ كُلْ تَنْظَامْ يْنَدْكَرْ ما بين الدّوَلْ راسَخْ عْظِيمْ
بِيهْ تفخَرْ لَسْلامْ عْلَى كلْ ظلّامْ وْكُلْ كَفرْ يبقَى مَحْقُورْ نَكَدْ دْمِيمْ
بيهْ يخْصَبْ هَذَا الْوَقتْ فَلْهْنَ وْرَغْدَ وبيه تركَنْ للْجُودْ كْشُوطْ كلْ تمْرَادْ
صَارَمْ الحَقْ يْمَهّدْ كلْ حيْ مَهْدَا وْلَا يْخَلِّي خَرَجْ لَحْدُودْ سَاطْ فَبْلَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

يَهْنَ هذْ الْقَطَارْ منْ غُلْبْ الْعَدُوْ وَيْدُوْم هْمَمْنَا فالْهنَ والسّطْـوَ
يطلعْ بدرا لسعودْ فكمالُ والصّحْوْ ويْلُوحْ عْلى القْطارْ بَسْرَارُ يَضْوَ
والعَدُ وْالْتيمْ يبقَى فالْبَلْوَ

القسم السابع عشر

غَرْ نجْمْ مَن بعْدْ رْقَى وكانْ ضاوِي وْلَا يْبقَى لُو فَالدّهْرْ يْنَالْ عَزْ سَطْوَ
فاتْ قبْلُ فالغَرْبْ البَردْ قِيزْ قَاوِي وْنَكْسَرْ عَرْشُ بَعْدْ طْنِينْ كُلْ قوَ
بَعْدْ حزّبْ بَهْلُ لَمْغَيْرَ كْسَاوِي صَادْهُمْ مْعَاهْ الْبَلَا فْكُلْ دَهْـوَ
بعْدْ خانُ لَيْمَانْ خْلَا وْكُلْ كْعْدَا لَا سْرورْ فْدَنْيَا وَ لَا يْدَخْرُ زَادْ
حُمْقْهُم الكَفرَ كُلْ حُمْقْ عَدّا غرْهُمْ الشيطانْ وْلَحْهُمْ فكْيَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

ما جازْ عْلَى لَمْثِيلْ يحْكَمْ لْمَثْلُ فَصْحِيحْ خْبَارْ كُلْ معقُولْ ومنقُولْ
هاكْ القوْلْ الصْحِيحْ يا روي نَقْلُ تَشهَدْ لَكْ فِيهْ بالْبْلَغ هل لَعقول
ويْعَرَضْ بَالْكذُوبْ مَنْ قلْبُ مَدْغُولْ

القسم الثامن عشر

كلْ من ينكَر شمسْ الجَوْ حينْ تنْشال يْكَذْبُ وقْتْ طلوعْ شِرقْها العالِـي
باشْ يستعدَرْ حين يْزولْ شَكْ لَخْيال يْعودْ سُخْرِ يَا بيْن مْحْفَلْ الْمْوالِي
غابتْ شموسْ العَز غْرَاتْ رُوسْ لَطْلَالْ وْلا بْقَى الّا وقْتْ طلوعْها الجاني
يْطَرْدْ ظلام الكُفرْ الّي قلوبْ صَدّا تْفيقْ بَعْدْ السِّينَ وْمْع الحَقْ تَسْكَاْدْ
صْوارَمْ الطّغيانْ يْصِيدُ جميعْغَمْدا تْعِيشْ لَسْلامْ فالْهْنَا والمْنَا وْلُودَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

يا علي المَلك يا لمَتْعَالْ الدَّيّانْ حقَقْ بَالْجُودْ والفَضَلْ جَمْعْ رْجَانا
انصُر دِينْ الْسْلامْ عن جمْعْ الأَدْيَان وهْلَكْ وفْنِي وْجَيّحْ جمُوع عْدَنَا
يلقَوْ الذُّلْ ولَمْحانْ ولْهَنَا

القسم التاسع عشر

جادْ ربٍّ وَفَ رَغْبِ فْكُلْ مظنُون ولاحتْ شْموسْ العَز نْورْها للعْيان
الْعْدُ نَدْمَرْ وتّْنفَ وْهِينْ مَدْعُونْ وْلا بْقَى يَتْخَطّرْلُ غرْبْنا فالْدْهَان
كلْ ما كانْ نْهَبْ لغْدِيمْ دونْ قانونْ عادْ لَلَيَسْلامْ ونُورْ الْهَدَي ولِيمَانْ
نامْ وحْلَمْ وتْوَعَّى بعْدْ كُلْ رَكْدَا صابْ رَسُ طَيَحْ مَرْمِ فْشَكْ لَحْدَادْ

قامْ مفزوعْ وزَادْ مْنَ القْطَـارْ شَرْدَا وصار يْتفكّر مُـلْكُ كِيفْ كانْ وبْدَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

لا يَجْمَعْ يا لْئِيمْ لَمْعَدّي لَحْدُودْ من جَارْ عْلَى الْقْطارْ بَخْرِيقْ العاد
بَفْرِيعْ نْوَجْدُا رْجَعْ نَكَدْ مَرْدُودْ مَن بعْدْ طْغَ وْدَعْ عنْ كلْ حْدَادَ
ارجَعْ بَسْوابَقْ الْيُوتْ الْبَدّدَا

القسم العشرون

أهْلاكْ لعْدُو هْلاكْ الّي عْليهْ سَنّدْ وكُلْ مومَن وَفَ ربّي مْنَى مْرَادُ
وجبْ عِلينا حمدْ الّا ثْناهْ يِنْعَـدْ تْكَلْ فيهْ الوَكْلانْ الْحَصْيَ عْدَادُ
والشْكُرْ لِلْمُلَى لكْرِيمْ لَيْسْ يَنْحَدْ مَن تفضّلْ بَكمالْ الجُودْ عن عْبَادْ
كل وقْتْ وْسَعَ طُولْ لحياتْ لبْدَا وكلْ نفْسْ وْلَحْظَ هُمَا ذْكَرْ لُورَادْ
فالْمْنامْ وْسِينَ وزْمَانْ كلْ سَهْدَا مَن ضْمِيمْ المهْجَ وادْخَالْ مِيرْ لَجْسادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا دون حرب غنمها لعدو ونال لمراد

عروبي :

نْهيتْ بْياتْ حُلْتِي ولاَ نَتْهـاتْ عن فهْمْ الفَهْمِين حلْيَتْ معنَاتِـي
العَقَلْ كيْشُفْ قصدي بَالمَقْلاتْ يعرَفْ ضْربِ صْوبْ ينصُرْ حُجَاتِي
والجاهَلْ ما يْلُ دْرَيَ لَتْقَاتِي

القسم الواحد والعشرون

هاك يا روي باشْ اهلَ التْنَى تْحَدّتْ من سْغَلَكْ بسرِي قولِي فْمِيرْ دَاتُ

ابْشَرَتْ الخِيرْ لْطَلَبْ فَلْهَا تْقَوَّتْ   اتْسَجْعْ الجَبانْ وْلَغْفِيلْ يَقْظَاتُ
الْكْوَانْ عْلَى قَلْبِ بالْسْرَارْ بَاحَتْ   كلْ ما سْبَقْ فالتّكويـنْ بيْنَـاتُ
رَادْ لَكْرِيم يْبَشّرْنَا بْنِيل لَفْـدَا   مَنْ حْبَالْ الطُّغْيانْ الأَرْجَا وْلَمْعَادْ
زالتْ الكشْرَ وسْعَادْ لْسْلامْ سعْدَا   ولاحْ بدْرُ ضاوِي بَيْنْ النجومْ وَقَّادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا   دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

عروبي :

وتْمامْ القوْلْ فَالْغَ نختَمْ بَسْلامْ   عنْ مَنْ عقْلُ ذْكِي لْمَعْناتِي فاهَمْ
ما فاحْ عْبِيرْ كلْ طِيبْ عْبَقْ بَنْسَامْ   ومْا هَلْ لَمْزَانْ بالغَيْثْ السّاجَمْ
يْعَمْ أهلَ التْنَا والَمْقَامْ الفاخَمْ

القسم الثاني والعشرون

بعْدْ تَختَمْ قولْي يا حَفْظُ بْتَنْغَامْ   كانْ سالُكْ الوُدْبَ عَنْ حْروفْ لَسَمْ
قُلْ رُبُعْ الكافْ وضَرْبْ يَاقْ تَفْهَامْ   وْزِيدْ خُمُسْ الرَّيْنْبَ لْكلْ عالَـمْ
والنْسَبْ لَمْشَرّفْ مَن صِيلْ خير لأنامْ   سْنِدْتِي لَخْطَيَ ومْصَيَبْ لَجْرَايَـمْ
انتْهتْ الحُلَّ فَشْهَرْ فَرْدْ لَصْيَامْ   عام شرق هك لْتَرِخْهَا مْوَالَـمْ
والرسُلْ الهادي لِنا جميعْ سَنْـدَا   فْسَعْتْ الْكرْبْ على جمْعْ الْعْبادْ يَشْدَادْ
كلْ من عندُ سيْدْ المرسلين عَمْدَا   ما يْخَافْ فْلَحْشَرْ وَلَا فْدِيقْ لَلْحَادْ

اللازمة

يا ليسلام بكو على دخول وجدا   دون حرب غنمها لعدو نال لمراد

ـ القصيدة منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية .

ملحق 81

زجلية الشاوية نظم بناني

الحمد لله وحده ، ولا يدوم إلا ملكه .

الدرر البهية في مدح رجال الشاوية

الحمد للغاني لا بنظروه لَبصـار   حمد ليس ينتَهي يا صاح فلعبــارا
ودنا بالهادي طـه شريق لنــوار   إيمام لوجود الماحي بازْغ المنـــارا
الصلات عليه من الله ليل ونهـار   والرضى عن آلو وأهل هل الطهارا
والصحاب الوَدْ بَالمطهرين تطهار   مـن فناوا الكفـارا سْياتل الغْـزارا
بالجْهاد اشتغل ومضو فيه لعمـار   سرت نمدح فيهم ونقول بالجهْـارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعزوسرار   بالجـهاد فلجحـود خنازَر النصارا

عروبي :

سبت هذا الفتان فالضِّيْ أدِيجـور   بها ناس العقول لفضـال نخبّـر
ناض الكافر بالعزم يصنع بابـور   يعين على المون وينقّـل لحجـر
حط السكا وسار يخدم ظلـم أُجُور   حتى فات الحدود وطغى وتجبر

قام عليه الهراج وتفلس وخسر

مشا يغيثْ ورجع قل لَـكْنُوس عجلان   جا وْجاب العسكر ونوى يكون صايَن
رتب العسا باش ينال كل أمـــان   خاب سعيوا ولقى لهوال والمحاين
بَلبْطرَ حركتْ لُو من كل جيهْ شجعان   ريتلو البلاد أعبّـوْا المـــلايـن
فيه قتلوا عدد الاَخْشَوْ مـن عار   السغاض المظالـم وقاست خســارا
لِهْ حلفـوا ثم لا ضار قـدْ مـا دار   لو يعرَفْ يفنَوا على الأَسلام غارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولـوا بعـز وسرار　　بالجهاد فلجحود خنازَر النصـــارا

عروبي :

انزل ولــد الحــرام بجنـود كثيراً　　وأعمل يَدٌّ مع هْل الدار البيضـا
أنووا يكون لْهم عزوَ وَدْخــيرا　　دخلهم فالزمام تمثيل فْـريضـــا
وتَـرْن غير جرّ بِهِــمُ لَحْصِيرا　　حتى صاروا يحدثواهـاذي فيضا

ولّا علّا من العلّات عْرِيضا

أبداً أيحارب لحرامي كل يُوم قْتال　　لِينْ ما ردْ الرّاسْ فْساعْتُ يْـوَلّي
غربت شموسوا من بعد الطلوع ونْضال　　طاحت سواروا وبْقي فالفْضا مْتَلِيّ
كل يوم يجيب محــلّا هْبيــل لَهْبال　　جاحْ وبقَى فهمومْ مْحايْنُوا مُقَلِـيّ
نوّضْ السلطان يعينوا وشــاع لَخبار　　غلّب الله الشاويا على النصــــارا
طاحْ ميْمون الكفَرَ كبار وصغار　　صادفُ لْمحانْ ولَـفْتانْ ولْخســارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار　　بالجهاد فلجحود خنازَر النصــارا

عروبي

كم مَّن كافر للرباط ادخل عريان　　هاذي هانا وليس تشبهَهاً هانـــا
فروا وتفرقوا على جمْعَ البلدان　　أرهُوطْ كـثْـارْجات منهـم عريانا
عبادين الاوثان يسهلـوا لَمحــان　　والدقّ على الأضغان لَـكْشُوطْ عْدانا

فُوقْ نْقِيموا عْلى الكْوَارَشْ شَعْبَانَا

اجتمعت الروم أُقال نكثرو العداد　　جمع قاوي ما يتْنَهىّ ولَا يْلُوا حدْ
نْحوّزُ قصبَتْ مديوناً يطيــب لَمرْاد　　عاد لحكّامْ نقولوا فيدْنا تْسَكّـدْ

جاوْبَا لْحِيلاتْ أُدَخْلو لْها الفساد   حوزوها وأصبح أوطانها منكّـــد
زاد فالحين القصْبَتْ بن رشيد بَطّارْ   خفّ من رمْشَتْ عيْن أُخَفْ مَنْ عْمارَا
جاو بعض الشاويا ينصـح الغـدّار   خرّجوه بْحِيلاتْ الأنْوَى الكَـارَا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار   بالجهـاد فلجحود خنازر النصـارا

عروبي :

خرجوا به اللئيـم فالْحِينْ اللَّمْحَجْ   ونوى يمشي سريع قاصد مراكش
جهزْ مُوَنا وجابْ كل مَا يحْتَـجْ   وتَرْنِ جا على الْمحَايَنْ كيفتّـش
ـجْأوصل لَوْعارْ بِين لخَنادَقْ فالفَـجْ   دارت بهْلَبْطال وْتفَافَا ودْهَش
وبقى بِينَتْهم تالَفْ كيف الوَحْش

سارت القوم تْكزّر فالكْـلابْ تكزير   ما نفعهم لَعْدا عَدّا ولا مْـــدَافَع
نزلوا لمكاحَلْ ذاك النهـار لكبـير   والمَولّـي عنهم عْيَاوْ مَا يْـــدافَع
جاتْ مَنْهم فاذْنابْ الخِيلْ كم من يْسِيرْ   شُوفْ نجم الدين فْبرجْ السعود طالع
دَرْمُوا زادوا للسطـات يا لحُضّار   بعد ما قاسَتْهم مَنْ قَبْلهَا خَسَارَا
زاد عُمَر السكتاني سريـعْ غيّــار   حوَّز البَنْدِيرَا بالمِيزْ والشّطــــارَا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار   بالجهـاد فلجحـود خنازر النصـارا

عروبي :

اخْوايا من تسالْ لقْصابِي ورْجَـع   لهـلا يلقيـه خِير لحْقِير الكاشَفْ
وادخَـلْ فَجْوَاهْ بالقهر من تعد دْلَعْ   نْحطَمْ غرْسُ وْمَاهْ لَحْتَالَا ناشَـفْ
وألبس ثوب الحْــزَان عاجَلْ والتَقْمَعْ   ما نفعتُوا قبيحْ لفعـــالْ مْنَاصَـف

وارجَعْ كِيدُ فْنَخْرُ هَوْلُو صَادَفْ

حاج درد ما نفْـدَا عنهم بَامْـوال ولا يْوَجْدُو مثل ولْدَ الزّنَى فْباريزْ
كانْ لحرَامِي فالصُّوكـا يْدِيرْ حيّالْ مع مْشاكَلْ ونْواعَر حَيْرُ هَل الميْزْ
خلّفُوا دُمَادْ فْعَوْضُ جميع لَرذَالْ ولِيسْ جابْ لَـخْبَارْ على وْلاد لَحْرِيز
ابدا يقاتل لعدُو ما طلْـعْ لِهْ شنْيَارْ كل يوم يخلِيّ شَضْيَا فْوَسْط كارا
مَن مدافع وسلاح كثير ما يْنحْصارْ والمجارَح والمُوتَــى ما لْهَا عْبَـارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار بالجهـاد فلجحـود خنازر النصارا

عروبي :

أما خلّاوْمَنْ كْرَارَسْ ذَا القرطاس وما خلّاوْمَن مدافَـع ومْهَـــارَزْ
وما خلّاوْ مَن خْوارَجْ في تَـهْراسْ وما خَـلّاوْ فَلبْطاحْ مَــن كنايَــز
وما خلّاوْ مَنْ شْمارَرْ ما تْقـاسْ وما مَن راسْ مَن الكسْـدَا يتْـفْرَزْ

حِينْ بْداتْ البْطالْ فيهم تْـغَيّرْ

لو نْظرتِ ما بهم سارْ مَن الأفـاتْ شْحالْ مَن يدِّينْ ارَجْلِين ريتْ طارَتْ
يا لْهَاَ مَن صُوكا عدّاتْ كل صُوكاتْ في بهاها لعْجِيب هـل العقُولْ حارَتْ
يا نْدامَتْهُـمْ على فَعلهم لوْ شـاتْ يا خْسارَتْ قَلّ العيفَاتْ الشّمَايَـتْ
ابقَوْا ملْيوُحِين فْلَفْرَارْ صادْفُ نار والهموم الكـثْرَو الشّوُمْ والْحـْـرَارا
وزّعوهـم لكلابْ امَنْ تْسَالْ وطْيارْ كل طرْفْ تفرّقْ وحدُ مْشَى الْحَارَا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار بالجهـاد فلجحـود خنازر النصـارا

عروبي :

لبروص على الدوام فيهـــم تشفّـــا وعليهـــم قام فِشْطا وزْهَـى ونْشَطْ
سمعُ لفرنصيص وحْــزَن والتّـقـْفَا ومَن عيُون الكَنوُسْ لمفلَّس نسْقَطْ
جَرحُوا مُحالْ كانْ بَاقِي يتْـرفْـا جرْحْ الآلُو طبِيبْ وْلا يَتْخَيَّـطْ

لكن كان الخبيث بَلْسانُ شِيَّطْ

اشْحالْ ما خوّفنا لكوازطي فجرنان كلامْ مردودْ عليهْ أُبهْ ما رْضِينَـــا
كل جَمْعَا يأْتِي بجريدتـــوا الخوّان بْشِي خْبَابَـر شَلّارِينا وْلَا دْرِينـــا
كلها من موبِقات الدني الشيطـــان ولْدْ يبليس فعالوا خايْبـــا وْشِينـــا
كيخـوفنا من لفرانصيص لحمـار أشْ يرجَـي مَن خير فَولْـدْ لحْمارَا
ما قْرَا حُرْما ما عندُ الكــلْ توْقـارْ ما دْرَا للصـدق الاجابْ لُويْمـــارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصـــارا

عروبي :

لوُرِيتِي كِيف كان لَحرامِـي يفرح عْلى وجْدَا مْنِينْ حازوهـــا لَكْشُوط
وأصبح ذاك النهار مسرور مطرَّح ليتْ شِعري وَشْ طَازُو لَلْمَزلـوط
وجدا دار الاسلام صِغْ كــلام الصّحْ دابَ ربي يردْها مَن دونْ شْروط

وعْدُوها في تْرابْها يَضحَي مَخْبوط

وِيْنْ سيدي يحيى سلطانهـا الأمير رِيتْ سرّْ مصباح العارفين ظاهـر
وايْنْ الصالحين رْجالها هـــل الخير وايْنْ السيد عُقْبـــا راحَتْ الخْواطَر
واشْ ما عارْ عِلِيكُم يا كنوز لَفقير مْشاتْ وجدا فحْماكم حازْها الكافر
يا سيوف الوهاب فْجوْ هذْ لَغيْارْ يا هَلْ العطْفَا والبُرهان وْلِيغَـــارَا
وعْدْها خلّانا تمثيــلْ فارْق الــدّار غايبين بالهمــوم عقولْنا سْكَـــارَا

اللازمــة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار   بالجهــاد فلجحود خنازر النصــارا

عروبي :

واجب لبكا على دخولك يا وجدا   ابكي يا درّت البْها بدمـــوع الدم
دخْلوك بْلا محارْبَ لامَتْ لَغْـدا   دخـْـلَا فالْحِينْ بارْدَا دُون صُوارَم
هاذي شدّا ولِيسْ تشبهها شــدّا   لكن نرجــى الكريم لَجليــل العالم
يهلَكْ فقْريبْ هذ لجْحيدْ الظالم

جاوْبْتِني بلْسان الحال عنــدْ لَمقال   قالَتْ العذْرَا لَوْجِيبَ بْصُوتْ عالي
تاهْ بنو آدم مْعَ القْمَاشْ والمــال   ولا فْعَـلْ بَاشْ مَاءامَـرْ ربّنــا العالي
فايْن خْيولي ورْجالي كهولْ وطْفال   وايْن بْراجِي ويْن مْدافعي ومالــي
وايْنْ ُالسكان فْقُرْبي وكل جُـوَار   ما نظرت فْلَوْرَا من جابْتُ يْنغــارَا
واين بْني بزناسن يَاكْ غِير لحرار   وايَنْ بْني چِيلْ أُعربان والصحــارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بغزو وسرار   بالجهاد فلجحود خنازر النصــــارا

عروبي :

نهضوا يا هَلْ الشرق تَغِز يوْفلغْدو   قوموًا لله كلكم فْسَاقْ الجَـــد
هذا الكافر عنكم ادفـع جَـهْــدُ   وعيون القلب ساهيـا وغْشَاها رمْد
قِوّوا إيمانكــم للحــرب أُزِيـــدُ   عرْفوُا من مات مَنْكم ماتْ مشَهّد
مغفور الذنب ساكن فْجنات الخلد

شف لفضال الشاويا هل النْجـاد   اشْحالْ هذا من شهر مقابْلين للروم
شف لفضال الشاويا فالزّيْـــــادا   عانهم بْفَضلُ رب الورى القيــوم
شف لفضال الشاويا فْخَـرْقْ عـادا   كل هَزْبَرْ منهم يُوم اللّطــامْ مَحزُوم

اتْشَبْهوا بهم يا ناس الوْفا ولَشْرار فاجْهاد تفوزوا بالعـز والتَّيَـــارا
سهْلوُا فالَكلاب هل الشقاو لَشرار يْلَا أنتم بْغِيتُوا تبقَـوْا فَـالْـعْمــارا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنـازر النصارا

عروبي :

شوفوا جمع الفحول قام للجهـــاد يا سعد اليٍّ بْحَالْهم قام يْجـــاهد
نصروا دين الاسلام وغـزوا الجحّادْ واصبح لفَرنصيص محقُورْ وناكَد
ما رَوّحْ طايْـلَا وْنَعْمى من لَـتْمادْ وامدادْ المومنين باقي فَالزّايَــــدْ

واطلع بدر الإسلام بنْوَارُوا وَاقَدْ

أَشْ رَامَنْ لَارَا لبْطالْ وقْتْ لقْتال اجرْدا مَن لَكساوي غِيرْ فالتْراوَلْ
عْلى الخَيول المعتَبرايَا لْفاهَمْ رْجالْ بالزْرايَمْ وسْيوفْ حْدَادْ والسبَايَـل
الأسيادَ وجوه الجنا شموس لنْجالْ امثِيلْ هاذُو تفخَر بهُـم القَبايَـل
جاهدوا فالكافــر وسقولِــه لمْـرَارْ رَوْحُوهْ مْيَـتّرْ في حَوْمت الشْقَـارا
ما قْرَاشِي هاذي واعماتْ لِهْ لبْصـار عَمْروا مَن هاذي لَجْحِيـــدْ لا تْـوَارَا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصـــارا

عروبي :

صولي يا دُرّتْ الجْمــال الشاويـــا لك النصرا والأسرار ألعَنْـايـــا
حَزْتِ لقْبولْ والحْســانْ المزيّـــا لنَـكْ بقْعا مشرفاً فيكْ مْنايـــا
اتْـغَـبْـطَكْ ساير المدُون أبادِيــــا اتْبَـخْتَرِ بالْقَاضْرَا رُوح حْشايَـــ

فَحْلولْ العْز يا مْرَامِي وغْنايَا

يا لشاويا فيك رجال ما تْنُو جَادْ	يا لشاويا فَالبَهْزَا مْثِيلْ الأسُودْ
يا لشاويا مشهورَ افْيُومْ لَعنـــاد	يا لشاويا تهـزم فاللّطَام لَـخْسُود
يا لشاويا يَسِبوْا لَقْرابْ وبْعَـادْ	يا لشاويا شرّفْهُـم ربْ لَوْجُـود
يا لشاويا صولِ على جميع لَقْطارْ	يا لشاويا بِهمْ حلّتْ الْبشـــارا
يا لشاويا جرّ الذّيـل ليـل ونهـار	يا لشاويا ناسَكْ حازتْ التّمــارَا

اللازمة

يا هل الشاويا صولوا بعز وسرار	بالجهــد فلجحـود خنـازر النصـــارا

عروبي :

يا رب يا لرسول وايات القــرآنْ	والزهرا الطاهْـرَ ولحسن والحسين
انصر دين الإسلام عن ساير لاديان	وانصِر يا ذا الجلال جيش المسلمين
واهزم جند الجْحُودْ يا عظيم الشأن	نتسوسل بك لك يا نعم المعين

فرج هذا الهْموم واحمِنا فالحين

ودُومْ سلطاني سيف الحق نور لَلْحاظْ	روح ذاتي لْمجَد مولاي عبد الحفيظ
قام بالجهـاد المِلكْ طيب لغــراض	رايت ليسلام رفعها كاظْمْ الغِيظ
أهمام ولد همام يترك العْدا فْتَبْعاض	أشريف علوي بَحْرُ بالمواهب يفيض
به بفخر جيل وْرَا جيل زهر لحواض	قام بشرط الملك المِيرْ ناهْض نْهيض
سار سِيرا حسَنا يا لفاهم وناض	على شريعت جد وفتح كل تغميض
وَشْ رَا من لارَاهْ على الكْشُوط مْغتاضْ	والْبطالْ تْشَالِي فالحرب خفْ من فِيضْ
ايحرض المسلمين على الجهاد تَحْراض	لِهْ باع فساير لفْنون واضـح عريض
لِهْ لهمام عْهُودْ صْحاحْ ليسْ تْنْقاضْ	إذا يْقُولْ يْوَافِي فوْقْ الظّنُونْ ويْغيظْ
كلمت مسموعاً قوت القلوب لمراض	آهْ عني من وحْش بهاه ساقْم مريض
قام بالسّنا والكتاب زال لخواض	لِكْ فوض أمر يا ذا الجلال تفويض
خذ بِيدُ وانصر بَنْدُ المجد يُحفاظ	ادخلّيكْ بيْمام الأرسال يا لحَفيظ

هاكْ حُلّا فطْريزْ الفَـن يا لحُفّاظ   بنت لفْـكار أدريسيا تهْدُ لبْغِـيض
أكثيرت المعاني ومنقحا فللفــاظ   يا نديم تعنّي بها وصون لقريض
والسلام نْهيبُ ما فاح طيبْ لَزهار   على الاشراف أولاد الزهرا هل الْيغارا
قال عبد الهادي يرجى عفو الستار   الذكي لمشوّق للحجج والزيـــــارا

القصيدة منشورة . بالمطبعة الحجرية الفاسية .

ملاحق ختامية

ملحق 82

رسالة استدعاء قبيلة الرحامنة لحضور مجلس الأعيان : الحاقابص 199 .

الحمد لله ، وصلى الله على محمد وآله ، حدامنا الأرضين : قبيلة الرحامنة : أخص كبراءهم وأعيانهم وعلماءهم وشرفاءهم ومرابطهم ، وفقكم الله ورعاكم ؛ وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فقد علمتم أننا منذ أقامنا الله في منصة أسلافنا الكرام ، وحملنا أعباء التكاليف برعاية الإسلام ، وطوقنا أمر رعيتنا الشريفة : ونحن مجتهدون في كل ما يرضي الله من النصح وتطهير الصحيفة ، ونتحمل في إصلاحها كدّا ، ونكابد الحوادث فيما يكون لها رشداً ، ونتعب أنفسنا فيما فيه راحتها وأمانها ، ونسهر أجفانا لتنام أجفانها ، قياماً برعاية المسلمين وإرشادهم ، وحملا لهم على صلاح معاشهم ومعادهم ، وإمتثالاً لقوله ﷺ : « ما من عبد يسترعيه الله رعية لم يحفظهم بما يحفظ نفسه ، إلا لم يجد رائحة الجنة » .

وما زال اعتقادنا في سائر الرعية أن يتجلى الله بألطافه ، ويكشف عنها البلاء الذي ينشأ عن ارتكاب شقاقه وخلافه ، حتى يبقى حماها من صدمة الحوادث مصوناً ، وتحاط جوانبها من الخطوب التي مدت لها يداً وفتحت لها عيوناً ، بحيث لو تدبرت عامة المسلمين ما نقاسيه من المدافعة عنهم : آثروا خدمتنا على أنفسهم

وأرواحهم ، وتسارعوا للتحفظ على صدق طاعتنا بكبارهم وصغارهم .

ومما امتحن الله غوغاء الفساد بمحنة هذا الفتان ، المتصور لهم بصورة الشيطان ، ولج اغراؤه المخدوعة به ، وإضطراب حال الضالين منهم بسببه ، حتى آل الأمر إلى ما ترون من إفسادهم ، وطمس الله على قلوب كثير منهم بسبب طيشهم وعنادهم .

ومن ذلك تحركت الإيالة الجزائرية لإقتراح أمور تضر برعيتنا الشريفة ، واشتد طموحها للحادث المخوفة ، وتشوفت غاية التشوف إلى مديد الترامي على المسلمين ، وحدوث شوكتها للإستيلاء على قوة الدين .

وهذا الخطب هو الذي كنا نتوقاه وندافعه ، ونسالم فيه الوقت ونصانعه ، ونعامل إيالتنا الشريفة بالجميل لتبقى كلمتهم مؤلفة على التعاضد ومرتبطة بحبله ، وبسببه أفرغنا خزائن الأموال العديدة ، وجهزنا من المحال والعساكر والجنود ما رجوناه عدة واقية ونتيجة مفيدة ، وبالغنا في إرشاد الرعية بكل ما أمكن ، واجتهدنا في إصلاحهم عسى أن تستقر حالهم عليه وتتمكن .

ومع ذلك [1] كثير من الضالين جاهلين بعاقبة فسادهم ، عاملين عما يترتب على تفريق كلمتهم وعنادهم ، ولم ينظروا لما نسعى لهم فيه من الخير الذي ينقذهم من المهالك ، ويحمي أرضهم وأعراضهم من فجأة الخطوب الحوالك .

ولما سددنا في ممانعة المتشوفين ، وعدم مساعدتهم على فيه ضرر المسلمين ، ظهر منهم عليّ التضييق وزيادة إلحاح ، وإستحال ما كانوا يخفونه إلى التصريح والإفصاح ، وتحقق لنا أن الفتان إنما يروج بترويجهم وإغرائهم ، وأنهم هم الممهدون له ليحصلوا على قصدهم ورجائهم ، ويتوصلوا به لتفريق كلمة الرعية ، حتى يدركوا ما يريدونه من الأمنية ، وصارت الإيالة الجزائرية تمد الفتان بما تقويه به قولاً وفعلاً ، وتصدرت لإغراء القبائل على متابعته عمداً لا جهلاً ، وأخذت في تحريك الأسباب ، التي يترتب عليها ـ في الرعية ـ الإنحلال والإضطراب ،

---

1 ـ بياض بالأصل .

وأعلنت باذاية[2] محلتنا السعيدة التي بوجدة والتضييق بها ، وقطع مرور القوت من ترابهم إليها ، وتثقيف ما نوجهه إليها من المئونة والقرطاس والعدة . لينتهزوا فيها الفرصة في حال الضيق والشدة ، ويجعلوا ذلك وسيلة لتعميم الإذاية والإستيلاء على الرعية . ولا يجهل أحد من المؤمنين أن التعاضد على الإتفاق هو الكفيل بحفظ الأمة ، وأن الإنحلال متى وقع منهم أدى إلى انتهاك الحرمة ، وأوقعهم في محنة : « الذين إن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولاذمة » .

ولا زلنا نتحمل ما لا يظن من وجه المدافعة ، ونرتكب كل ما يرضي في المحاجة والمخالفة والممانعة ، ولو إطلع المسلمون على ما يلحق المخزن في ذلك لتسارعوا لإعانته برقابهم وأولادهم ، فضلاً عن إعانته بأموالهم وبلادهم ، ولخرجوا عما يملكونه رغبة في الإنقياد عن الخطب العظيم ، وحرصاً على بقاء قوة الإسلام مصونة التعظيم ، لأن حفظ الرعية لا يدوم إلا بالقوة الإسلامية ، وتلك القوة لا تنضبط للمخزَن إلا بالإستعداد التام ، الذي يصان به النظام ، وتنفذ به الأحكام ، ووسائل الإستعداد لاتتوفر إلا بالإعانة الجارية ، والحباية التي تطهرهم وتزكيهم من كل بلية .

ولذلك جعل الله إخراج الزكاة والأعشار من دعائم الدين ، لكون استيفائها من أعظم أسباب التقوية التي يعود نفعها بحياطة جانب المسلمين ، وكذلك ما اقتضته السياسة من عهد السلف الصالح : من استمداد الإعانة التي يتقوى بها المخزن على الدفاع ، حتى لا يقع ما يخشى بالرعية من الفشل والإنصداع ، بجميع[3] المؤمنين الذين يلهمهم الله للتمسك بالسنة والدين ، ويوفقهم للنظر في العواقب بعين اليقين .

يكون[4] أحرص الناس على التآليف والتعاضد على الصلاح ، والتسارع إلى الإنقياد والخدمة والإنتصاح ، والمبادرة إلى إيثار جانب المخزن بكل ما يرضي ،

---

2 ـ في الأصل بادليه .

3 ـ هكذا بالأصل .

4 ـ كذا بالأصل .

ويراعي في ذلك مدافعة الخطب العظيم الذي ترتب على بقاء الناس فوضى .

ولهذا شرحنا لكم بعض الحال الوقتي الذي أطلعنا منه على ما لم تطلعوا عليه ، ونظرنا في تخليصكم منه إلى ما تنظروا[5] إليه ، ورجونا أن يزيدكم الله إرشاداً ، ويفتح بصائركم لما نحبه بدءاً وختاماً . فتقوموا على ساق الجد في الإعتصام بصدق الخدمة والإمتثال ، والإمداد بما يقتضيه الحال ، ويحض بعضكم بعضاً على وسائل التقوية ، والقيام بحقوق التوفية : بالإهتمام منكم ورغبة نفوس طيبة ، ونهضة إسلامية ، فإن الخطب ضاقت به المسالك ، والأمر أشد من ذلك .

كما نأمركم أن تعجلوا بتوجيه من ترضونهم من أعيانكم وكبرائكم ، وتعتقدوا منهم خيرة وديانة وتقتدوا[6] بهم ، وتكتفون بنيابتهم ـ عنكم ـ في الورود لحضرتنا الشريفة في جملة من حضر بها من أعيان المدن والقبائل ، بقصد المفاوضة معهم في كشف هذا الخطب وعلاجه ،ومدافعة ضرره وتسكين هياجه ، ليكونوا على بصيرة من الحال ، وتعرفوا ما قاسيناه ونقاسيه من مطاردة الحوادث عنكم والأهوال .

وقد كتبنا لغيركم من القبائل بمثل هذا ، رغبة في توافق الجميع على توفر القوة الإسلامية وأسبابها ، وتخلصهم ـ لذلك ـ من مخالب الخطوب وأنيابها .

وإذا تماديتم على الركن إلى التهاون والإنحلال ، ولم تحرككم غيرة الدين إلى المبادرة والإمتثال : فلم تبق علينا ـ في حقكم ـ ملامة ، لأننا بالغنا في إرشادكم وإلهامكم لطريق السلامة ، وعرفنا بما لم تطلعوا عليه وبما يترتب على تخاذلكم من الضرر العام ، ووفينا بحقوقالنصيحة الدامية[7] والرعي التام ، ومن بصر فما قصر .

والمرجو من الله أن يلهمكم الصلاح وشد عضد بعضكم بعضاً ، ويوفقكم

---

5 ـ كذا بالأصل .

6 ـ كذا بالأصل .

7 ـ كذا بالأصل .

لوجوه الخير وتدارك الحال بما يرضي ، وأن يحوط رعيتنا الشريفة بألطافه الشاملة ، وعناية نبيه الكاملة .

والسلام ، في 18 جمادي الأولى ، عام 1323 .

من نسخة رسالة عزيزية ضمن مجموع : خ . م رقم 12693 ص 444-448 .

تنبيه :

لاحظ ناسخ المجموع المشار له أن بالأصل المنقول منه تصحيفاً وتحريفاً وحذفاً .

ملاحظة :

تاريخ هذه الوثيقة يتأخر عن توقيت الإستدعاء الأول لمجلس الأعيان ، غير أن أعضاء المجلس ـ في هذه الفترة ـ كانوا لا يزالون بفاس ، وقد انعكس هذا على صياغة الرسالة ، فجاءت تخالف شكل الإستدعاء الأول .

ملحق 83
عروض السفير الفرنسي في مجلس الأعيان
بالجلسات 2ـ 5 ، تبعاً لإشارة عند ص 187 :
تعليق 7 : على ضعف في صياغتها
(المجلس الثاني)

الحمد لله — المجلس الثاني مع باشدور الأفرانصيص

لما طولب الباشدور بتمام الكلام وتفصيل المجملات : أجاب بالإستفهام عن التفصيل المطلق : هل في جميع ما تحمله أو في التنظيم العسكري فقط ؟ فأجيب ببيان الجميع . فذكر أن التفصيل متعلق بالمباشرة ، وحين يتلاقى بسيدنا ـ أيده الله ـ يبين له ذلك ، فأجيب بأن سيدنا ـ أعزه الله ـ كلف أعيان الرعية بتلقي ذلك منه .

فذكر أنه حين تلاقي سيدنا ـ أيده الله ـ طلب منه أن يعرض كلامه عليهم ، ولا خلاف في الموضوع ، وإنما بقيت كيفية المباشرة يبديها لسيدنا أيده الله ، ثم قال : إن التقرير الإجمالي يقرره بمحضر الجمع ، لكن المباشرة خاصة بالملاقاة .

ثم شرع في تتميم الكلام فقال : إنه كان قرر لدولته في الخصوصيات ، وما يلزم عليها في الدولة الشريفة ، وبيان العلل المتعينة للصلاحات (كذا) ولا سيما الأمور العسكرية ، وإنه طلب الإنصات والإستيعاب .

ثم قال : نواحي هذا القطر المفتقرة للتنظيم هي النواحي التي فيها التجارة الأرباوية ، وحصل لأهلها التشويش ، وصارت تتشوف لحماية الأجانب ، وخصوصاً الكوشطات ، ثم نواحي الحدود من البحر الأوسط إلى الصحراء .

وإنه يقدم الكلام في الكوشطات ، وهو أنه لا يخفى أن المتعاطين للتجارات يطلبون الأمن على أموالهم وأنفسهم ، وفيهم منافع بالسلع ، ومنعة للوطن ، وأن هذا الموضوع كثير من الأجانب والأجناس عقدوا فيه عقوداً .

ولا يخفى أن الدول التي عندها التجارة في هذا المغرب تطلب التسهيل والأمن

على أنفسهم وأموالهم ، وأول ما يناسب الإصلاحات التجارية إصلاح المراسي وتحصينها ، لأنها اليوم ليست ضامنة لصيانة أموال التجار ، وأعظم الحصون هو الأمن الذي صار ينقص ، وتكررت الشكايات التي يجب الإعتراف بأنها على صواب .

وأما ما يرجع إلى الحوادث فكثيراً ما كانت تقع ، لكن هذا الحادث أدى إلى الإضرار بالحدود وزيادة تقاقمها ، حتى إن العمال لم يبق لهم نقود .

وأنه أراد أن يقدم الذكر على طنجة ، وإنها لها بال ، فيتعين صرف المخزن همته وباله لها ، وإن قبل هذا كانت مأمونة ، على أن نحو الثلثين منها خارج المدينة ، واليوم صارت كأنها في حالة الحصار من عدم الأمن ، وزاد ذلك بقوة بعض الفساد ، حتى صارت كلمتهم هناك أعظم من كلمة النائب ، وبعضهم يتعرض في نواحيها للناس ، ولا زال ذلك في زيادة ، ولا يخفى ما كان وقع على قبضهم في بعض الأرباويين ، وتكتيف البعض ، وتقدم استرعاء الأجانب في ذلك ، لأن ضمانة المخزن ينبغي أن تكون محفوظة .

وأن طنجة فيها نواب الدول ، وقد صارت مركزاً عظيماً ، وأنهم يطلبون الأمن على تجارهم ، ورعاياهم ، وعيونهم كلها مفتوحة لها ، ولا أمن فيها ؛ على أنه ينبغي للمدن الساحلية أن تكون فيها قوة النفوذ المخزني ، واستشهد بأن أصيلاً وقع فيها ما يصدق عدم النفوذ المخزني .

وكان وقع ما وقع بالعرائش ، حتى ظل البارود يخرج ، وصار الأرباويون الذين يطلبون الإستغاثة على الوجهة الحبية ، فحصلت بسبب المركب الذي نزل بمرساها على يد النواب .

وكذلك ما وقع بالدار البيضاء : بهجوم بعض الفساد عليها بعدم نفوذ العمال ، حتى صولحوا ورجعوا .

وأنه لم يقرر الوقائع ، بل نفص واختصر ، وعلى هذا تتعين القوة والنفوذ

في كلمة العمال ، وهذه القوة استدعاها الوقت ، ولو تكون قليلة لاكن تكون مضبوطة .

ولا يخفى ما وقع من حادث بردي كريس ، ولما توجهت المحلة لأجل ذلك أول ما شرعت فيه النهب ، فتعين الكون على بال من شكايات الدول بأن الضرر تزايد ، وأن القوة في نقصان ، ولم يبق على تجارتهم أمن ، والأجوبة التي صدرت لهم انتشرت في الجرائد .

ثم قرر الوقائع بنواحي الحدود المتعلقة بأفرانصا خاصة ، فقد حصل لها ضرر عام بعدم الأمن لرعيتهم ، وهي منقسمة بين تل وصحراء ، فالأول إلى نواحي سعيدة ، وكثيراً ما يقع فيها القتل والنهب ، ويفر الفعال إلى الإيالة المغربية ، وبلغ الترامي إلى قرب تلمسان ، وهذا نحو عام ونصف وقعت نهوب وهجومات فيما بين تراب رعيتهم إلى ناحية سعيدة ، ولزمتهم صوائر للمدافعة عن أنفسهم .

وأما نواحي الصحراء : فيقع كل يوم اكثر من ذلك ، ولزمتهم مشقة في كف رعيتهم عن المقابلة لأخذ الثأر .

وأما نواحي فجيج ففيها تجار فرنصا ، وكانت بها العسة الأرباوية ، وفي هذه الأيام قتل من أهل تلك العسات نحو سبعين أرباويين ليلاً ، وإنكم تعرفون الوقائع العظيمة التي صدرت في الحدود ، ولا يخفى ما يلزمهم من الصوائر ـ على حفظها ـ على نحو ثلاثين ألفاً من العسكر ، فيصير على ذلك كل سنة نحو الأربعين مليوناً من الأفرنك ، ولا يخفى أن لصبر دولتهم حد ونهاية ، وكثيراً ما يدافعون ، وربما أتى وقت لا يمكن الصبر عنه والمدافعة فيه .

وعلى كل حال فلولا أنه لم تتقدم وفاقات بين الجانبين على حفظ الحدود بإعانة منهما معاً : لوقع دخول الإيالة الجزائرية ، ولا يقدر على منعها ، وهذه الوفاقات هي ـ بنفسها ـ التي حفظت نواحي الحدادة المغربية ، ولولا وجود هذه الوفاقات والتشكي بكثرة صوائرهم وشيوع الضرر لم يستعجل المباشرة ، لأنهم طالما صبروا غيرهم ، ويواعدونهم بسبب تلك الأوفاق ، لكن حيث كثر وعدهم بالصبر

تعين تدارك المباشرة ، لأنه لم يبق وجه لتصبيرهم .

على كل حال إذا لم تكن قوة للمخزن فبأي شيء يرد السحاب العام ، وقد أبدى شاهداً : وهو أنه كانت حلت قوة من عسكرهم بنقطة من الإيالة المغربية بغير إذن من الدولة الجزائرية ، وكان حلولها على الوجهة الحبية ، حتى منعوا الفتان بنواحي عيون بني مطهر ، وما توقفوا على طلب ذلك من الدولة المغربية ، لكن اقتضاه الحال على الوجهة الحبية ، وحيث حلوا بتلك النقطة فلم يمكن لهم إنهاضها ، لأنهم إن أنهضوها يعمر الفتان ذلك المحل .

نعم إذا يعمرها المخزن بقوة تنهض محلتهم ـ حينئذ ـ التي بها ، وبوجود تلك الأوفاق أجازت دولتهم عسكر المخزن بترابها ، وما قدرت دولة ـ فيما تقدم ـ أن تجيز عسكراً أجنبياً ما عداها ، وذلك دليل المحبة ، فسامحوا وساعدوا عـــلى سبيل الإعانة . والعسكر المخزني لما أجازوه وسلك في ترابهم وبلغ الإيالة المغربية : صار يفر من عدم المونة ، ولما حل العسكر بفجيج صار يبيع العدة فيشتريها الفساد ، ويضربون بها الإيالة الجزائرية ، وذلك كله من عدم التنظيم .

وصارت الملامة ترجع عليه من رعيتهم : لكونه تسبب في إتيان العسكر الذي يبيع العدة لمن يؤذيهم بها ، ويجيبهم بأن لهم الحق ، لكن فجيج هو للمخزن ، فعليه أن يحفظه بعسكره .

وعلى كل حال تعين اليوم أن نواحي الحدود تضبط وتحفظ ، بحيث إذا قدرت الإيالة المغربية بذلك لم يبق يلحقهم ضرر الصوائر التي بلغت ما تقدم .

وهذه المقدمات يترتب عليها كيفية التنظيم التي تحمله .

ثم قال : فمن يرى العسكر الآن يراه صالحاً بطنبوره وكبرائه ، نعم إن وقع التنظيم تبقى كيفيته على حالها ، وإن القوة المطلوبة في التنظيم : هي أن تكون مونته يومية ، ويرتب مأكوله ، وتعين مساكنه ، ويكون تفاوت مراتبه بحسب المزايا ، ومن وقعت منه هفوة يعاقب .

ومن الأصول ـ على سبيل التقدير ـ أن يقدر طابور ـ مثلاً ـ إن كان يعد

بخمسمائة : فتكون تامة دائماً ، لا ينقص من عدد ، أبداً ، وعدم ضبط الأمور العسكرية فيه ضرر على الدّين والرعية ، فإذا كان طابور يعد بذلك العدد وتكون نسخ بذلك عند المكلفين : لا ينبغي أن يكون عدده يعرض له النقص أصلاً .

ومن مرض يعالج ويرد لمحله ، ومن فر يبحث عنه ويرد كذلك ، ويتعاهد الطابور بالتسراد في كل ثلاثة أشهر ، ولا ينقص من عدده .

على أن الذي يفر لا موجب لفراره إلا إهماله من المؤنة ، أو خصاصة من القوت ، وإن تعذر المؤنة هي التي أوقعت الأفات في العسكر ، فبسببها يفر أو يبيع العدة ، وإن المؤنة والطعام والتنظيم إن لم يكن في جميع العسكر دفعة ، فينبغي أن يجرب في طابور واحد ، حتى تعرف نتيجته .

ومن شرط التنظيم أن لا يكون العسكر متفرقاً ، بل تكون القشالي مجتمعة ، وتنظر له المحال المناسبة ، وهذا التنظيم لا بد له من الرجال الذين يقومون به ويحسنونه ، ويعرفون تحريبه ، وتعيينهم متوقف على أفراد ، وأولى العارفين بذلك دولة إفرنصا ، فعندها أفراد من رعيتها المسلمين يعرفون ذلك .

على أن العسكر الذي ينتظم ينبغي أن يكون مختاراً ، ولو لم تكن فيه كثرة الأعداد ، وعلى تقدير أن يكون طابور المشاة من خمسمائة صحيحة ، فكل مائة تنقسم على نصفين : يكون على كل نصف مكلف عسكري جزائري عارف بالتنظيم الداخلي ، ويكون على كل مائة مقدم جزائري ، سوى في عسكر الطبجية : فعلى كل مائة يكون مقدمان ، ويكون طابور الطبجية مؤلفاً من ثلاثمائة مقسومة كل مائة على نصفين ، وعلى كل نصف مكلف جزائري ، وظيفته تعريف الخمسين بصقل سلاحهم وملبوسهم ونحو ذلك من الضروريات ، ومن غاب منهم ينوب عنه في ذلك .

والمقدم الذي يكون على المائة يكون حراباً ، ويعان بسرجان وعسكري ، فيكون ـ حينئذ ـ على كل مائة ثلاثة ، باندراج الأخرين .

ويكون على كل مائة من الطبجية أربعة : إثنان نفر ، وإثنان مقدمان ، أما الإفرانصاويون : فيكون على كل طابور واحد .

والطوابر التي تنظم بطنجة أكثر ما يكون على العسكر الذي ينظم بها أربعة افرانصاويون : أحدهم كبير عليهم ، ويكون له كاتب وهو الخامس ، ويكون عدد العسكر بتقريب 1500 : خمس عشرة مائة ، ومقدمون مسلمون 15 ، ونفر جزائريون 27 .

وكما يعين التنظيم بطنجة : يكون ما يناسب في غيرها : كوجدة وفجيج وغيرهما . وإن الذي يظهر لا ضرر في هذه الكيفية لا على الدين ، ولا على الإعراف ، لكن ينبغي أن يكون للأفرانصاويين المكلفين النفوذ في عدم تعطيل المؤنة ، وفي طعام العسكر وملبوسه والمراقبة عليه .

والمقصود بالتنظيم حصول الأمن ، وطاعة الإيالة تقوية جانب المخزن .

والمقصود الثاني : أنهم اختاروا التحري بتعيين المسلمين الجزائرين ، حتى لا تتطرق الخيالات للناس .

وهؤلاء الأفرانصاويون يكونون عند نظر المخزن ونظر ولاته ، ويتحافظون على مقام المخزن ، وسائر ما يتوقف العسكر عليه يتمشون فيه على نظر المخزن .

وبيان المؤنة الطعامية : أن ينفذ ـ مثلاً ـ للعسكري قروش 6 ، وحيث يتيسر الطعام ينقص له منها بقدر ما أكل ، ويعطاه الباقي .

ويكون في المشاة مرتبتان : أعلاها قروش 7 ، وأدناها قروش 6 للواحد .

وفي المقدمين مرتبتان : أعلاها بسابط 2 وقرش ، وأدناها بسابط 2 فقط .

وفي قواد المئين مرتبة واحدة فيها ريال واحد لكل واحد .

وكل ينقص له بقدر ما أكل من مؤنة الطعام .

وقواد الأراحي يكونون على مراتب 3 ، أعلاها بريال 3 ، والدوبية بريال 2 ، والمونات يكون لها أمناء تحت المراقبة ، ويكون للأمناء مرتبتان : أعلاها بريال 3 للواحد ، وأدناها بريال 2 للواحد .

ولهم خلائف : فلكل أمين خليفة ، والخلائف على مرتبتين أيضاً أعلاها بريال ونصف ، وأدناها بريال .

والحرابة الإفرانصاويون يكون لهم كبير واحد على جميعهم يقبض في العام خمسة عشر ألفا إفرنك : 15000 .

وأما الفسيانات فبحسب مراتبهم وخططهم وحالهم : من ألوف ٧٠٠٠ فرنك بالعام ، إلى ألوف 8000 ، إلى ألوف 9000 .

وهنا انتهى كلام الباشدور بالمجلس الثاني .

الحمد لله ، يوم الثلاثاء 7 محرم فاتح عام 1323 ، ساعة $12\,^1/_2$.

(المجلس الثالث)

الحمد لله وحده في يوم الإثنين 29 حجة الساعة 2 وقسم ونصف المجلس الثالث .

افتتح المجلس فقال الباشدور أنه بعدما تم تقرير ما تقدم يشرع في تقرير الأمور الإقتصادية على مقتضى ما قرره لجانب مولانا في ملاقاة جلالته الشريفة أمس .

قال من جملة إشارات دولة افرانصا الخيرية أمور الإصلاحات ، والمقصود بها الأمن ، ولا يتركب عليها ضرر ، مع مطابقة الأحوال وحصول النجاح بها للدولة الشريفة ، وهذه الأمور التي يتيسر بها يريد أن تكون قريبة مناسبة ، ولكن يطلب أن تكون بالفعل ، والمقصود أن الإدارات الموجودة تبقى على حالها ، ولكن يقع فيها إصلاح ، بحيث يحصل من الإصلاحات الثروة والأمن في الوطن وإطمئنان التجار لأنهم في قلق ، وإن لم تقع المبادرة للإصلاحات ربما يحصل ضرر لأجلها .

وإذا وقع التأمل في مدخولات المخزن يظهر أنها قليلة ، ومعلوم أن المال الناضّ الموجود تحت يد المخزن هو بقية السلف ، ويناهز مليونين ونصفا من الفرنك ، وذلك قليل لا تقوم بأمور المخزن ، وكذلك بقية مدخولات المراسي والمستفادات ، ولا يخفى أن مال السلف لم يكن به إصلاحات ، ولم يبق إلا مدخولات المراسي والمستفادات وذلك قليل.

أجيب بأن الترتيب مهيئاً ، أجاب بأن الترتيب وإن كان على قواعده فهو مما لا يعول عليه ، إذ الحال لا يقتضي تيسيره ولا اعتداد به ، ولذلك ينبغي التأمل فيما تحسن به مدخولات المخزن.

وأهم مدخولات المخزن هي المراسي ، وينبغي النظر في أمرها ، وهل يمكن تحسينها ليكثر مدخولها أم تبقى على حالها ؟ ومعلوم عنده بلا شك أن مدخولات المراسي يقع فيها التدليس من المتعاطيين التجارة ، والتدليس المشار له يقع من تجار الأجانب ومن يشاركهم في ذلك ، لأنه لا يخلو : أما أن يكون دخول السلع بدون أعشار أو بشيء قليل ، قال إن جانب مولانا على بال من التدليس الذي يقع ؛ ولما انعقدت كنطردة السلف كلف المقابلين من قبلهم في المراسي بأن يردوا البال ويراقبوا ، إذ لهم بعض الدّخل في ذلك على كنطردة السلف ليست جارية على مقتضاها ، ومعلوم أن من لهم المراقبة لا بد أن يبحثوا ويسألوا ، وهؤلاء لا يجوزون إلا تقاييد من الأمناء من غير إطلاع ، قال : إنه على يقين من أن مولانا لا يرضى ذلك ، إذ لا يحب الضياع من مدخول بيت المال ، وفي هذه الأيام تشكى نائب الاستلزامات بكون نوابه بالمراسي لا يساعدون على الإطلاع وإنما هم صورة . وكان المخزن وجه الأمين المقري لاختبار المراسي ، وفي ذلك الوقت بين الباشدور للمقري تلك الشكاية كما قرره له نائب الاستلزامات ، وبين له الضرر الواقع في المراسي ، ولا شك أن ذلك رفع للمخزن ، ولأجل البحث المقرر في كنطردة السلف من قبل نائب جملة الإستلزامات ينبغي الإذن له في إجراء العمل به ، لأنه ممنوع من ذلك ، وهو على يقين بأنه حيث يقع ضبط المراسي وينقطع التدليس الواقع بها ، يتضاعف مدخولها حسبما يعلمه كل أحد ، ولا ينبغي إهمال ضبط

المراسي والسكوت ، بل الواجب زجر المتعاطين لينزجر التجار المتعاطون لذلك ، لأنه إن لم يقع زجر لا بد أن يبقى المتعاطون لذلك ينتهزون الفرصة ما أمكنهم وزجرهم منوط بالمخزن ، فإن لكل دولة وضع قوانين في زجر أولئك وكفهم عن تدليسهم ، وقوانين منع التدليس مقررة معلومة ، ومن جملتها طلب خطر يد كل تاجر بما يضع أو يسق ، وهو الشاهد عليه ، وإن وجد موضوعه أو موسوقه مخالفاً لما أعطى به خط يده يحاز ذلك للمخزن ، ويزجر على مقتضى القوانين الموضوعة في ذلك ، ويصدر ظهير شريف بما ذكر ، ويكون من ظهرت عليه التداليسات يعاقب على حسب جريمته ، ويكون ذلك جارياً على رعية المخزن وغيرهم من الأجانب ، ولما يصدر الأمر الشريف بذلك يكتب للنواب بالحكم الذي اقتضاه النظر الشريف ، بحيث من صدر منه تدليس يجري عليه الحكم المشار إليه .

قال : إنه يقرر ما يتشكى منه التجار وما يتضررون به في أمور المراسي ، وذلك من الإدارات بالمراسي ، لأنهم لا يسلكون ما يحصل به التسهيل في التجارة ، فأولاً : يشتكون من أجل قوارب الوضع والوسق بالمراسي ، لأنها اليوم غير قائمة بحقوق التجارة ، فإن في بعض المراسي فلا يك وليست بها بابور الجر ، وبعضها موجود به ذلك ولكن ليست بها رئيس يقوم بالوظيف ، وشكاية التجار بذلك من الأمر الحق ، وينبغي لجانب المخزن أن يهتم لهذا الأمر ، إذ معلوم أن البابور حيث يرد للمراسي يأتي بأمور عظيمة ، وإن بقي الحال على حاله يحصل ضرر عظيم ، وقد ظهر توقع الضرر ، وهو أن بعض كبانيات عزمت على إتيان فلائكها ؛ لتتولى وضع سلعها ووسقها على يدها ، وإن بقي الحال على حاله تسمح لهم الشروط بذلك ، فلأجله ينبغي الإهتمام بهذا الموضوع ، وإن صدر ذلك يكون فيه هضم لجانب المخزن ، ولا بد للدول من ذلك ، وإن وقع ـ لا قدرة ـ ففيه الهضم ، ولا بد أن يكون للمذكورين تجربتهم ، وربما يقع آفات بينهم وبين تجربة المخزن ، ودواء الأمر قريب ، وهو أن ما احتاجت إليه كل مرسي يشتري لها ويرتفع ما ذكر ، ولا بد لذلك من ضابط تنحسم به مادة الضرر ، وتتأكّد المبادرة للدواء عاجلاً .

ومن الأمور المنوطة بتحسين المراسي أمر المون بها ، لأن المراسي مفتقرة

لضبطه ، والجاري اليوم بطنجة ـ التي هي أعظم المراسي ـ هو أن الفلوكة ترسي في الماء ويحمل البحرية السلع على ظهورهم ، فيتعطل الأمر ، ويقع الأفات في السلع ، والذي ينبغي هو إصلاح ذلك ببناء مون صغير في المراسي تصل الفلائك إليه ، وجعل بوجي ينزل السلع من الفلائك في المون ، وذاك أمر قريب يحتاج لصائر قريب ، وليس من شأن دولة فرانسا أن تشير على الدولة الشريفة بأمور صعبة ، بل تشير بأمور تناسب الوقت ، ومعلوم أن واجب المون الذي يقبضه المخزن يفي بصائره مع الربع ، ويكون للمخزن نفع فيه ، وما دامت التجارة تقوي والمدخول يكثر ، والزيادة تقع في الإصلاحات .

ومقصود دولة فرانسا أن الإدارة التي تكون بالمراسي تكون مغربية لا أجنبية ، ويكون ما ذكر بيد المخزن لا بيد الأجانب الذين يوذن لهم المخزن في ذلك ، وبناء هذا يحتاج إلى صائر يكون موضوعاً على حدة ميسراً ، ومعلوم أن التجار يؤدون على سلعهم لأجل ذلك ، ومن المدخول يخرج الصائر ويبقى الربح للمخزن ، ولا يربح ذلك من يعيّن له من الأجانب ، إذ المقصود أن يبقى الربح الذي يربحه الغير للمخزن ، والمقصود : أن يتولى المخزن ذلك ، وعند الشروع فيه يشرع في قبض واجبه ، فيربح المخزن فيه ويبقى له دائماً ، إذ الصائر يخرج من مدخول ذلك ، ويكون المخزن لم يسمح للأجانب بربح ذلك .

وأيضاً من جملة أمور المراسي بناء الخزائن بها ، لأن الموجودة متراكمة فيها السلع ، وتختلط لصغرها وعدم كفايتها وعدم ضبطها ، ودواء ذلك قريب ، بحيث يزيد المخزن ما يكفي من الخزائن ، ويضرب للتجار أجلاً في مدة وضع سلعهم ، ويؤدون الواجب على وضعها ، ويكون لها ضابط يقرب على التجار في حيازة سلعهم ، لأنها بتراكمها اليوم لا يعرف أحد سلعة من سلع غيره مما بالخزائن .

ومن جملة التسهيلات للتجار ـ وفيها النفع للمخزن ـ أن تجعل خزائن تسمى خزائن عمومية ، وفي ضابطها أن يحوز التاجر الذي ينزل بهذه العمومية خط يد لأمناء بما أنزله ، فيكون للتاجر نفع بخط السيد المذكور ، لأنه يصير إشهاد بسلعته

التي له إن أراد أن يعترض ، ويكون ـ أيضاً ـ نفع للمخزن بما يقبضه على ذلك .

وأيضا : مما يطلبه الحال جعل تلغراف بحري في الكوشطة على جميع المراسي داخل البحر ، إذ من شروط التجارة ذلك ، ومعلوم أن التجار يحبون الخبر بأسعار السلع ويتشوفون له ، ومن جملة صلاحه وصول الخبر حيناً بما عسى أن يجده بناحية من نواحي المراسي ، ومصلحته عائدة على المخزن بالإطلاع على أحوال نواحي المراسي على حقيقتها ، وفيه إصلاحات كثيرة أيضاً : منها أن الخبر يصل قريباً به . بحيث إن حدث أمر في مرسي ربما يبلغ على غير وجهه لمرسي أخرى ، ويترتب عليه تشويش ، أو يكون وقع صباحاً ثم زال عشية ، فبالتلغراف يزول الإشكال ، سيما وهو بحري داخل البحر ، وإنما حيث يصل مدينة يخرج فيها ؛ وكذا بسائر المراسي ، وهو بخلاف التلغراف البري لما يحتاجه البر من الأمور ، وإقامة هذا التلغراف البحري دعت الضرورة إليه ، ودولته موجودة لجعله ـ كما هو عندها ـ بطنجة ، ولكن غرضها أن يجعله المخزن على يده ، والدولة الفرنسوية تعين بما يحتاج إليه .

ثم خرج للكلام في الإدارة وهي أمر العمال ، قال ينبغي للمخزن أن يصرف الوجهة لأمر المراسي ، وينبغي أن لا يولى بها إلا العمال العقلاء الذين لا يطمعون حيث أن المراسي هم أهم المهمات ، وأمر صلاح ذاك قريب ، وللدولة الشريفة الحرية التامة في رعيتها ، تولي من أحبت وتعزل من أحبت ، لكن الدولة الفرنسوية تطلب من الدولة الشريفة أن تلاحظ ما ذكر ، وتولي من فيهم أهلية مختارون منتخبون ، يقومون بالوظائف ، ويكون لهم راتب من عند المخزن ، فمعلوم أن بذلك تكون قوة ونفوذ لجانب المخزن ، وفي هذه السنة وقعت تبديلات بالدار البيضاء : عزل عمال وولي آخرون .

أجيب بأن أولئك ظهرت عليهم جرائم ، أجاب بأنه لأجل ذلك ينبغي أن يختارهم المخزن فلا تظهر عليهم جرائم .

ويؤكد في أنه ينبغي للمخزن أن يختار عمال المراسي من الأناس الخيرين ، وكثرة عزلهم تنقصهم في أعين الرعية وينقص نفوذهم ، وبنقص نفوذهم ينقص

نفوذ المخزن ، وغير خاف ما وقع بالدار البيضاء ، وبسبب ذلك لم تبق لهم قوة ، وإن وقع هناك حادث تكون المسئولية فيه على جانب المخزن .

ومن الأمور الحبية التي هو على يقين منها أن المخزن يختارها : أن يكون بكل مدينة طائفة من البُلِيس في صفة العسكر الذي ينظم هناك غير متميزة ، وتكون قريبة يطلع بها العامل على الأمور ، ولا يبقى عليه شيء بسببهم .

بحث هل يكونون أجانب أو غيرهم ؟ أجاب بأنه يقرر أمرهم : قال طائفة البليس المشار لها تكون بحسب احتياج كل بلد : كثيرة أو قليلة ، وفيهم نفع كثير ، وإطلاع على الكنطربنض ، فإن بسببهم يقع العثور عليه ، لأنهم يتشكلون في صورات يطلعون بها على الأمور ، وينبغي أن يكونوا مغاربة ، نعم يكون لهم معلمان فرنصوي ومسلم يعلمانهم حتى يتعلموا ، ويذهبان لحالهم .

قال الباشدور : إنه اليوم اقتصر في الكلام على المراسي ، وإن كانت الرعية لا زالت فيها الطيش ، ولكن دعت الضرورة اليوم على إجراء الإصلاحات بالمراسي لما فيها من الأجانب ، ولا ينبغي غض الطرف عن الرعية ، ولكن يؤمل أن يرد المخزن البال لذلك ، وبإجراء الإصلاحات في المراسي لا شك أن يجري الإصلاح في حال الرعية ، ولا يتوقف المخزن بعد على إشارة الدولة الفرنسوية .

وقد تمم الكلام في هذا وبقي له أمر آخر مقصور على المالية في كيفية استخراج المال لتنظيم العسر ، ومعلوم أن تنظيم العسر فيسهل قبض الترتيب ، ولكن سيقرره بعدما ينهيه لعلم مولانا الشريف .

وبعد ذلك لا يبقى إلا أمر واحد وهو الأهم : وهو أمر الحدود المنوطة بأمن الإيالة الجزائرية ، والأمور التي قرر هي لعموم الأجانب ، وأمور الحدود خاصة بالدولة الفرنصوية ، وأصول الحدود مبنية على أوفاق بيت الدولة الشريفة وبيت الدولة الفرنصوية ، وتلك الأوفاق هي أساس الحقوق بين الدولتين ، وتلك الأوفاق فيها شروط على الجانبين وهم قائمون بما عليهم ، والتي على الدولة المغربية لم يجر بها عمل ، واليوم دعت الضرورة إلى العمل بمقتضى الأوفاق ، وأخر الكلام فيها ــ الأن ــ إلى إبانه وتقع المذاكرة فيه .

ثم قال : إنه يريد تقرير كلام قريب من تتمة كلام المراسي ، وهو أنه لا يقصد بما قرره أحداً ، وإنما المقصود الإصلاحات فقط ، وهذه الأمور الجارية هي قديمة ، وهذه الإشارات هي جديدة .

ختم المجلس في ساعة 4 وقسم 1 . وهنا انتهى كلام الباشدور في المجلس الثالث.

(المجلس الرابع)

الحمد لله . نعم يليه المجلس الرابع في يوم الخميس 2 محرم ، ساعة 201/2 .

أفتتح المجلس فقال الباشدور : إنه يقرر ـ الأن ـ ما قرره لحضرة مولانا الشريفة فقال : إنه يشرع في تقرير أمر السكة وما يلحقها من الآفات ، إذ تارة تكون في صعود ، وتارة في انحطاط ، ثم قال : معلوم أن أسباب آفات السكة ظاهرة ، فتارة تكون السكة عزيزة ، وهو إبان الموسوقات ، ولما يفوت الإبان المذكور ينقص صرفها ، وذلك في الشتاء والصيف ، ومعلوم أن التجار الذين يشترونها إنما يحتاجونها في زمان الموسوقات ، ولما يفوت الإبان لم يبق لهم طلب فتنقص ، وذلك من أسباب آفات نقصها .

ولها سبب آخر ، وهو أن المخزن ـ في هذه الأيام القريبة ـ أكثر من ضرب السكة على غير المعتاد ، وبكثرتها تنقص ، وقد بلغت كذا في هذه الأيام فرقاً ـ بين السكة المغربية وبين السكة الرومية ـ قدره سبعون في المائة ، ولما جدد المخزن الضرب ـ بكثرة ـ كان قصده خيرياً ، ولم ينظر عاقبة ، فما ربحه المخزن في الضرب خسره في الصرف بسبب الكثرة ، ومعلوم أن حال السكة ـ اليوم ـ على ما هو ظاهر ، ولا يخفى ما يلزم المخزن في ذلك ، فهذا سبب داء السكة بسبب الصرف الذي هو عال ، وغير خفي ما يلزم المخزن والتجار في ذلك .

وحيث هذا الضرر معلوم : فقد كان كتب نائب الاستلزامات بما ذكر لجانب المخزن ، ووقف الأمر ، وجعل فيه تأويل بدفع بعض التاكات في ذلك ، فخف به بخس السكة المخزنية ، وحصل لها عز في الجملة ، وذلك وقع اختباراً ، لأنه

لما توقف البيع في السكة المخزنية ، وصارت الأبناك يتخلصون بالتاكات نقص الصرف ، ثم لما غير ذلك زاد الصرف ، وذلك دليل على أن السكة مهما عز دفعها ينقص الصرف والعكس بالعكس .

ويوجد دواء للسكة المخزنية يبقى به أمرها مضبوطاً معتدلاً ؛ وهو ـ أولاً ـ يوقف المخزن ضرب السكة ، لأن ما ضرب منها كثير ، وأيضاً يفسخ المخزن كنطردة السكة ، وحتى إن طلب أرباب الكنطردات معاوضة في ذلك يكون فيها التأويل وهو أولى من بقاء ضرب السكة ، ويكون ذالك سبباً في عدم نقص سكة المخزن في الجملة ، وقد كانت قديماً تتبع الفرنك الصنبولي ؛ واليوم صار الفرق بينها وبينه ، وذالك لسبب الإحتياج إليها ، وهو إبان الوسق ، وبذلك يستقيم أمر السكة ، وحتى إن لم يبلغ الغاية فيقاربها ، ويرتفع الضرر على كل حال .

وهذا الأمر لا بد له من مال يمكن به معادة ذالك ، ويكون على يد أناس لهم معرفة بالتصرف فيه ومعلوم أن ذلك لا يقوم به إلا جعل لبنك كما هو عند الدول ، وليس المقصود إحداث المخزن للبنك ، وإنما القصد أن يكون بنكاً لنفسه ، لأنه معلوم أن بعض الأمور ـ من جعلتها البنك ـ لا تكون مطابقة للديانة ، ومثل هذا موجود عند المسلمين والقصد به أن يجتمع أناس يجعلون ذلك ، ويسمى بنك دولي أو مخزني ، ويكون الناس أرباب ذلك على ما يقتضيه نظراً لمخزن ، فهم ينتفعون وينتفع المخزن بذلك ، وكيفية منفعة هذا البنك للمخزن أن تضبط الصرف في السكة المخزنية ، ويُشْترط عليها أن السكة المخزنية ترجع في الصرف لمقاربة السكة الفرنصوية والسكة النجليزية الذين هما الأصل ، لا للسكة الصبنيولية ، ومعلوم ما في ذلك من النفع للمخزن ، وللبنكة أن تطلب معارضة على قيامها ذكر مكافأة لها .

ومن الأمور التي تطلبها هـذه البنكة أن الأمور التي يصرفها المخزن تكون مباشرتها على يدها نيابة عن المخزن ، وكذلك تحدث أوراقاً للبنك لها ثمن في إسم المخزن ، كما ذلك جار عند الدول ، ومن جملة مصالح البنكة للمخزن أنها تقدر أن تسلف للمخزن ما لا بقصد الإصلاحات المتكلم عليها في العسكرية والمراسي ، إذ معلوم

أن المخزن لا بد له من مال للإصلاحات التي تقدم الكلام عليها ، وكل ما توقف عليه المخزن يستلفه من البنكة المذكورة ، ولا يخفى أن الناس لا يقرضون مالهم بدون توثيق ، وهذه الستون في العائد التي تؤدي في المراسي يمكن أن يؤدي منها الربح ، ويصير منها في الإصلاحات والتحسنات ، وقد قدم أن المخزن يجري الإصلاحات على كيفية مخفية مدروجة في الستين في المائة ، ويبقى للمخزن الأربعون في المائة مع المستفادات ، ويعين المخزن عضواً لاختبار إجراء الأمر فيما ذكر على مقتضى ما يقع عليه الشرط في ذلك .

وقد تقدم السلف من بنكة باريزوبيبة ، وهي من جعلته من يعرض ضابطاً في هذا الموضوع ليقع التأمل فيه ، وغير خافي أنه لما كانت وقعت المذاكرة في أمر السلف أخيراً أشير لكون الدولة الفرنصوية تعين فيما يحتاج المخزن له ، إذ مقصودها ثروة الإيالة الشريفة ، وعند عقد السلف المشار له أرادت الأبناك أن تعين من قبلها من ينوب عنهم في المراسي ، ولم تساعدهم الدولة الفرنصوية ، وعينت رجلاً عاقلاً من قبل المخزن عندهم لذلك ، ويظهر أنه بالتأمل والنظر في كيفية كنطردة هذا البنك مع القوة العسكرية يحصل المخزن على مدخول كثير في الترتيب وغيره .

ومعلوم أنه إن توقف المخزن على سلف آخر في وقت آخر ـ لا قدره الله ـ يصعب ذلك ، فينبغي أن ينظر في أمور أخرى يحصل بها نمو مدخولات المخزن ، ومن جملة الأمور التي يحصل بها نمو المال استقبالاً لأمور وإن كانت صعبة ، فينظر في وجه جعلها ، وهي أنه ينظر المخزن بعد في وجه لجعل الضرائب على البناءات وتكون على كيفيته ، لأنها تؤدي في جميع دول الإسلام وغيرهم ، وحيث إن بلادات الحرث يؤدي عشر عنها فكذلك دور السكني ، ومعلوم أن المخزن روج الكلام فيها قبل ، ويظهر أنها موافقة للشرع ، وقد نبه على ما ذكر من باب الإشارات الخيرية ، وللمخزن أن يتأمل في ذلك .

وأيضاً من الأمور التي فيها نفع للمخزن ضبط أملاك المخزن ، فمعلوم أنها كثيرة بالمدن وغَيْرها ، وإنما يستغلها الناس : أجانب وغيرهم ، على أن ضبطها قريب ، فإن ضبطت وعين من يقابلها على المقتضي : يحصل منها نفع كبير لبيت المال .

وأيضاً من جعلة الأمور الواقع فيها الضياع وإن كانت من الأمور الداخلية ولاكن نبه عليها ، وهي أملاك الأحباس ، فجلها يستغلها الناس جلهم أجانب بكراء قريب ، مع أن ضبطها ممكن ، ويدخل مستفادها على المقتضى لمحله ، وجعل التأويل في ذلك وضبطه يتيسر ، ويدخل مستفادها لمحله ولا يبقى هذا الإهمال الذي هي عليه .

ومن جعلة المنافع التي تحصل من ذلك نظافة المدن إن كان الحبس يسمح بها .

ومعلوم أن الناس هاملون قراءة العلوم بالمدن ، وإن كثر مدخول الأحباس فيه ظهر أن تعاطي العلوم يكثر .

ومن جعلة الأمور العائدة بالنفع على المخزن إحداث مدرسة بطنجة يتعلم بها أناس العلوم الرياضية واللغة الفرنصوية للمعارفة بها مع الأجانب .

ومن جعلة التحسينات في نمو المال إحداث ورقة التسريحات المعروفة بالبسبورط ، وفيها نفع للمخزن بالأداء عنها ، وضبط من يدخل ويخرج للأيالة كما ذلك في جميع الدول .

وكذلك يمكن للمخزن إحداث الطنبري يحصل منه مدخول للمخزن .

وكذلك أمر آخر سهل المعادلات ، وهو الإذن بوسق السلعة من مرسي إلى أخرى ، إذ فيه نفعَ للمخزن ، لأن السلعة التي توسق من مرسي إلى أخرى يؤدي الواجب عنها . وفيه نفع لجانب المخزن ، فكل سلعة خرجت من مرسي إلى أخرى يؤدي عنها ، ويظهر أنها اليوم لا يؤدي عنها ، ومعلوم أن نقل السلع من مرسي إلى أخرى يقع فيه التدليس ، كأن يظهر رب السلعة أنها للدار البيضاء مثلاً وهو قد وجهها للصويرة ، ولكن لذلك ضابطاً ، ويزجر مرتكب ما ذكر ، ومن جملة ضابطاً أن صاحب السلعة يدفع وثيقة على ما وسق ، بحيث إن لم يصل للمحل الذي ذكر يقع الكلام معه فيه .

قال : إنه أكمل ما قرره بحضرة مولانا ، ويقع التأمل فيما ذكر بحيث يكون ما لا ضرر فيه .

ختم المجلس في ساعة 3. 1/2 .

(المجلس الخامس)

إفتتح المجلس فقال الباشدور : إنه قدم الكلام في الحدود على سبيل الإستطراد ، واليوم يتكلم عليها تفصيلاً ، لأنها مشتركة بين الجانبين ، ويقرر ـ الآن ـ الكلام في كيفية الحل فيها .

قال : إنه غير خاف أن هذا الموضوع أمره عظيم ، ومعلوم ما بين الدولتين من الإتصال بناحية الحدود ، ولا يخفى أن أحوال فرانصا بالمغرب هي أحوال خصوصية منذ حلت بناحية الجزائر ، فصارت لها بذلك علاقة مخصوصة ، وينبغي النظر في الخريطة ليظهر أن المغرب محوط بالبحر وبالإيالة الجزائرية ، عدا بعض نقط صبليونية ، وبسبب هذا الموقع الجغرافي تعلقت بالمغرب أحوال ، وكذلك بسبب الحالة الخصوصية للدولة الفرنصاوية مع المغرب .

وحيث تفاقمت الأمور وقل الأمن تذاكرت بعض الدول الذين لهم الحقوق بالمغرب مع دولة فرانصا في أمور المغرب ، وعلى مقتضى ذلك وقعت مذاكرة من الدول مع فرانصا ، ووقع الوفق على إقامة الأمن بالمغرب ، وإعانه فرانصا للدولة المغربية فيما تتوقف عليه من الأمور ، ولا يحتاج لشرح ذلك ، لأن الدول العظام لا تضع خطوطها على أمر حتى تعلم المتعلق به ، وذلك أمر عام ظاهر لا ينكره أحد .

بُحث عن حقيقة ما ذكر ، فقال : إن الأوفاق ما أمضت حتى كانت الدول عارفة بمعناها ، ولا يمكن أن ينكر وجودها .

ثم لما بحث عن بيان ما قاله من إن الأوفاق معلومة ، فقال : إن الأوفاق عقدت بين دول ألزمت دولة فرانصا بأمور تقوم بها هي بنفسها ، ثم قال : إن الأوفاق عقدت من الدول ، وإن قال قائل : إننا لا نعرفها فهي موجودة .

ثم طلب منه بيان الدول المشار لها ، فقال : أولاً عقدت الأوفاق بين فرانصا

والنجليز ، وقبلتها دولة صبانيا ، وحيث إنها منوطة بالمغرب قدم الإعلام بذلك لجانب المخزن بعد عقدها ، وبإختصار : عقدت الأوفاق بين دول أجنبية ، وتقدم الإعلام بها ، ولا ينكرها أحد ، ولما أمضت دولة فرانصا تلك الأوفاق تحملت بلوازم من قبل الدولة المغربية تقوم بها . وفي ذلك أغراض للدولة المغربية لا ينبغي غض الطرف عنها ، وجانب الدولة المغربية تعلم أن الأوفاق عقدت في مقصد حبي للدولة ، المغربية .

ولا يخفى أن المصارفة بين الدولة الفرنصاوية وبين الدولة المغربية هي مصارفة لها بال ، وهو بصدد تفصيلها ، قال : أول شرط وقع بين الدولة المغربية وبين دولـــة فرانصا هو الواقع عام 61 ، وفي شرط عام 45 : أن الحدود ما بين عجرود وتنية ساسي : على مسافة ، وكان المكلفون بالحدود المذكورة ، أوقفوها في ثنية ساسي ، بحيث من ثنية ساسي للأعلا لا حدود فيها ، وإنما بينوا قصوراً هناك للجانبين ، ومن قصور الإيالة المغربية ثمة : فجيج وايش ، ونصوا على أنه من هناك للأعلا إنما هي أرض صحراء ، وغضوا الطرف عنها ، ولم تتمحض لأحد الجانبين .

أجيب بأن ذلك لم يقع غض عنه ، فقد نصوا على أنها للجانبين بقصد المرعى والإنتفاع .

قال : ولا يخفى أن الإيالة الجزائرية مدت العمران بتلك الناحية ، ومعلوم أن قصدها أن تجعل الإتصال بين إيالتها لناحية سنكان ، وبقي الحال على ما كان عليه ، إلى أن توجهت سفارة من جانب المخزن الشريف قبل بنحو عام لأفرانصا بطلب جعل الحدود في تلك الناحية : من ثنية ساسي إلى فوق ، وأنتجت السفارة المذكورة الحصول على عقد وفق متمم لوفق عام 45 ، وحصلت نتيجة أخرى بعقد الوفق السياسي والتجاري بعد ذلك ، وبعده وقع وفق آخر مع جانب المخزن فيما يرجع لترتيب العسكر بنواحي الحدود . ولا يحتاج إلى بيان هذه الأوفاق لأنها معلومة .

والمقصود الأهم من الوفق البارزي أن دولة فرانصا ساعدت على جعل الحدود ما بين الصحراء وثنية ساسي ، وليست تلك كمثل الحدود بين الثنية وعجرود ، وفي بيان النقط التي بها كفاية ؛

ولا يخفى أن مطالب الإيالة الجزائرية في شأن ما يصدر لهم من الجوار :

كان الباشدور يرفعها للمخزن قديماً ، ويكون التأويل معه فيها ، ثم أسقط ذلك ، وجعل بالوفق أن الدعاوي المشار لها يكون فصالها بناحية الحدود على مقتضى ما بالوفق في فصله ، ولذلك نتيجة عظيمة .

وأيضاً : ألزمت الدولة المغربية ـ في الوفق الجزائري ـ بجعل القوة في نقط الحدود ، كما ألتزمت دولة فرانصا بالإعانة فيما يقوي نفوذ الدولة الشريفة بتلك الناحية بما أمكن ، وقد بينت في الوفق التجاري كيفية المصارفة في ذلك بقواعدها ، وهذه الأوفاق معضدة للشروط القديمة ، وفيها الموافقة على أن لا تجاوز قوة المخزن هنالك ألفين إلا بموافقة دولة فرانصا .

وإذا كانت الشروط القديمة أهملت الصحراء ، فقد وقع الوفق عليها بالوفق البارزي ، وهنالك اعترفت دولة فرانصا بنفوذ الدولة المغربية ثمة ، مع أنه لم يتقدم لها هناك .

وزيادة على اعترافها بنفوذ كلمة المخزن بتلك الناحية : أن أعترفت باستقلالها في الأرض أيضاً ، وقد اعترفت دولة فرانصا باستقلال الدولة الشريفة في الأوفاق المذكورة ، وفي الأوفاق المعقودة مع الأجانب ، وهذا الأمر من أهم المهمات عند دولة فرانصا ، لأنها تحملت أموراً عظيمة للحصول على هذه النتيجة .

وبقبول دولة فرانصا فصال الدعاوي بناحية الحدود كما بالوفق البارزي ، ورفضها ما كان عليه العمل قديماً : يظهر مصداق أهميتها ، وفي ذلك اعتراف بنفوذ الكلمة السلطانية ، وقد اجتهدت دولة فرانصا في أن لا يكون ذلك بمجرد الخطاب القولي ، وبلغ اجتهادها في أن تبرهن عليه بالفعل .

وقد كان إهتمام رئيس (كذا) الوفدين هنالك بحصول الأمن بتلك الناحية ، ولأجله وقع تأسيس أسواق ثمة بين الإيالتين .

وهذه الشروط الملازمة للجانبين قد قامت دولة فرانصا فيها بما عليها ، ولم يظهر أثر من الدولة المغربية في القيام بما عليها ، ومنذ عقدت الأوفاق ودولة فرانصا مجتهدة في إجراء ذلك على مقتضاه ، وفيه نفع لجانب المخزن ، ويبرهن على ذلك جواز عساكر الدولة المغربية في الإيالة الشرقية ، مع أن ذلك لم يكن بين الدول ، ولاكن لأجل الإعانة ـ كما بالشروط ـ ارتكبت ذلك ، ومن جملة التسهيلات مساعدتها في جواز متعلقات القوة المخزنية في إيالتها أيضاً ، ومن جملة الإعانة إعطاء الدولة الفرنصاوية بعض الحرابة ، قاصده بهم تقوية نفوذ كلمة المخزن بتلك الناحية ، وهذه الإعانة من دولة فرانصا هي لتقوية الدولة الشريفة ، وليحصل بها الأمن في رعيتها هنالك ، وقد فعلت دولة فرانصا جميع ما يفهم من الأوفاق ، قاصدة حصول الأمن والإطمئنان بناحية الحدود ، ولاكن له (كذا) الأسف على عدم حصول نتيجة من ذلك .

وقد بعد ضرر الثائر عن ناحية فاس ، وحصلت أضراره للإيالة الجزائرية بقربه منها ، وكثيراً ما يحصل للإيالة الجزائرية من قوة المخزن التي تمر بها طيش وضرر في مرورها ، ومع ذلك تحملت به الدولة الدولة الفرانصاوية ، وقد صارت الإيالة الجزائرية يصعب عليها ـ اليوم ـ إرتكاب تلك التسهيلات ، وهذا العسكر الذي يتوجه لهناك يصدر لهم منه ضرر أعظم مما يصدر منه هنا ، ومن جملة ضرره أنه لما يتوجه لهناك لا يقبض مؤنة ، فيحصل ضرر الإيالة الجزائرية بالسلاح الذي يتوجه به ، وقد قدم الكلام في ذلك عند الكلام على عسكر فجيج قبل ، ومعلوم أن الطائفة الموجهة ـ أولاً ـ لفجيج تشتت ، ثم اقتضى أثرها الطائفة الموجهة ـ ثانياً ـ من عسكر طنجة ، وأسباب ذلك هو عدم الضبط ، وعدم المؤنة ، وجل العسكر يفرون لبني ونيف ، فيردهم ضباط عسكر الإيالة الجزائرية ، ولأجل ذلك لم يبق أمن لوالي الجزائر في تأسيس أمن تلك الناحية ، وربما يصعب عليهم الأمر هنالك .

وليس يخاف ـ مع هذه الحالة ـ أن المخزن اليوم لا يمكنه إجراء الأمن بناحية الحدود ، وربما يزيد أمر الثائر صعوبة ، وهذه الأخبار التي ترد بأحوال الثائر هي تابعة لما هناك بالحدود ، ولم يبق وقت للتأمل في تمام ما ذكر ، وحتى إن قدر أن الثائر يموت أو يضمحل لا بد أن أن يقوم غيره على ما يظهر من الأحوال ، ومعلوم حال بو عمامة بتلك الناحية وما يرتكبه ، وجل قوته من سلاح المخزن الذي يباع ثمة ، وهذه الفتنة الواقعة ـ وإن كانت بعيدة عن فاس ـ فهي قريبة من تلمسان ، وعلى تقدير أن قدمت دولة فرانسا لمدافعتها عنهم ولو بالقوة ، فإنها ترجع لهنا ، ومعلوم أن عجز المخزن اليوم منوط بالإهمال في الأمور ، لأنه لم يصدر جد يحصل به على الطائل ، وقد قدم في المجالس المتقدمة بيان ما يخرج من دولة فرانسا من الصوائر ، حيث إن لها بالحدود نحو الثلاثين ألفاً بعمالة وهران » ، ومع تحمل دولة فرانسا لذلك لم يحصل لها أمن في حدودها ، لأن الفساد الذين يفعلون الفعائل بإيالتها يرجعون للمجإ لا يمكن دولة فرانسا الوصول إليهم فيه ، وتحت يده مطالب الإيالة الجزائرية في شأن ما وقع لهم هنالك منذ عقدت الأوفاق للآن ، وهي إما نهب إبل أو غنم ، أو هجوم بالقوة على الدور أو على العربات ، أو قتل العسة ، وهذه القضايا هي المشار لها في الوفق بجعل الفصال فيها بتلك الناحية ، ولا زالت الدولة منتظرة إنجاز العمل على مقتضى الأوفاق ، وقد رفعت للمكلفين هناك ، وحتى الجواب لم يصدر عنها .

وقد وقعت حوادث أخرى ثمة ، فإنه في تاريخ عقد الوفق الباريزي قتل صبيان على عين والديهما ، وبعد عام من ذلك وقع نهب لقافلة من ناحية الإيالة الجزائرية ، وقتل في ذلك سرجان فرانصوي ، ثم بعد شهور 3 : وقع هجوم على رقاصة البوسطي وهم سبايس ، وقتلوا جميعاً ، ثم وقع هجوم على العسة الحارسة للطريق من غير تعد منها ، وبلغ عدد من قتل منهم ستين في تلك المدة ، ثم بعد ذلك نهبت غنم قدرها آلاف 10 : للإيالة الجزائرية ، ثم وقع الهجوم من البرابر 5000 تحت رئاسة الشريف مولاي المصطفى على قصر تغيت من حساب الإيالة الجزائرية ، وحاصروه أياماً ، ومات من الإيالة الجزائرية عدد له بال ،

فحصل لهم العجب لكون هذه الحركة خرجت من مركز للمخزن ، ثم بعد ذلك كانت طائفة من العسكر متوجهة من جنان الدار لتغيت ، فوقع الهجوم عليها ، وقتل منها نفر 97 فرانصاويون وجميع فسياناتها ، ومن جملة ذلك أنه خرج فبطانان بالزوبيا للتفسح فقتلا معاً ، ومع إجتهاد الدولة الفرانصوية في الحراسة والصوائر صارت عاجزة ، حيث لم يمكنها الدخول على الفعال للمحل الذي يلتجئون إليه ، ولو كانت الدولة المغربية ضابطة نفوذها لم يبق هذا الضرر لهم هناك ، والدولة الفرانصوية تتشكى بما ذكر ، وبتعذر المعاملات التجارية بتلك النواحي ، وهذه المعاملة التجارية المتعذرة ليست خاصة بالإيالة الجزائرية ، فإنها حاصلة حتى للإيالة المغربية ، فقد كان قبل الأوفاق والحدود يخرج من الإيالة الجزائرية للإيالة المغربية ما يزيد على آلاف فرنك 15 في السنة . ولهذا لم يبق للإيالة الجزائرية صبر على ما ذكر ، وإذا كانت الإيالة الجزائرية صابرة على هذا الضرر الحاصل لها في الرجال والمال ، فإن الدولة الفرانصويةهي التي تصبرها ، وتعدها بكون المخزن بصدد القيام بمواعده ، ولا يخفى أن سفر الباشدور لباريز قبل وروده لهنا ، كان وعد فيه الإيالة الجزائرية بأن المخزن يقوم بما عليه ، وما دام الزمان يفوت والوقت لا يظهر نتيجة لوعده ، حتى أنه لم يبق للإيالة الجزائرية محل للصبر ، ومكاتبها ترد على الدولة بالشكاية في الدعاوي المشار لها ، وفي عدم حصول الطائل ، وقدر المطالب التي تطلبها الإيالة الجزائرية في شأن القضايا المشار لها يناهز مليونين من الفرنك ، ومعلوم أن المخزن يصعب عليه إقامة الأمن بين عجرود وثنية ساسي ، وبين إكلي .

وحيث لم يبق للإيالة الجزائرية صبر على ما ذكر ، فإنها تطلب أن تقوم بإقامة الأمن بين عجرود وثنية ساسي ، وهذا الأمن الذي تقوم به هو أن تقوم به من مراكزها إلى ملوية ، ومن ثنية ساسي إلى اكلي ، وتمد الدخول هناك إلى المحل الذي يكون كافياً في زجر الفعال ، وقد وقعت هذه المطالب لما كان الباشدور بباريز ، فلم يقصر في الدفاع والوعد بكون المخزن يفعل المتعين ، ومن ذلك الوقت لم يصدر من الدولة المغربية أدنى ما يحصل به الإطمئنان ، وقد بلغه الخبر أن

الإيالة الجزائرية رجعت عما صبرها فيه ، وتريد الدفاع بالقوة ، ولا زالت تلك المطالب تحت نظر الدولة تنظر فيها ، وهذا آخرها يقرره اليوم .

ثم استُفهِم هل المراد بهذا الطلب أن يقوم المخزن بما ذكر أو تقوم به دولة فرانسا ، أجاب بأن ملخص ما قرره هو أن الأوفاق والشروط : دولة فرانسا قائمة بما عليها منها وأكثر من جهتها ، وترجى أن تقوم الدولة المغربية بواجبها ، لتحصل لها كذلك منفعة ، فلم تقم بشيء ، وحيث لم يبق صبر للإيالة الجزائرية ، وطالما وعدت بفعل المخزن لذلك ، فإنها تطلب أن تقوم هي بإقامة الأمن من ثنية ساسي إلى ملوية ، ومن ثنية ساسي إلى اكّلي ، من غير حصر ، وذلك إلى المحل الذي يحصل به زجر الفعال ، قائلاً : إن هذا إنما أخبر به على سبيل الإخبار والإنذار ، حيث إن ذلك لا زال تحت نظر الدولة الفرانصوية ، ولا زال لم يرد عليه أمر من الدولة في ذلك ، ولأجل ذلك كان طلب تأخير الكلام في أمر الحدود ، ولما طلب منه الكلام في ذلك ألقي ما عنده .

ختم المجلس في ساعة 4 . 1/2 وقسمين .

دفتر خ . ح 777 .

ملحق 84

وثيقة بيعة السلطان الحفيظ

من جهة الزاوية الناصرية الكبرى بتمكروت : الحافابص 320

الحمد لله وحده ، نحمدك اللهم يا واضح البرهان ، يا من له في كل يوم أبين شأن ، فماله من[1] تعالى عظيم السلطان ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد حبيبك الديان ، الذي نسخت بشرعه جميع شرائع أهل الأديان ، وفتحت بنصر حزبه وقاهر سيفه جميع الأقاليم والبلدان ، وأخضعت لداعي دعوته الإسماع والقلوب من كل أجناس الإنسان ، وعلى آله وصحبه الذين شيدت بهم أركان دينك القويم ، حتى استنارت بهداهم مناهج صراطك المستقيم ، بايعو نبيك أشباحاً وأرواحاً لنصرة دينه فرضيت عنهم ، وسننت لنا ذلك محجة بيضاء لأمته لكل آت منهم بعدهم : باقتفاء آثارهم في الإتباع للسلف الصالح ، وجرى في ميدان سبقهم ـ مجانباً للإبتداع ـ الخلف الفالح : في تلك المحجة الغراء البينة السبيل ، قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل ، لا يتوقف في ذلك الدّني ولا الجليل ، ولا الأحمر الفصيح ، ولا الأسود النصيح .

إلى أن أظلننا [2] الأوان ، الذي كاد يستولي علينا فيه صغائر الكفر والهوان ، ضعف فيه الطالب والمطلوب ، حتى زاغت أبصار العقلاء وبلغت إلى الحناجر القلوب ، فتداركنا الله ـ تعالى ـ الأمة[3] فضل ورحمة ، فاجتمعوا واتفقوا ، وعلى خالص دينهم حنوا . وأشفقوا ، وقالوا من لهذا اليسر ، ومن يزيح عنا وخم هذا العسر ، فصادفوا داعي الإجابة ، أن هلموا إلى إيتار قوس الإصابة : هذا هذا أمامكم الأعظم ، وحامل راية دينكم المعظم ، منصور عناية الحفيظ : مولانا عبد الحفيظ ، فقمنا كلنا بإتفاق ، مسارعين في ميادين الوفاق ، فبسطنا إليه أكف

---

1 ـ بياض بالأصل .

2 ـ 3 ـ بياض بالأصل في الموضعين .

الضراعةالضراعة باكين خاضعين ، ومددنا إلى أيمن يمناه أيدي المبايعة فبايعناه بيعة الرضوان ، وأن كل المسلمين له جنود وأعوان ،قائلين له : بايعناك على إقامة أمر الله المطلوب :

أن تسير به فينا من واضح كتاب الله ، ومستند رسول الله ، عليه وآله[4] وأزكى صلوات ، كما سار به في الأمة الخلفاء الراشدون بعد نبينا ، ومن قفاهم إلى يومنا ، هذا الذي نحن لك قاصدون حازماً ممتطياً ذروة الأتباع ، حازماً تاركاً مبطلاً لمهواة الإبتداع ، مقدماً لأمر الخالق على كل الأهواء ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق بالسواء ، فقد ورد : لا طاعة لمخلوق إلا في معروف : أي في معروف الشرع المقرر في عرفه : كتاباً وسنة ومشهور مذهب مالك ، بالخيرية موصوف .

وله علينا ــ بعد هذا ــ السمع والطاعة ، في المنشط والمكره فيما[5] لنا من النفوس والبضاعة ، فيما نطيق من الأمر كله ، وأن لا نفارق الجماعة قيد شبر ، وأن لا ننازع الأمر أهله : قله وجله ، وأن نسعى فيما يعنينا من أعزاز أميرنا المطاع ، وأمر ديننا المتبع : بإعلاء كلمة ربنا ، التي هي غاية مرادنا ، في دنيانا وأخرانا ، مقدمين بذلك ، معترفين به نحن وأولادنا ونساؤنا ورجالنا ، وكل من له تعلق بنا من الفقراء والقبائل المجاورة لحرمنا بزاويتنا الناصرية الكبرى بدرعة بلدنا ، وكل مستمع لكلمة الحق راضياً به ، خاضعاً له ، خاشعاً منه : بعيداً وقريباً منا .

نشهد الله ــ تعالى ــ وملائكته ورسله وأولى العلم وجميع خلقه على ذلك ، ونسأله أن يسلك بنا ــ في الأمر كله ــ خير المسالك ، فإنه على ذلك قدير ، وبكل خير ــ يرضاه لنا ويرضى به عنا ــ جدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير الجليل ،متبرءين ــ في ذلك كله ــ من حولنا وقوتنا ، إذ لا شيء فيهما لنا ، معتصمين بحوله وقوته ، مستعينين بكنز الجنة : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

---

4 ــ كذا بالأصل .

5 ــ بالأصل : فحالنا .

وبه وجب الإعمال والإعلام ، والسلام ، في **26** ربيع النبوي عام **1326** .

من نسخة مبايعة الزاوية الناصرية بتمكروت للسلطان الحفيظ : ضمن مجموع :
خ م رقم **12693** : ص **227-229** .

تنبيه :

لاحظ ناسخ المجموع المشار له .
أن بالأصل المنقول منه تصحيفاً وتحريفاً وحذفاً .

ملحق 85
شهادات باستمرار السيادة المغربية على الصحراء الغربية[1]

والمعني بالأمر الإشارة لبعض الوثائق والنصوص الجديدة ـ إلى حد ـ عن مظاهر السيادة المغربية على الصحراء الغربية .

* * *

ونلتقي ـ في البداية ـ مع رسالة صادرة عن عميد منطقة تيندوف[2] : الشيخ محمد المختار بن الأعمش الجكني[3] ، وفيها يعلن بيعة الإقليم للسلطان العلوي محمد الرابع ، ويسجلها حسب الفقرة التالية :

« ... وقد بايعناك على السمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعة ، والتمسك بالدعوة ـ ببقائها ـ إلى قيام الساعة ، في الرضى والسخط ، والمكره والمنشط ، والعسر واليسر ، والقل والكثر ، والشدة والرخاء ، والسراء والضراء ، وعلى ما بويع عليه رسول الله ـ ﷺ ـ وخلفاؤه الر اشدون ... وما ثبطنا عن القدوم إليكم إلا خوف نقص العهد من قتلة الشرفاء ، كما خبره لديكم ، وإلا المرض والكبر الملازمان للشخص والغير .

« وهات يدك يقبلها قرطاسي ، نائباً عني وعن جميع ناسي »[4] .

---

1 – هي مايطلق عليه ـ اليوم ـ إسم « الساقية الحمراء ووادي الذهب » ، غير اننا سنضيف لذلك منطقة « تيندوف » .

2 – إقليم على بعد 488 ك . م جنوب أكادير .

3 – ورد ذكره عند أحمد بن الأمين في « الوسيط » ، « المطبعة الجمالية » بمصر ، ص 374 ، 539 ، وترجمه في « المعسول » ج 18 ص 159 – 160 .

4 – عن نسخة خاصة من الرسالة الجكنية بخط ابن باعثها : احمد يَكّنَا .

وبعد هذه البيعة الجكنية ، ننتقل إلى تلميح موضوعي ورد عند محمد العربي المشرفي ، في رحلة كتبها عن جولة السلطان الحسن الأول في شمال المغرب عام ستة وثلاثمائة وألف للهجرة ، وهو يشهد بأن العاهل المنوه به استمرت سيادته على المناطق الشنجيطية والجكنية[5] .

وعن السيادة المغربية على الجهة ذاتها أيام السلطان العزيز ، نشير إلى خطاب من الشيخ ماء العينين ، بعث به ـ من الساقية الحمراء ـ إلى الشيخ أحمد يكنا ، وهذا هو ابن محمد المختار بن الأعمش كاتب البيعة المنوه بها وشيكاً .

وفي الرسالة العينية يشعر باعثها مخاطبه بورود كتب من جهة سلطان المغرب ، ويبرد رسولاً بأحدها ليوصله إلى تيندوف ، وتختتم الرسالة ذاتها بتسجيل تاريخها : عند افتتاح ذي القعدة من عام ستة عشر وثلاثمائة وألف للهجرة[6] .

* * *

وستمثل هذه الوثيقة الشهادة الثالثة بإمتداد السيادة المغربية إلى الصحراء المغربية .

ونعرض ـ بعدها ـ ثلاثة نصوص أخرى تندرج في عمومياتها مغربية المنطقة المعنية بالأمر ، وننتزع الشاهد الأول من مساهمة بعض جهات الصحراء الكبرى في معركة تحرير مدينة الجديدة أيام السلطان العلوي محمد الثالث ، وهذا ما يحتفظ به المؤرخ الرباطي : محمد الضعيف حسب الفقرة التالية :

« وفي شعبان من عام إثنين وثمانين ومائة وألف ، نزل أمير المؤمنين « محمد الثالث » ـ نصره الله ـ على البريجة : « الجديدة » ، وشد عليها الحصار ، أناء الليل وأطراف النهار ، وإجتمعت عليه الحشود والقبائل والجنود من كل أرض ،

5 ــ من هذه الرحلة نسخة بخط مؤلفها ، بالمكتبة الملكية رقم 2024 .

6 ــ عن نسخة أصلية من الرسالة العينية وانظر عن ترجمة احمد يكن : « المعسول » ج 18 ص 161 - 164 .

وأتى قوم من الصحاري لابسين الجلد ، راكبين الإبل الهواري ، لهم شعر في رؤوسهم قد حاف على آذانهم : نحو الخمسمائة رجل أو أزيد »[7] .

والظاهر أن الوافدين الذين ينوه بهم هذا النص ، هم الذين يحملون ـ بالصحراء ـ إسم « أنمادي » ، حيث يسمهم مؤلف « الوسيط »[8] بأنهم يتميزون بلباس الجلود .

ونتابع ـ الآن ـ الحديث عن مغربية الصحراء ، ونقدم في هذا الصدد شهادة صادرة عن لغوي شرقي مختص : محمد مرتضى الزبيدي ، حيث يستدرك على صاحب القاموس ما يلي : « ومما يستدرك عليه شنقيط بالكسر : مدينة من أعمال السوس الأقصى بالمغرب »[9] .

وهذه شهادة أخرى يسجلها نفس المصدر في الإتجاه ذاته ، وهو يترجم في « معجمه »[10] لمن يسميه عبد الرشيد الشنقيطي ، ويقول عنه :

« ... أحد المجاورين بالمدينة النبوية ، سمع مني أشياء ، وكان وصوله سنة 1199 هـ ومعه فتوى ، إذ عارض بعض أهل المدينة في إدخال أهل شنقيط في وقف المغاربة ، فوصل إلى مدينة فاس واستفتى علماءها ، فكتب عليها شيخنا التاودي بأنهم من خلص المغاربة ، وكذلك كتب عليها غيره من العلماء ، واتصل خبره إلى السلطان فكتب له منشوراً بإثبات ذلك ، فورد علي وأراني خطوطهم ، وكتب عليها ـ كذلك ـ بعض علماء مصر » .

---

7 – « تاريخ الضعيف »، مخطوط الخزانة العامة.

8 – ص 466 .

9 – « تاج العروس »، منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت، ج 5 ص 170 .

10 – مخطوط خ. م 2827 ! .

ملحق 86
النص الكامل للبيعة الجكنية

الحمد لله الذي أولانا فضله العظيم ، وهدانا صراطه المستقيم ، وبعث إلينا نبيه الكريم ، ورسوله الرؤوف الرحيم : محمد الذي جلّا به ليل الكفر البهيم ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أتى بالفضل العميم ، وعلى آله وأصحابه الراغبين في إذهاب السيئات ، واقتناء الحسنات .

هذا وإنه من كاتبه بالسلام الجامع للأدب ، الموفي بغاية الأرب ، إلى خليفتنا وأميرنا سيدي محمد السلطان ابن السلطان مولانا عبد الرحمن ؛ والأعلام لك بعد حمد الله الذي لا إله إلا هو ، والوصية لنفسي ولك بتقوى الله العظيم ، واقتفاء آثار نبيه الكريم :

إنا متطفلون على موائد الحق ، بالطلب لك لنفع المؤمنين من الخلق ، بدوام النصر وتتابع الظفر نصراً كنصر الخلفاء ، يقوم به بأمْرِكَ الكفاة الأتقياء ، الناصرون لدين الله ودينك حتى ييئس منه العداة الأشقياء .

عاملون بما قضي به الأئمة ومضى عليه الخلفاء ، ومتمسكون بالعلم بخشية الله ، « وإنما يخشى الله من عباده العلماء » ومسخرون لك ، وأنت كذلك للمسلمين ، وهم المجاهدون الأدلاء ، أعانَنَا الله وإياهم على الجهاد الأصغر ، وحفظهم منه منه للجهاد الأكبر ، ألا إنها نعمة عظمت وجلت ، ومنه ..

لو بذلت الْمهج مكافأة عليها لصغرت بإزائها وقلت .

فبشرى لهم بسببك على علو اليد ، وسعادة اليوم والغد ، والبلوغ بالسعي الأدنى إلى الأمد الأبعد ، ويا فوز مناهم ، وطيب غرسهم وجناهم ، حين تبادروا نحوه ، ووردوا من خير الدنيا والدين معينه وصفوه ، فازدحموا عليه والمسار قد استخفتهم ، والسعود قد كالت لهم بصاعها ووفتهم .

وقد بايعناك على السمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعة ، والتمسك بالدعوة ببقائها إلى قيام الساعة ، في الرضى والسخط ، والمكره والمنشط ، والعسر واليسر ، والقل والكثر ، والشدة والرخاء ، والسراء والضراء ، وعلى ما بويع عليه رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون ، والعهد قريب ، والمهدي الإمام ـ رضي الله عنه ـ والدّين في زمنه غريب .

وما ثبطنا عن القدوم إليكم إلا خوف نقض العهد من قتلة الشرفاء ، كما خبره لديكم ، وإلا المرض والكبر الملازمان للشخص والغير ، وهات يدك يقبلها قرطاسي ، نائياً عني وعن جميع ناسي ، ويخبرك الطالب محمد بجميع أحوالهم من عدم احترام أهل الإسلام وما لهم ، وحكم جهادهم أفضل من جهاد النصارى ، كما هو منصوص عليه في المدونات الكبرى والصغرى .

وبه كتب عبيدكم محمد المختار بن باللعمش .

في خزانة خاصة بخط أحمد يكْن إبن باعثها .

ملحق 87
النص الكامل للرسالة العينية

الحمد لله وحده ، والسلامان على من لا نبي بعده

محبنا الأرضي ، الصفي ، الوفي المتضي ، التقي النقي ، السمي ، السني ، قرة أعيننا ، وثمرة أفئدتنا ، الفقيه السيد أحمد يكن ، رزقنا الله وإياك في الدارين الأمن ، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد إعلامك أن حبك راسخ في الجوارح والخلد ، لا نعدك إلا بمنزلة ما لنا من ولد ، ونطلب لك الحفظ من كل الأسواء كنت في أي بلد ، بل أنت من قدماء الخاصة ، الذين لهم المحبة المتراصة .

وقد ورد علينا كتاب من جهة مرسة الطرفاية السعيدة ، أتى في البابورمع كتب أخر . من عند السلطان ، نصره الله في كل الأوطان ، وها هو عند حامله إن شاء الله .

ولا تنسنا من صالح دعائك ، كان الله لنا ولك في كل الأمور ، مدى الدهور .

ومنا السلام على العشيرة بالتمام ، كل واحد باسمه ، وخالص وسمه ، والله يرزقنا وإياكم ــ جميعاً ــ الحفظ من الظلام ، بجاه علم الأعلام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعلى المحبة والسلام .

افتتاح ذي القعدة عام 1316 .

وبهامش الرسالة يمنة أعلاها : طابع مستدير بداخله « عبد ربه ماء العينين كان الله له » .

في خزانة خاصة

ملحق 88

معلومات عن حياة عبد الحكيم التونسي في مراكش وطنجة

تكميلاً للتعليق **26** عند ص **312**

هو عبد الحكيم بن محمد الأمزوغي : نسبة إلى أمزوغة بنواحي أمزميز من إقليم مراكش ، الملقب بالتونسي لأن والده ذهب إلى تونس ، وبتونس العاصمة ولد له عبد الحكيم هذا الذي لا زالت عائلته إلى الآن بتونس .

قرأ عبد الحكيم دروسه الأولية بتونس ، ثم ذهب إلى مصر ليتابع دروسه بجامعة الأزهر التي التحق بها إلى أن حصل على عدة إجازات من جلة العلماء بها .

قدم إلى مراكش في عنفوان شبابه على عهد خلافة السلطان مولاي عبد الحفيظ بها ، وكان من أبرز رفاقه ومستشاريه ، ثم غادر مراكش والتحق بالسلطان مولاي حفيظ بطنجة ، وله معه عدة صور رأها قديماً كثير من أهل مراكش ، خصوصاً أثناء لعبة « الكولف » التي كان يمارسها مع السلطان المذكور .

ثم قدم إلى مراكش مرة أخرى فآواه المرحوم السيد عبد الخالق بوستة ، وأعطاه داراً بحومة « قاعة بناهيض » ، واشتغل محامياً ، وكان مكتبه بمنزله .

كان طويل القامة ، جميل الصورة ، له عين زجاجية اصطناعية ، وكان يركب بغلاً ، « بغلاً لا حصاناً » .

كان صديقه الوحيد هو فرنسي سياسي اشتراكي اسمه « بابان » الذي كان يقيم بمراكش ، وكان هذا الفرنسي مراسلاً لبعض الصحف الفرنسية بفرنسا .

وكانت له علاقة طيبة مع الناس ، وخصوصاً جيرانه ومعارفه ، وكان يظهر العداوة للحماية رغم أنه كانت له يد طولي عند سلطات الحماية ، وربما كان يرهبه الفرنسيون لصداقته للفرنسي الإشتراكي .

كانت زوجته مغربية بنت الباشا عباس بنداود أحد باشوات مراكش ، ولم يكن له أولاد ، ولذالك تبنّى اطفالاً يُعرفُ منهم الشريف مولاي علي المصلوحي .

كما كان يدافع عن الفقراء بالمحاكم بالمجان ، وكان يمتاز بصراحة القول والإنتصار للحق .

كان صديقاً حميماً للباشا الكلاوي ، إلا أن حادثة أفسدت هذه الصداقة ، وملخص الحادثة أن مولاي علي المصلوحي متبني صاحبنا أنكره إخوته بعد موت والدهم . فتصدى صاحبنا للدفاع عن حق متبناه في المحاكم ، وكان ضلع الكلاوي مع الإخوة الخصوم ، فمنع عبد الحكيم من الترافع بدعوى أنه أجنبي ، فقامت قيامة صاحبنا ، وأدلى بالحجج التي تثبت مغربيته المتأصلة والمستمرة ، مما دفع بالكلاوي إلى أن يحكم بسجنه لمدة ثلاثة أشهر ، ويقولون إن جلسة الحكم على التونسي كانت هي الجلسة الوحيدة الأولى والأخيرة التي تصدى فيها الكلاوي للحكم بنفسه ، وإنما كان ينيب عنه الخلفاء ، غير أن عبد الحكيم لم يهب الكلاوي ، بل إنه رماه أثناء الجلسة بابن الزني أمام الجمهور الحاضر، غير أن الكلاوي ندم على ما فعل ، ثم أطلق سراح عبد الحكيم بعدما قضي في السجن خمسة أيام فقط ، ثم زاره الكلاوي في منزله بعد الإفراج عنه مباشرة ، وحاول استرضاءه ، غير أن عبد الحكيم أبى ذلك . وكرر الكلاوي المحاولة ، واشترى رياها بحومة القصور كان في ملك أحد السياسيين الإنجليز : « هاريس » ، وأراد أن يجعل عقد شرائه في اسم عبد الحكيم ، ولما امتنع هذا الأخير جعل الكلاوي الملكية في إسم زوجة عبد الحكيم .

ويقال إن من أسباب النفرة أيضاً أن « بابان » صديق التونسي كان ينشر مقالات تشهيرية بالكلاوي بالصحف الفرنسية حول معاملة الباشا للسكان .

توفي السيد عبد الحكيم التونسي عشية الجمعة 14 محرم عام 1351 هـ ، وشيعت جنازته ـ صبيحة السبت 15 من الشهر المذكور ـ من منزلة بحيى القصور في محفل رهيب حضره جمهور غفير من أهل مراكش ، ودفن بضريح سيدي عبدالله الغزواني الشهير بـ « مول القصور » .

وبعد موته قدم أخ له من تونس وتزوج بزوجته ، وأخذ كل ما خلفه الفقيد

من أثاث منزلي فاخر جداً ، أغلبه أجنبي الصنع مستورد ، وعاد إلى تونس بزوجته التي يقال أنها ماتت بعد موت زوجها الأول بعامين.

استجواب مع شخصية من مراكش
أنجزه - مشكوراً - شفيقي الأستاذ
عبد العالي المنوني خلال شتنبر 1982

ملحق 89
عن مشروع التلغراف اللاسلكي بالمغرب

مضى على مسألة التلغراف اللاسلكي أسابيع خلت فيها الأحاديث عن هذا العمل الذي سيكون في المغرب أشهر ثمرة العلوم العصرية والإختراعات الحديثة. فالتلغراف اللاسلكي غاية تحوم حولها امال التجار والتجارة، وتشوق إليها الأحكام والحكام، وينشدها الصحافي المجتهد في هذه الإيالة التي تعسرت فيها الأنباء على الأقدام، فكيف على الأقلام، وقد نشرت رصيفتنا (الدباش) خلاصة ما تضمنته صورة عقد الشركة التلغرافية المغربية التي وقع عليها سفراء فرنسا وانكلترا واصبانيا وإلمانيا، وهي شركة مساهمة يجوز لكل إنسان أن يساهم فيها وينتفع منها، ولا تفوت فائدتها لمن رغب وتمت عند رغبته الإرادة، وحسبنا أن نقف من مخلص تلك الشروط ما به فائدة القراء، فقد جاء في البند الأول منها أن غاية الشركة استثمار مشروع التلغراف اللاسلكي في المغرب تحت شراكة مساهمة خاضعة لقانون الدولة الفرنساوية، وأن رأس مالها يقسم إلى أربعة أجزاء متساوية، كل جزء يختص بدولة من الدول الأربعة الموقعة على عقد الشركة، وإذا تخلف فريق من المتكتبين عن الإكتتاب، فإن الجزء المختص بالفريق الممتنع يصير توزيعه على المكتتبين بالمساواة. وجاء في البند الثاني أن إدارة الشركة المشار إليها تكون تحت نظارة المسيو هنري بوب، الذي يعين عند مشروع العمل بمثابة مدير عام للشركة، وإن توفي المشار إليه أو استقال لأسباب خاصة، فيخلفه في مركز الإدارة فرنساوي آخر يعينه المسيو بوب في قيد الحياة، بإتفاق مجلس إدارة الشركة الذي يتألف من اثنين عن كل فريق من المكتتبين، ويؤلف لهذه الشركة مجلس شوري يكون له حق في الإدارة وتعيين نائب المدير الذي يتحتم أن يكون من جنسية المكتتبين، ويسمى هذا المجلس بالإتفاق جميع الموظفين بالمساواة، من جميع جنسيات المشتركين بالإكتتاب في رأس المال، ويحفظ حق الإختصاص على معنى الشواذ للموظفين الذين يشغلون المراكز التلغرافية على حدود الإيالة، فيختص بالحدود الجزائرية

المغربية بموظفين إفرنسيين ، وبالحدود الإصبنيولية بموظفين اصبنيوليين .

وجاء في البند الثالث أنه يدفع للمسيو هنري بوب مبلغ مائتين وخمسين ألف فرنكاً بدل النفقة التي صرفها على إنشاء أربعة مراكز تلغرافية في المراسي المغربية ، وهي مركز طنجة والدار البيضاء والصويرة وآسفي ، ويكون دفع هذا المبلغ بعد رفع رأس المال ، وحين استيفاء القدر المنوه عنه تدخل المراكز الأربعة في حوز وملك الشركة المذكورة .

وتخصص الشركة للمسيو هنري بوب شيئاً من الأرباح بصفة مؤسس للمشروع ، يعطي له عند آخر كل عام بالنسبة إلى الأسهم ومقدار الربح .

ونص البند الرابع هو ما يأتي : أنه تتساوى حقوق استحضار الأدوات بين الجنسيات المشتركة ، ولا يسمح باستحضار أدوات من المعامل الإفرنسية إلا بعد أن تستحضر الجنوس الثلاثة أدوات معاملهم لمبلغ يساوي 150 ألف فرنكاً ، قيمة الأدوات التي قبض ثمنها المدير المرقوم ، وبعد ذلك تتساوى حقوق الطلب .

البند الخامس وقد تقرر أنه متى تم التوقيع بين الدول المشار إليهم على نصوص الشركة ، يوقف المسيو هنري بوب تتمة إقامة المراكز التي ابتدأ بها يصير بعدئذ طلب المأذونية من لدن الحضرة الشريفة بوضع التلغراف المشار إليه تحت عرف السمسرة العمومية .

وأشير في البند السادس إلى أمر هام ، وهو أنه إذا لم تنال هذه الشركة إمتياز إنشاء التلغراف اللاسلكي بموجب السمسرة العام ، فيشترط على من ينال الإمتياز أن يدفع ثمن المراكز الأربعة المشار إليها سابقاً ، وقد وقع ملى هذا الصك كل من سفير دولة فرنسا وأنكلترا وإصبانيا وألمانيا 8 أبريل 1907 .

موضوع الشركة :

إن موضوع الشركة غاية مزدوجة المقصد ، ففضلاً عن أنها خصوصية من حيث المنفعة ، فهي عمومية من الفائدة ، فالشركة التلغرافية المشار إليها تسعى لأن تنشيء

الأعمال التلغرافية وتستثمر مشروعها منها، ولترويج الإختراعات الفنية وتعميم فوائدها من حيثية الإطلاع عليها وتعليمها للغير وتشغيل المعامل بإنشائها وفائدة العمل مطلقاً بأشغالها ، فضلاً عن أنها ترمي لغايات أسمى وأشرف من كل هذا ، وهي تسهيل سبل نقل الأخبار ومواصلات التجار ، وإفادة الأنباء من وراء البحار ووراء القفار ، ومدة هذه الشركة تكون إلى خمسين عام بعد التوقيع ، ورأس مالها 600,000 ألف فرنكاً مقسوم إلى 1,200 سهم ، كل سهم 500 فرنكاً ، أما ما يقدمه المسيو هنري بوب إلى الشركة التي كان سبب تأسيسها لا أرض في طنجة بناحية السواني ، مساحتها 6,8000 مصونة الجوانب ، ودار مشيدة في الأرض المذكورة صالحة لإنشاء المركز التلغرافي اللاسلكي ، ولسكني الموظفين في الإدارة بطنجة ، وجميع الأدوات اللازمة لإنشاء المركز التلغرافي .

وأرض ثانية في الدار البيضاء على البلاجة جنوباً ، مساحتها 7,500 ودار مشيدة فيها صالحة لإقامة المركز التلغرافي ومكتب المتوظفين وسكناهم ومثل ذلك في أسفي والصويرة ، ثم إن المسيو هنري بوب يقدم للشركة تقاريره الفنية على هذه الأعمال التي درسها درساً مدققاً مما لا يقدر على ذلك غيره ، لما هو مشهور به من المقدرة في هذا الفن والمهارة العظمى ، مع أنه شاب في الثلاثين من سنه ، فنأمل للمشروع رواجاً تحت أنظار الحضرة الشريفة والمخزن السعيد الذي ولا غرو سيكون له فائدة كبرى من هذا العمل المأثور .

جريدة « السعادة » عدد 140 ، السنة الثالثة :
بتاريخ الخميس 8 جمادي الأولى 1325/
20 جوان 1907 : ص 1 .

فهرست الموضوعات

المرحلة الأولى

1900 – 1905

الباب الاول

الباب الثاني

مبادرات رسمية لإصلاح الجهاز الاداري

الباب السادس
محاولات تجديدية على المستوى الرسمي

الباب السابع
ملامح اليقظة السياسية للنخبة المغربية في مطالع ق 20

الباب الحادي عشر
البدايات الأولى لظهور الطباعة العربية
المركبة على الحروف

الباب الثاني عشر
المقاومة المسلحة في الشاوية وتافيلالت